تفسير القرآن

النبي الجامع

في

الإعجاز البياني واللغوي والعلمي

إعداد ودراسة

الدكتور محمد الهلال

دار المعراج — دار جوامع الكلم

تفسير القرآن الثري الجامع

في

الإعجاز البياني واللغوي والعلمي

إعداد ودراسة

الدكتور محمد الهلال

الجزء الرابع

دار المعراج

دار جوامع الكلم

تفسير القرآن الثري الجامع

في

الإعجاز البياني واللغوي والعلمي

الجزء الرابع

تفسير القرآن الثري الجامع
إعداد ودراسة : الدكتور محمد الهلال
عدد الأجزاء: (١٢)
عدد الصفحات : (٦٧٠٤)
القياس : ١٧ × ٢٤
التنضيد والإخراج الضوئي: محمود الجعبري

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٤٣ هـ - ٢٠٢٢ م

دار المعراج
تلفاكس : 2247242 11 963 +
ص.ب: 31429 . سورية . دمشق
E-mail: meraj.press@gmail.com

للطباعة والنشر والتوزيع
دار جوامع الكلم

جوال : 60 60 84 933 963 +
سوريَّة ـ دمشق ـ تلفاكس : 2216555 11 963 + ـ ص . ب 13118
www.j-alkalem.com m.algabary@gmail.com

ISBN : 978-9933-586-77-5

هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ
بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا
لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟
إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ
مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ
﴿١٥٩﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ
فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ
إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ
ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ
رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ
﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ
نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ
خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ
فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾

سورة الأنعام [الآيات ١٥٨ - ١٦٥]

[١٥٨] ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾:

المناسبة: بعد أن بيَّن : أنه أنزل الكتاب (القرآن)؛ كبيِّنة، وهدىً، ورحمة، فلم يعُد لهم عذرٌ لعدم الإيمان، ولذلك ينذرهم بسوء العذاب.

﴿هَلْ﴾: استفهام؛ تتضمن معنىٰ النفي، والاستنكار؛ أيْ: ما ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة.

﴿يَنظُرُونَ﴾: ولم يقل: ينتظرون؛ لأنهم لم يصدقوا أنه سيقع.

ينتظرون: انتظار معه ترقب؛ أيْ: توقع ما سيحدث، وطول في وقت الانتظار.

أما ينظرون: فانتظار؛ من دون ترقب، بل يأتي فجأة بغتة، ويقع بسرعة؛ أيْ: ليس هناك طول انتظار.

﴿إِلَّآ أَن﴾: إلا: للحصر، أن: مصدرية؛ للتعليل.

﴿تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾: ملائكة الموت؛ لقبض أرواحهم، أو تأتي الملائكة يوم القيامة؛ لقوله : ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر:٢٢].

﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾: يوم القيامة؛ لقوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾ [البقرة:٢١٠].

وقيل: ﴿يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾: تعني: يأتي أمر ربك؛ أي: العذاب، والهلاك.

﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾: قيل: هي علامات الساعة الكبرىٰ، أو أشراط الساعة مثل طلوع الشمس من المغرب، أو ظهور الدابَّة، أو يأجوج ومأجوج، والدجال، ونزول عيسىٰ .

﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾:

﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾: أيْ: إذا ظهرت الآيات الكبرىٰ، للساعة، أو أشراط الساعة.

﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾: أيْ: لا توبة، ولا إيمان بعد ذلك، لا: النافية للجنس؛ أيْ: إن جاءت هذه الآيات فلن يعد هناك تكليف، أو عبادة تقبل من العبد بعد ظهور هذه الآيات.

﴿أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾: أيْ: آمنت، عملت الصالحات قبل عِلمها بمجيء الساعة، ومعنىٰ كسبت في إيمانها خيراً، ليس كإيمان فرعون: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾.

﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس:٩٠-٩١]. ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (٢٨٦) لبيان معنىٰ الكسب.

﴿قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾: فيها تهديد، ووعيد لمن يرجئ توبته، وإيمانه حتىٰ حدوث هذه الأمور؛ أيْ: أشراط الساعة، قل لهم يا محمد: انتظروا مثل أيام الذين خلوا من قبلكم، أو يأتي بعض آيات ربكم، ونحن منتظرون وعد ربنا، بالنصر والنجاة؛ لمن آمن، والهلاك والعذاب، لمن أعرض وكفر بآيات ربِّه.

﴿مُنتَظِرُونَ﴾: جملة اسمية؛ تدل على الثبوت؛ أيْ: سوف ننتظر، ولن نكفَّ عن الانتظار حتى النهاية.

[١٥٩] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾:

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد، الذين: اسم موصول؛ يفيد الذمَّ، والذي: قد تعني: اليهود، والنصارى، وأهل الضلالة من هذه الأمة.

﴿فَرَّقُواْ دِينَهُمْ﴾: وهم أهل البدع، والضلالة، والشبهات، فرَّقوا دِينهم: تعني: آمنوا ببعض، وكفروا ببعض.

﴿وَكَانُواْ شِيَعًا﴾: فرقاً، وجماعات، ومذاهب شتى، والشيعة: جماعة تتبع أمراً، سواء أكان خيراً، أم شراً.

وفي قراءة أخرى: إن الذين فارقوا دِينهم؛ أيْ: تركوا دِينهم؛ أيْ: ارتدوا، أو ابتدعوا.

﴿لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾: أيْ: أنت بريء منهم، وهم منك بُراء.

﴿إِنَّمَآ﴾: كافة مكفوفة؛ تفيد الحصر.

﴿أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ﴾: مصيرهم، جزاؤهم، عقابهم موكل إلى الله تعالى.

﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم﴾: ثم: تفيد الترتيب، والتراخي؛ أيْ: يوم القيامة ينبِّئهم.

﴿بِمَا﴾: الباء: للإلصاق، والتوكيد، ما: اسم موصول بمعنى الذي، وما أوسع شمولاً من الذي.

﴿كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾: يفعلون: العمل يشمل الفعل والقول؛ فالفعل جزء من العمل؛ أي: العمل أشمل في الدنيا من خير، أو شر، أو تفريق، وابتداع في الدِّين.

[١٦٠] ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾:

﴿مَن﴾: ابتدائية شرطية.

﴿جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾ الحسنة: هي كل عمل من قولٍ، أو فعل خير، يورث ثواباً. ارجع إلىٰ سورة البقرة، آية (٢٠١)؛ لمزيد من البيان.

وحسنة: جاءت من حسن، والتاء تسمَّىٰ تاء المبالغة، كقولك: فلان علَّامة، وثواب الحسنة بعشر أمثالها جمع مِثل: المِثل هنا يعني حسنة وعشر أمثالها أي عشر حسنات، وعشر (مذكر) حسنات (مؤنث) والعدد من (٣-١٠) يخالف المعدود في التذكير والتأنيث ولذلك جاءت عشر ولم يقل عشرة، وقد يضاعف ذلك إلىٰ سبعمئة ضعف، وهذا من رحمته ، وفضله.

﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾: الفاء: رابطة لجواب الشرط؛ تفيد التوكيد، لا: النافية.

﴿يُجْزَىٰٓ﴾: من الجزاء.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿مِثْلَهَا﴾: أيْ: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورىٰ:٤٠]. وهذا من رحمته سبحانه وتعالىٰ.

﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: وهم: ضمير منفصل؛ يفيد توكيد عدم ظلمهم، ولو كان مثقال ذرة، فلا تنقص من حسناتهم حسنة، ولا تزد سيئاتهم سيئة.

[١٦١] ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾:

﴿قُلْ﴾: يا محمد ﷺ.

﴿قُلْ إِنَّنِي﴾: زيادة النون؛ تفيد التوكيد على الهداية، أو أنَّه هداني؛ أيْ: دلّني.

﴿رَبِّيٓ﴾: من الربوبية.

﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: دِين الإسلام، دِين الحق.

﴿دِينًا قِيَمًا﴾: قِيَماً: وليس ديناً قَيماً؛ أي: مستقيم، أو قائماً على سائر الكتب كما جاء في سورة الكهف في آية (٢) وإنما قال ديناً قيماً الاستقامة؛ أيْ: لا تقوم الحياة إلّا به، مستقيماً لا عوج فيه.

و ﴿قِيَمًا﴾: صيغة مبالغة في الاستقامة ليس فقط مستقيم وإنما أبلغ أو كامل الاستقامة ليس هناك أفضل من الاستقامة؛ أيْ: أبلغ من القائم، وإنما قيم على مصالح العباد.

﴿مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾: شريعة إبراهيم .

﴿حَنِيفًا﴾: مائلاً عن الأديان الباطلة إلى دِين الحق. ارجع إلى الآية (١٣٥) من سورة البقرة؛ للبيان.

﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: ما: النافية لكل الأزمنة؛ من المشركين: من: المفرد والمثنى والجمع للعاقل، والمشركين: جمع مشرك.

[١٦٢] ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾:

﴿قُلْ﴾ يا محمد ﷺ: ﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾: نسكي؛ أيْ: عبادتي، والنسك: تطلق على أفعال الحج خاصة، والنسك: يدخل فيها النحر؛ لأن الكفار كانوا يتقرَّبون إلى آلهتهم بالنحر، وكلُّ ما يتقرَّب به إلى الله يُعدُّ نُسكاً؛ فالنسك تطلق على كل عبادة بما فيها أعمال الحج؛ فالطواف نسك، والسعي نسك، والرمي والوقوف بعرفة.

﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾: ومحياي: كل ما أعمله في حياتي، وما أموت عليه: من الإيمان، والعمل الصالح، كله لله رب العالمين، أو حياتي؛ أيْ: طاعتي لله.

﴿وَمَمَاتِي﴾: أيْ: رجوعي إلىٰ الله رب العالمين؛ فصلاتي وعبادتي ومحياي ومماتي كلها خالصة لله رب العالمين من الشرك، والرياء.

[١٦٣] ﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾:

﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾: لا: النافية، لا شريك له في ذاته، ولا في ألوهيَّته، ولا في ربوبيته، ولا في صفاته وأسمائه.

﴿وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ﴾: أي: أمرني ربي.

﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾: لها عدة معان منها: أول المسلمين من أمته ﷺ، والرسول ﷺ؛ أي أمة محمد ﷺ، وأول المسلمين قد لا تعني الترتيب الزمني، وإنما تعني أشد المسلمين إسلاماً، أو من أمة الإسلام من آدم إلىٰ أمة محمد ﷺ، أول المسلمين تطبيقاً للإسلام؛ أيْ: في شدة الأداء.

[١٦٤] ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾:

﴿قُلْ﴾: لهم يا محمد ﷺ؛ رداً علىٰ دعواهم لك علىٰ عبادة آلهتهم، وترك أمر الدِّين، والرجوع عنه.

﴿قُلْ أَغَيْرَ﴾: الهمزة: استفهام إنكاري، وغير: تفيد المغايرة بالذات في هذه الآية.

﴿أَبْغِى رَبًّا﴾: ألتمس، أو أطلب ربّاً خالقاً، ومربِّياً، ورازقاً؛ أيْ: لا أبغي ربّاً إلا الله وحدَه؛ فهو يكفي: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء:١٣٢].

﴿وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ﴾: مالكه، وخالقه، ومدبِّره.

﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾: قال: ﴿عَلَيْهَا﴾: وليس: لها؛ لقوله في آية أخرىٰ: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾: لها ما كسبت من الحسنات، وعليها ما اكتسبته من السيئات. ارجع إلىٰ الآية (٢٨٦) من سورة البقرة؛ للبيان.

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾: ولا تتحمل نفس وازرة؛ أيْ: إثم أو ذنب نفس أخرىٰ، فكل إنسان مجزيٌّ بعمله، سواء أكان صالحاً، أم سيئاً؛ كقوله تعالىٰ: ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور:٢١].

﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ﴾: ثم: للترتيب، والتراخي، ثم يوم القيامة إلىٰ ربكم مرجعكم للحساب، والجزاء.

تقديم الجار والمجرور ﴿إِلَىٰ رَبِّكُم﴾: يدل علىٰ الحصر؛ أيْ: فقط إليه مرجعكم، لا إلىٰ غيره .

﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾: الفاء: للترتيب، والتعقيب.

﴿بِمَا﴾: الباء: للإلصاق، والتوكيد.

﴿كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾: كنتم: في الدنيا. فيه تختلفون: من أمور الدِّين، والحق، والباطل، والآيات، والأحكام.

[١٦٥] ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾:

الخطاب إلىٰ أمة محمد ﷺ.

﴿وَهُوَ﴾: الواو: استئنافية، هو: ضمير منفصل؛ يفيد التوكيد، والحصر، تعود علىٰ الله .

﴿الَّذِي﴾: اسم موصول؛ يفيد التعظيم.

﴿جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾: خلائف جمع خليفة (ارجع إلىٰ سورة البقرة

آية (٣٠) للبيان) وردت كلمة ﴿خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾ مرتين في القرآن، وخلائف في الأرض مرتين، ووردت كلمة خلفاء الأرض ثلاث مرات.

فنحن أمام ثلاثة فروق:

١ - خلائف الأرض: أعم وأشمل من قوله خلائف في الأرض، وتعني: العباد الصالحون المسلمون؛ كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ [الأنبياء:١٠٥].

٢ - خلائف في الأرض: تأتي في سياق الأقوام الكافرة الفاسدة؛ التي أهلكت بسبب أعمالها السيئة.

٣ - خلفاء في الأرض: أي: الحاكمون، أو الحكام، جمع خليفة: (ملوك، ورؤساء، وحكام للدول)؛ خلفاء علىٰ كرسي الحكم، أو العرش.

والآيات التي وردت فيها كلمة ﴿خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾ هي: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام:١٦٥].

﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ [يونس:٧٣].

وأما الآيات التي وردت فيها كلمة: ﴿خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾ فهي: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [يونس:٤٢].

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر:٣٩].

وأما الآيات التي وردت فيها كلمة خلفاء؛ فهي: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ [الأعراف:٦٩].

﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ﴾ [الأعراف:٧٤].

﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾ [النمل:٦٢].

﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾:

﴿دَرَجَٰتٍ﴾: قيل: في الرزق، والعلم، والقوة، والصحة، والخُلق، وغيرها، وقيل: درجات في الجنة، وقيل: درجات في التقوىٰ، والإيمان.

وقد تشمل الكلَّ؛ أيْ: كلَّ ما سبق.

ولماذا الرفع؟ الرفع ﴿لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾: أو كما بيَّن في سورة الزخرف: ﴿لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزخرف:٣٢].

ويجب أن لا نظن: أن البعض مرفوع، والبعض الآخر مرفوع عليه، فهذا ظنٌّ خاطئ، فما دام قد جاءت كلمة ﴿بَعْضُهُم﴾: مبهمة؛ فإن كلَّ واحد منا مرفوع، ومرفوع عليه؛ أيْ: كلٌّ منا محتاج إلىٰ الآخر في حياته، والآخر محتاج إلينا في حياته.

﴿لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾: ليبلوكم: اللام: للتأكيد، والتعليل، فيما: في: ظرفية، ما: اسم موصول؛ بمعنىٰ: الذي، أو مصدرية من الرزق، بالغنىٰ، والفقر، بالشكر، أو الصبر، ومن الصحة، أو المرض، والعلم، والجهل، والقوة، والضعف، وغيرها.

﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾:

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾: والعقاب: هو الجزاء علىٰ الفعل؛ فالعقاب: يقع بعد، أو عقيب العمل.

﴿وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: أكَّد هنا بإنَّ، واللام في كلمة ﴿لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

غفور: صيغة مبالغة من غفر؛ أيْ: ستر، ورحيم: صيغة مبالغة. ارجع إلىٰ سورة الفاتحة، الآية (٣)؛ لمزيد من البيان.

فهنا جاء التأكيد علىٰ كونه غفور رحيم؛ أشدُّ وأقوىٰ من التوكيد علىٰ كونه سريع العقاب؛ ليبث الأمل في النفوس.

ولو قارنَّا هذه الآية (١٦٥) من سورة الأنعام: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: إذ تتحدث عن العقوبات في الآخرة، وأكَّد رحمته في الآخرة لعباده الصالحين بالقول: وإنه لغفور رحيم.

أما الآية (١٦٧) من سورة الأعراف: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: فتتحدث عن العقوبات العاجلة في الدنيا لبني إسرائيل؛ إذ اتخذوا العجل، وقتلوا الأنبياء، واعتدوا في السبت؛ فناسب التأكيد بتعجيل العقوبات؛ فقال: ﴿لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾: أكَّد باللام، وإنَّ.

وقال: ﴿لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: أكَّد علىٰ كونه سريعَ العقاب، وأنه غفورٌ رحيمٌ؛ أيْ: كلاهما بنفس الدرجة.

❖ ❖ ❖

سُورَةُ الأَعْرَافِ

ترتيبها ٧ آياتها ٢٠٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الجزء ١٦

الٓمٓصٓ ﴿١﴾ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ
لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم
مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾
وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْهُمْ قَآئِلُونَ
﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا
ظَٰلِمِينَ ﴿٥﴾ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ
ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾
وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟
أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ
فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾
وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟
لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾

سورة الأعراف [الآيات ١ - ١١]

ترتيبها في القرآن (٧)، وترتيبها في النزول (٣٩)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الٓمٓصٓ﴾:

﴿الٓمٓصٓ﴾: ارجع إلىٰ الآية (١) من سورة البقرة؛ للبيان.

[٢] ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾:

﴿كِتَٰبٌ﴾: أيْ: هـذا كتاب، أو هو كتاب، وجـاء بصيغة النكرة؛ للتعظيم؛ أيْ: هذا كتاب عظيم، أو هو كتاب عظيم؛ أي: القرآن.

﴿أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾: أنـزل: تعنـي: جملة واحـدة، أو دفعة واحـدة، من اللوح المحفوظ إلىٰ السـماء الدنيا، ولم يقل: نزل إليك التـي تدل علىٰ إنزاله منجماً، وعلىٰ دفعات؛ أيْ: أنزل من اللوح المحفوظ إلىٰ السماء الدنيا ليلة القدر، ثم نُزِّلَ علىٰ دفعات خلال (٢٣ عاماً).

﴿إِلَيْكَ﴾: ولم يقل: عليك، إليك: تفيد الانتهاء، وتستعمل في سياق التبليغ، والانتهاء إلىٰ عامة الناس.

عليك: تفيد العلو، والجهة المنزِلة، وتستخدم في سياق التشريع، وعليك: من علىٰ؛ تفيد الاسـتعلاء، والمشقة. ارجع إلىٰ سورة البقرة، آية (٤)؛ لمزيد من البيان.

والقول أُنزل عليك لا يتناسب مع السياق؛ لأن الآية جاءت في سياق تخفيف الحرج؛ فاستعمال على في معناها الحرج.

﴿فَلَا﴾: الفاء: للتوكيد، لا: الناهية.

﴿يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾: حرج: ضيق في الصدر، لا مخرج منه، والحرج يطلق على المكان الضيق بسبب كثرة الأشجار كما نرى في الغابات أحياناً يصعب تجاوزه، والخطاب هنا موجَّه إلى رسول الله ﷺ وأمته، فالرسول ﷺ فرد من هذه الأمة، ويمثل هذه الأمة.

وقيل: النهي هنا للحرج: أن يدخل صدر رسول الله ﷺ.

﴿حَرَجٌ مِّنْهُ﴾: من تبليغه، أو الإنذار به، أو عدم تصديق الكفار به.

﴿لِتُنذِرَ بِهِۦ﴾: اللام: لام التعليل، والهاء في ﴿بِهِۦ﴾: تعود على الكتاب، والإنذار يكون للناس كافة وقومك، ومن يأتي بعدهم إلى يوم القيامة، وخاصَّةً أم القرى، ومن حولها، وتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك.

﴿وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾: اللام: في كلمة ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾: تفيد الاختصاص، ذكرى: أيْ: تذكرة للمؤمنين خاصَّةً؛ لكي ينتفعوا بها إذا غفلوا؛ كقوله: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ [فاطر:١٨]، ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [يس:١١].

[٣] ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾:

في هذه الآية: انتقل الخطاب إلى أمة محمد ﷺ، وتشمل رسول الله ﷺ، وفي الآية السابقة كان الخطاب إلى رسول الله ﷺ، وأمته أيضاً؛ لأن الرسول عليه الصلاة والسلام، وأمته شيء واحد.

﴿ ٱتَّبِعُوا۟ ﴾: بامتثال أوامر ربكم، واجتناب ما نهىٰ عنه.

واتباع الرسول ﷺ داخل في اتبعوا؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ [الحشر:٧].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل:٤٤].

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ ﴾ [النساء:٦٩].

﴿مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾: ما: اسم موصول بمعنىٰ: الذي.

﴿مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾: أي: القرآن، الوحي وما أنزل إليكم من ربكم، لا يعني: القرآن فقط، بل كل ما آتاكم الرسول ﷺ، ونهاكم عنه؛ لأنه ﷺ: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾ [النجم:٣-٥].

﴿مِّن رَّبِّكُمْ ﴾: من: ابتدائية، ربكم: الخالق، والمربي.

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ﴾: من دون الله؛ أيْ: غيره، أو سواه.

﴿أَوْلِيَآءَ ﴾: جمع ولي، والولي؛ سواء أكان من البشر، أم من الشياطين، أم الأصنام، أم الآلهة، والولي: هو القريب المعين الذي تلجأ إليه حين الضرورة.

﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾: ما: للتوكيد.

﴿قَلِيلًا ﴾: قد تعني: العدد؛ أيْ: عدد الذين يتذكرون قلة، أو ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾: تعني: الكمية من الوصايا، والشرائع، وما أنزل إليكم من ربكم لا تتذكرون إلا القلة منها.

﴿تَذَكَّرُونَ ﴾: ولم يقل: تتذكرون؛ لأن اتباع القرآن والسنة، وما أنزل اللهُ سبحانه لا يحتاج إلىٰ وقت طويل؛ لكي يتذكرها الإنسان؛ لأنكم علمتم بها من قبل.

وأما تتذكرون: فتستعمل في الأمور، أو المسائل التي تحتاج إلىٰ طول تأمل ونظر، مثل: مسألة الهداية، وترك عبادة الأصنام، وغيرها.

[٤] ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾:

ينتقل في هذه الآية، والآيات القادمة؛ للتحذير من عدم اتباع ما أنزل الله، واتباع رسله بالهلاك.

﴿وَكَم﴾: الواو: استئنافية، كم: الخبرية، وتفيد الكثرة؛ أيْ: عدد القرىٰ المهلكة كثيرة جداً.

﴿مِّن﴾: ابتدائية.

﴿قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا﴾: ذكر القرية، والمراد بها أهلها، والقرية؛ تعني: المنازل، وساكنيها معاً.

﴿أَهْلَكْنَٰهَا﴾: الهلاك؛ يعني: الموت بشكل عام، وتستعمل للإنسان، وغير الإنسان؛ الحرث، والحيوان، والنسل، والأموال، والبنيان.

والهلاك ليس بالضرورة عقوبة؛ فالهلاك: كلمة عامة قد يعني: زوال النِّعمة، أو فقدان المال كقوله: ﴿أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا﴾ [البلد:٦]، وكقوله: ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ﴾ [الحاقة:٢٩].

وهناك فرق بين الهلاك، والدمار. ارجع إلىٰ سورة الإسراء، آية (١٦)؛ للبيان.

ولم يقل: كانت ظالمة، كما وصفها في سورة الحج، آية (٤٥)؛ لأنه سبحانه أشار إلىٰ ذلك حين اعترف أهلها وقالوا: ﴿إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾، آية (٥) من نفس السورة.

وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ [القصص:٥٩].

﴿فَجَاءَهَا بَأْسُنَا﴾: فجاءها: الفاء: للترتيب الذكري؛ لعطف المفصل علىٰ المجمل، البأس: العذاب، ونسب العذاب إليه ؛ بقوله: ﴿بَأْسُنَا﴾: للتخويف، والحذر، والإنذار.

وكلمة: ﴿فَجَاءَهَا﴾: المجيء فيه معنىٰ الصعوبة، والمشقة؛ مقارنة بكلمة أتاها: التي تدل علىٰ السهولة، واليسر.

﴿بَيَاتًا﴾: سواء أكانوا نائمين، أم غير نائمين؛ لأن معنىٰ بات فلان: أظله المبيت، وأجنه الليل، سواء أنام، أم لم ينم.

﴿أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾: أيْ: في زمن القيلولة، والاستراحة، والنوم، ويكون ذلك بعد الظهر عادة، وهنا لا بُدَّ من سؤالين: الأول: لماذا قال: ﴿فَجَاءَهَا بَأْسُنَا﴾، بعد أن قال: ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾؛ لأن البأس (العذاب): يأتي عادة قبل الإهلاك، الجواب هذا يسمَّىٰ: التفصيل بعد الإجمال.

السؤال الثاني: لماذا اختار وقت الراحة، أو النوم؟

الجواب: كي يكون الحدث مرعباً، ومفجعاً، وهم علىٰ غير استعداد، وحيطة، والله قادر علىٰ أن يأخذهم في أي زمن، ومكان، وحال سواء في تقلبهم، أم هم علىٰ حيطة، وحذر، كما قال تعالىٰ في سورة النحل، آية (٤٥-٤٧): ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

[٥] ﴿ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا إِلَّا أَن قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾:

﴿ فَمَا ﴾: الفاء: عاطفة، ما: للنفي.

﴿كَانَ دَعْوَىٰهُمْ ﴾: من دعوىٰ؛ مصدر لفعل دعا، ومنها: الدعاء، وأقام الدعوىٰ ضد فلان؛ أيْ: أقام البينة.

إذن: لم تكن لهم بينة، أو دعوىٰ يردون عليها علىٰ مجيء البأس؛ إلَّا اعترافهم بالظلم، أو دعاؤهم: ﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾.

﴿أَن ﴾: يفيد التوكيد.

﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾: ظالمين: جملة اسمية؛ تدل علىٰ الثبوت؛ أي: الظلم صفة ثابتة لهم.

وماذا حدث بعد اعترافهم بظلمهم: ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [تبارك:١١]، وفي سورة الأنبياء: ﴿ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ ﴾.

وبأس الله إذا وقع؛ لا يرد، أو يتبدل، أو يتحول؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ [الأنعام:١٤٧].

وإذا أوقع بأسه ؛ لا ينفع عند وقوعه الإيمان؛ لقوله تعالىٰ: ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ﴾ [غافر:٨٥] إلا في قوم يونس. ارجع إلىٰ سورة يونس آية (٩٨).

[٦] ﴿ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴾:

﴿ فَلَنَسْأَلَنَّ ﴾: الفاء: للتعقيب بالترتيب.

﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ﴾: اللام: لام التوكيد، والنون: لزيادة التوكيد، والسؤال يكون يوم القيامة.

﴿ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ ﴾: هم أقوام الرسل، أو أمم الرسل، يسألون: هل بلغوكم رسلي؛ كقوله تعالىٰ: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [القصص:٦٥].

﴿ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾: أي: الرسل، والأنبياء؛ لأن الأنبياء، والرسل كلهم مرسلون من الله، مع العلم أن هناك فرقاً بين الرسول والنبي. ارجع إلىٰ سورة النساء، آية (١٦٤).

سوف يسألهم الله تعالىٰ: هل بلغتم عبادي ما أُرسلتم به؟

والله سبحانه يعلم جواب المرسلين، هل بلغوا، أم لم يبلغوا، فلماذا يسألهم؟

الجواب: هذا سؤال للإقرار: أن يجيبوا عن هذا السؤال بأنفسهم؛ فهو للإقرار، والتقريع، ولإقامة الحُجَّة علىٰ أقوامهم.

[٧] ﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴾:

﴿ فَلَنَقُصَّنَّ ﴾: الفاء: للتعقيب، والترتيب، اللام: للتوكيد، والنون: لزيادة التوكيد.

﴿ عَلَيْهِم ﴾: علىٰ الرسل، والأنبياء، وأقوامهم، أو أممهم عليهم جميعاً.

﴿ بِعِلْمٍ ﴾: الباء: للإلصاق، والتوكيد، فلنقصن عليهم ﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ﴾: أيْ: نخبرهم بما فعلوه؛ فالله سبحانه: هو الشهيد، والرقيب علىٰ جميع خلقه، وأحاط علمه بكل حدث، أو قول، أو فعل.

﴿وَمَا﴾: الواو: عاطفة، ما: النافية.

﴿كُنَّا غَآئِبِينَ﴾: غائبين عنهم، سواء في الزمان، أم المكان، أو أيِّ حدث، فنحن أقرب إليهم من حبل الوريد، أو كانوا رسلي لديهم يكتبون ما فعلوه.

[٨] ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾:

﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾: أيْ: وزن الأعمال يوم القيامة الحق، والميزان الحق، لا جور فيه، ولا ظلم؛ حتىٰ ولو كان بمقدار حسنة، أو سيئة، أو مثقال حبةٍ من خردل، وما يوزن: هو أعمال العباد.

كما قال تعالىٰ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء:٤٧].

والسؤال: لماذا الوزن ما دام الله سبحانه يعلم أعمال العباد، ويعلم مقدار حسناتهم وسيئاتهم؟

الجواب: لإقامة الحُجَّة عليهم بعد سؤالهم عن الرسل.

﴿فَمَن﴾: الفاء: استئنافية، من: ابتدائية شرطية.

﴿ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾: أيْ: رجحت حسناته علىٰ سيئاته.

﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ﴾: الفاء: للتوكيد، أولئك: اسم إشارة للبعد.

﴿هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾: هم: ضمير منفصل؛ يفيد المبالغة في الفلاح؛ أيْ: إذا كان هناك مفلحون فهم المفلحون حقاً، أو في طليعة المفلحين الذين نجوا من النار، وفازوا بالجنة. ارجع إلىٰ الآية (٥) من سورة البقرة؛ لمزيد من البيان.

[٩] ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾:

﴿وَمَنْ﴾: من: ابتدائية شرطية.

﴿خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾: أيْ: رجحت سيئاته على حسناته. ارجع إلى سورة القارعة، آية (٦)؛ لمزيد من البيان.

﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ﴾: الفاء: للتوكيد، أولئك: اسم إشارة للبعد.

﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم﴾: بإدخالها في النار.

﴿بِمَا﴾: الباء: للإلصاق، أو السببية، أو البدلية، بسبب ظلمهم بآياتنا.

﴿كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾: الظلم: هو الخروج عن منهج الله سبحانه بكل أشكاله، والظلم: يشمل الشرك، والإنكار، والتكذيب، والاستهزاء، والصد عنها... وغيرها.

[١٠] ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: استئنافية، اللام: للتوكيد، قد: للتحقيق والتوكيد.

﴿مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: بالاستخلاف في الأرض، والقدرة على إقامة الدِّين، ولا يعني التمكين: السيطرة، أو الهيمنة.

﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ﴾: وجعلنا لكم خاصَّةً في الأرض، معايش جمع معيشة، ومعيشة اسم لما يعيش به الإنسان من مطعم، ومشرب، وملبس، أو هيأنا لكم أسباب العيش، من مطعم، ومشرب، وملبس، وهواء، وشمس، وقمر، ومعايش: جاءت بصيغة النكرة، ولو كانت بصيغة المعرفة؛ أي: المعايش؛ لاستوى الفقير، والغني في المعيشة؛ أي: الكل استوى، فلا نجد فقراء وأغنياء.

﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾: ما: للتوكيد.

﴿قَلِيلًا﴾: أي: قليل منكم شاكرون؛ أيْ: عدد الشاكرين قليل، أو شكركم قليل، أو كلاهما معاً، وكما قال تعالىٰ: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ:١٣].

والشكر: من أعلىٰ منازل العبودية، هذه العبودية التي تتجلىٰ بظهور نعمة الله سبحانه علىٰ لسان عبده بالحمد، والشكر، والثناء، والاعتراف بالمنعم، وتتجلىٰ علىٰ قلبه بمحبة بالمنعم، وعلىٰ جوارحه خضوعاً وطاعة للمنعم.

وتحت مقام الشكر يندرج مقام المحبة، والرضا، ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه، ولا ننسىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحىٰ:١١]، ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم:٧].

والشكر علىٰ المصائب؛ مثل: البأساء، والضراء، أشد وأصعب من الشكر علىٰ السراء، ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٤]. ارجع إلىٰ سورة الفاتحة؛ لمعرفة الفرق بين الحمد، والشكر، آية (٢).

[١١] ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: ارجع إلىٰ الآية السابقة.

﴿خَلَقْنَاكُمْ﴾: يعني: الخلق، تعني: التقدير، والحساب، والخلق بالنسبة لله من العدم، ويعني من تراب، أو من ذكر، أو أنثىٰ، أو من آدم.

﴿ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾: التصوير: يعني حينما خلق الله سبحانه آدم وحواء؛ وضع في أصلابهما الصفات الوراثية لكل نسلهما إلىٰ قيام الساعة، من بداية الخلق إلىٰ آخر مخلوق، وهناك (٢٥-٣٠) ألف شفرة وراثية تعطي البشر ملامحهم،

وأشـــكالهم، وألوانهم، هذه الشـــفرة الوراثية التي توجد في نواة الخلية البشرية التناســـلية للحيوان المنوي، والبويضة، فاختيار الصفات الوراثية لكل مخلوق؛ تعني: التصوير، والخطاب إلىٰ جميع البشر، وليس إلىٰ آدم؛ فالذي يعطي صورة كل فرد هو صفاته الوراثية، فالقدرة الإلهية: أن الله قد وضع في صلب آدم وحواء كل صفات ذرياتهما إلىٰ قيام الســـاعة، وتنتقل هذه الصفات إلىٰ كل أب، وأم، ثم تنتقل إلىٰ ذريتهما بطريق التناسل. ارجع إلىٰ سورة آل عمران، آية (٦)؛ لمزيد من البيان.

﴿ثُمَّ﴾: تفيد الترتيب، والتراخي في الزمن، أو الترقي في الصفات.

﴿قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟﴾: ســـجود تحية، وتكريم، وليس ســـجود عبادة، والملائكة الذين أُمروا بالســـجود هـــم الموكلون بآدم، وذريتـــه، وليس جميع الملائكة، وسجودهم لآدم لا يعني الخضوع، بل هو طاعة لأمر الله .

﴿إِلَّآ﴾: أداة حصر.

﴿لَمْ﴾: للنفي.

﴿يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾: لم يكن من الملائكة الســـاجدين؛ لأن إبليس كان من الجن، وليس من الملائكة، وكذلك لم يكن مع الساجدين؛ لأنه لم يسجد مع الملائكة.

❖ ❖ ❖

قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ
وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ
فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ
﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ
صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ
وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ
ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ
شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ
لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ
مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا
مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾
فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا
يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا
عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾

سورة الأعراف [الآيات ١٢ - ٢٢]

[١٢] ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾:

﴿قَالَ﴾: تعالىٰ: ﴿مَا مَنَعَكَ﴾: ما: في هذه الآية ليس غايتها الاستفهام، كما هو العادة، وإنما غايتها الإظهار؛ لأن الله سبحانه قبل أن يأمر إبليس بالسجود؛ يعلم أن إبليس لن يسجد، ويعلم سبب عدم سجوده لآدم، فسؤاله إبليس ليس علىٰ سبيل الاستفهام، أو المعرفة ـ حاشا لله ـ ولكن للإظهار؛ ليظهر للبشر، ما حدث، وما لدىٰ إبليس من الكبر، وليقيم الحُجَّة علىٰ إبليس، وليحذر الناس من الكبر.

﴿أَلَّا تَسْجُدَ﴾: ألا: أصلها: أن: حرف مصدري، لا: للتوكيد.

﴿إِذْ أَمَرْتُكَ﴾: إذ: ظرفية زمانية؛ تفيد الماضي، بمعنىٰ: حين أمرتك.

﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾: أي: الكِبْرُ منعه، وكان بإمكان إبليس أن يقول: أنا لست من الملائكة؛ لأن إبليس من الجن؛ لأن الأمر الإلهي كان للملائكة: ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ (الآية السابقة)، وقول إبليس: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾: يعني: أن إبليس أدرك أن الأمر الإلهي بالسجود كان يشمله، والمانع للسجود، أو القيام بأمر ما، إما أن يكون عاملاً داخلياً؛ أيْ: صادراً من نفس العبد، أو يكون عاملاً خارجياً؛ أي: العبد مجبر أو مكره علىٰ القيام به.

وقوله ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾: تشير إلى العامل الداخلي؛ أي: القوة التي منعته هي نفسه المتكبرة، قالت له، أو زينت له: لا تسجد.

أما قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ [ص:٧٥]، فهذه الآية على أن العامل الخارجي، أو قوة خارجية منعته، أو أكرهته على عدم السجود، وكان الأفضل لإبليس أن يكتفي بقوله: (أنا خير منه)، وينهي الإجابة، ولكنه أراد أن يخبر: أن النار أفضل من الطين؛ أي: لأنه خلقه من نار، وآدم خلق من طين؛ فهو أفضل من آدم، ويسمَّى هذا في اللغة: الحشو.

[١٣] ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾:

﴿قَالَ فَاهْبِطْ﴾: الفاء: للتعقيب، والمباشرة، اهبط: الهبوط نوعان: هبوط من منزلة عالية إلى منزلة أدنى، أو هبوط مكاني من أعلى إلى أسفل؛ أي: لم تعد أهلاً أن تكون مع الملائكة الكرام البررة، ولا في الجنة هبوط طرد، وذلة، وليس كهبوط نوح بسلام منا وبركات؛ أي: هبوطاً مباركاً.

﴿مِنْهَا﴾: من الجنة.

﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾: أيْ: ما ينبغي لك أن تتكبر فيها.

﴿فَمَا﴾: الفاء: تعليلية. ما: نافية، وأن: مصدرية؛ تفيد التوكيد.

﴿فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ﴾: الفاء: للتوكيد؛ تدل على التعقيب، والمباشرة: اخرج من الجنة الآن؛ من: للعاقل وتشمل المفرد والمثنى والجمع.

﴿الصَّاغِرِينَ﴾: جمع صاغر، مقابل الاستكبار؛ أيْ: ذليل، والصغار: هو الذل، والهوان، والخضوع؛ أي: من الأذلاء الدنيئين.

[١٤] ﴿قَالَ أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾:

﴿أَنظِرْنِيٓ﴾: أيْ: أمهلني.

﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾: انتبه إلىٰ إبليس يطلب الإمهال إلىٰ يوم البعث؛ أيْ: زمن النفخة الثانية، ويريد أن ينجو من الصعق، والموت، والنفخة الأولىٰ، ويضمن الخلود إلىٰ نفخة البعث، فلا يموت أبداً.

[١٥] ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ﴾:

ولم يحدد في هذه الآية الزمن، بل حددها في آية أخرىٰ، ذكرت في سورة الحجر، الآية (٣٨): ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ۝٣٧ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ﴾: وهو النفخة الأولىٰ، نفخة الصعق، والموت، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٨٠) في سورة ص، والآية (٣٧) في سورة الحجر: نجد أنه حذف الفاء، فقال: (إنك) وفي ص والحجر جاء (بالفاء). قيل: إن الفاء جاءت مقترنة بجواب الشرط، أو ما قابلها سبب ما بعدها، وجملة انظرني جملة مستأنفة، وقيل: لما كان السؤال فأنظرني إلىٰ يوم يبعثون جاء الجواب مقترناً بالفاء، ولما خلا السؤال من الفاء (انظرني الىٰ يوم يبعثون) جاء الجواب: إنك من المنتظرين.

[١٦] ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾:

﴿فَبِمَآ﴾: الفاء: للترتيب، والتعقيب، والمباشرة، والباء: باء القسم؛ أيْ: أقسم بإغوائك إياي. وقيل: باء السببية.

﴿أَغْوَيْتَنِي﴾: الإغواء، وله معنيان: الإضلال، والإهلاك، وأصل الغي: الفساد، وغواه؛ أيْ: أضله، انتبه إلىٰ قوله: ﴿فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾: أيْ: نسب الإغواء

لرب العالمين، والله يهدي، ولا يغـــوي أحداً من الإنس، أو الجن، وكلا الجن والإنس له القدرة على اختيار الطاعة، أو المعصية.

فالله ســـبحانه يريد ابتلاء إبليس بالسجود لآدم، واعتبر إبليس هذا الابتلاء إغواءً له.

وفشـــل إبليس في الابتلاء، والامتحان؛ لأنه رفض السجود؛ ممّا أدَّى إلى طرده مـــن الجنة والرحمة، وفي آية أخـــرى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي﴾؛ هنا: يعترف بالربوبية لله .

﴿لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾: لأقعدن: الـــلام: لام التوكيد، والنون: لزيادة التوكيد.

﴿لَهُمۡ﴾: أيْ: لعبادك المؤمنين.

﴿صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾: الصراط المســـتقيم: هو الإسلام، دِين الحق، ونسب إبليس الصراط إلى الله؛ فهو يعلم أنه الحق، والله ســـبحانه نســـب الصراط إليه؛ فقـــال: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا﴾ [الأنعـــام:١٥٣]، ﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسۡتَقِيمٗا﴾ [الأنعام:١٢٦].

وهو كما وصف في سورة الفاتحة: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾، وهم: النبيون، والصديقون، والشهداء، والصالحون.

والصراط: هو الســـبيل الموصل إلى الغاية، وهي الجنة بأقصر، وأســـهل، وأسرع السبل، المستقيم: الواضح الذي لا اعوجاج فيه.

﴿لَأَقۡعُدَنَّ﴾: أيْ: لأجلســـنَّ لهـــم، يجب أن نذكر أن هنـــاك قياماً، وقعوداً، واضطجاعاً، وحركات عدَّة، لم يقل: لأقفـــنَّ؛ لأن الوقوف بعد فترة، يؤدِّي إلى

تعب، أما القعود، أو الجلوس: فهو أفضل، ويمكن أن تجلس لوقت طويل، ومن دون تعب؛ فإبليس اختار أفضل الحركات، وهي القعود.

﴿صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾: هو الإسلام، ويعني ذلك: لأقعدنَّ لهم على طرق المساجد، وأبوابها، وأبواب الطاعات: من صلاة، وزكاة، وصيام.

[١٧] ﴿ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: تدل على التراخي، والإمهال في الزمن؛ لأتيناهم من بين أيديهم؛ أيْ: من أمامهم، ومن خلفهم، وعن أيمانهم، وعن شمائلهم، استعمل: (من)، واستعمل (عن)، من: تفيد المباشرة، والإلصاق، والقرب، وعن: تفيد المجاوزة، والابتعاد.

﴿مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾: من أمامهم؛ أيْ: في أمر الدنيا، أرغبهم في الدنيا وشهواتها. من: تفيد القرب، أقعد قريباً، من أمامهم.

﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾: من ورائهم؛ أيْ: في أمر الآخرة في التكذيب بالبعث والحساب، أقعد قريباً من خلفهم بالوسوسة، والتكذيب.

﴿وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ﴾: أقعد لهم مبتعداً عنهم من جهة اليمين، وقد تعني: أوسوس لهم من جهة اليمين: جهة الحسنات، من جهة حسناتهم؛ بالوسوسة بالمعاصي.

﴿وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾: من جهة سيئاتهم؛ بالتزيين، والإغواء؛ أيْ: أقعد لهم مبتعداً من جهة الشمال: اليسار، وذكر الجهات الأربع التي ذكرت من ضرب المجاز التمثيلي؛ لأننا نعلم ليس للشيطان مسلك إلا، بالوسوسة والإغراء والتزيين عن

طريق العقل والنفس، وذكر الجهات الأربع، والعدو الذي يحيط بالإنسان من كل جهة، ولأقعدن لهم صراطك المستقيم فلا بد من الحذر منه وتجنبه.

وقوله: ﴿وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾: ولم يقل: عن اليمين، أو عن الشمال، عن أيمانهم، وشمائلهم؛ تعني: يأتيهم بانحراف، أو بشكل منحرف من جهة اليمين، والشمال؛ لأن جلس يمينه؛ أيْ: في جهة اليمين جلس عن يمينه؛ أيْ: منحرفاً عن جهة اليمين، وبعيداً عنه، وكذلك عن شمائلهم؛ لأنه يخشى الملكين عن اليمين، وعن الشمال قعيد (رقيب عتيد).

﴿مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾: من: تعني: مباشرة من دون انحراف.

ولم يذكر من فوقهم، أو من تحتهم وهذا من رحمة الله بعبده؛ لأن الفوقية قيل: تخصّ الله سبحانه؛ حيث تنزل رحمته، أو تصعد عبادة العبد، والتحتية؛ فهي محروسة بالسجود، والركوع، ومن الصعب، أو نادراً ما يأتي الشيطان للعبد، وهو ساجد، أو راكع.

﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾: كيف علم إبليس هذا؟ أن أكثر الناس لن يكونوا من الشاكرين؟

قيل: لأنه من الجن، والجن لها شهوات مثل شهوات الإنس، وبما أن الجن قليلاً ما تشكر؛ فظن الإنس كالجن.

[١٨] ﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾:

﴿مَذْءُومًا﴾: من الذأم: هو أشد الذم أو المبالغة في الذم وذأمه عابه، وحقَّره، محقَّراً ممقوتاً.

﴿مَدْحُورًا﴾: أي: المبعد، والمطرود، والمقصى عن رحمة الله، دحره؛ أيْ:

طرده؛ أيْ: مبعداً مطروداً من رحمة الله؛ جاء رد الله سبحانه وتعالىٰ علىٰ إبليس رداً مناسباً بعد أن هدد بالقول ولا تجد أكثرهم شاكرين بالطرد من رحمة الله تعالىٰ وهي أشد من القتل.

﴿لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ﴾: لمن: اللام: لام الاستحقاق، أو الاختصاص، من: شرطية.

لمن تبعك منهم: أولاد آدم المخالفين، أولياء الشيطان.

﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾: لأملأنَّ: اللام: لام التوكيد، وفيها إنذار من الله سبحانه، والنون: لزيادة التوكيد.

﴿جَهَنَّمَ﴾: ارجع إلىٰ سورة الرعد آية (١٨) للبيان المفصل.

﴿مِنكُمْ﴾: خاصَّةً أجمعين؛ للتوكيد.

[١٩] ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾:

﴿وَيَا آدَمُ﴾: الياء: ياء النداء؛ للبعد، ينادي الله آدم بعد طرد إبليس من الجنة، وأقصاه من رحمته.

﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾: كلمة اسكن: لها معانٍ عدة منها: اسكن؛ من السكينة، والرجل يسكن إلىٰ زوجته، والزوجة تسكن إلىٰ زوجها، فالسكن يحمل معنىٰ: الراحة، والهدوء.

والسكن في اللغة: يقال: للبيت الذي فيه زوجان.

وانتبه إلى قول الله : ﴿اسْكُنْ﴾: ولم يقل: اسكنا؛ لأن السكن، والأكل، والشرب، والملبس، واجب على الزوج.

الجنة: هنا تعني جنة أرضية، وليس كما يظن البعض أنها جنة الخلد التي وعد المتقون. ارجع إلى سورة البقرة آية (٣٥) للبيان.

﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ﴾: ولم يقل: ولا تأكلا من هذه الشجرة، بل قال: ﴿وَلَا تَقْرَبَا﴾؛ أيْ: لا تذهبا قربها.

﴿هَٰذِهِ﴾: الهاء: للتنبيه، ذا: اسم إشارة، يستعمل للقريب.

﴿الشَّجَرَةَ﴾: أبهم ما نوع هذه الشجرة، ولم يبيِّنه.

﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾: الظالمين لأنفسهم؛ لعدم طاعة الله تعالى، فيما أمركما. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٥٤)؛ لمزيد من البيان.

[٢٠] ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾:

﴿فَوَسْوَسَ﴾: الفاء: تدل على المباشرة؛ أيْ: حدثت الوسوسة لهما بعد التحريم بزمن قصير.

والوسوسة نوع من الحديث الخفي الذي يلقيه الشيطان في قلب الإنسان؛ أيْ: عقله ليفعل المعصية، وهي الأكل من الشجرة في هذه الآية، والغاية من الوسوسة؛ كي تظهر لهما سوءاتهما المخفية.

وكيف تمت الوسوسة، وأين كان إبليس، قيل: تمت الوسوسة عن بُعد،

ولم يكن إبليس بقرب آدم، قيل: كان إبليس على الأرض بعد أن طرد منها، وآدم في الجنة (جنة أرضية).

﴿لَهُمَا﴾: لآدم وزوجته.

﴿لِيُبْدِيَ﴾: اللام: لام التعليل، والتوكيد.

﴿لِيُبْدِيَ﴾: يُظهر لهما ما وُوري عنهما من سوءاتهما.

﴿لَهُمَا﴾: لام: الاختصاص.

﴿مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا﴾: أيْ: ما ستـرا، وغطِّي عنهما من سوءاتهما. قيل: كان آدم وزوجه عليهما السلام لا تُرىٰ سوءاتهما؛ بسبب النور الساطع، نور الجنة.

والسوءة: تعريفها: ما يساء النظر إليه، وهي القُبل، والدُبر، والفطرة السليمة لا تحب رؤية سوءة الإنسان لنفسه، أو غيره.

أمّا العورة: فهي ما بين السرة والركبة.

﴿وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا﴾:

﴿إِلَّآ﴾: أداة حصر، أن: حرف مصدري للتعليل، وفيه معنىٰ: لئلَّا.

﴿أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ﴾: أيْ: من الملائكة، ولهم خصائص القوة، والبقاء.

﴿أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾: تكرار (تكونا): تفيد التوكيد، أو هنا للتخيير.

﴿ٱلْخَٰلِدِينَ﴾: من الخلود: وهو البقاء من دون موت.

[٢١] ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾:

﴿وَقَاسَمَهُمَآ﴾: أقسم لهم بالله.

﴿وَقَاسَمَهُمَآ﴾: أيْ: دخل معهما في القسم، والمقاسم: أن تقسم لصاحبك، ويقسم لك، وتقاسما تحالفا، مثال: قال: إبليس أقسم بالله ﴿إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾، ورضيا بقسم إبليس.

﴿وَقَاسَمَهُمَآ﴾: أي: اجتهد في القسم، أو بالغ فيه، وعبر عن ذلك بصيغة المفاعلة، المقاسمة؛ حتىٰ يخدعهما.

﴿لَمِنَ﴾: اللام: للتوكيد.

﴿ٱلنَّٰصِحِينَ﴾: بأن تأكلا من الشجرة لتكونا ملكين، أو تكونا من الخالدين، ناصحين: جمع ناصح: الذي يقدِّم النصيحة، ولو كان صحيحاً هذا لماذا لم يأكل منها إبليس نفسه؟

[٢٢] ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾:

﴿فَدَلَّىٰهُمَا﴾: الفاء: للترتيب، والتعقيب من دون فترة للحوار، أو المشاورة، التدلية، أو الإدلاء: هو إنزال الدلو، أو إرساله من الأعلىٰ إلىٰ الأسفل.

﴿فَدَلَّىٰهُمَا﴾: أيْ: أنزلهما من مكان عالٍ إلىٰ مكان أسفل، أو من درجة الطاعة إلىٰ درجة المعصية.

﴿بِغُرُورٍ﴾: الباء: للإلصاق، والتوكيد، غرور: بالخداع، والقسم الكاذب.

﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ﴾: الفاء: عاطفة؛ تدل على الترتيب، والتعقيب، مجرد أن ذاقا الشجرة.

﴿بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا﴾: ظهرت لهما سوءاتهما.

﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾: طفق: شرع، طفقا؛ أيْ: شرعا.

﴿يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾: الخصف: الخرز، ومنه الإلصاق؛ يلزقان عليهما من ورق الجنة على سوءاتهما، والخصف: أن تأتي بشيء تلزقه على شيء آخر؛ لتواري العيب، وقديماً كانوا يستعملون هذه الكلمة في ترقيع الحذاء.

﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ﴾: استفهام؛ للتقرير.

﴿أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾: أنهكما عن الاقتراب من تلكما الشجرة، وبالتالي الأكل منها.

وقال: ﴿عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾: ولم يقل: تلك الشجرة؛ لأن المخاطب هنا: آدم وحواء عليهما السلام، وليست الشجرة، و(تلكما): تشير إلى البعد، بينما هذه الشجرة تشير إلى القرب.

﴿وَأَقُل لَّكُمَآ﴾: اللام: لام الاختصاص؛ أيْ: لكما خاصَّةً من دون الآخرين.

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾: ظاهر العداوة، عداوته ظاهرة لكل فرد، وهذه العداوة لا تحتاج إلى من يظهرها فهي ظاهره بنفسها، لا تحتاج إلى دليل، أو برهان.

❖ ❖ ❖

قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ
ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى
ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا
تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا
يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ
ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ
ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا
لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ
إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا فَعَلُوا۟
فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ
لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ
أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ
وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا
هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۗ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ
أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾

سورة الأعراف [الآيات ٢٣ - ٣٠]

[٢٣] ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾:

﴿أَنفُسَنَا﴾: بصيغة الجمع، ولم يقل: (نفسينا) بصيغة التثنية؟ اعتذرا معاً، والدعاء بصيغة الجمع أفضل من الدعاء بصيغة المفرد.

﴿ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾: بمخالفة أمرك، وطاعة الشيطان بالاقتراب من الشجرة، والأكل منها.

﴿وَإِن لَّمْ﴾: إن: شرطية، لم: نافية.

﴿وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا﴾: قدَّم المغفرة على الرحمة، والمغفرة: من غفر؛ أيْ: ستر؛ أي: استر ذنوبنا، وتقبل توبتنا.

﴿لَنَكُونَنَّ﴾: اللام: لام التوكيد، و(نكونن): النون: لزيادة التوكيد؛ أيْ: استعظما ذنبهما.

﴿مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾: الذين خسروا الدنيا والآخرة، خسروا أنفسهم.

لنقارن ثلاث دعوات وردت في القرآن متشابهة إلى حدٍّ ما، وهي: في سورة هود الآيتان (٤٦-٤٧): ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾.

الدعاء هنا على لسان نوح: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾.

وفي سورة الأعراف، الآية (٢٣): ﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾.

الدعاء هنا على لسان آدم وزوجه: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

وفي سورة الأعراف، الآية (١٤٩): ﴿لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

الدعاء هنا على لسان بني إسرائيل، نجده استعمل كلمات، أكن، لنكوننَّ.

بما أن معصية نوح هي أقل شدة من معصية آدم، ومعصية بني إسرائيل؛ لذلك لم يؤكد نوح في دعائه بأي حرف، فقال: ﴿أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

وبما أن معصية آدم هي أشد من معصية نوح ؛ لذلك استعمل التوكيد باللام، في (لنكوننَّ)، والنون؛ فقال: ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

وبما أن معصية بني إسرائيل أشد من معصية آدم، ومعصية نوح: وهي الإشراك بالله، وعبادة العجل؛ لذلك استعمل: ﴿لَئِن﴾+ ﴿لَنَكُونَنَّ﴾؛ أي: (اللام، والنون).

ثم في دعاء نوح، ودعاء آدم: قدَّم المغفرة على الرحمة، وفي دعاء بني إسرائيل: قدَّم الرحمة على المغفرة؛ لأن الرحمة أعم، وأوسع من المغفرة، فالرحمة لعموم الخلق؛ لذلك طلب بنو إسرائيل الرحمة أولاً؛ لأنه يناسب عظم المعصية، وهي الشرك، فإذا طرد الإنسان من رحمة الله، فلا مطمع له بعد في المغفرة، فالمغفرة تأتي بعد الرحمة، والمغفرة خاصَّةً بالمؤمنين، فمن لا يرحمه ربه، لا يغفر له، ومن غفر له كان مرحوماً.

[٢٤] ﴿قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾:

﴿قَالَ اهْبِطُوا﴾: اهبطوا هبوط مكانة، ومنزلة؛ إذ كانت جنة آدم على الأرض، وليست هي جنة الخلد، كما قال بعض المفسرين.

والهبوط نوعان: هبوط مكانة ومنزلة، أو هبوط مكاني من أعلى إلى أسفل.

انتبــه! لم يقل: منها في هذه الآية فقــط: ﴿ٱهۡبِطُواْ﴾؛ لأنه قد يكون هبوط مكانة، ومنزلة، وليس هبوطاً من مكان عالٍ إلى مكان أسفل.

﴿ٱهۡبِطُواْ﴾: تشــمل آدم، وزوجه، وإبليس، وقيــل: آدم وإبليس؛ خوطبا بصيغة الجمع؛ لأنهما أصل الإنس والجن.

﴿بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞ﴾: لم يقل: (أعداء)، بل قال: ﴿عَدُوّٞ﴾؛ لأن العداوة واحدة في ســببها، وفي نوعها، وهي عدم طاعة الله وعصيانه، ويقول: أعداء: إذا كانت العداوات مختلفة الأسباب، والعداوة: هي بين آدم ونسله، والشيطان.

﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ﴾: أيْ: إلــى انقضــاء الأجــل: وهو الموت.

﴿مُسۡتَقَرّٞ﴾: مكان استقرارٍ، وإقامة مؤقت.

﴿وَمَتَٰعٌ﴾: ومــكان تمتع، والمتاع: مــا ينتفع به: من مشــرب، وملبس، ومسكن، وأداة، وآنية.

﴿إِلَىٰ حِينٖ﴾: ولتعريف المتاع: ارجع إلى الآية (١٤) من سورة آل عمران.

إلى: حرف يستعمل لكل الغايات الزمنية؛ البداية، أو النهاية، أو المنتصف.

بينما حتى: تستعمل لنهاية الغاية الزمنية.

وحين: زمن غير محدد قد يطول، أو يقصر يقدر سنين، أو شهور، أو أياماً، أو ســاعات، والحين: يطلق على اللحظة الآن، والحين: هو الوقت الذي يحين فيه المقدور.

اســتعمل إلى، ولم يستعمل حتى؛ لأن الاســتقرار، والتمتع قد يطول، أو يقصر؛ بحسب عمر الشخص.

ولم يســتعمل حتى؛ لأن حتى: حرف نهاية الغاية؛ أي: التمتع والاستقرار

يجب أن يدوم حتى نهاية العمر، وهذا أمر غير مؤكد؛ لما يصيب الإنسان من تغيرات في كل مرحلة، أو زمن.

[٢٥] ﴿ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴾:

﴿فِيهَا﴾: تعني: الأرض، وليس عليها؛ لأن الأرض تشمل طبقة الغازية المحيطة بالأرض، إذن نحن نسير في الأرض، وتعني الأرض الحالية.

﴿وَفِيهَا تَمُوتُونَ﴾: حين تنقضي آجالكم، وتعني الأرض الحالية.

﴿وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾: يوم البعث، أو القيامة من قبوركم، الأرض المستقبلية الأرض الجديدة.

[٢٦] ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِي سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾:

نداء إلى بني آدم، وحين ينادي الله خلقه: يا بني آدم! نرى هذا النداء يأتي في سياق خلق آدم ، أو بعد ذكر آدم أبو البشر، فينادينا الحق: يا بني آدم، يا أولاد آدم، وهو نداء فيه تكريم لآدم له، والتذكير بالنِّعم التي أنعمها على بني آدم، ومن هذه النِّعم: اللباس.

﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق، وتوكيد.

﴿أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا﴾: واللباس: يطلق على ما يستر العورة عادةً يُصنع في الأرض، فما معنى ﴿أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ﴾: الإنزال: هو عادة يعني: المطر، والذي ينبت به القطن، والكتان، والذي يخرج به الزرع، والذي تأكل منه الأنعام، والتي هي مصدر الأصواف، والأوبار، والأشعار، والحرير، والريش.

وهذا يسمَّى في المجال اللغوي: المجاز المرسل، وهو الانتقال من المعنى الأصلي إلى معنى آخر بلاغي، مع وجود قرينة لفظية، أو مقامية، وهي الإنزال.

﴿يُوَٰرِي سَوْءَٰتِكُمْ﴾: يستر، ويغطي سوءاتكم، والسوءة: هي القبل، والدبر. والعورة: ما بين السرة والركبة، فالعورة تشمل السوءة.

﴿وَرِيشًا﴾: والريش هنا يمثل: لباس الزينة.

﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾: تشبيه التقوىٰ باللباس: وهو تشبيه بليغ، وهو لباس معنوي، فالتقوىٰ: لتواري السوءات الباطنة، وتشمل الإيمان، والعمل الصالح، والباقيات الصالحات.

واللباس العادي: ليواري السوءات الظاهرة، وهو لباس حسي.

وقيل: لباس التقوىٰ: هو لباس الجهاد، والحرب.

﴿ذَٰلِكَ﴾: الإنزال، أو اللباس خير؛ أيْ: نعمة من الله، وخاصَّةً: لباس التقوىٰ.

﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾: لعلَّ: للتعليل نعمة خلق اللباس، ونعمة ستر العورة؛ لأنهم سرعان ما ينسون هذه النِّعم، ونعمة سهولة ستر العورة، الآن مقارنة بما فعل آدم وحواء بالخصف، وإلزاق أوراق الشجر وغيرها.

[٢٧] ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾:

نداء جديد آخر؛ يحذر الله سبحانه في هذه الآية ذرية آدم، من فتنة الشيطان لهم، كما فعل لأبيهم آدم .

﴿لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾: لا: الناهية، يفتننكم الشيطان: من الفتنة، وهي تشمل: الوسوسة، والإغراء، والتزيين، والإضلال، والتمني والشرك، والكفر... وغيرها. ارجع إلىٰ سورة آل عمران، آية (٧)؛ لمزيد من البيان.

﴿لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾: وتعني: لا يخرجكم الشيطان عن طاعة الله، أو

يزيِّن لكم كشف عوراتكم، والمعاصي، وينزع عنكم لباس التقوىٰ، ويحرمكم من دخول الجنة.

﴿يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾: حين أوقعهما في المعصية بالأكل من الشجرة؛ التي أدت إلىٰ ظهور سوءاتهما.

﴿إِنَّهُ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ﴾: أي: الشيطان، وأكَّد ذلك بأنه يراكم، ويرىٰ غيركم، وكذلك قبيله: ذريته، وأعوانه، أو جنوده، يرونكم من حيث لا ترونهم؛ أيْ: أنتم أمام عدو غير مرئي لكم، يراكم، ولا ترونه.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: أولياء؛ أيْ: أعواناً، وأنصاراً للكفار؛ الذين لا يؤمنون.

أيْ: خلَّىٰ الله سبحانه بين الشياطين، وبين الذين يريدون أن يكونوا أولياء للشيطان، أو أولياء لذرية الشيطان.

ولو أراد الله لمنعهم من ذلك؛ إنه علىٰ كل شيء قدير.

[٢٨] ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾:

الفاحشة: هي ما فيه عقوبة الحد، أو: هي الكبائر، أو: ما اشتد قبحه من الأفعال، والأقوال، والفاحشة: هي الزِّنىٰ، بشكل خاص، والآيتان السابقتان تتحدثان عن اللباس، وستر العورة، والسوءة.

وهذه الآية: تتحدث عن الذين كانوا يطوفون بالبيت الحرام عُراة، والفاحشة هنا كانت كشف العورة، والزِّنىٰ، واللِّواطة، وكذلك الشرك، والسائبة، والوصيلة، والحام، وقد تعني: القذف، وغيرها.

وهؤلاء المشركون: كانوا إذا قيل لهم: ما تفعلون هو من الفواحش، قالوا: هذا ما وجدنا عليه آباءنا؛ أيْ: نحن مقلدون لآبائنا، وكأنهم يعتقدون أن التقليد هو

حكـــم تكليفي، والله أمرهم باتباع آبائهم، أو يقولون: الله قدَّرها، وكتبها عليهم؛ أي: الفاحشة من قدر الله، وقضائه، والله أراد لنا أن نكفر، أو حكم علينا بالكفر، والشـــرك، والضلال، أو هم لا يعتقدون أن التعري فاحشة، بل جمال الأجسام، ولا حرج، فكان الرجال يطوفون نهاراً، والنساء يطفن ليلاً.

وكانـــوا يدعون أنهم لا يريدون الطواف بثيـــاب عصوا الله فيها، ويعتبرون هذا من قبيل الورع.

﴿قُلْ﴾: لهم يا محمد: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ﴾: بل ينهى عن الفحشاء، والذي أمركم بالفحشاء: هو الشيطان، وليس الله سبحانه.

﴿إِنَّ﴾: حرف مشـــبّه بالفعل؛ يفيد التوكيد؛ بأن الله لا يأمر بالفحشاء، أو متى أمركم الله بالفحشـــاء، أو كلمكم عنها، أو جاءكم الوحي، أو رسول، أو نبي يصدق ما تقولون.

﴿أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: الهمزة: اســـتفهام إنكاري، أتفترون على الله الكذب، والافتراء: هو الكذب المتعمد، وفي الآية إنذار ووعيد للمشركين، وهذه سمة العاصين؛ يسندون كفرهم، وضلالهم إلى أمر الله، ومشيئته، وأن الله قدَّر عليهم ذلك، أو أنهم يقلِّدون آباءَهم.

[٢٩] ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾:

﴿قُلْ﴾: لهم يا محمد ﷺ: إن الله لا يأمر بالفحشاء.

بل يأمر بالقسط، بالحق، والعدل، وعدم الشرك، والاعتدال في الطاعات، والعبادات دون إفراط، ولا تفريط.

والقسط: يعني: العدل مع تنفيذ، أو تطبيق الحكم بالعدل.

﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾: كقوله: ﴿فَأَقِمْ

﴿وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ [الروم:٣٠]: في كل مكان وزمان، نقيم فيه الصلاة، إقامة الوجه: تعني: منيبين إليه، واتقوه، وأقيموا الصلاة، ولا تكونوا من المشركين، وإقامة الوجوه تعني أيضاً: كمال الإقبال على الله كأنه نراه أمامنا، وعدم الالتفات لا يمنة ولا يُسرى.

﴿عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾: المسجد: هو كل موضع في الأرض، يمكن إقامة الصلاة فيه، يعتبر مسجداً؛ فالأرض كلها مسجد، كما جاء في حديث رسول الله ﷺ المتفق عليه: «وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً».

أو المسجد: وهو ما يطلق عليه: بيت الله، الذي تقام فيه خمس صلوات، وتقام فيه الجمعة، ويجتمع فيه الناس للصلوات، ويختلف عن المصلى.

﴿وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾: وادعوه الدعاء: هو العبادة، وكذلك الدعاء المعروف؛ مخلصين له الدِّين: موحِّدين غير مشركين.

﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾: كما خلقكم أول مرة يعيدكم إليه أحياء؛ بالبعث يوم القيامة للحساب، والجزاء مرة أخرى.

[٣٠] ﴿فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾:

أيْ: تعودون إليه فريقين فقط يوم القيامة.

﴿فَرِيقًا هَدَى﴾: استجاب لأوامر الله، وطاعته، وطلبوا الهداية، فهداهم الله، ونجوا من العذاب.

﴿وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾: أي: العذاب؛ لأنهم ضلوا في الدنيا، ولأنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون؛ أيْ: بدلاً من الله سبحانه، ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾؛ أيْ: يظنون أنهم مهتدون، وأن صفة الهدى ثابتة لهم.

ما هو الفرق بين حسب، وظنَّ؟

الظنُّ: هو رجحان كفة الإثبات على كفة النفي.

والحسبان: هو الظن القائم على حساب حسي، وقلبي، أو الاعتقاد القائم على النظر والتجربة، ويسمَّى الظنَّ حسباناً من كثرة الاستعمال.

﴿وَيَحْسَبُونَ﴾: بصيغة المضارع؛ تدل على تجدُّد، وتكرار ظنهم.

ولا بُدَّ من مقارنة هذه الآية مع الآية (٣٦) من سورة النحل؛ لمعرفة معنى الضلالة في الآيتين:

في آية سورة الأعراف (٣٠) يقول تعالى: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾.

وفي آية سورة النحل (٣٦) يقول تعالى: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾.

إذا نظرنا في آية سورة النحل: نجده أنَّث الضلالة، فقال: ﴿حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾، وأما في آية سورة الأعراف؛ فذكر الضلالة، فقال: ﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾؛ لأن معنى الضلالة في سورة الأعراف: العذاب؛ لأن سياق الآية في الآخرة، والآخرة ليس فيها عبادة، وتكليف، وليس فيها هداية، وضلالة، انتهى الأمر حين الموت، ومعنى الضلالة في سورة النحل: الضلالة فعلاً، وعدم الاهتداء؛ لأن سياق هذه الآية في الدنيا.

❖ ❖ ❖

ربع الحزب ١٦

۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ
وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ
ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ
فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ
لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا
بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ
سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٞۖ
فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ﴿٣٤﴾
يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَاتِي فَمَنِ
ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ
كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ
فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ
بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمۡ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ
رُسُلُنَا يَتَوَفَّوۡنَهُمۡ قَالُوٓاْ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ
قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾

سورة الأعراف [الآيات ٣١ - ٣٧]

[٣١] ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾:

أسباب النزول: كما روىٰ مسلم وغيره: كانت العرب تطوف بالبيت الحرام عراة، إلا الحمس؛ أيْ: قريش وأحلافها، فمن جاء يحج وضع ثيابه، واستعار ثياب من أهل مكة كي يطوف بها، فإن لم يجد ثياباً طاف عرياناً، وكانوا في أيام الحج يحرمون علىٰ أنفسهم الطيبات، واللحوم؛ تقرباً من الله؛ فنزلت هذه الآية تأمرهم بستر عوراتهم، ولبس الثياب الطاهرة، وأكل الطيبات، واللحوم، وعدم الإسراف.

﴿يَٰبَنِيٓ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٢٦) من نفس السورة؛ للبيان.

﴿خُذُواْ زِينَتَكُمۡ﴾: الزينة: لفظ عام يشمل الزينة الخارجية والثياب والريش؛ أي: استروا عوراتكم، والبسوا الثياب الحسنة الطاهرة حين الطواف بالبيت والصلاة.

﴿عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٢٩) من نفس السورة.

﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْ﴾: أيْ: كلوا الطيبات، والحلال، واللحم، والشحم، وما تيسر علىٰ شرط عدم الإسراف، والإسراف: هو تجاوز الحد في كل شيء في المال، والطعام، واللباس، والإنفاق.

﴿إِنَّهُۥ﴾: إن: للتوكيد.

﴿لَا﴾: النافية.

﴿يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾: جمع مسرف، والإسراف: مجاوزة الحد، أو تعدي الحد الذي أباحه الله في الإنفاق، وما وراء الحاجة، أما التبذير؛ فهو الإنفاق في الأمور المحرمة غير المباحة، أو الحرام.

[٣٢] ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾:

﴿قُلْ﴾: لهم يا محمد ﷺ.

﴿مَنْ﴾: استفهام إنكاري، وتشمل: المفرد، والجمع.

﴿حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ﴾: الزينة: ما يتزين به الإنسان: من الثياب، والجواهر، والحلي المباحة على شرطين: عدم الإسراف، وما لم يحرمه الله ، ورسوله ﷺ.

ونسب الزينة إلى الله تعالى؛ لأنه سبحانه أخرجها لعباده.

﴿ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾: أيْ: أوجدها لعباده، وأحلها لعباده، اللام: لام الاختصاص.

﴿وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾: الحلال من المطاعم، والمشارب، والطاهرة؛ أي: لا يحرمها إلا جاهل بدين الله تعالى.

﴿مِنَ﴾: بعضية.

﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: أيْ: هي ضمير يفيد التوكيد للذين آمنوا، اللام: لام الاستحقاق، وإن شاركهم فيها غيرهم؛ أيْ: هي خلقت أصلاً للذين آمنوا، وهي من عطاء الربوبية الذي يشترك فيه المؤمن والكافر.

﴿خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: أيْ: خالصة للذين آمنوا يوم القيامة، لا يشاركهم فيها أحد.

﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: أيْ: كما فصلنا لكم الحلال، والحرام، والزينة، والطيبات، والأكل، والمشرب، وعدم الإسراف، ﴿نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ﴾: بصور شتىٰ، ومختلفة، نأتي بها بأشكال مختلفة؛ حتىٰ يدركوا غايتها، ويصلوا إلىٰ الحقيقة والعلم الثابت.

﴿لِقَوْمٍ﴾: اللام: لام الاختصاص.

﴿يَعْلَمُونَ﴾: ما ينفعهم، وما يضرهم، أولو بصيرة.

[٣٣] ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾:

﴿قُلْ﴾: لهم يا محمد ﷺ: ﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة؛ تفيد التوكيد.

﴿حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾: ارجع إلىٰ الآية (١٥١) من سورة الأنعام.

والفواحش: تضم الزِّنىٰ، واللِّواطة، وعبادة الأصنام، والقذف، ومعصية الرسول، والأقوال المنكرة، وشرب الخمر، وغيرها من الفواحش؛ السرية، والعلنية.

﴿وَٱلْإِثْمَ﴾: الإثم في اللغة: التقصير، الإثم شرعاً: هو فعل الحرام، أو ترك الواجب، وقيل: هو القبيح الذي عليه تبعة، أما ترك المباح، أو المكروه، والمستحب، والمندوب فليس عليه إثم.

مراتب الإثم: الصغائر، والكبائر.

أنواع الإثم:

١ - آثام الجوارح، ويسمَّى ظاهر الإثم.

٢ - آثام القلوب: وهي الآثام الباطنة: كالحسد، وكتمان الشهادة... وغيرها.

أما شروط تحقق الإثم: فأن يكون مكلفاً، بالغاً، عاقلاً، والقدرة، والاختيار.

ما يترتب على الإثم: التوبة، إرجاع الحق إلى أهله، الكفارة، أو الفدية، أو القضاء (ما ترك)، وإقامة الحد إذا كان عليه حدٌّ.

﴿وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾: هو الظلم، وأخذ حق الغير بقهر، وتعسف، ومجاوزة الحد في الفساد.

﴿وَأَن﴾: مصدرية تفيد التعليل والتوكيد.

﴿تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾: أي: الإشراك بالله، باتخاذهم إلهاً آخر، أو صنماً، أو طاغوتاً.

﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾: أيْ: حُجَّة، أو برهاناً، وهل يُعقل أن ينزل الله سبحانه برهاناً يسمح بأن يشرك به غيره.

والسلطان: الحُجَّة التي لا تدحض؛ لقوة دلالتها، أو سلطان قوة، وقهر.

﴿وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: أيْ: أن القول على الله كذباً، أو من دون علم، تقولوا: حرم الله هذا، ولم يحرمه، أو تحرموا ما أحل الله، أو تحلوا ما حرم الله، وتنسبون ذلك إلى الله، أو تفتروا على الله كذباً بأن تقولوا المسيح ابن الله، أو الملائكة إناثاً، كل ذلك نوع من أنواع الشرك.

وانتبه إلى تقديم الفاحشة على الشرك، مع أن الشرك أعظم ذنباً من

الفاحشـــة، التقديم هنا لا يقصد به الأهمية؛ أيْ: من الأهم؛ لأن الســـياق هو في التحريم، والحلال، والحرام، وإنما أدرج الشـــرك في سياق الفواحش؛ لأنه من أهمها، والتقديم والتأخير قد يكون بحســـب الســـياق، كما هو الحال هنا، وليس بحسب الأهمية.

[٣٤] ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾:

المناسبة: بعد أن ذكر تحريم الفواحش، والإثم، والبغي، والشرك، جاء بهذه الآية؛ ليذكر كل من يرتكب تلك المحرمات أن له أجلاً محدداً؛ أيْ: ســـيموت، ويحاسب على ما اكتسبه.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾: لكل أمة جماعة من الناس بغض النظر عن العدد، أجل؛ أيْ: زمن محدد معين يموتون فيه، ففي كل ساعة، أو دقيقة نرى جماعة من الناس تموت، أو تقتل.

والأجـــل: هو وقت محدد، أو مـــدة معلومة في علم اللـــه؛ لانقضاء عمر الإنسان؛ أيْ: موته.

وأجل الإنســـان: زمن موته، أو الوقت المحدد المعلـــوم الذي يموت فيه الإنسان، وأجل الدَّين: هو وقت حلوله؛ أيْ: دفعه، والأجل المسمَّى: يوم القيامة.

﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ﴾: الفاء: تفيد التوكيد، وإذا: ظرفية زمانية للمســـتقبل، جاء أجل تلك الجماعة مثلاً: بسقوط طائرة، أو غرق سفينة، أو إلقاء قنبلة.

﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾: لا: النافية. يستأخرون: ساعة، ولا أقل من ساعة؛ أيْ: ولا دقيقة، أو ثانية، أو أقل؛ نفي الأكثر يعني: نفي الأقل.

﴿وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾: وإذا لم يجئ أجلهـــم، ﴿وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾؛ لأنه إذا

جاء أجلهم انتهى الأمر، فكيف يستقدمون، فجملة لا يستقدمون ليست تتمة، أو مرتبطة بجملة لا يستأخرون، كما يظن الكثير.

[٣٥] ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾:

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾: ارجع إلى الآية (٢٦) من نفس السورة.

﴿إِمَّا﴾: أصلها: (إن + ما)، إن: الشرطية، ما: للتوكيد، ثم أدغمت إنَّ في ما، وأصبحت إمَّا، ومعناها: إن يأتيكم رسل منكم.

﴿يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ﴾: يأتينكم: النون للتوكيد، ولم يقل: يأتيكم.

﴿رُسُلٞ مِّنكُمۡ﴾: تشمل الأنبياء، والرسل؛ فكل نبي هو أيضاً مرسل من الله. للتفريق بين النبي والرسول ارجع إلى سورة النساء، آية (١٦٤)؛ للبيان.

﴿مِّنكُمۡ﴾: من البشر، وليس من الملائكة، أو الجن.

﴿يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي﴾: ارجع إلى الآية (١٣٠) من سورة الأنعام؛ لمزيد من البيان؛ لمعرفة معنى ﴿يَقُصُّونَ﴾.

أيْ: يخبرونكم بآياتي؛ أيْ: بما شرعته لهم: من افعل، أو لا تفعل، ولم يقل: (يتلون عليكم آياتي)؛ إذ هناك فرق بين يقصون ويتلون. ارجع إلى الآيات في سورة الأنعام، الآية (١٣٠)؛ والزمر، آية (٧١)؛ لمزيد من البيان.

﴿فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ﴾: من: ابتدائية، والفاء: للتوكيد، ومن: تعني: المفرد، أو الجمع.

﴿اتَّقَىٰ﴾: حرمات الله، واتقىٰ المعاصي، اتقىٰ الله؛ أيْ: أطاع، وامتثل أوامر الله، وتجنب محارمه.

﴿وَأَصْلَحَ﴾: أصلح نفسه، وشأنه، أو قام بالأعمال الصالحة، وأصلح ما بينه، وبين العباد، وأصلح في الأرض، ولم يفسد فيها.

﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٣٨) من سورة البقرة للبيان المفصل.

[٣٦] ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾:

هذه الآية: هي تتمة للآية السابقة؛ أيْ: فمن اتقىٰ وأصلح، فلا خوف عليهم، ولا هم يحزنون، والذين كذبوا بآياتنا.

﴿وَالَّذِينَ﴾: الواو: عاطفة، الذين: اسم موصول؛ يفيد التحقيق.

﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾: أيْ: لم يؤمنوا بها، ويصدقوها، بعد أن قصتها رسلهم عليهم، (يقصون عليكم آياتي).

﴿وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا﴾: الاستكبار: أشد الكبر صيغة مبالغة؛ أي: طلب الكبر، وهو غير مؤهل له؛ أيْ: لا يملك أسباب الكبر، مثل: الغنىٰ، والحكم، والعلم، وغيرها. ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (٨٧) لمزيد من البيان في الكبر.

واستكبر: أيْ: أظهر عظم شأنه، فوق ما يستحق، والاستكبار يتضمن الإعراض عن آيات الله، والعمل بها، ورفض الإذعان لها. ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (٨٧) لمزيد من البيان.

﴿عَنْهَآ﴾: عن: تعني: المجاوزة، والابتعاد؛ أيْ: عن آيات الله .

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة للبعد، ويفيد معنىٰ الذم والتحقير.

﴿أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾: أي: الملازمون للنار، لا يفارقونها، ولا تفارقهم؛ كالصاحب الذي لا يفارق صاحبه، أو أصحابها؛ أي: المالكون لها، مثل: صاحب المنزل الذي يملك منزله، ولا يتخلىٰ عنه.

﴿هُمْ﴾: ضمير منفصل؛ يفيد التوكيد.

﴿فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾: الخلود: هو استمرار البقاء من وقت مبتدأ له بداية إلىٰ ما لا نهاية له، أو يبدأ خلودهم في النار بعد دخولهم فيها.

[٣٧] ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓا۟ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ﴾:

﴿فَمَنْ﴾: استفهام تقريري، والجواب: لا أحد أظلم ممن افترىٰ علىٰ الله كذباً.

﴿أَظْلَمُ﴾: علىٰ وزن أفعل، والظلم في لغة العرب: وضع الشيء في غير موضعه، والظلم ثلاثة أنواع:

ظلم بين الإنسان، وبين الخالق، وأعظمه: الكفر، والشرك، والنفاق؛ لأن وضع العبادة في غير من خلق، ورزق؛ أشنع أنواع الظلم، وكما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣].

وظلم بين الإنسان، وبين الناس؛ كقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ﴾ [الشورى:٤٢]، ويعني: أخذ حق الغير.

وظلم الإنسان لنفسه: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ [فاطر:٣٢].

ويعني: الخروج عن منهج الله سبحانه هو ظلم للنفس. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٥٤)؛ لمزيد من البيان.

﴿ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾: افترى: من الافتراء، وهو: اختلاق الكذب؛ أي: اختراعه، وهو الكذب المتعمد.

﴿كَذِبًا﴾: نكرة؛ تشمل كلَّ أنواع الكذب على الله بأن له شريكاً، أو أن له ولداً، أو أحل الله، أو حرم الله، وأنزل الله.

﴿أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ﴾: أيْ: آيات القرآن، أو الآيات الكونية، أو المعجزات التي جاء بها الرسل.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة؛ للبعد.

﴿يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: نصيبهم: حظهم، والنصيب يأتي في الأجر، والجزاء، والثواب، ويكون في المحبوب، والمكروه، والنعيم، أو العذاب، والحظ؛ لا يقال في العذاب، أو المكروه عادةً يأتي في سياق الخير.

﴿مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: مما قدَّره لهم من الكتاب، مما كتب لهم في اللوح المحفوظ لهم من الرزق، والخير، والشر، والسعادة، والشقاء، والأعمار، والأعمال، وبذلك يكون المعنى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ﴾ نصيبهم، أو ما قدر لهم في الحياة الدنيا

من الكتاب؛ مما كتب لهم في اللـوح المحفوظ، أو أم الكتاب، وما يحدث لهم بعد ذلك هو: ﴿إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾.

﴿حَتَّىٰٓ﴾: حرف لنهاية الغاية، والغاية هنا: مجيء رسل ملائكة الموت.

﴿إِذَا﴾: ظرف زماني للمستقبل، ويعني: الحتمية؛ أيْ: حتماً ستجيئهم رسلنا.

﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا﴾: المجيء: فيه معنىٰ الصعوبة، والمشقة.

﴿رُسُلُنَا﴾: أيْ: ملك الموت، وأعوانه، ولم يقل: رسلهم، وإنما قال رسلنا؛ تشريفاً لهم.

﴿يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾: الوفاة: هي المرحلة التي تسبق الموت، مرحلة الاحتضار، عندما تتعطل حواس المحتضر، ويدخل في غيبوبة، ولا يُفهم ما يقول، والمحتضر يرىٰ الملائكة، وتظهر عليه علامات الفرح، أو الحزن، ولا يمكن أن يعود إلىٰ الدنيا.

ارجع إلىٰ الآية (٦١) من سورة الأنعام، والآية (٩٧) من سورة النساء؛ لمزيد من البيان.

﴿قَالُوٓاْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: أيْ: تسألهم ملائكة الموت، سؤال توبيخ وتقريع.

﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ﴾: أيْ: تعبدون، أو تدعونهم؛ لينصروكم، أو يمنعوكم من العذاب، أو يشفعوا لكم، أو يقربوكم زلفىٰ عند الله؟!

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: من غير الله.

﴿مَا﴾: اسم موصول؛ تعني: الذين كنتم تعبدون.

﴿قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا﴾: غابـوا عنا، أو اختفوا، ولم نعد نراهم، أو نجدهم، أو لا ندري أين هم.

﴿وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾: أيْ: أقروا، واعترفوا بكفرهم لملائكة الموت.

وقيل: هذا الاعتراف، والإقرار يكون يوم القيامة؛ لقوله تعالىٰ: ﴿قَالَ ٱدْخُلُواْ فِيٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِي ٱلنَّارِ﴾.

عندها يقال لهم: ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن، والإنس في النار.

﴿أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰفِرِينَ﴾: أنهم: للتوكيد كانوا: في الدنيا، كافرين: جملة اسمية؛ تدل علىٰ أن صفة الكفر كانت ثابتة لهم.

ولم يقل: كفار، بل ﴿كَٰفِرِينَ﴾: تدل غالباً علىٰ العمل، وهو الكفر.

كفار: تدل علىٰ الحدث، وتدل علىٰ المبالغة، وأكثر من الكافرين.

❖ ❖ ❖

قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ
فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا
جَمِيعٗا قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ
عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٨﴾
وَقَالَتۡ أُولَىٰهُمۡ لِأُخۡرَىٰهُمۡ فَمَا كَانَ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلٖ
فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ
بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ
ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي
ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٞ وَمِن فَوۡقِهِمۡ غَوَاشٖۚ
وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ
ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلّٖ
تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا
وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ لَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّۖ
وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٤٣﴾

سورة الأعراف [الآيات ٣٨ - ٤٣]

[٣٨] ﴿قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾:

﴿قَالَ﴾: القائل هو الله ، أو مالك خازن النار.

﴿ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ﴾:

﴿ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ﴾: ولم يقل: ادخلوا مع.

﴿ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ﴾: أيْ: أصبحوا مثلهم من دون أي ميزة، أو اختلطوا بهم، أما ادخلوا مع؛ فيعني: المصاحبة، من دون اختلاط، وابقوا بعزلة عنهم.

﴿ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ﴾: في: ظرفية؛ أي: الحقوا.

﴿أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم﴾: أمم سابقة، أو جاؤوا قبلكم، مثل أمة نوح، أو لوط من حيث الزمن، أو القدم.

﴿مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾: من كلا الثقلين، وقدَّم الجن؛ لأنهم أقدم وجوداً.

﴿كُلَّمَا﴾: أداة شرط تفيد التكرار.

﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾: أيْ: لعنت التي سبقتها؛ لأن بعضهم أضل بعضاً، واللعن: هو الدعاء بالبعد، والطرد عن رحمة الله.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا﴾: حتى: حرف لنهاية الغاية، إذا: ظرفية زمانية للمستقبل، وشرطية؛ تفيد معنى الحتمية.

﴿ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا﴾: أصلها: تداركوا فيها، على وزن تفاعلوا؛ أيْ: لحق بعضهم بعضاً، أو أدرك بعضهم بعضاً؛ أيْ: اجتمعوا فيها في النار.

﴿جَمِيعًا﴾: للتوكيد، يحدث بينهم حوار، هو التالي:

﴿قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ﴾: أي: الأتباع يقولون: ربنا هؤلاء الذين أضلونا؛ أي: القادة، والرؤساء، والزعماء الذين أضلونا في الدنيا.

﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا﴾: الذين أضلونا في الدنيا؛ عن الصراط المستقيم، أو سبيلك، ودينك، ولم يقولوا للقادة، والزعماء مباشرة، أنتم أضللتمونا، بل قالوا: ربنا هؤلاء أضلونا؛ لأن الحكم، والقضاء بيد الله .

﴿فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾: الضعف: شيء مساوٍ لمثله.

أو ﴿ضِعْفًا﴾: عذاباً مضاعفاً على مثله مرات؛ بسبب إضلالهم لهم.

قال: أيْ: أجابهم الله سبحانه: ﴿لِكُلٍّ ضِعْفٌ﴾: لكل منكم، ومنهم عذاب مضاعف، أو لكلا الطرفين، أولهم، وآخرهم عذاباً مضاعفاً؛ أي: القادة، والأتباع؛ لأن كلاً منهم كانوا ضالين مضلين.

﴿وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾: أن هذه ستكون النتيجة، أو أن هذا سيكون الجزاء.

[٣٩] ﴿وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾:

﴿وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ﴾: طائفة القادة، ورؤساء الكفر (المتبوعين).

﴿لأُخْرَىٰهُمْ﴾: الأتباع.

﴿فَمَا﴾: الفاء: للتوكيد، ما: النافية.

﴿كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾: من: استغراقية؛ تستغرق كل فضل صغير، أو كبير.

أيْ: نحن وأنتم متساوون في العذاب، لا أحد أفضل من الآخر، أو أنتم لستم أفضل منا، أو إنا كلٌّ فيها؛ أيْ: في نار جهنم.

﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾: الفاء: للتعقيب والمباشرة.

﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾: بدلاً من، بما كنتم تكفرون؛ لأن الكسب يشمل الكفر، وغيره من المعاصي أو بما كنتم تكسبون في إضلال غيركم، الباء: السببية، أو البدلية، أو التعليل، ما: مصدرية، حرف مصدري.

[٤٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾:

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾: آيات القرآن، أو الآيات الكونية الدالة على وحدانية الله سبحانه، والبعث، والحساب.

﴿بِآيَاتِنَا﴾: الباء: للإلصاق، إلصاق الكذب بالآيات.

﴿وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا﴾: أعرضوا عنها، ورفضوا العمل بها، عناداً، واستكباراً، استكبروا: طلبوا الكبر، وهم ليس أهلاً له؛ أيْ: لا يملكون مؤهلاته، والألف، والسين، والتاء: تفيد الطلب. ارجع إلى سورة البقرة آية (٨٧) لمزيد من البيان.

﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾: لا: النافية، أبواب السماء: كناية عن عدم قبول أعمالهم الصالحة، لا تفتح لأعمالهم، ولا لعباداتهم، ولا لدعائهم أبواب السماء، أو لا تفتح لأرواحهم أبواب السماء، أو لا تفتح لهم أبواب السماء بالخيرات الإلهية كناية عنه الحرمان.

﴿السَّمَاءِ﴾: أي: السماء المعروفة، وتشمل السموات السبع، أو قيل: السماء هي كل ما علىٰ الإنسان يسمىٰ سماء.

﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾: وهذا يشير إلىٰ الجنة في السماء.

﴿يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾: يلج يدخل: الولوج: هو الدخول بصعوبة من شدة التماس، أو الضيق، والجمل له ثلاثة معانٍ كلها تدل علىٰ استحالة دخولهم الجنة:

١ - الحبل الغليظ، المفتول، المستعمل من ألياف الحصر المفتولة.

٢ - الجمل العادي؛ أي: الذكر من الإبل، مقابل الناقة.

٣ - اسم لجنس سمك معين، يسمَّىٰ سمك الجمل.

﴿فِي سَمِّ﴾: ثقب الإبرة؛ أيْ: سم الخياط: ثقب الإبرة، وهذا مستحيل؛ أيْ: يدخل الجمل في سم الخياط.

وكذلك: دخول الذين كذبوا بآياتنا، واستكبروا عنها في الجنة، مستحيل.

﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾: وكذلك؛ أي: مثل هذا الجزاء دخول المجرمين الجنة مستحيل؛ أو كما هو مستحيل أن يلج الجمل في سم الخياط، كذلك مستحيل لهؤلاء الذين كذبوا بآياتنا، واستكبروا عنها أن يدخلوا الجنة،

وكذلك نجـزي المجرميـن الكافريـن؛ أيْ: لا ندخلهم الجنـة. ولبيان معنىٰ المجرمين ارجع إلىٰ سورة الأنعام آية (٥٥).

[٤١] ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾:

﴿لَهُم﴾: لام: الاستحقاق.

﴿مِّن جَهَنَّمَ﴾: مـن: الابتداء: المهد: هو فراش الطفـل، الرضيع، المهاد: جمع مهد؛ أيْ: لهم فرش من النار. جهنم: ارجع إلىٰ سورة الرعد آية (١٨).

﴿وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾: لهم أغطية من النـار؛ أيْ: لُحف من نار؛ أي: لهم فرش وأغطية من نار، وشـبه ما تحتهم بالمهاد، وما فوقهم بالغواشـي كناية عن حرمانهـم من الراحة والعذاب المقيم الذي يحل بهـم، وتدل الآية علىٰ الوعيد وما يخفىٰ لهم من العذاب، كقوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ [العنكبوت:٥٤-٥٥].

﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾: أيْ: مثل ذلك الجزاء لهم، من جهنم مهاد، ومن فوقهم غواش؛ جزاء الظالمين، المشركين، الكافرين.

﴿غَوَاشٍ﴾: أصلها غواشـي؛ دخل التنوين عوضاً عـن الياء المحذوفة، ويسمَّىٰ هذا: تنوين العوض.

[٤٢] ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ ۖ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾:

بعد أن ذكر الله وعيده للكافرين، والظالمين، والمجرمين.

يتبعه في هذه الآيــة وعده للمؤمنين الذين يعملــون الصالحات، بأن لهم الجنة خالدين فيها.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: الإيمان عمل قلبي، وعملــوا الصالحات، هذا عمل الجوارح، فلا بُدَّ من كلا العملين معاً.

﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ﴾: جملة اعتراضية؛ للتنبيه لبذل قصارىٰ السعة؛ أي: الجهد للفوز بالجنة، وأنها ليست سلعة رخيصة.

﴿لَا﴾: حرف نفي.

﴿إِلَّا وُسْعَهَآ﴾: إلا الحصــر، وســعها: الوســع = القــدرة + المخــزون الاحتياطي؛ فالإنسان قادر علىٰ أن يصلي الصلوات الخمس، والسنن، والتهجد، وغيرها من صلاة النفل.

الوسع: القيام بكل الأوامر التكليفية، مع الزيادة، مثل: عمل النوافل، أما في حالات الضيق، والشدة؛ فعندها يلتزم بالرخص الشرعية.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة، والكاف للبعد.

﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾: الملازمون للجنة، لا يفارقونها، ولا تفارقهم، وفيها معنىٰ الملكية للجنة، مثل صاحب الدار؛ أي: المالك لها.

﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾: هم: تفيد التوكيد، خالــدون: من الخلود: وهو البقاء، والاستمرار من وقت له بداية؛ أيْ: زمن دخولهم الجنة إلىٰ ما لا نهاية.

[٤٣] ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ۖ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ۖ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ۖ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾:

﴿وَنَزَعْنَا﴾: من النزع: وهو قلع الشيء من قعره بشدة، وكأن الحقد شيئاً دفيناً في صدورهم، يحتاج إلى نزع بشدة.

﴿مَا فِي﴾: ما: اسم موصول؛ أي: الذي في صدورهم. وما: أوسع شمولاً من الذي.

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم﴾: أيْ: ما في قلوبهم، والقلب: جزء من الصدر، وهو ما يسمَّى إطلاق الكل، وإرادة الجزء، فالكل هو الصدر، والجزء هو القلب.

﴿مِّنْ غِلٍّ﴾: الغل: الحقد، أو العداوة، أو الحسد والبغضاء، وجمع غل: أغلال؛ أي: قيود حديدية.

﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾: تنبع من تحت قصورهم الأنهار؛ أيْ: جناتهم.

﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا﴾: الذي: اسم موصول، هدانا للإيمان، وللعمل الصالح، ووفقنا للفوز بالجنة، ونعيمها، وهذا اسم إشارة؛ يدل على القرب.

﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو عاطفة، ما: نافية.

﴿لِنَهْتَدِيَ﴾: اللام: لام التوكيد، توكيد النفي.

﴿لَوْلَآ﴾: حرف امتناع؛ لوجود؛ أيْ: لولا أن هدانا الله لامتنعت الهداية عنا، أو ما عرفنا الهداية.

﴿أَنْ﴾: حرف مصدري؛ يفيد التوكيد.

﴿هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾: هداية: الدلالة والإرشاد والتوفيق؛ أي: دلنا وأرشدنا ووفقنا إلىٰ الصراط المستقيم: وهو دِين الإسلام.

﴿لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾: لقد: اللام: لام التوكيد، قد: حرف تحقيق، وتوكيد.

﴿جَآءَتْ﴾: ولم يقل: جاء، أنَّث؛ للدلالة علىٰ كثرة الرسل؛ الذين جاؤوا بالحق.

﴿رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾: ربنا: الباء: للإلصاق، والتوكيد، بالحق: بالبعث، والحساب، والجزاء، والجنة، والنار.

بالحق: بالوحي، والصدق.

والحق تعريفه: الشيء الثابت؛ الذي لا يتغير، وكذلك تعني: الحكم المطابق للواقع، والحق: هو كل ما أخبر به الله تعالىٰ رسله.

﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾:

﴿وَنُودُوٓاْ﴾: من قبل الملائكة.

﴿أَن﴾: للتوكيد، مخففة من أن الثقيلة.

﴿تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ﴾: اسم إشارة، والكاف: للبعد.

﴿ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا﴾: يقال: ورث فلان غيره، إذا ناله شيء من الإرث، أو التركة.

﴿بِمَا﴾: الباء: للتعليل.

﴿كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: في الدنيا: من أقوال، وأفعال.

وكلمة ﴿أُورِثْتُمُوهَا﴾: تدل على أن هناك شيئاً ورثه من غيره.

ونعلم أن الله أعد لكل واحد من خلقه مكانة في الجنة، أو مقعداً في الجنة، ومقعداً في النار.

إذن: هناك جنات بعدد الخلق، أو أماكن في الجنات بعدد الخلق، وأماكن في النار بعدد الخلق؛ فإن آمن كل الخلق؛ فلهم كلهم أماكن، أو مقاعد في الجنة، وإن كفروا؛ فلهم مقاعد في النار.

وبما أن لكل واحد مقعداً في الجنة، ومقعداً في النار؛ فإذا ذهب هذا الواحد إلى النار، ترك مقعده في الجنة فارغاً، فسوف يُورث مقعده لشخص آخر، وبالعكس إذا دخل إلى الجنة، وله مقعد في النار؛ فسوف يورث هذا المقعد إلى شخص آخر.

إذن: في النهاية يصبح لكل واحد مقعدان: مقعده الأصلي في الجنة، ومقعد يرثه عن غيره من الذين ذهبوا إلى النار، وتركوا مقاعدهم في الجنة فارغة.

❖ ❖ ❖

وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا
فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن
لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا
عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞۚ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ
رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ
لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ۞ وَإِذَا صُرِفَتۡ أَبۡصَٰرُهُمۡ تِلۡقَآءَ
أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ
ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ
وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ
ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ
﴿٤٩﴾ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا
مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى
ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا
وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ
لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴿٥١﴾

نصف الحزب ١٦

سورة الأعراف [الآيات ٤٤ - ٥١]

[٤٤] ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾:

﴿وَنَادَىٰٓ﴾: النداء: هو رفع الصوت.

﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ﴾: ليس بالضرورة كون أصحاب الجنة مجاورين لأصحاب النار؛ حتىٰ يتم النداء. وعبر عن الخطاب بين أصحاب الجنة وأصحاب النار بالنداء، ولم يقل: وقال؛ لأن النداء أكثر دلالة علىٰ بلوغه أسماع أصحاب النار، وقد يسئل سائل فيقول سيكون البعد شاسع بينهما؛ فالآن الواحد منا يستطيع أن ينادي، ويتحدث عبر الأقمار الاصطناعية، والهواتف، والإنترنت مع أي رجل في أية بقعة من العالم، المهم أن نفهم من الآيات: أن هناك حواراً بين أصحاب الجنة، وأصحاب النار، وأصحاب الأعراف، ورؤية، فأصحاب الجنة قادرون علىٰ رؤية أصحاب النار، وليس العكس صحيحاً؛ أيْ: لا يرىٰ أصحاب النار أصحاب الجنة.

﴿أَن﴾: المخففة؛ للتوكيد، وتعني: أيْ: قد وجدنا، قد: للتحقيق، والتوكيد.

﴿وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا﴾: أيْ: ما وعدنا ربنا حقاً؛ أي: لم يتغير، أو يتبدل، أو ينقص؛ أيْ: تماماً كما وعدنا.

﴿فَهَلۡ﴾: الفاء: للتوكيد، هل: للاستفهام، والتوبيخ.

﴿وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗا﴾: ما وعد ربكم من العذاب حقاً.

انتبــه! إلىٰ الاختلاف بين: فهل وجدتم ما وعد ربكم، ولم يقل: ما وعدكم ربكم.

أصحاب الجنــة: كانوا ينتظرون وعد الله لهم؛ لأنهــم كانوا يصدقون بما وعدهم ربهم بالجنات والنعيم، وما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين.

ولذلك قالــوا: ﴿وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا﴾: أي: الوعد كان من الله، وهم قبلوا بالوعــد، والوعد يكون من الطرفين، بينما أصحاب النــار كانوا مكذبين بكل ما وعد الله من البعث، والحساب، والثواب، والعقاب، مكذبين للوعد، وللوعيد؛ أيْ: لم يقبلوا بوعد الله تعالىٰ، ولذلك كان وعداً من طرف واحد؛ هو الله، وهم رفضوا قبوله، ولذلك قال: ﴿وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا﴾، ولم يقل: ما وعدكم ربكم.

﴿قَالُوا نَعَمْ﴾: أيْ: قال أصحاب النار: نعم.

﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ﴾: الفــاء: للتعقيب، والمباشــرة، أذن مؤذن: نادىٰ منادٍ، والأذان: هو رفع الصوت بالإعلام بشيء، نادىٰ منادٍ من الملائكة.

﴿بَيْنَهُمْ﴾: بين أصحاب الجنة، وأصحاب النار.

﴿أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾: أن: للتوكيــد، واللعنة: مــن اللعن: هو الطرد، والإبعاد عن رحمة الله ، والخزي، والإهانة.

﴿عَلَى الظَّالِمِينَ﴾: كل الظالمين، ولم يقل: ألا لعنة الله علىٰ أصحاب النار؛ لكانت اللغة خاصَّةً بهم، فقط.

وبما أن أصحاب النار جزءٌ من الظالمين؛ فهو لعن كل الظالمين.

[٤٥] ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾:

﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول.

﴿يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: يصرفون الناس عن دين الله؛ فهم صرفوا أنفسهم، وصرفوا غيرهم، ويمنعون الناس من الدخول في الإسلام.

﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: عن: تفيد المجاوزة، والإبعاد عن سبيل الله؛ أيْ: دِين الله الإسلام.

﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾: الهاء: في يبغونها: تعود إلىٰ ملة الإسلام، ملة الحنيفية، ويريدونها. عوجاً: أيْ: ملة زائفة، منحرفة عن الحق، معوجة، ذات عوج؛ حتىٰ يبقىٰ الناس حولهم، وتبقىٰ لهم القوة.

﴿وَهُم بِٱلْآخِرَةِ كَٰفِرُونَ﴾: هم: ضمير منفصل يفيد التوكيد، والباء: للإلصاق.

﴿كَٰفِرُونَ﴾: مكذِّبون، جاحدون، لا يصدِّقون بالآخرة، والبعث، والجزاء، وبلقاء الله ، ولذلك لا يهمهم وعد الله تعالىٰ، أو وعيده، ولا يخافون عذاباً، أو عقاباً في الآخرة.

[٤٦] ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ ۚ وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾:

﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾: بين أصحاب الجنة، وأصحاب النار حاجز، وهو السور الذي ذكره الله تعالىٰ في سورة الحديد، الآية (١٣) ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾.

﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ﴾: جمع عُرف: وهو أعلىٰ الشيء، ولكل عالٍ عرف، مأخوذ من عرفُ الفرس، أو كل مرتفع من الأرض، ولأنه بسبب ارتفاعه يسير أعرف مما انخفض عنه؛ أيْ: علىٰ أعالي السور (الحجاب)، يقف أصحاب الأعراف، وهم الذين استوت حسناتهم، وسيئاتهم؛ فحبسوا علىٰ أعالي السور؛ حتىٰ يقضي الله فيهم حكمه، وفي النهاية: يدخلون الجنة برحمة الله تعالىٰ.

﴿رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾: رجال: أيْ: أصحاب الأعراف يعرفون كلاً بسيماهم، يعرفون كلاً من أصحاب الجنة، وأصحاب النار بسيماهم.

﴿بِسِيمَاهُمْ﴾: السيما: العلامة؛ أيْ: بعلاماتهم. ارجع إلىٰ سورة البقرة، آية (٢٧٣)؛ لمزيد من البيان.

فأصحاب الجنة يعرفون ببياض الوجه؛ كقوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران:١٠٦]، ونضرة النعيم: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ [المطففين:٢٤]، وأما أصحاب النار: فيعرفون بسواد الوجه، وزرقة العيون.

﴿وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾: أن: المخففة؛ تفيد التوكيد، أو قيل: تفسيرية.

﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾: ولم يقولوا: السلام عليكم، جاء السلام بصيغة النكرة؛ ليدل علىٰ العموم، والشمول، فهو سلام التحية، والأمان، ودوام السلامة، ولتعلم: أن السلام في كل القرآن جاء بصيغة النكرة؛ إلا آية واحدة هي قول عيسىٰ في سورة مريم، آية (٣٣): ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾.

و﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾: جملة اسمية؛ تدل علىٰ الثبات، والدوام، وأقوىٰ من لو قالوا: (سلاماً عليكم): جملة فعلية؛ تدل علىٰ التجدد، والتكرار، وليس الدوام والثبات، وأما السلام عليكم معرفة؛ فتعني: سلام التحية، المعروف في الإسلام فقط.

﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾: لم يدخل أصحاب الأعراف، لم يدخلوا الجنة مباشرة، وهم يطمعون بدخولها مباشرة، ولكنه لم يحصل ذلك، وهم كانوا يطمعون في دخولها، ولكن حُبسوا علىٰ السور (الأعراف).

أو هذا إخبار من الله تعالىٰ عن أصحاب الأعراف، إذا رأوا زمرة تدخل

الجنـــة، يقولون: أن هـــؤلاء الداخلين لم يدخلوها، وهـــم يطمعون، ولكن هذه الزمرة دخلت الجنة برحمة الله تعالىٰ، ولم تكن تطمع أن تدخلها، وفي الحقيقة: الكل لا يدخل الجنة إلا برحمة الله، وليس بعمله، والكل يطمع في ذلك.

حتىٰ إبراهيم قال: ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴾ [الشعراء:٨].

[٤٧] ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَـٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: ظرف زماني للمســتقبل، ومتضمِّن معنىٰ الشــرط، وتدل علىٰ حتمية الحدوث.

﴿صُرِفَتْ أَبْصَـٰرُهُمْ﴾: تحولت أبصارهم؛ أيْ: أبصار أصحاب الأعراف.

﴿تِلْقَآءَ أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِ﴾: أيْ: جهة أصحاب النــار، وتلقاء: ظرف مكان، بمعنىٰ: جهة اللقاء، والمقابلة.

﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾: أيْ: ربنــا، ولــم يقولوا: يــا ربنا؛ لأنهم يعلمون: أن الله تعالىٰ قريب إلىٰ العبد، ولم يســتعملوا ياء النداء التي تدل علىٰ البعــد، ربنا جنِّبنــا، أو أبعدنا، ولا تصيِّرنــا أن نكون مع هــؤلاء الظالمين؛ أيْ: أصحاب النار.

[٤٨] ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَـٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَـٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾:

﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَـٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَـٰهُمْ ﴾: مــن أصحاب النــار، القادة، ورؤساء الكفر.

قالوا لهؤلاء الكفار: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ﴾: ما: النافية للحال.

﴿أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ﴾: أغنىٰ عنكم من النار.

﴿جَمْعُكُمْ﴾: نكرة؛ تشمل العدد؛ أيْ: كثرتكم، كثرة عددكم، أو جموعكم، ولا كثرة مالكم، ولا أهلكم، ولا اجتماعكم؛ أي: اجتماعاتكم على الضلال؛ للصدّ عن سبيل الله.

﴿وَمَا كُنتُمْ﴾: وما: النافية، وتكرارها؛ لتوكيد النفي، وفصل جمعكم؛ من الاستكبار؛ أيْ: ما أغنى عنكم، لا هذا ولا ذاك، لا جمعكم ولا استكباركم.

﴿تَسْتَكْبِرُونَ﴾: عن الإيمان، والطاعة، تستكبرون: ارجع إلى الآية (٤٠) من نفس السورة؛ للبيان.

[٤٩] ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۖ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾:

﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ﴾: الهمزة: همزة استفهام، وتوبيخ، والهاء: للتنبيه، أولاء: اسم إشارة، يشير إلى ضعفاء المسلمين؛ أيْ: يقول أصحاب الأعراف لأصحاب النار: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ﴾ مشيرين إلى ضعفاء المسلمين.

وهناك من المفسرين من قال: إن الله ، أو بعض الملائكة يقولون لأصحاب النار: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ﴾؛ مشيرين إلى ضعفاء المسلمين، وأصحاب الأعراف معاً.

﴿ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ﴾: أيْ: حلفتم، والقسم في القرآن يستعمل في سياق الصدق؛ حتى ولو كان الذي يقسم ليس صادقاً، أما الحلف فيأتي في سياق القسم الكاذب، فهم ما كانوا يعتقدون اعتقاداً صحيحاً، ويقسمون على أن الله لن ينال الضعفاء، وفقراء المسلمين برحمة.

﴿لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾: الرحمة هنا؛ تعني: الجنة، والباء: للإلصاق.

ورحمة: جاءت بصيغة النكرة؛ لتشمل كلَّ أنواع الرحمة، الجنة، ورضوان الله، والطعام، والشراب، والأمن، والخلود، وغيرها.

﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ﴾: هذا هو خطاب من الله سبحانه، أو الحكم الصادر من الله لأصحاب الأعراف، بدخول الجنة.

﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٣٨) من سورة البقرة؛ للبيان.

[٥٠] ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾:

﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٤٤) من نفس السورة.

﴿أَنْ﴾: المخففة؛ تفيد التوكيد، أو تفسيرية.

﴿أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾: أفيضوا: من أفاض الماء؛ أيْ: صبه، وتعني: أعطونا شيئاً من الماء الكثير؛ الذي أفاضه الله عليكم، أو ﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾: أيْ: من الطعام الكثير، وذلك ؛لما يعانيه أهل النار: من الجوع، والعطش، وأنواع العذاب الأخرىٰ، مثل: السعير، والزمهرير، وغيرها.

﴿قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: قالوا؛ أيْ: أصحاب الجنة لأصحاب النار.

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿حَرَّمَهُمَا﴾: أي: الطعام، والشراب علىٰ الكافرين.

[٥١] ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾:

﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول.

﴿اتَّخَذُوا﴾: من اتخذ، من أفعال التحويل، والتصيير، والاتخاذ: فيه معنى الاستمرار، والتعب، والمشقة.

﴿دِينَهُمْ﴾: الدِّين: هو ما يطاع به المعبود، ويشمل الشريعة، والعقيدة، والمنهج، والجزاء.

﴿لَهْوًا وَلَعِبًا﴾: اللهو: هو كل شغل يُلهي عن واجب؛ يعني: أهملوا واجباتهم وعطَّلوها: بالأغاني، والموسيقا، والأفلام، واللهو، والعبث: هو الذي يشغل الإنسان عن تطبيق شرائع الله؛ مثل: الصلاة، والزكاة، والصيام.

﴿وَلَعِبًا﴾: اللعب: شغل لا يُلهي عن واجب، وقد يتحول اللعب إلى لهو إذا شُغل العبد عن واجب، تلاعبوا بدينهم الذي شرع الله لهم، فأحلوا، أو حرموا حسب أهوائهم؛ فجعلوا البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام، واستهزؤوا بالله، وآياته، ورسله، أو انتحلوا العقائد الباطلة. ارجع إلى سورة الأنعام آية (٣٢)، وسورة العنكبوت آية (٦٤) للمقارنة ومزيد من البيان.

﴿وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾: أيْ: خدعتهم شهواتها، وكثرة المال، والعرض، والمتاع، والقوة، وطول العمر، وحسن العيش، والمكانة، أو الجاه... وغيرها.

﴿فَالْيَوْمَ﴾: الفاء: للتوكيد، اليوم: أيْ: يوم القيامة دل على ذلك معنى التشبيه.

﴿نَنسَاهُمْ﴾: أيْ: نتركهم في النار، ولا نذكرهم، والنسيان؛ يعني: الإهمال والترك.

وحاشا لله أن ينسى، أو يتصف بالنسيان، وإنما هو على قبيل المشاكلة في اللفظ.

﴿كَمَا﴾: الكاف: للتشبيه، أو التعليل، وما: مصدرية.

﴿نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا﴾: نسوا لقاء ربهم في هذا اليوم، ولم يستعدوا له.

﴿وَمَا﴾: الواو: عاطفة، ما: للتوكيد. ويدل ذلك على حرمانهم من رحمة الله؛ لأنهم كانوا بآياتنا يجحدون.

﴿كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾: الجحود: هو أخص من الإنكار، وهو إنكار الشيء الظاهر، أو الشيء المعلوم؛ مثل: إنكار الآيات الواضحة، والظاهرة للعيان، أو إنكار الشيء مع العلم به؛ أي: لا يصدقون.

وأما الإنكار: فهو إنكار الشيء الخفي غالباً، وأحياناً الشيء الظاهر، والإنكار أعم من الجحود، مثل: إنكار النِّعمة، ويكون مع العلم، وغير العلم بالشيء، أو النِّعمة؛ كقوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ [النحل:٨٣].

❖ ❖ ❖

وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ
يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ
ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا
مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ
قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾
إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ
أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا
وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ
وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا
وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى
ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ
ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ
ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا
ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ
ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾

سورة الأعراف [الآيات ٥٢ - ٥٧]

[٥٢] ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: استئنافية، لقد: اللام: للتوكيد، قد: للتحقيق، وزيادة التوكيد.

﴿جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ﴾: جئناهم: تعود على الكافرين؛ الذين اتخذوا دِينهم لهواً ولعباً، وغرتهم الحياة الدنيا.

﴿بِكِتَٰبٍ﴾: الباء: للإلصاق، والاستمرار، كتاب: أيْ: بالقرآن الكريم.

﴿فَصَّلْنَٰهُ﴾: فصّلنا؛ أيْ: بيَّنَّا آياته، جئنا بها بصور شتى ومختلفة، وبيَّنَّا أحكامه، ومعانيه، ومواعظه، وقصصه.

﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ على: تعني: العلو، والسمو. علم: أيْ: على علم تامٍّ من الله بما فصل، وأحكم، وبيَّن، علم اليقين.

﴿هُدًى﴾: مصدر للهداية؛ فهو الهدى، يهدي إلى الحق، وللوصول إلى الغاية، وهي رضوان الله وطاعته.

﴿وَرَحْمَةً﴾: مصدر لجلب كل ما ينفع الإنسان في دنياه، وآخرته؛ أيْ: مصدر لجلب النِّعم، ودفع الضرر، يدفع عنه ما يضره في دنياه، وآخرته.

﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: لقوم: اللام: لام الاختصاص؛ أيْ: هدى، ورحمة؛ لمن يؤمن به، ويعمل بأحكامه.

[٥٣] ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ

رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾:

﴿هَلْ﴾: للاستفهام؛ تفيد النفي؛ أيْ: ما ينظرون.

﴿يَنظُرُونَ﴾: أي: ينتظرون، وكيف ينظرون وفي الآية (٥١) كانوا يجحدون به فهذا الانتظار ليس انتظار لقدومه، وإنما انتظار لما سينتج عنه من عاقبة.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿تَأْوِيلَهُۥ﴾: التأويل: هو ما يؤول إليه الشيء؛ أي: العاقبة، أو النتيجة، أو صدق ما أُخبر به: من الوعد، والوعيد؛ أيْ: ما ينظرون عاقبة ما أنذروا به، أو بُشِّروا به؛ إلا أن أتتهم فجأة وبغتة.

﴿يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ﴾: أيْ: يوم القيامة، تتبيَّن لهم الحقيقة، وينكشف لهم الغطاء عن صدق ما أنذروا به.

﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ﴾: نسوه: الهاء: تعود إلى الكتاب (القرآن)، ونسوه؛ بمعنى: تركوه، وأهملوه، ولم يؤمنوا به، من قبل: أيْ: في الدنيا.

﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق، وتوكيد.

﴿جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا﴾: ولم يقل: قد جاء رسل ربنا.

﴿جَآءَتْ﴾: بالتأنيث؛ للدلالة على كثرة الرسل؛ الذين جاؤوهم، ومجيء رسول واحد كمجيء كل الرسل؛ لأنهم أصحاب رسالة واحدة.

﴿بِٱلْحَقِّ﴾: الباء: للإلصاق.

﴿بِٱلْحَقِّ﴾: بالوحي، والصدق، والحق: هو الأمر الثابت؛ الذي لا يتغير، أو يتبدل، ويعني: البعث، والحساب، والجزاء، والجنة، والنار.

﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ﴾: الفاء: للتوكيد، هل: استفهام؛ للتمني.

﴿شُفَعَآءَ﴾: جمع: شافع، و شفيع.

﴿فَيَشْفَعُواْ﴾: الفاء: للتوكيد، يشفعوا لنا عند الله تعالىٰ؛ للنجاة من عذاب النار. ارجع إلىٰ سورة النساء، آية (٨٥).

﴿أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ﴾: أيْ: نعود نرجع إلىٰ الدنيا، والرد يختلف عن الرجوع، فالرد فيه معنىٰ الإجبار علىٰ الرجوع، أو الإكراه، وفيه سهولة مقارنة بالرجوع الذي فيه الاختيار والصعوبة، والعودة إلىٰ نفس المكان، أو الحالة التي انطلق منها.

﴿فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾: فنعمل: الفاء: للتعقيب والمباشرة، غير الذي كنا نعمل: أيْ: سابقاً من المعاصي، والشرك، والفساد، فهم يتمنون الخلاص بأي وسيلة، بالشفاعة، أو العودة إلىٰ الدنيا.

وقد بيَّن الله سبحانه: ﴿وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الأنعام:٢٨].

﴿قَدْ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾: قد: للتحقيق، والتوكيد، خسروا أنفسهم: خسروها بأن أدخلوها النار، وأهلكوها في جهنم.

﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾: غاب وتاه عنهم، ولم يحضر شفعاؤهم، أو أولياؤهم؛ لنصرتهم، ومساعدتهم، كما كانوا يفترون في الدنيا: بأن الآلهة ستقرِّبهم عند الله زلفىٰ، أو تشفع لهم.

﴿مَّا﴾: أي: الذي، أو مصدرية.

﴿يَفْتَرُونَ﴾: الافتراء: هو الكذب؛ المتعمد، المختلق. وجاءت بصيغة المضارع؛ لتدل علىٰ التجدد، والتكرار في الافتراء، وكذبهم.

[٥٤] ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾:

﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل؛ يفيد التوكيد.

﴿رَبَّكُمُ ٱللَّهُ﴾: أي: إن إلهكم وربكم جمع الألوهية والربوبية معاً؛ الذي خلق السموات والأرض، أو حينما يقول: إن ربكم الله ما سيأتي بعد ذلك سيشهد على ألوهية الله ، وربوبيَّته ، ووحدانيَّته، وأنه هو الإله الحق؛ الذي يستحق أن يعبد؛ فهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام، هذه الستة أيام لا تعني مثل أيامنا الحالية، وإنما هي أيام لا يعلم طولها إلا الله تعالى، قد يكون طول كل دقيقة ملايين الأيام، أو تعني: ست مراحل، قد يكون طول كل مرحلة مئات الملايين من السنين؛ فالله سبحانه بدأ خلق السماء والأرض معاً في لحظة واحدة، ثم أتى الخلق في ستة أيام أو ستة مراحل، وهي:

١ - مرحلة الرتق.

٢ - مرحلة الفتق (الانفجار، والدخان).

٣ - مرحلة التمييز أو التسوية: فسواهنَّ سبع أرضين وسبع سموات في نفس الزمن.

٤ - مرحلة الدحو، وتكون الغلاف المائي، والغازي للأرض.

٥ - مرحلة خلق الجبال ، وتكوين الأنهار.

٦ - مرحلة تقدير الأقوات. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٢٢، ٢٩)، وسورة الأنبياء، آية (٣٠)؛ لمزيد من البيان.

﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾: يُغشي: يغطي، ويستر بأن يتداخل كل بالآخر، يذهب نور النهار، فيحل مكانه ظلام الليل، ثم يحل محل الظلام النور.

﴿حَثِيثًا﴾: مسرعاً، أو بسرعة، وهذا ما حدث عندما كانت سرعة دوران الأرض حول محورها ستة أضعاف سرعتها الحالية، وكان طول الليل والنهار معاً يقدر بـ(٤ ساعات) فقط، وكان عدد أيام السنة (٢٢٠٠ يوم)، وكان ذلك في بدء الخلق، ثم تباطأ دوران الأرض حول محورها؛ بسبب المد، والجزر، وظهور الرياح الشرقية المعارضة لدوران الأرض، وأصبح الليل والنهار (٢٤ ساعة)،

ودلت على ذلك الدراسات على الأشـــجار، وجذوعها؛ فوجدوا أنه كلما تقادم الزمن؛ ازدادت الأيام، وقصر الليل والنهار، وتبيَّن ذلك من دراسة حلقات النمو في جذوع الأشجار، والصخور... وغيرها.

﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ﴾: التسخير؛ يعني: التذليل؛ أي: خاضعات لأمر الله، ومذللات؛ للانتفاع بها.

فسخر الشمس؛ لمعرفة الزمن، ولتعطينا حزمة الطيف المرئي الذي يشكل لنا نور النهار، ولتزودنا بالطاقة، والدفء... وغيرها من الفوائد.

وأما القمر: فينير لنا الأرض؛ لكونه يعكس لنا أشـــعة الشمس، ويفيدنا في عملية المد والجزر المهمة في إبطـــاء دورة الأرض حول محورها، وفي تفتيت الصخور، وتلطيف المناخ، وحركة الرياح... وغيرها.

وأما النجوم: فللاقتداء بها، والاهتداء بها، وزينة، ورجوماً للشياطين.

﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾:

﴿أَلَا﴾: أداة تنبيه؛ ليلفت انتباه السامع ويُنصت.

﴿لَهُ﴾: تقديم الجار والمجرور؛ يفيد الحصر، والقصر.

﴿ٱلْخَلْقُ﴾: الكون، وجميع ما خلق خاضع لأمره، وحكمه ؛ أي: لا يأمر في ذلك اليوم إلا الله؛ فهو الحاكم والآمر.

﴿وَٱلْأَمْرُ﴾: وله الشـــأن كله، يعنـــي: التدبير، والتصرف حســـب إرادته، وحكمته .

﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: تعاظـــم، وتنـــزه عن كل نقص، وكثر إحســـانه، وعظمت قدرته. ارجع إلى سورة الملك آية (١) لمزيد من البيان.

[٥٥] ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾:

﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ﴾: سلوا ربكم حوائجكم.

﴿تَضَرُّعًا﴾: بتذلل؛ أيْ: إظهار ذل النفس، وخضوعها له، والضراعة: هي الذلة.

﴿وَخُفْيَةً﴾: بضم الخاء سراً، أو بالخفاء؛ لتجنب الرياء، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٢٠٥) في نفس السورة وهي قوله تعالىٰ: ﴿تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ خِيفة: بكسر الخاء من الخوف، نجد أن الآية (٥٥) تعني: ادعوا ربكم في الخفاء، والآية (٢٠٥) ادعوا ربكم بشيء من الخشية (الخوف والتعظيم والعلم)، وإذا نظرنا إلىٰ الآية (٥٦) في نفس السورة فهي تحث أيضاً علىٰ دعائه ﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾.

﴿إِنَّهُۥ﴾: للتوكيد.

﴿لَا﴾: النافية.

﴿يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾: أيْ: لا تعدوا في دعائكم؛ لأنه لا يحب المعتدين في الدعاء؛ أيْ: بالصياح، ورفع الصوت، أو الدعاء بأشياء مستحيلة؛ كأنه يدعوه أن يصبح نبياً، أو رسولاً، أو يخلد في الدنيا.

[٥٦] ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾:

﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: الفساد في الأرض: بالقتل، والظلم، والتخريب، وإهلاك الحرث والنسل، وتكذيب الرسل، والمعاصي، والشرك، والكفر بعد إصلاحها.

﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا﴾: خوفاً من صفات جبروته، وقهره، وغضبه وسخطه.

﴿وَطَمَعًا﴾: الطمع: هو الرغبة الشديدة في توقع الخير في غفرانه، ورحمته، وفضله، وطمعاً في الاستجابة لدعائكم، وخوفاً من أن يردَّ دعاءَكم.

﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: إن: حرف مشبه بالفعل؛ يفيد التوكيد.

﴿رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾: ولم يقل: قريبة بصيغة المؤنث، وإنما قريب بصيغة

المذكـــر، ويجوز في اللغة تذكيـــر أو تأنيث قريب إذا لم يكن القرب في ســـياق النســـب عندها لا بد من القول قريبة، ولو قـــال: رحمة الله قريبة؛ لدل على ذلك على أن رحمته فقط هي القريبة من المحسنين.

ولكن قال : ﴿قَرِيبٌ﴾: تعود على ذات الله ســـبحانه؛ أيْ: إنه هو قريب بذاتـــه، وبالتالـــي رحمته؛ التي هي جزء مـــن ذاته، قريبة كذلـــك، وبذلك يكون المعنى: أن الله سبحانه بذاته المشتملة على الرحمة قريب من المحسنين، جمع بيـــن قربَهُ وقُرب رحمته معاً، بدلاً من أن يقول: إن رحمة الله قريبة، والله قريب، جمع ذلك، وأوجز.

[٥٧] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾:

هذه الآية: تتمة للآية السابقة، ومن رحمته يرسل الرياح؛ لتحمل السحب، وتقوم على تلقيحها، والســـحاب الثقال: هي التي تبشـــر بالمطر؛ أي: السحب الركامية.

﴿وَهُوَ﴾: الـــواو: عاطفة، هـــو: ضمير منفصل؛ يفيد الحصـــر، والتوكيد، والقصر على الله سبحانه وحده الذي يرسل الرياح.

﴿يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ﴾: يرسل: بلفظ المستقبل؛ لأنه سبق ذلـــك قوله: ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾، والدعاء والطمع يكون في المســـتقبل؛ أي: ليناســـب ما قبله بشراً؛ أيْ: تبشر بالمطر. ارجع إلى سورة النحل آية (٨٩) لمزيد من البيان في معنى بشراً.

﴿رَحْمَتِهِۦٓ﴾: هنا: هو المطر؛ ولنعلم أن كلمة الرياح في القرآن أينما ذكرت؛ فإنها تحمـــل معنى الخير، والنِّعمة، بعكس كلمة الريـــح في القرآن؛ التي تحمل معنى الشر، والنقمة.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ﴾: حتى: حرف نهاية الغاية.

﴿أَقَلَّتْ﴾: أي: الرياح، لها معنيان: الأول: أقلَّت: من القلة ضد الكثرة، أقل وزناً، والثاني: حملت، فالرياح تحمل السحاب بأنواعه المختلفة، ورغم أن الرياح أقل وزناً من السحب؛ فهي قادرة على حمل السحب الركامية؛ حتى ولو كان وزن السحب آلاف وملايين الأطنان، وهذه آية من آيات قدرة الله تعالى يجعل الأقل وزناً يحمل أكثر وزناً؛ كمثل الإنسان الذي يحمل الأثقال وزنه (١٥٠-٢٠٠كغ) يرفع (٤٠٠-٥٠٠كغ).

﴿سَحَابًا﴾: اسم جنس، والسحب، أو السحاب: جمع سحابة.

ولذلك قال: ﴿سُقْنَٰهُ﴾، يعود على ﴿سَحَابًا ثِقَالًا﴾، ولم يقل: سقناها: تعود على الرياح.

﴿لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾: لبلد: واللام: لام التعليل، ميِّت: بتشديد الياء مُجدِب، ليس فيه نبات؛ أي: ما زالت على قيد الحياة، وستموت إذا لم يصلها الماء. ارجع إلى سورة الفرقان آية (٤٩) لمزيد من البيان، والفرق بين ميِّت وميْت.

﴿فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ﴾: الفاء: تدل على التعقيب، والترتيب، والمباشرة.

في هذه الآية: يتحدث سبحانه عن دورة الماء على الأرض، فأشعة الشمس تبخر الماء من البحار، والمحيطات، والأنهار... وغيرها، ويرسل الله رياحاً؛ لتحمل هذا البخار، وتتشكل السحب التي لا تمطر؛ حتى يرسل إليها ريحاً أخرى تحمل هباءات الغبار التي تلقح السحاب؛ أيْ: بخار الماء الذي تبخر من الأرض، ويبدأ بخار الماء بالتكثف؛ فتتكون قطرات الماء؛ فينزل المطر بالقدر الذي يشاء الله ، وفي المكان، والزمن الذي يشاء الله .

﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾: أخرجنا بالماء، أو المطر، من كل الثمرات: من: استغراقية، فحين يدخل الماء في البذرة، أو الحبة؛ تبدأ البذرة تنمو، وتتغذَّى بالجذر من عناصر، أو مركبات التربة، وكل بذرة قادرة على اختيار ما يلائمها من العناصر، ومركبات الأرض، والشفرة الوراثية الموجودة داخل البذرة تختار هذه العناصر؛ لتشكل الثمار المختلف ألوانها، وشكلها، وطعمها.

﴿كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾: أيْ: كما أحيينا هذا البلد الميت بالمطر، أو الماء؛ نحيي الموتىٰ بالبعث، بإرسال عليهم مطراً؛ فينبت به أعجاز الذنب، وبالتالي الناس يخرجون من قبورهم. ارجع إلىٰ سورة الروم، آية (١٩)؛ للبيان المفصل.

﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾: لعلَّ: أداة تعليل.

﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾: قدرة الله سبحانه هذه، ورحمته مرة أخرىٰ، ولا تنسوها؛ إنه قادر علىٰ بعثكم، وحسابكم، لنقارن هذه الآية (٥٧) من سورة الأعراف، والتي يقول فيها: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾: جاءت بصيغة المضارع، مع الآيات الأخرىٰ في سورة الروم، آية (٤٨)، وفي سورة الفرقان، آية (٤٨)، وسورة فاطر، آية (٩): فكلها جاءت بصيغة الماضي أرسل الرياح.

فالسياق هو الذي يحدد، فحينما يستعمل صيغة المضارع (يرسل): نجد الآيات السابقة لتلك الآية تتحدث بصيغة المضارع.

وحينما يستعمل صيغة الماضي (أرسل): نجد الآيات الأخرىٰ، أو السابقة تتحدث عن الماضي.

إذن السياق هو السبب في الاختلاف بين الآيات أحياناً.

❖❖❖

وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ
إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾
لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم
مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾
قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ
يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ
﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ
مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ
رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ
فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟
بِـَٔايَٰتِنَا ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ
هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ
﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى
سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ
لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾

ثلاثة أرباع الحزب ١٦

سورة الأعراف [الآيات ٥٨ - ٦٧]

[٥٨] ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾:

﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ﴾: الـواو: عاطفة، أي: البلد، طيـب التربة، البلد ذو التربة الخصبة.

﴿يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾: وذلك بعد إنزال المطر على تربته الخصبة، يخرج زرعاً بإذن ربه، وهذا مثل العبد الذي هو يمثل التربة الطيبة بعد إنزال الماء عليها؛ أيْ: بعد سماع آيات ربه، يزداد إيمانه، وتكثر أعماله الصالحة.

﴿وَٱلَّذِى خَبُثَ﴾: أيْ: والبلد الذي خبث؛ تربته خبيثة، غير صالحة للزراعة، فمهما نزل عليها الماء؛ فلا تستفيد من المطر، ولا يخـرج نباته إلّا نكداً، وهذا يمثل العبد الخبيث الذي لا يتعظ بسماع آيات الله، أو بأي موعظة إيمانية.

﴿لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾: أيْ: لا يخرج إلَّا بصعوبة، ومشقة، وعُسر، وإذا خرج؛ خرج قليلاً، لا ينتفع منه، ويقال: إنسان نكد؛ أيْ: طباعه عسيرة، يصعب الحديث معه، وهو شؤم.

ويقال: نكدت البئـر: أيْ: قلَّ ماؤها، والأرض الخبيثة، والجدباء، تشـبه الكافر؛ الذي لا ينتفـع بآيات ربه، ولا بالقرآن، ولا بالموعظة الحسـنة، فيكون

عملـه بالتالي غير صالـح، وخبيثاً يضر، ولا ينفع، وعملـه قليل على كل حال؛ كالبئر المنكدرة.

﴿كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَٰتِ﴾: كذلك نبيِّن الآيـات جمع آية؛ يصرفها؛ أي: يغيرها ويأتي بها بصور مختلفة وأسـاليب مختلفة، ويكررها بصور شـتى؛ لكي يتبيَّـن لكم المعنى الحقيقـي، والخفي، والوصول إلـى الحقيقة مثال تصريف الرياح.

﴿لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾: الـلام: لام لاختصاص؛ لعـلَّ المؤمنين يتذكرون نعم الله عليهم؛ فيشكرونه عليها. ارجع إلى الآية (١٠) من نفس السورة؛ لمزيد من البيان في معنى يشكرون.

[٥٩] ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾:

﴿لَقَدْ﴾ اللام: للتوكيد، قد: للتحقيق؛ أيْ: قد تحقق ما سـيخبر الله تعالى به، ونجد لقد جاءت في هذه الآية بدون الواو كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ كما في سـورة هود آية (٢٥)، وسـورة المؤمنون آية (٢٣)؛ لأن الآية (٥٩) في الأعراف لم يسـبق أي حديث، أو ذكر عن الأنبياء، أو الرسـل، وأما بقية الآيات سبقها ذكر أو دعوة للأنبياء أو الرسل.

﴿أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾: ذكر اسـم نوح في ثلاث وأربعين آية في القرآن الكريم، وذكـرت قصته في كثيـر من السـور؛ مثل: سـورة هود، ونـوح، والأعراف، والمؤمنون، والشـعراء، والقمر... وغيرها، فلا يظنّ القـارئ أنها تكرار، وإنما

تبرز كل سورة ناحية، أو جانباً من جوانب سيرته، ودعوته لقومه، وموقف قومه، وصناعته للفلك، والطوفان، ونجاة من آمن معه.

﴿أَرْسَلْنَا﴾: الإرسال يكون برسالة، والبعث يكون برسالة، أو بغير رسالة، والإرسال: ليس فيه إثارة، وتهيج، كما هو الحال في البعث: الذي فيه إثارة، وتهيج، والإرسال: أقل قوة، وشدة من البعث. ارجع إلىٰ سورة البقرة، آية (١١٩)؛ لبيان الفرق.

﴿فَقَالَ﴾: الفاء: تدل علىٰ الترتيب، والتعقيب، والفاء: تدل علىٰ الاستمرار في الدعوة، والإلحاح، والمتابعة.

﴿يَٰقَوْمِ﴾: يا: أداة نداء، يا قوم: نداء فيه تحبب.

﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾: إذ كان قومه يعبدون أصناماً كثيرة ذكرت في سورة نوح، مثل: ود، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسرا.

﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: يدل هذا القول علىٰ أن نوحاً ؛ كان عنده علم بالعذاب الذي سينزل علىٰ قومه، إذا لم يؤمنوا، ويظهر حرصه، وإشفاقه عليهم، وعلم ذلك؛ لأنه طلب منه أن يصنع الفلك بأعيننا.

﴿إِنِّيٓ﴾: إنَّ: يفيد التوكيد.

﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: يوم الطوفان، أو يومَ القيامة.

[٦٠] ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾:

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ﴾: الملأ: هم أشراف القوم، وسادتهم، ولم يقل: الملأ الذين كفروا من قومه؛ لأن قول: الملأ هذا كان في بداية الدعوة، ولم يكن هناك

أي مؤمن بنوح ، حتىٰ ذلك الزمن، وأما لو قال الملأ الذين كفروا من قومه : يعني أن هناك أشراف أو ملأ من قومه آمن وقال الذين كفروا.

﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾: إنا: للجمع، والتعظيم، لنراك: اللام: لام التوكيد، نراك: نجدك؛ أيْ: نعتقد، رؤية قلبية، وبصرية.

﴿فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾: الضلال: الانحراف عن الحق؛ أيْ: تائه، وبعيد عن الصواب؛ أيْ: أنت مجرد تائه، ضال، والضلال: اسم جنس يشمل الضلالات كلها، ويعني الضلال الكثير، أو القليل أما الضلالة تفيد (اسم مرة)؛ أي: شيء قليل من الضلال.

﴿فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾: واضح، ومكشوف لكل واحد، ولا يحتاج أن تبيِّنه؛ فهو بائن، وظاهر، ولا يحتاج إلىٰ برهان؛ لأنه كان يدعوا إلىٰ عبادة الله وحده.

﴿فِي﴾: تفيد الطرفين؛ كأن الضلال محيط بنوح من كل جانب، ومنغمس فيه من قبل.

[٦١] ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾:

﴿قَالَ﴾: نوح مدافعاً عن نفسه.

﴿لَيۡسَ بِي﴾: ليس: حرف نفي.

﴿بِي﴾: الباء: للإلصاق ولم يقل ليس في؛ في: ظرفية تفيد الإحاطة به من كل جانب أو الانغماس في الضلال؛ حتىٰ ضلالة واحدة، رداً علىٰ قولهم: ﴿لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾: منغمساً في الضلال والبعد عن الصواب والحق؛ لأن

نوحاً يعلم ما جاء به هو من عند الله سبحانه؛ فهو ينفي من كون الضلال لاصق به.

فقال : ﴿لَيْسَ بِي ضَلَٰلَةٌ﴾: ضلالة: اسم مرة، بينما في ضلال مبين: ضلال اسم مصدر؛ أي: ليس بي أيُّ أي ضلالة. استبدال المصدر باسم المرة (ضلالة) للمبالغة في نفي الضلال عنه؛ أي: ليس بي أقل ضلالة.

﴿وَلَٰكِنِّي﴾: لكن: حرف استدراك، وتوكيد.

﴿رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: رسول مرسل من رب العالمين؛ أي: الرب الذي خلقكم، ورزقكم، وتولىٰ تربيتكم.

[٦٢] ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾:

﴿أُبَلِّغُكُمْ﴾: من البلاغ، والبلاغ: هو إيصال ما أوحىٰ إليَّ ربي من الأوامر، والنواهي، والبشائر، والنذر.

﴿رِسَٰلَٰتِ رَبِّي﴾: رسالات :جمع رسالة فهي ليست رسالة واحدة كما قال تعالىٰ علىٰ لسان صالح في الآية (٧٩) في نفس السورة وهي قوله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي﴾ ورسالات تعني: في التوحيد، والعبادات، والأوامر، والنواهي، والعقيدة، وأمور الدِّين.

﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾: النصح: هو إخلاص القول، والعمل من كل شائبة؛ أيْ: أرشدكم، وأدلكم علىٰ مصلحتكم، أو ما فيه الخير لكم.

﴿لَكُمْ﴾: اللام: مبالغة في النصح، ولكم خاصَّةً.

﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾: جملة فعلية؛ تدل على التجدد، والاستمرار، وتكرار النصح، والإرشاد.

﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: بما أخبرني الله عن طريق الوحي، من تفاصيل في أمور الدِّين، والوحدانية، والأحكام، والشرائع، والنجاة، والهلاك.

[٦٣] ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾:

﴿أَوَعَجِبْتُمْ﴾: الهمزة: استفهام إنكاري، والواو: للتقرير.

﴿أَن﴾: حرف مصدري؛ يفيد التوكيد.

﴿جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾: ذكر بيان، أو موعظة، أو رسالة، أو تعاليم.

﴿عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ﴾: على لسان رجل منكم، تعرفونه، ويعرفكم، وليس غريباً عنكم.

﴿لِيُنذِرَكُمْ﴾: اللام: للتوكيد، أو للتعليل، والإنذار فيه إعلام، وتحذير من العذاب إن لم تؤمنوا.

﴿وَلِتَتَّقُوا﴾: اللام: للتعليل، تتقوا: أيْ: تطيعوا أوامر الله، وتتجنبوا ما نهى عنه؛ كي تتقوا النار، وتتقوا غضب ربكم وجبروته.

﴿وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾: لعلَّكم: لعلَّ: للتعليل، رجاء رحمة ربكم، وذلك بإطاعة أوامره، والأخذ بالأسباب الأخرى؛ للرحمة، وطلب العون منه، لعلَّكم ترحمون بعدها. ارجع إلى سورة الإسراء، آية (٨)؛ لمزيد من البيان.

[٦٤] ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴾:

﴿ فَكَذَّبُوهُ ﴾: الفاء: للترتيب، والتعقيب، كذبوه: بمجرد ما بدأ يدعوهم؛ لم يصدقوه، ولم يؤمنوا بما جاء به.

﴿فَأَنجَيْنَٰهُ ﴾: الفاء: للترتيب، والتعقيب، وأنجيناه: تدل على السرعة في النجاة، والشدة، وقدم فأنجيناه على أغرقنا للاهتمام بإنجاء المؤمنين وتعجيلاً لمسرة السامعين مع أن الإغراق بدأ أولاً.

﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ﴾: الفلك: السفينة. والذين معه: ولم يقل: ومن معه؛ لأن (الذين): تدل على الكثرة، أكثر من كلمة معه؛ لوحدها التي تدل على القلة. وقيل: كانوا حوالي (٧٠)، أو أقل من ذلك.

﴿وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴾: أيْ: قوم نوح الذين ذهبت بصيرتهم؛ لأن عَمَى البصيرة أشد وأبلغ من عَمَى البصر.

﴿عَمِينَ ﴾: جمع عمٍ صفة مشبهة من عَمَى يعْمَى، أصله عَمِيَ حذفت الياء؛ لأنه اسم منقوص، وعمين أصله عميين بياءين؛ حذفت إحداهما؛ لالتقاء الساكنين، وعمين: يدل على أنه عمًى ثابت.

[٦٥] ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾:

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ ﴾: أيْ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ ﴾، وكذلك أرسلنا ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ﴾.

كلمة أخاهم: تشعر بأنه من جنسهم، وليس أجنبياً عنهم، وتعطي الشعور بالأنس.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾: كان هود على علم بما حدث بقوم نوح ؛ فقوم عاد: هم بقية من قوم نوح الذين عادوا إلى مكة بعد الطوفان، وبعد أن تكاثروا؛ نزحوا إلى جنوب الجزيرة العربية، وسكنوا الأحقاف.

﴿أَفَلَا﴾: الهمزة: همزة استفهام إنكاري. ألا: أداة حضٍّ، وتعريض، يحضُّهم على التقوى، وكذلك: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾: من العذاب، وما حل بقوم نوح ، ولم يقل: فقال؛ لأن دعوته لهم كانت ليست بإلحاح، واستمرار، كما في دعوة نوح .

[٦٦] ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾:

﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ﴾: أشراف القوم الذين كفروا، وهناك الملأ الذين لم يكفروا.

﴿إِنَّا ﴾: للجمع والتعظيم.

﴿لَنَرَىٰكَ ﴾: اللام: لام التوكيد.

﴿فِى سَفَاهَةٍ ﴾: طيش، وسخافة، وقلة عقل، وجهالة؛ إذ تركت دِين آبائك إلى دِين آخر.

﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾: وتكرار (إنا): للتوكيد، واللام في لنظنك: لام التوكيد. الظن: هو رجحان كفة الإثبات على كفة النفي؛ أيْ: نتصور أو نعتقد: إنك من الكاذبين.

[٦٧] ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾:

قوله: ﴿ يَٰقَوْمِ ﴾: بعد أن اتهموه بالسفاهة، والكذب جاء رده عليهم بأدب، وخلق حسن، بنفي السفاهة عنه، وأنه رسول مرسل من رب العالمين.

لنقارن هذه الآية من سورة الأعراف: ﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾.

بآية أخرى، وهي الآية (١٨٦) من سورة الشعراء: ﴿وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾.

نجد أن التكذيب في آية سورة الأعراف أشد من التكذيب في آية سورة الشعراء، ولذلك أكَّد بزيادة اللام في كلمة ﴿لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾؛ لأن الكاذبين في آية الأعراف قوم غير القوم الكاذبين في سورة الشعراء.

فالكاذبون في آية الأعراف: هم الملأ الذين كفروا من قوم عاد.

أما الكاذبون، أو المكذبون في آية الشعراء: فهم الذين كفروا من قوم شعيب.

❖ ❖ ❖

أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ
أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ
وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ
فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ
﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ
يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ
﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ۖ
أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم
مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ
ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا
وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ
﴿٧٢﴾ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۘ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ
مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن
رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ
فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾

سورة الأعراف [الآيات ٦٨ - ٧٣]

[٦٨] ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾:

﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى﴾: ارجع إلىٰ الآية السابقة (٦٢).

﴿وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾: ناصح أمين: جملة اسمية؛ تدل علىٰ الثبوت، بينما قوله: ﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾: جملة فعلية؛ تدل علىٰ التجدد، والاستمرار، والتكرار؛ لأن هوداً كان أسلوب دعوته غير أسلوب دعوة نوح ، فدعوة هود كانت أقصر من دعوة نوح ، وثابتة مستمرة، بينما دعوة نوح كانت دعوة طويلة، ومتجددة، استمرت (٩٥٠ سنة).

﴿لَكُمْ﴾: اللام: لام الاختصاص. لكم: وحدكم خاصَّةً.

﴿نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾: ناصح فيما أدعوكم إليه إلىٰ الخير، والنفع، وأريد لكم الفوز والنجاة.

﴿أَمِينٌ﴾: علىٰ ما أقول لكم، ولا أكذب عليكم.

[٦٩] ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾:

ارجع إلىٰ الآية السابقة (٦٣): لم يقل: ولتتقوا ولعلَّكم ترحمون؛ إذ تجاوز عن ذلك، وانتقل إلىٰ التذكير، فقال: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ﴾: إذ: ظرفية زمانية للماضي؛ بمعنىٰ: حين، وتقديرها أيضاً: واذكروا نعمة ربكم؛ إذ جعلكم خلفاء.

﴿خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾: خلفاء: جمع خليفة، والخليفة: من خلف غيره، وقام مقامه، أو استخلف في الأمر مكان من كان قبله.

﴿وَزَادَكُمْ فِي ٱلْخَلْقِ بَصْطَةً﴾: أيْ: قوة، وعظمة، ولنقارن هذه الآية مع الآية (٢٤٧) من سورة البقرة: ﴿وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾: أيْ: طالوت.

انتبه إلىٰ: كيفية كتابة كلمة ﴿بَصْطَةً﴾ في آية سورة الأعراف، وإلىٰ كلمة ﴿بَسْطَةً﴾ في آية سورة البقرة، فكلمة ﴿بَصْطَةً﴾ في آية سورة الأعراف بالصاد وكلمة ﴿بَسْطَةً﴾ في آية سورة البقرة بالسين، والصاد: أقوىٰ من السين في اللغة، وتعليل ذلك: أن آية الأعراف: جاءت في سياق قوم عاد، وآية البقرة: جاءت في سياق طالوت وحده، والقوم أقوىٰ من الفرد الذي هو طالوت؛ فاستخدم الصاد للقوم، والسين للفرد (طالوت) وحده.

وكذلك في آية سورة الأعراف ﴿بَصْطَةً﴾: مطلقة في الغنىٰ، والسعة، والقوة، والعلم... وغيرها. ﴿بَصْطَةً﴾: تشمل كلَّ شيء، بينما في آية سورة البقرة؛ التي تخص طالوت قيدها؛ فهي ﴿بَسْطَةً﴾ فقط بالعلم، والجسم.

﴿فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: فاذكروا: الفاء: للتعقيب، والترتيب، والمباشرة. فاذكروا: فاشكروا.

﴿ءَالَآءَ﴾: مفردها: أَلو، وإلىٰ، وأَلىٰ: نِعَمٌ كثيرة؛ أيْ: اذكروا نعم الله الكثيرة عليكم.

﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: بشكر آلاء الله، واتخاذ الأسباب الأخرىٰ المؤدِّية إلىٰ الفلاح، والدعاء إلىٰ الله.

﴿لَعَلَّكُمْ﴾: لعلَّ: للتعليل، والترجي.

﴿تُفْلِحُونَ﴾: الفلاح: هو الفوز بالجنة، والنجاة من النار، ارجع إلىٰ الآية (٥) من سورة البقرة؛ لمزيد من البيان.

[٧٠] ﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾:

﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا﴾: الهمزة: استفهام إنكاري.

﴿لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ﴾: اللام: لام التعليل.

﴿لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾: أيْ: نترك، ونهجر ما يعبد آباؤنا، ونعبد الله وحده؛ أيْ: أتأمرنا بالتوحيد، فنحن نقلِّد آباءنا، ولا يمكن أن نترك ما كان يعبد آباؤنا، وإن كان ربُّك يُنذرنا بالعذاب، وتدل هذه الآية أن عبادتهم الأصنام أمر قديم ومتكرر ومتجدد منهم.

﴿فَأْتِنَا﴾: الفاء: تدل على المباشرة؛ فائتنا الآن.

﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾: بما: الباء: للإلصاق، وما: اسم موصول؛ بمعنى: الذي تعدنا.

﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾: إن: شرطية تدل على الاحتمال؛ احتمال أنك من الصادقين، أو لا نصدق أنك من الصادقين؛ أيْ: نشك في صدقك، أو صدق ما تقول.

[٧١] ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ۖ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾:

﴿قَالَ قَدْ﴾: هود لقومه. قد: حرف تحقيق، وتوكيد، وتفيد في تقريب الزمن الماضي من الحال.

﴿وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ﴾: قال: هذا بعد أن يئس من إيمان قومه، وبعد أن تحدوه، وقالوا: فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين؛ فجاءه الوحي من ربه: أن أبلغهم قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب.

انتبه! إلىٰ قوله: ﴿قَدْ وَقَعَ﴾: ولم يقل: سيقع في المستقبل، وقع: فعل ماضٍ، وهود لا يزال يُعْلمهُمْ، وينذرهم؛ لأن كلام الله سبحانه لا يحده زمان، ولا مكان، سواء ماضياً كان، أم حاضراً، أم مستقبلاً؛ أيْ: سيقع لا محالة، عاجلاً أم آجلاً؛ أي: اعتبروا أن وقوعه قد حدث فعلاً.

﴿عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾: تقديم عليكم: يفيد الحصر، من ربكم وحده، وليس من غيره.

﴿رِجْسٌ﴾: عذاب من الارتجاس، وهو الاضطراب، ويعني: العذاب، كما ذكر في الآيات الأخرىٰ: بالريح العقيم (الذاريات آية ٤١)، أو الريح الصرصر العاتية (الحاقة آية ٦)؛ ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (٥٩) للبيان المفصل في الرجز والرجس.

﴿وَغَضَبٌ﴾: هو انتقاض أو تغير الطبع الذي يظهر علىٰ الجوارح ويختلف عن السخط الذي هو شدة الكراهية وعدم الرضا. انظر كيف أخر الغضب وقدم الرجس للتهديد والوعيد ولعلهم يتوبون إلىٰ الله.

﴿أَتُجَٰدِلُونَنِي﴾: الهمزة: للاستفهام الإنكاري. تجادلونني: المجادلة: الجدال؛ يعني: الحوار، والمخاصمة، لإظهار الحُجَّة، ودفع الشبهة.

﴿أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾: أتجادلونني: الهمزة: للاستفهام الإنكاري، والنون: لزيادة التوكيد، في هذه الأصنام التي سميتموها أنتم وآباؤكم آلهةً، وهي في الحقيقة مجرد أسماء لا غير.

﴿مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾: قيل: الحُجة القوية الواضحة وكلمة سلطان: مشتقة من السليط، وعند العرب السليط؛ يعني: الزيت، أو دهن السمسم، وكانوا يستعملون الزيت في القديم؛ لإضاءة السُّرج؛ أي: السلطان نور، أو حُجَّة تنير طريق الحق.

والسلطان: يقسم إلى: سلطان قوة، وقهر، أو سلطان حُجَّة، وبرهان؛ أيْ: ماذا نزل عليكم من حُجَّة، أو برهان، أو قوة تثبت أنها تستحق العبادة، أو هي آلهة كما تزعمون.

وقوله: ﴿مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾: فيها توكيد أشد، وأبلغ من قوله: ﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾. [يوسف:٤٠].

﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾: ثمّ هددهم بقوله: ﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ﴾: نزول العذاب من الله، والفاء: للتوكيد، ﴿إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾.

[٧٢] ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ﴾:

﴿فَأَنجَيْنَٰهُ﴾: الفاء: للتعقيب، والمباشرة، أنجيناه: تعني: بسرعة، وقوة، وشدة، ولم يقل: نجيناه التي تدل على البطء، والزمن الطويل، أنجيناه من الريح المدمرة العقيم.

﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾: الذين: تعني: العدد أكبر، مقارنة بقوله: ومن معه، من معه: تعني: الواحد، أو الاثنين، أو أكثر.

﴿بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾: الباء: للإلصاق، ولم يقل: برحمة من عندنا، بل: ﴿بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾؛ تعني: رحمة عامة للناس، رحمة من عندنا: تعني رحمة خاصَّةً بالمؤمنين، أو رحمة من لدنا، وهي أفضل وأقرب الرحمات خاصَّةً بأولياء الله.

﴿وَقَطَعْنَا دَابِرَ﴾: وقطع: القطع؛ يعني: الاستئصال التام، دابر القوم: الدابر التابع من الخلف، دابر القوم، آخرهم بالمجيء، المراد بذلك: استُؤصلوا بالعذاب استئصالاً عن بكرة أبيهم، لم ينجُ منهم أحد.

﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾: الذين لم يصدِّقوا بها، وجحدوا بها.

﴿وَمَا﴾: النافية.

﴿كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾: توكيد لتكذيبهم، وعدم إيمانهم، ولم يبيِّن كيف حدث الاستئصال في هذه الآية، وإنما بيَّنه في آية أخرىٰ، فقال: ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٢٤ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ [الأحقاف:٢٤-٢٥].

[٧٣] ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾:

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾: أيْ: ولقد أرسلنا إلىٰ ثمود أخاهم صالحاً.

﴿ثَمُودَ﴾: قبيلة عربية، كانت تسكن الحجر، بين الحجاز والشام، وهم من بقايا قوم عاد، ويسمون عاداً الثانية.

وقوله: ﴿أَخَاهُمْ﴾: تدل علىٰ أن صالحاً كان منهم، وكان معروفاً، ومألوفاً عند قوم ثمود، وأطلق عليهم قوم ثمود باسم جدهم، ثمود بن عامر بن إرم بن سام بن نوح.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ﴾: يا: النداء، وتدل علىٰ التحبب لقومه.

﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾: أطيعوا الله، ولا تعصوه، وامتثلوا أوامره. ارجع إلىٰ سورة الأنبياء، آية (١٠٦)؛ لبيان معنىٰ العبادة.

﴿مَا لَكُمْ﴾: ما: النافية. لكم: خاصَّةً، اللام: للاختصاص.

﴿مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾: أيْ: لا إله إلا الله.

﴿هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً﴾: هذه: الهاء: للتنبيه، ذا: اسم إشارة للقريب؛ يشير إلىٰ ناقة الله. لكم: اللام: لام الاختصاص، لكم خاصَّةً.

﴿آيَةً﴾: معجزة تدل علىٰ قدرة الله سبحانه، وتوحيده.

فقد سألوا صالحاً: أن يخرج لهم من إحدىٰ الصخور ناقة عشراء، وَبْراء؛

أيْ: كثيـرة الوبر، يتحرك جنينها بين جنبيها، ثـم تلد فصيلاً، وجاءتهم الناقة كما سألوا.

﴿نَاقَةُ ٱللَّهِ﴾: سماها ناقة الله؛ تشريفها لها.

﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ﴾:

﴿فَذَرُوهَا﴾: الفاء: للتعقيب، والمباشرة. ذروها: أي: اتركوها تسرح أينما تشاء.

﴿تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ ٱللَّهِ﴾: فقد سمَّىٰ صالح الناقة؛ بناقة الله، وسمَّىٰ الأرض أرض الله، وهذه هي الحقيقة، فكل مخلوق، أو أرض، أو سـماء من خلق الله، وملكه.

﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ﴾: لا: الناهية. تمسـوها: المـس: هو مجرد اللمس، أو أقل للمس.

﴿بِسُوٓءٍ﴾: الباء: للإلصاق، السـوء: أعم من القتل، أو العقر أي سوء مهما كان، مثل: الضرب، أو الطرد، أو منعها من الشـرب، ولم يقل: ولا تعقروها، أو تقتلوها، بل لا تمسوها بسوء؛ أيْ: أدنىٰ المس، أو الأذىٰ.

﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: الفـاء: للتوكيد، يأخذكـم: يصيبكم عذاب أليم، وكان هـذا الإنذار في بداية الدعوة والتبليغ، أما حين عقروا الناقة، وعتوا عن أمر ربهم فأنذرهم إنذاراً آخر في نهاية الدعوة فقال: ﴿تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾ [هـود:٦٥]، فقال: ﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ [هود:٦٤]. وفي الشـعراء آيـة (١٥٦) قال تعالىٰ: ﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ فهذا وصـف لليوم (يوم عظيم) وقد ترجع إلىٰ العذاب أيضاً، فيكون قد وصف العذاب بالأليم القريب العظيم.

❖ ❖ ❖

وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ
فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ
ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ
مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن
قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ
أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ
مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ
ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ
أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ
ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ
جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ
رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ
﴿٧٩﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم
بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ
شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾

سورة الأعراف [الآيات ٧٤ - ٨١]

[٧٤] ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾:

﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٦٩).

﴿وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: بوَّأه منزلاً: أنزله، وهيأ له، مباءة؛ أيْ: بيوت، أو قصور، بوأكم: مشتقة من باء؛ أيْ: رجع؛ لأن الإنسان يخرج من بيته، ثم يعود إليه.

﴿وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: هيَّأ لكم، وأنزلكم منازل في الأرض، أرض الحجر بين الحجاز والشام، في الأردن (وادي القرىٰ).

﴿تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا﴾: تبنون في بعض سهولها قصوراً.

﴿وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا﴾: وكأن الجبال كلها تنحتونها بيوتاً من كثرة البيوت التي نحتوها في الجبال؛ فكأن الجبال تحولت إلىٰ بيوت (في المرحلة الثانية).

بينما في آية (٨٢) من سورة الحجر: ﴿وَكَانُواْ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ﴾: أيْ: ينحتون من بعض الجبال بيوتاً (من: هنا بعضية).

في المرحلة الأولىٰ: بدؤوا بنحت بعض الجبال بيوتاً، ثم ازداد النحت، وصار الكل يريد أن ينحت له بيتاً في الجبال (المرحلة الثانية).

﴿فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ﴾: الآلاء: النِّعم المتتالية، النِّعمة تلو الأخرىٰ، أو النِّعم العظيمة، مفردها: أَلَىٰ، أو إِلَىٰ.

﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾: العثو: هو أشد الفساد؛ أيْ: لا تتمادوا في الفساد بالقتل، والشرك، والظلم، في إهلاك الحرث والنسل. ارجع إلىٰ سورة البقرة، آية (٢٥١)؛ لمزيد من البيان.

[٧٥] ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ ۚ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾:

﴿قَالَ الْمَلَأُ﴾: هم السادة، والرؤساء الذين يمثلون القبائل، أو الشعب، أو الأحزاب، وسموا بالملأ؛ لأنهم يملؤون العيون؛ أيْ: تراهم عيون الناس دائماً، سواء في الاجتماعات، أو في أجهزة الإذاعة، أو دوائر الحكومة.

﴿الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾: السين، والتاء: تدلان علىٰ الطلب؛ أيْ: هم ليسوا أهلاً؛ لكي يتكبروا؛ لأنهم لا يملكون أسباب الكبر، أو مؤهلات الكبر. ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (٨٧) لمزيد من البيان.

﴿لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ﴾: هذا يدل علىٰ أن المستضعفين قسمان: قسم آمن، وقسم استمر في الكفر.

فهناك الذين استكبروا، وهناك الذين استضعفوا، منهم من آمن، ومنهم من بقي علىٰ حاله من الكفر، واللام: لام الاختصاص.

﴿أَتَعْلَمُونَ﴾: الهمزة: همزة استفهام، وإنكار.

﴿أَنَّ﴾: للتوكيد.

﴿صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ﴾: قالوا ذلك؛ للاستهزاء، والسخرية منه.

﴿قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾:

﴿قَالُوا﴾: أي: المستضعفون الذين آمنوا بصالح.

﴿إِنَّا﴾: للجمع، والتفخيم.

﴿بِمَآ﴾: الباء: للإلصاق، والتوكيد، ما: اسم موصول؛ يعني: الذي أرسل به من ربه (أيْ: برسالته).

﴿بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾: جملة اسمية؛ تدل على صفة الثبوت؛ أيْ: صفة الإيمان، أصبحت عندهم ثابتة.

أيْ: آمنا به كرسول، وآمنا بما أرسل به.

[٧٦] ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾:

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا﴾: إنا: للجمع، والتفخيم.

﴿بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾: أيْ: إنا برسولكم صالح، وما جاء به؛ كافرون؛ أيْ: جاحدون، لا نؤمن به كرسول، أو بما جاء به، وكافرون: تدل على الثبوت، والاستمرار؛ أيْ: لن نتراجع عن الكفر به، وعدم تصديقه.

[٧٧] ﴿فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾:

﴿فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ﴾: الفاء: للترتيب، والتعقيب، والعقر: هو الذبح، والعقر: هو الجرح، أو قطع عضو من أعضاء الناقة.

والذي يعقر عادة هو فرد واحد، وقال: ﴿فَعَقَرُواْ﴾: لأنهم اشتركوا في المؤامرة، والجرم على عقرها؛ فهم شركاء في الإثم رغم أن الذي عقرها واحد، قيل: هو قدار بن سالف.

وجاءت تفاصيل ذلك في سورة النمل: ﴿وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ [النمل:٤٨-٥٠].

وجاء ذلك في سورة القمر: ﴿فَنَادَوْاْ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ﴾؛ كونهم تنادوا؛ فهم اشتركوا في الجريمة، [القمر:٢٩].

﴿وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾: هنا بدأت مرحلة التحدي، بعد مرحلة الكفر ﴿ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾، وما وعدهم صالح؛ إذ عقروا الناقة: ﴿عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ [هود:٦٤]، ﴿فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ [هود:٦٥].

[٧٨] ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾:

﴿فَأَخَذَتْهُمُ﴾: الفاء: للتعقيب، والمباشرة، أخذتهم الرجفة، وفي سورة هود آية (٦٦) قال سبحانه: ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ﴾، فهناك صيحة، تبعتها رجفة أرضية؛ فالصيحة أشد من الرجفة وأكثر دماراً، والرجفة أشد وأعظم من الزلزلة إذن أصابتهم صيحة، ثم رجفة (زلزلة شديدة) فأصبحوا في ديارهم جاثمين؛ فالصيحة: حينما تصل شدة الصوت إلىٰ أكثر من (٧٠ديسبل) تبدأ الأذن بالانزعاج، وإذا استمرت لفترة طويلة، أو زادت عن (١٠٠ ديسبل)، واستمرت لفترة قد يصاب الإنسان بالصمم، والانفجارات الشديدة التي أعلىٰ من (١٤٠ ديسبل) قد تؤدِّي إلىٰ اضطرابات في القلب وتوقفه، وأتبع الصيحة الرجفة التي حدثت من تردد الموجات الصوتية بين صخور الجبال؛ فكان صدىٰ الصوت، وموجاته الشديدة؛ أدَّت إلىٰ أنهم أصبحوا جاثمين في ديارهم؛ بسبب إصابة الجهاز السمعي والعصبي.

﴿فَأَصْبَحُوا﴾: الفاء: للمباشرة، والتعقيب.

﴿فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾: جمع جاثم: هو من لزم مكانه؛ أيْ: تجمد علىٰ ما هو عليه، أو لصق بالأرض، وقيل: إن كان واقفاً ظل واقفاً، وإن كان قاعداً مات وهو قاعد، وإن كان نائماً مات وهو نائم؛ أيْ: علىٰ هيئته التي كان عليها قبل الصيحة، أو الرجفة.

وهناك فرق بين الجاثي، والجاثم:

فالجاثي: البارك على ركبتيه، من دون القدرة على القيام.

وأما الجاثم: فالميت الذي لا يتحرك، وهو على حالته، كما كان قبل الموت.

﴿فِي دَارِهِمْ﴾: دارهم؛ أي: بلادهم، أو بلدهم، وإذا قارنا هذه مع الآية (٦٧) في سورة هود وهي قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ ديارهم في هذه الآية تعني: منازلهم، وأما دارهم تعني: بلدهم.

﴿جَاثِمِينَ﴾: ميتين، هامدين، لا يتحركون.

[٧٩] ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾:

﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾: الفاء: للتعقيب، والمباشرة.

ترك أرضهم، موليا لهم ظهره، وقال لهم: وهو يخاطبهم، وهم أموات جاثمين؛ من أسفه عليهم، وتحسره عليهم؛ لعدم إيمانهم، وموتهم وهم كفار.

﴿وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي﴾: ولم يقل: رسالات ربي، كما قال نوح، وهود عليهما السلام؛ لأن ما جاء به نوح وهود عليهما السلام أكثر من رسالة، أو تبليغ، أو أمر، بينما نبي الله صالح كانت رسالته واحدة، عبادة الله وحده، وهي رسالة التوحيد.

﴿وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾: أرشدتكم إلى ما فيه الخير والنجاة.

﴿وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾: ولكن: استدراك، لا: نافية؛ بمعنى: لا تحبون الناصحين، مضارع تدل على حكاية الحال.

[٨٠] ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾:

نبي الله لوط : هو ابن أخي إبراهيم ، وكان قد هاجر مع إبراهيم من بابل

إلىٰ الشـــام، وبُعث إلىٰ أهل ســـدوم، وعمورة، وما حولها مـــن القرىٰ في منطقة البحر الميت، وسُمِّيت باسم آخر: هو المؤتفكات.

﴿وَلُوطًا إِذْ﴾: لوطاً في اللغة تعني: المصلح. إذ: ظرف زماني، زمن إرساله، أو اذكر لوطـــاً، أو اذكر حين قال لوط لقومه: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾: الهمزة: همزة الاســـتفهام اســـتفهام توبيخ وإنكار؛ أي: أتفعلون الفاحشة، وهي ما كان يقوم به قوم لوط، وتســـمية الفاحشة باللواطة، أو نســـبة الفاحشة إلىٰ لوط هو خطأ؛ أي: أن نســـميها لواطاً، وعلينا أن نسميها كما سماها الله تعالىٰ عمل قوم لوط، وأيضاً هو خطـــأ من حيث اللغة؛ لأن اللواط في اللغـــة: الإصلاح من لاط يلوط لوطاً؛ أي: أصلح الشيء، واسم لوط يعني المصلح، واللوطي يعني في اللغة المصلح، وخطأ من حيث الشـــرع؛ لأن نســـبته إلىٰ النبي لوط، وهو بريء من هذه الفعلة، فكيف تنســـب إليه، ويرفض الكثير أن يوصف بأنه لوطـــي، ولذلك الأفضل أن نسميها عمل قوم لوط. والهمزة: للاستفهام الإنكاري، والتوبيخ.

﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا﴾: مـــا: النافية، ما فعلها، أو تجـــرأ، أو أقدم عليها أحدٌ من قبلكم.

﴿مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: من: استغراقية؛ تفيد التوكيد؛ أيْ: توكيد النفي.

﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: الجن، والإنس.

[٨١] ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾:

﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ﴾: اللام: للتوكيد.

﴿لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً﴾: تفعلون الفاحشة، بالرجال شهوة.

﴿بَلْ﴾: حرف إضراب انتقالي.

﴿أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾: أنتم قوم: تجاوزتم حدود ما أحل اللهُ لكم.

لنقارن هذه الآية (٨٠-٨١) من سورة الأعراف: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾.

مع الآية (٥٤-٥٥) من سورة النمل: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾.

الاختلاف الأول: ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: في الأعراف.

﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾: في النمل.

الاختلاف الثاني: ﴿إِنَّكُمْ﴾: في الأعراف.

﴿أَئِنَّكُمْ﴾: في النمل بزيادة همزة الاستفهام؛ للدلالة على شدة الإنكار، والتوبيخ.

الاختلاف الثالث: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾: في الأعراف.

﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾: في النمل، وصفهم بالجهل فيه: توبيخ، وتقريع أسوأ من وصفهم بالإسراف.

والاختلافات ترجع إلى كونها مواقف متعددة للوط مع قومه، خلال زمن تبليغ الرسالة لهم، فالمواقف في سورة النمل فيها تقريع، وتوبيخ أشد من المواقف في سورة الأعراف.

❖❖❖

وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن
قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ
إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم
مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾
وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ
مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن
رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟
ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ
إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ
﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ
عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ
وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُوا۟
كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ
مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟
فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾

سورة الأعراف [الآيات ٨٢ - ٨٧]

[٨٢] ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ :

﴿وَمَا﴾: الواو استئنافية، ما: النافية.

﴿كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ﴾: إلا: أداة حصر.

﴿أَخْرِجُوهُم﴾: أيْ: لوط، والذين آمنوا معه، ولم يقل ارجموهم؛ لأن لوط جاء مهاجراً إليهم، وهو ليس من قوم لوط، فالأفضل طرده وإخراجه.

﴿مِّن قَرْيَتِكُمْ﴾: وهي القرىٰ الخمس، تسمَّىٰ المؤتفكات، سدوم، وما حولها من القرىٰ، والقرية الأم، أو العاصمة تمثل القرىٰ الأخرىٰ.

﴿أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾: يقولون ذلك سخرية بهم وتهكم.

﴿يَتَطَهَّرُونَ﴾: من الفاحشة: وهي إتيان الرجال وغيرها من أعمال المنكر في نواديهم. ولكونهم تمردوا علىٰ الفسوق كانوا يسخرون من لوط من كمال خلقه. يتطهرون: بصيغة المضارع تدل علىٰ التجدد، ولم يقولوا إنهم أناس طاهرون تدل علىٰ الثبات والدوام.

في هذه الآية قال: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾: بينما في سورة النمل، الآية (٥٦): ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾، الفرق في حرف الفاء؛ التي تدل علىٰ السرعة، والترتيب، والتعقيب، فقوم لوط انقسموا طائفتين: طائفة كان جوابها مباشرة، وبسرعة: أخرجوهم من قريتكم الآن، وبسرعة، وهذا ما أشارت إليه الآية (٥٦) من سورة النمل، وطائفة أخرىٰ لم تتسرع بالطلب بإخراجهم، وهذا ما أشارت إليه الآية (٨٢) في سورة الأعراف، وما كان جواب قومه، أو كانت آية

الأعراف في بداية الدعـوة، وآية النمل كانت في نهاية الدعوة؛ ففي بداية الدعوة وصفهم بالمسـرفين، وفي نهاية الدعوة وصفهـم بالجاهلين؛ أي: حين وبخهم بشـدة وأثار غضبهم الشـديد، كما في آية النمل جاء الرد السريع بالفاء (فما كان جواب قومه) التي تدل على سرعة الإخراج والطرد من القرية، ويؤيد ذلك نزول سورة الأعراف قبل نزول سورة النمل، والله أعلم.

[٨٣] ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾:

﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ ﴾: الفاء: للتعقيب، والسرعة؛ تدل على السرعة، وشدة النجاة.

﴿وَأَهْلَهُۥٓ﴾: ابنتيه .

﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ ﴾: إلا: حرف استثناء. امرأته: لم تنجُ.

﴿كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾: الباقين في العذاب، والغابر الباقي.

وما دامت قد بقيت في قريتها، في المكان الذي سـينزل فيه العذاب؛ فهي من الباقين الهالكين.

[٨٤] ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾:

انتبه! من خصائص القرآن: أن يسـتعمل كلمة المطر في سـياق الانتقام، والعذاب، والغيث في سياق الرحمة.

﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ﴾: لـم تبيِّن هذه الآية نوع المطر، وبيَّنته آية أخرى في سورة هود، الآية (٨٢): ﴿حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴾.

﴿عَلَيْهِم﴾: قيل: كان عددهم (٤٠٠٠) أربعة آلاف، وفي سـورة هود، آية (٨٢) قال تعالى: ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا﴾: فالمطر شمل القرية (عليها)، وشمل قوم لوط (عليهم).

وهناك فرق بين مطر وأمطر: مطر: فعل ثلاثي، وأمطر: فعل رباعي، وأمطر؛

يعني: أرسل عليهم الحجارة من سجيل؛ بإرسال المطر؛ أيْ: مطراً عجيباً ليس كأي مطر.

﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ﴾: عجيباً: وهو الحجارة بدلاً من الماء ﴿حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴾. ارجع إلىٰ سورة هود، آية (٨٢)؛ لمزيد من البيان.

﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾: المفسدين. انظر نظرة تفكر، وتعجُّب كيف كانت نهاية هؤلاء العصاة المفسدين. المجرمين: مشتقة من الجرم: وهو الذنب القبيح، وأصله القطع. ارجع إلىٰ سورة الجاثية، آية (٣١)؛ لمزيد من البيان في معنىٰ المجرمين.

[٨٥] ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾:

وأرسلنا ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ ﴾: مدين: هو ابن من أبناء إبراهيم ، ومدين: اسم لقبيلته التي سُمِّيت علىٰ اسمه، ومدين: اسم للمدينة التي بناها وعاش فيها. وقيل: إن مدين هذا تزوج من رئيا ابنة سيدنا لوط ، وشكلوا قبيلة مدين، وتقع مدين في الجهة الشمالية الغربية من المملكة العربية السعودية في تبوك، وتقع علىٰ الساحل الغربي للبحر الأحمر، وخليج العقبة يكون شمالها.

﴿أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾: أخاهم؛ لأنه من قومهم، وعاش بينهم، فأصبح كالأخ لهم. اختاره الله نبياً لهم. قيل: إن اسمه بالسريانية: يثرون، وهو أحد الأنبياء العرب الأربعة: وهم هود، وصالح، وشعيب، ومحمد ﷺ.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾:

﴿قَالَ يَا قَوْمِ ﴾: نداء لطيف، استعمل فيه ياء النداء؛ التي تدل علىٰ البعد.

﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾: أطيعوا الله وحده، ولا تشركوا به شيئاً، وامتثلوا أوامره، وتجنبوا نواهيه.

﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق، وتوكيد.

﴿جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾: معجزة، شاهدة، على صدق نبوَّتي.

والسؤال: ما هي هذه البيِّنة أو المعجزة؟ حتماً كانت هناك معجزة بيِّنة، ولم يذكرها الله سبحانه في القرآن، وقد تكون حالة السعة، والغنى التي كانوا فيها.

﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾:

﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ﴾: الفاء: للتوكيد، أوفوا الكيل: أريد به آلة الكيل؛ أي: المكيال، أو سُمِّي ما يكال به بالكيل، ﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ﴾.

وكان الإخلال في الكيل، والميزان هو الأمر الشائع فيهم، وكانوا يبخسون الكيل، والميزان حينما يبيعون، ويشترون.

﴿وَلَا﴾: الواو: عاطفة، لا: الناهية.

﴿تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾: البخس: النقص، ويقال: بخسته حقه: إذا أنقصته حقّه؛ بالمخادعة، والاحتيال في البيع، والشراء، أو إخفاء العيب، والغش؛ أيْ: لا تنقصوهم حقهم بالتلاعب بالكيل والميزان.

﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾: والواو عاطفة، لا الناهية.

﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾: بالسرقة، والغصب، والرشوة، والاختلاس، وإهلاك الحرث والنسل، ومقومات الحياة، وارتكاب الفواحش. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٢٠٥)؛ لمزيد من البيان في معنى الفساد.

﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: إشارة إلىٰ ما ذكر من عبادة الله وحده، والوفاء بالكيل، والميزان، وترك البخس، والإفساد في الأرض، والعمل بما أمر الله، وتجنب ما نهىٰ عليه.

قال: ﴿ذَٰلِكُمْ﴾: ولم يقل: ذلك؛ لتعدد الأوامر، والنواهي، وللتأكيد والأهمية يستعمل: ﴿ذَٰلِكُمْ﴾.

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: إن كنتم مصدقين قولي، ومؤمنين بما أرسلت به.

﴿إِن﴾: شرطية؛ تفيد الاحتمال، والشك.

﴿مُّؤْمِنِينَ﴾: جملة اسمية؛ تفيد الإثبات.

[٨٦] ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾:

﴿وَلَا﴾: الواو: عاطفة، لا: الناهية.

﴿تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ﴾: الصراط: الطريق، تتوعدون الناس بالقتل إن لم يعطوكم أموالهم، أو تصدون الناس؛ أيْ: تصرفون الناس عن الإيمان، والدخول في دين الله، واتباع ما جئت به، وكيف يقول: ﴿بِكُلِّ صِرَاطٍ﴾، ونحن نعلم أن الصراط واحد، هو الصراط المستقيم؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام:١٥٣].

الجواب: نعم، الصراط واحد، ولكن يتشعب إلىٰ حدود، وأحكام، وعقائد؛ أيْ: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ﴾: أيْ: بكل باب، من أبواب الطاعة، أو الخير.

﴿تُوعِدُونَ﴾: توعدون من آمن (بشعيب)، بالشر، وتخوفون الناس بالعذاب، والقتل إن آمنوا.

﴿وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: الناس عن دِين الله، والهداية.

﴿مَنْ ءَامَنَ﴾: به؛ أيْ: بالله، وبدينه.

﴿وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾: الواو عاطفة (عطف تبنوها على تصدون)؛ أيْ: تريدون دِيناً، معوجاً، مائلاً عن الحق في القيم، والمعايير، أو تريدون الميل عن الاستقامة، وذلك بإثارة الفتن، والأكاذيب، والشبهات، وإباحة التلاعب بالميزان والمكيال.

إذن نهاهم شعيب عن قطع الطريق الحسي، والمعنوي بسلب أموال الناس، وسلب أمتعتهم، وطعامهم، وشرابهم.

ونهاهم عن الصدّ عن دِين الله، ومنع الناس من حقوقهم في الكيل والميزان، وتجنب الفساد في الأرض. وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٩٩) في سورة آل عمران وهي قوله تعالى: ﴿مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ بدون الواو وبدون به؛ لأن تبغون حال، والحال لا يدخله الواو (قاعدة نحوية).

﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾:

﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ﴾: أيْ: حين كنتم ﴿قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ﴾: حين كنتم قليلاً في العدد، فكثركم بالزيادة؛ فأصبحتم أكثر عدداً.

وتذكيرهم بالنِّعم يوجب الشكر، والإصلاح، وترك الفساد، والإيمان.

﴿وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾: وانظروا نظرة تدبُّر، واتعاظ، نظرة قلبية بتفكُّر، وتمعُّن.

﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ﴾: حين يذكر العاقبة؛ فيقول: كيف كان بدلاً من كيف كانت؛ فهذا يعني: العذاب، وهذا من خصائص القرآن الكريم، كما هي الحال في هذه الآية، وحين يؤنث العاقبة، ويقول: كيف كانت عاقبة؛ يعني: الجنة.

﴿ٱلْمُفْسِدِينَ﴾: أيْ: ماذا حلّ بالذين جاؤوا من قبلكم، من المفسدين في الأرض؛ الذين كذبوا رسلهم؛ كيف أهلكهم الله سبحانه؛ بسبب ذنوبهم؛ أمثال: قوم لوط، ونوح، وعاد، وثمود. ارجع إلىٰ سورة البقرة، آية (٢٠٥)؛ لمزيد من البيان.

[٨٧] ﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾:

﴿وَإِن﴾: الواو: استئنافية. إن: شرطية؛ تفيد الاحتمال والشك.

﴿طَآئِفَةٌ﴾: جماعة منكم، وسُمِّيت طائفة: جماعة تطوف؛ أيْ: تؤمن بعقيدة، أو فكرة ما، أو مبادئ، وقيم واحدة.

﴿مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ﴾: من التكاليف، والتوحيد، والطاعة.

﴿وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟﴾: استمروا في تكذيبهم، وعنادهم.

﴿فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ﴾: حتىٰ: حرف نهاية الغاية، فكلا الطائفتين عليهم التحلّي بالصبر.

﴿يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا﴾: بأن يظهر الحق؛ فينجّي الذين آمنوا، ويعذب الكافرين بكفرهم.

﴿وَهُوَ﴾: ضمير منفصل؛ يفيد التوكيد.

﴿خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾: أفضل القضاة، وأفضل الحكماء، خير الحاكمين من الحكم؛ أي: القضاء أو الحكام، أو مشتقة من الحكمة؛ أيْ: أحكم الحكماء. وقيل: الحكام تعني: الاسم والمراد بالحاكمين تعني الوصف وفي هذه الآية: حضٌّ للمؤمنين بالصبر علىٰ أذىٰ الكفار، وأن نصرة الله آتية لا محالة.

❖❖❖

۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ
وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ
كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم
بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ
ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ
بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ
﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾
ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا
كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ
أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ
عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ
أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ
بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ
ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾

سورة الأعراف [الآيات ٨٨ - ٩٥]

[٨٨] ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ﴾:

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ﴾: الملأ: وجهاء القوم، وسادة القوم.

وكلمة الملأ مشتقة من ملأ؛ أي: البارزون، والظاهرون في كل مجلس، والمتحدثون باسم القوم الذين استكبروا. ارجع إلى الآية (٧٥) من نفس السورة؛ لمزيد من البيان، وسورة البقرة آية (٨٧).

﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ﴾: لنخرجنَّك: اللام: لام التوكيد، والنون: لزيادة التوكيد على إخراجه.

﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا﴾: الملة في هذه الآية تعني: الطريقة التي استمروا عليها، وسلكوها، وتعني: الشعور بالانتماء إلى جماعة مذهبها، أو عقيدتها واحدة، أو متقاربة.

﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ﴾: اللام: والنون: للتوكيد. ولتعودنَّ: أيْ: أنت والذين آمنوا معك، والسؤال: وهل كان شعيب، والذين آمنوا معه على ملتهم سابقاً؛ ليقول: لتعودنَّ إلى ملتنا، وانظر إلى الجواب في ملحق الآية.

﴿قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ﴾: قال شعيب: أولو: الهمزة: للاستفهام، والاستبعاد، والتعجب؛ أيْ: أتخرجوننا، أو تعيدوننا، ونحن كارهون لملتكم.

من هذه الآية: نفهم أن شعيباً كان أمام أحد الخيارين: إما الإخراج مع

الذين آمنوا معه، أو العودة إلىٰ ملة الكفر، والشرك، والسؤال هنا: هل كان شعيب علىٰ ملة الكفر قبل بعثه؛ لكي يقولوا له: ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ﴾؟ في ملتنا، وليس إلىٰ ملتنا؟

الجواب: لا شعيب ، ولا أيُّ نبيٍّ مرسل كان قبل بعثته في ملّة الكفر، أو الشرك.

﴿لَتَعُودُنَّ﴾: الخطاب كان موجَّهاً إلىٰ أتباع شعيب؛ خاصَّةً الذين آمنوا معه، وبما أن شعيباً واحد منهم؛ فهم قد غلبوا لفظهم؛ لكثرتهم، أو هو ضم نفسه إلىٰ جملتهم، وهذا ما يسمَّىٰ إجراء الكلام علىٰ حكم التغليب.

[٨٩] ﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾:

فردَّ شعيب علىٰ إنذارهم له قائلاً:

﴿قَدِ﴾: حرف تحقيق، وتوكيد.

﴿ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾: الافتراء: هو الكذب المتعمَّد، المختلق.

﴿عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾: بصيغة النكرة؛ ليشمل كلَّ أنواع الكذب؛ مهما كان صغيراً، أو كبيراً.

﴿إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم﴾: إن: شرطية؛ تفيد المستحيل، أو الندرة؛ أيْ: من المستحيل أن نعود في ملتكم: ملة الكفر، والشرك؛ لأن الشرك هو افتراء علىٰ الله، والعودة فيها، أو كيف يأمرهم شعيب بالإيمان بالله وحده، وطاعة الله سبحانه، والإيفاء بالكيل، والميزان، ثم يأمرهم مرة أخرىٰ بالكفر، والشرك؛ فهذا يعتبر كذباً علىٰ الله .

﴿بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا﴾: منها: أيْ: من ملة الكفر، والشرك.

﴿نَجَّىٰنَا﴾: ولم يقل: أنجانا: نجىٰ: للتلبث، والتمهل في النجاة.

وأنجىٰ: للإسراع في النجاة؛ أي: الزمن أقصر؛ مقارنة بـ:﴿نَجَّىٰنَا﴾: تحتاج زمن أطول.

﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا﴾: أيْ: أنه مستحيل أن نعود إلىٰ الشرك، أو الكفر.

﴿إِلَّآ﴾: أداة حصر.

﴿أَن﴾: شرطية؛ تفيد القلة، أو المستحيل، ولم يحدث قط أَنْ شاء الله لعباده الكفر، أو الشرك.

﴿يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا﴾: جمع الألوهية، والربوبية معاً؛ بقوله: ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا﴾.

﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾: أيْ: أحاط علمه بكل شيء: ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾، ويعلم ما في الصدور، وما يجول في العقول.

﴿عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾: تقديم الجار والمجرور؛ يفيد الحصر؛ أيْ: لا نتوكل إلا عليه وحده، علىٰ الله وحده نتوكل أن يدبر، ويتولىٰ أمرنا في منع الملأ الذين استكبروا من إخراجنا، أو إكراهنا علىٰ الردة إلىٰ الكفر.

والتوكل في اللغة معناه: تفويض، وثقة، واعتماد، واصطلاحاً: هو الاعتماد علىٰ الله تعالىٰ والثقة به، والالتجاء إليه في السراء والضراء، وفي كل حركة وسعي، ويعني: تفويض الأمر؛ أيْ: رده إلىٰ الله سبحانه؛ أي: الاستعانة به في جميع الأمور والرجوع إليه في كل الأحوال؛ لأنه يملك تدبير كل الأمور، والقادر

على جلب النفع، ودفع الضر؛ راجياً عونه، وتيسيره، وتوفيقه للوصول إلى الغاية بعد تقديم كل الأسباب الضرورية من قبل العبد، وأعظم التوكل على الله يكون في الهداية والإيمان والتوحيد، والتوكل قد يكون توكل اضطرار، أو توكل اختيار، وعلينا أن نتوكل عليه في كلا الحالين، والرضا ثمرة التوكل. والوكيل: المدبر القائم بأمور العباد، والموكول إليه تدبير أمر كل شيء، والثقة به، والاعتماد عليه في قضاء الحوائج والمصائب، ودفع المكروه، والوصول إلى ما يحبه الله تعالى ويرضاه، والله يحب المتوكلين.

﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ﴾: ربنا: ولم يقل: يا ربنا؛ لأنه يعلم أن الله قريب، ولا يحتاج إلى ياء النداء.

﴿افْتَحْ﴾: من الفتح؛ أي: الفصل؛ ويعني: الكشف؛ أي: افصل بيننا وبين قومنا. قوله: قومنا: تدلُّ على الحنان والرأفة، ولم يقل: (أعدائنا).

والفتح قد يعني: النصر من دون قتال، أو حرب، والفتح: أصله إزالة الإغلاق، واستعمل في الحكم، أو القضاء الذي يزيل الإشكال، أو الاختلاف في الأمر.

﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ﴾: الحق: الشيء الثابت الذي لا يتغير؛ أي: احكم بنصر الحق على الباطل، والإيمان على الكفر.

﴿وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾: خير الفاتحين يشمل خير الناصرين، والمظهرين للحق، والفاصلين.

[٩٠] ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ﴾:

﴿وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ﴾: بعضهم لبعض، أو للذين آمنوا من قومه، أو لمن ينوي اتباع شعيب.

﴿لَئِنِ﴾: اللام: لام التوكيد، إن: شرطية، وجواب الشرط: هو قوله: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾.

﴿ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا﴾: آمنتم به، وصدقتموه فيما يقوله لكم.

﴿إِنَّكُمْ﴾: إنَّ: للتوكيد.

﴿إِذًا﴾: تفيد التوكيد.

﴿لَّخَٰسِرُونَ﴾: اللام: لزيادة توكيد الخسارة. والسؤال: لماذا سيخسرون؟ أيْ: إنهم إن اتبعوا شعيباً؛ سيخسرون ما كان سيأخذونه من أموال الناس بالباطل من جراء التلاعب بالكيل، والميزان، ومن جراء بخس الناس أشياءهم، أو لن ننصركم، أو نساعدكم.

[٩١] ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾:

الفاء: للتعقيب، والمباشرة، أو السرعة.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾: دمرتهم، أو أهلكتهم الزلزلة الشديدة.

﴿فَأَصْبَحُوا۟﴾: الفاء: للتوكيد.

﴿فِى دَارِهِمْ﴾: في بلدهم، أو موطنهم، والدار؛ أي: المسكن.

﴿جَٰثِمِينَ﴾: ارجع إلى الآية (٧٨) من نفس السورة.

[٩٢] ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾:

﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا﴾:

﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا﴾: هم في الحقيقة قد غنوا أثناء إقامتهم، وعاشوا في

رغد العيش، وطال مقامهم، ولكن ما حدث لهم حين أخذتهم الرجفة؛ فأصبحوا في دارهم جاثمين؛ كأنهم لم يغنوا فيها، ويعمروا تلك الديار، ويقيموا فيها.

﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول.

تكـــرار ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا﴾: يفيد في أمرين: يثبت لهم أنهم قد غنوا فيها؛ أيْ: في الدنيا، وعاشوا رغداً، ويثبت لهم الخسران: ﴿كَانُواْ هُمُ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾.

ولو حذف ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا﴾: الثانية؛ لأثبت لهم الغنىٰ، ورغد العيش، ونفىٰ عنهم الخسران؛ بحيث يكون السياق: الذين كذبوا شعيباً كأن لم يغنوا فيها، وكأنهم كانوا هم الخاسرين.

وقـــد تعني: كأن لم يغنوا فيها؛ أيْ: في الدنيا؛ لأنه كان غنىٰ ومتاع زائل غير دائم، وقصير مهما طال مقارنة بمتاع، وغنىٰ الآخرة.

﴿كَانُواْ هُمُ﴾: هم: تفيد التوكيد.

﴿ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾: لأنفسهم ولأهلهم.

[٩٣] ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡۖ فَكَيۡفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ﴾:

﴿فَتَوَلَّىٰ﴾: الفاء: تدل علىٰ التعقيب، والسرعة؛ أيْ: لما رأىٰ شعيب نزول العذاب بهم؛ تولىٰ عنهم، وتركهم وولىٰ ظهره إليهم، هو والذين آمنوا معه.

﴿وَقَالَ يَٰقَوۡمِ﴾: قول فيه حزن، وأسىً علىٰ قومه.

﴿لَقَدۡ﴾: اللام: لام التوكيد، قد: للتحقيق، والتوكيد.

﴿أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي﴾: أبلغتكم، وأخبرتكم بكل ما أوحي إلي، وأُنزل عليَّ من ربي، والبلاغ: هو إيصال الخبر مع البيان، والفهم.

﴿رِسَٰلَٰتِ رَبِّي﴾: جمع رسالة، أو مجموعة رسالات: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾، رسالة التوحيد، رسالة الإصلاح، رسالة الشكر على نعمه.

﴿وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾: النصح: هو الإلحاح على الشخص، أو القوم؛ ليثوب إلى رشده، وأن يتبع منهج الحق.

﴿فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾:

﴿فَكَيْفَ﴾: استفهام، واستبعاد، وحسرة.

﴿ءَاسَىٰ﴾: الأسى: شدة الحزن؛ فقد اشتدَّ حزنه على قومه بعد أن أخذتهم الرجفة؛ فأصبحوا جاثمين ميتين، بلا حراك.

ثم أنكر على نفسه، فقال: كيف يشتد حزني ﴿عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾، ماتوا وهم كفار، وكانوا مصرين على الكفر، وثبتوا عليه.

[٩٤] ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾:

﴿وَمَآ﴾: الواو: استئنافية، ما: النافية.

﴿أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ﴾: القرية: تمثل المدينة، أو العاصمة في زمننا الحاضر.

﴿مِّن نَّبِىٍّ﴾: من: الابتدائية، استغراقية. في الآية إضمار: أيْ: فكذب أهلها النبي، ولم يصدِّقوه، ويؤمنوا به.

﴿إِلَّآ﴾: أداة حصر.

﴿أَخَذْنَآ﴾: عاقبنا، أو أصبنا أهلها.

﴿أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ﴾: أي: البؤس، والفقر، والجدب، والقحط، والشدة، والمشقة؛ كالحرب، والدمار، والزلازل، والبراكين، والمجاعة العامة، والأوبئة والكوارث الجوية.

﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾ المرض، ونقص في الأموال، والثمرات، والأنفس. وقيل: الضراء: مصيبة تصيب الإنسان نفسه مثل المرض، ونقص في الأموال، والأنفس، والثمرات، والبأساء: تصيب الجميع.

﴿لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾: لعلَّ: للتعليل، ولم يقل: يتضرعون. يضرعون: تدل على المبالغة في التضرع والكثرة، ويتضرعون طول التضرع، وكثرة العدد.

﴿يَضَّرَّعُونَ﴾: إظهار الضراعة؛ أي: الخضوع، والتذلل لله تعالى؛ بالدعاء، والطاعة، ويبدلوا ما بأنفسهم من استكبار وتكذيب، والبأساء، والضراء: وسيلتين لتنبيه الإنسان من غفلته، ويعود إلى منهج الله تعالى، ويصلح شأنه، أو وسيلتين للابتلاء، أيصبر، أم يشكر، وإذا استمر على كفره وشركه، ولم يتب، عندها يبدل الله مكان السيئة الحسنة، ويتركه وشأنه، ثم إذا ازداد بطره؛ أخذه أخذ عزيزٍ مقتدرٍ.

ولمعرفة المزيد في الفرق بين ﴿يَضَّرَّعُونَ﴾: و﴿يَتَضَرَّعُونَ﴾: فارجع إلى الآية (٤٢) من سورة الأنعام؛ للبيان.

[٩٥] ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَواْ وَّقَالُواْ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب، والتراخي، ثم إذا لم يتعظوا بعد البأساء والضراء، ويرجعوا عن حالتهم، ويتضرعوا.

﴿بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ﴾: السيئة: كل ما يسوء النفس؛ مثل: الفقر،

والخوف، والمرض. الحسنة: الغنى، والصحة، والأمن، والرخاء. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٢٠١)؛ لمزيد من البيان.

﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية انتهاء الغاية.

﴿عَفَواْ﴾: كثروا، ونموا في أنفسهم، وأموالهم، وكثرت خيراتهم، وحسنت حالتهم المعاشية من كل النواحي.

﴿وَّقَالُواْ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ﴾: أيْ: أبطرتهم النِّعم، ونسوا البأساء والضراء التي مستهم، وفسروا ذلك بأنها مجرد سنن كونية، قد مسَّت آباءَهم من قبل، ثم تحولَّت الضراء إلى سراء.

وحين لم يعد هناك أمل في إيمانهم، وعودتهم إلى طريق الهداية.

﴿فَأَخَذْنَٰهُم﴾: الفاء: للترتيب والتعقيب دون إمهال.

﴿فَأَخَذْنَٰهُم﴾: بالعذاب.

﴿بَغْتَةً﴾: على حين غرّة، أو فجأة.

﴿وَهُمْ﴾: ضمير منفصل؛ يفيد التوكيد.

﴿لَا يَشْعُرُونَ﴾: أن هناك شراً يحيق بهم، وهم على غير استعداد، وحيطة للنجاة، ولا يشعرون أن أجلهم قد اقترب ودنا.

❖❖❖

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ
مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟
يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا
وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا
ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ
مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ
يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم
بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾
تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم
بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ
كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا
لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ
﴿١٠٢﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ
فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾
وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾

سورة الأعراف [الآيات ٩٦ - ١٠٤]

[٩٦] ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾:

﴿وَلَوْ﴾: الواو: عاطفة، لو: شرطية.

﴿أَنَّ﴾: تفيد التوكيد.

﴿أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ﴾: عامة، أينما كانوا.

﴿ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟﴾: آمنوا بالله ورسله، وما أنزل عليهم من ربهم، وأطاعوا واتقوا: بامتثال أوامر الله ، واجتناب نواهيه.

﴿لَفَتَحْنَا﴾: اللام: لام التوكيد.

﴿لَفَتَحْنَا﴾: من الفتح؛ يعني: التيسير.

﴿عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: بركات: جمع بركة، وهي الزيادة، والنمو، ودوام النِّعم، والخير الإلهي، واشتقت من البروك، وهو اللزوم، والثبوت؛ ثبوت في البركة، أو دوام الخير الإلهي، والبركة لا تسند إلا لله .

﴿بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: خيرات السماء من المطر، والطاقة الشمسية، والنجوم: هي أفران نووية شديدة يخلق لنا فيها ربنا من غاز الهيدروجين كل العناصر؛ مثل: الحديد، والذهب، والنحاس، والبلاتين من عمليات الاندماج

النووي داخل النجوم، النجوم حين تبلغ مرحلة الكهولة تنفجر، وتتناثر العناصر المركبة منها على الأرض، كما حدث للحديد.

﴿وَٱلْأَرْضِ﴾: النبات، والزرع، وكنوز الأرض من الذهب، والفضة، والمعادن الأخرى، والبترول، والغاز.

﴿وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟﴾: ولكن: حرف استدراك، كذبوا: بالآيات، والرسل، وبما أنزل إليهم من ربهم.

﴿فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا﴾: الفاء: للتعقيب، والسرعة، أخذناهم: بالعذاب، أو العقاب، أو الإهلاك.

﴿بِمَا﴾: الباء: للتعليل، أو باء السببية. ما: اسم موصول، أو مصدرية.

﴿كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾: من الشرك، ومن المعاصي، والفساد.

[٩٧] ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾:

﴿أَفَأَمِنَ﴾: الهمزة: للاستفهام، والإنكار، والتعجب، والفاء: للتعقيب، والمباشرة، وفاء السببية ما قبلها سبب ما بعدها لقوله تعالى: ﴿فَأَخَذْنَٰهُم﴾، ولذلك فلا يأمنوا أن يأتيهُم العذاب، بسرعة، أو بغتة.

﴿أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا﴾: أيْ: أفأمن أهل القرى أن ينزل بهم عذابنا.

﴿بَيَٰتًا﴾: أيْ: ليلاً.

﴿وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾: أكَّد على كونهم نياماً، وليلاً (بياتاً)، ولا يعني حتماً أنهم نائمون، وإنما أكثرهم نائمون.

[٩٨] ﴿أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾:

﴿أَوَأَمِنَ﴾: الهمزة: للاستفهام، والإنكار، والتعجب، والواو للعطف أو التخيير.

﴿أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا﴾: ارجع إلى الآية السابقة، وتكرار ﴿أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ مرتين: للإنذار، والتوكيد.

﴿ضُحًى﴾: نهاراً، وأصل الضحى: أول النهار.

﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾: لماذا ذكر: ﴿يَلْعَبُونَ﴾: بدلاً من يشتغلون، أو يعملون؛ لأن أعمالهم مهما عظمت إذا كانت تلهيهم عن طاعة الله؛ فهي لعب ولهو؛ مقارنة بالأجر العظيم الذي فاتهم.

[٩٩] ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾:

﴿أَفَأَمِنُوا۟﴾: الهمزة: همزة استفهام إنكار، وتعجب؛ أيْ: أغرّهم تأخير بأسه عنهم، وبعدم مجيئه بياتاً، فأمنوا مكر الله سبحانه.

﴿مَكْرَ ٱللَّهِ﴾: المكر: هو التدبير الخفي، الذي يبيته الإنسان لخصمه، وخصمه لا ينتبه إليه، وهل يمكر الله سبحانه، أو يحتاج إلى أن يمكر بالعبد، أو بأهل القرى؛ أبداً ـ حاشا لله ـ؛ لأن المكر يدل على ضعف الذي يقوم به، ولكونه ضعيفاً فهو يمكر، ولو كان قوياً؛ لما فعل ذلك، واستعمال هذه الكلمات في الأداء البياني؛ هو فقط للمشاكلة في اللفظ.

﴿فَلَا﴾: الفاء: للتوكيد.

﴿يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا﴾: إلا: أداة حصر.

﴿ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾: لأنفسهم، وأهليهم.

[١٠٠] ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾:

﴿أَوَلَمْ﴾: الهمزة: للاستفهام، والتوبيخ.

﴿يَهْدِ﴾: يتبيَّن، أو يتضح.

﴿لِلَّذِينَ﴾: اللام: لام الاختصاص.

﴿يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ﴾: أيْ: ورثوها عن غيرهم، ولم تكن ملكاً لهم سابقاً.

﴿أَن﴾: المخففة؛ تفيد التوكيد.

﴿لَّوْ نَشَآءُ﴾: لو: شرطية، أصابهم بذنوبهم.

﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾: الباء: للتعليل؛ أيْ: عذبناهم بسبب ذنوبهم، كما عذبنا الذين من قبلهم.

﴿وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾: أيْ: لو نشاء كذلك؛ لطبعنا على قلوبهم، فلا يدخلها إيمان، ولا يخرج منها كفر، والطبع على القلب أشد من الختم.

﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾: ما يتلى عليهم من الآيات، والمواعظ، والنذر؛ أيْ: لا يفهمون ما يوعظون به، أو يطلب منهم؛ حتى يهلكوا، كما حدث للذين من قبلهم.

[١٠١] ﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾:

﴿تِلْكَ﴾: اسم إشارة؛ يفيد البعد، إشارة إلىٰ قرىٰ نوح، وعاد، وثمود، ولوط، وشعيب عليهم السلام.

﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾: يا محمد ﴿مِنْ أَنۢبَآئِهَا﴾: أخبارها المهمة. من: بعضية، بعض أنبائها، وهناك أنباء أخرىٰ لم نقصها عليك.

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: عاطفة، لقد: اللام: للتوكيد، قد: للتحقيق.

﴿جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: بالمعجزات، والدلائل علىٰ نبوَّة الرسل، وبالآيات، وبالتوحيد، وقدرة، وعظمة الله ، وأنه الإله الحق، واجب الوجود الذي يجب أن يُعبد، وإذا قارنا جاءتهم رُسُلهم وقوله تعالىٰ: ﴿جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا﴾ [المائدة:٣٢]: نجد أن رسلنا تأتي في سياق عما جاء به الرسل عن الله تعالىٰ ورسلهم تأتي في سياق موقف القوم من الرسل، وسياق الدعوة والإعراض والتحدي والنفع وفائدة الرسل.

﴿فَمَا﴾: الفاء: للتوكيد، ما: النافية.

﴿كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ﴾: ليؤمنوا: اللام: للتوكيد؛ أي: استمروا علىٰ التكذيب، وعدم الإيمان، من بعد إرسال الرسل إليهم، كما كذبوا، ولم يؤمنوا من قبل إرسال الرسل إليهم، ومجيئهم بالمعجزات، والآيات، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٧٤) في سورة يونس وهي قوله تعالىٰ: ﴿فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ﴾ إضافة به تجعل التكذيب مقيداً، أما حذفها كما في آية الأعراف تجعل التكذيب مقيداً من نوع المطلق؛ أي: الأقوام كذبوا بما جاء به

الرسل تكذيب عام، أو تكذيب مقيد بأمر ما، وعندما أطلق قال تعالىٰ: ﴿يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ ولما قيد قال تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾؛ أي: قوم فرعون.

﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: أيْ: مثل ذلك الطبع؛ الذي طبع الله به علىٰ قلوب كفار الأمم السابقة، فلم يؤمنوا برسلهم، يطبع الله علىٰ قلوب كفار مكَّة، والذين من بعدهم إذا لم يؤمنوا بعد بالرسول ﷺ، والقرآن، وما نزل به الوحي.

[١٠٢] ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو: عاطفة، ما: حرف نفي.

﴿وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ﴾: أيْ: وما وجدنا للكفار، من عهد، فأكثرهم ينقضون عهودهم، ولا يوفون بها، والقليل منهم من يحافظ علىٰ عهده، ويوفي به.

﴿لِأَكْثَرِهِم﴾: اللام: لام الاختصاص.

﴿مِّنْ﴾: استغراقية، تشمل كلَّ عهد علىٰ السمع، والطاعة، وعدم الشرك. ارجع إلىٰ سورة البقرة، آية (٢٧)؛ لبيان معنىٰ العهد، والميثاق.

﴿وَإِن﴾: للتوكيد.

﴿وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ﴾: لفاسقين: اللام: للتوكيد؛ أيْ: وجدنا أكثرهم فاسقين، خارجين عن طاعة الله، ولا يوفون بعهودهم. ارجع إلىٰ سورة البقرة، آية (٢٦)؛ لمزيد من البيان في معنىٰ فاسقين.

[١٠٣] ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب، والتراخي في الزمن.

﴿بَعَثْنَا﴾: ولم يقل: أرسلنا. البعث؛ يعني: أن يبعث الله تعالىٰ رسولاً، أو نبياً؛ لإحياء منهج رباني سابق اندثر، زالت معالمه، بينما الإرسال؛ يعني: يرسل الله تعالىٰ رسولاً بشيء جديد لم يعلمه الناس، برسالة جديدة، أو تغيير، أو تعديل حسب الزمان، والمكان، والبعث أشد من الإرسال؛ أيْ: يحتاج إلىٰ عمل أقوىٰ، وجهد أشد، ومشقة، والبعث فيه معنىٰ الإثارة، والتهيج، وهو أعم من الإرسال. ارجع إلىٰ سورة البقرة، آية (١١٩)؛ لمزيد من البيان.

﴿مِنۢ بَعْدِهِم﴾: من: الابتدائية؛ تعني: بزمن قصير، أو مباشرة من بعدهم؛ تعني: الرسل؛ الذين ذكروا سابقاً، وهم: نوح، وهود، وصالح، وشعيب، ولوط عليهم السلام.

﴿مُّوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ﴾: موسىٰ بآياتنا: التسع؛ مثل: العصا، واليد، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والسنون، والطوفان، والطمس علىٰ أموالهم، وقدَّم الآيات علىٰ فرعون، ولم يقل: بعثنا موسىٰ إلىٰ فرعون وملئه بآياتنا؛ للاهتمام بها.

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾: فرعون: لقب لمن كان يحكم مصر قديماً، والفراعنة شكلوا أو كانوا (١٩) أسرة، آخرهم الأسرة التاسعة عشر، وموسىٰ أدرك فرعون المسمىٰ رمسيس الثاني، ويطلق عليه رمسيس الأكبر، وهو الذي ربىٰ موسىٰ، والذي أطلق عليه فرعون الاضطهاد الذي اضطهد بني إسرائيل وحكم مصر (٦٧ سنة)، وكان

له أولاد منهم منفتاح الأول، وهو الابن الثالث عشر لرمسيس الثاني (الأكبر) شارك أباه في الحكم وتولى الحكم بعد وفاة أبيه، وحكم حوالي (١٠ سنوات)، فموسى أدرك الأب (رمسيس الثاني) وأدرك الابن (منفتاح) الذي أطلق عليه فرعون الخروج فحين يذكر اسم فرعون قد يكون الأب أو الابن أو كلاهما، ولذلك يجب الانتباه إلى السياق في الآيات.

﴿وَمَلَإِيْهِۦ﴾: ولم يقل: إلى فرعون وقومه، وملئه: أيْ: وجهاء القوم، وسادة القوم، وكلمة الملأ مشتقة من ملأ العيون؛ أي: المتحدثون باسم القوم، أو الشعب، والظاهرون للعيون؛ أيْ: ممثلو الشعب، والوزراء، والنواب.

﴿فَظَلَمُواْ بِهَا﴾: كذَّبوا بها، أو جحدوا بها، وإذا قارنا هذه الآية (٧٥) في سورة يونس: نجد أنه في آية الأعراف قدم الآيات على فرعون وملئه، وفي يونس قدم فرعون وملئه على الآيات، والتقديم أو التأخير عادة يكون للأهم أو الأفضل، فالآيات في آية الأعراف الأهم؛ لأنها كانت محور الجدال بين موسى وفرعون، وفي يونس لم يذكر أي تفاصيل عن الآيات، كما ذكر في الأعراف لذلك قدم فرعون وملئه.

﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾:

﴿فَٱنظُرْ﴾: نظرة اعتبار، وتدبُّر، نظرة: قلبية، فكرية.

﴿كَيْفَ﴾: استفهام فيه تعجُّب.

﴿كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾: عاقبة: أيْ: عقاب، وعذاب المفسدين. ارجع إلى الآية (٨٦) من نفس السورة؛ لمزيد من البيان في معنى عاقبة.

﴿ٱلْمُفْسِدِينَ﴾: جمع مفسد، والمفسد: هو الذي يخرج عن حد الاستقامة،

والاعتدال، والفساد لغةً: ضد الصلاح، والفساد اصطلاحاً: هو انفلات الفرد، أو المجتمع بالخروج عن منهج الله تعالىٰ. ارجع إلىٰ سورة البقرة، آية (٢٠٥)؛ لمزيد من البيان في معنىٰ المفسدين، وإذا قارنا المفسدين بقوله تعالىٰ: (المجرمين) كما في الآية (٨٤) في نفس السورة: نجد أن المجرمين أشد وأعم من المفسدين؛ المفسدين: قسم من المجرمين.

[١٠٤] ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾:

تصوِّر لنا هذه الآية أول لقاء بين موسىٰ ، وفرعون بعد رجوع موسىٰ من مدين (فرعون الابن). ارجع إلىٰ الآية (١٠٣) في نفس السورة لبيان من هو فرعون، وبعد أن كلمه ربه ، فقال له: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾: فهذا موسىٰ يقدِّم نفسه لفرعون علىٰ أنه أصبح رسولاً مرسلاً من رب العالمين، وتعني أيضاً: إنك يا فرعون لست الربَّ، كما تزعم، وتقول: أنا ربكم الأعلىٰ.

﴿إِنِّي﴾: ولم يقل: أنا رسول من رب العالمين، إني: أكثر توكيداً.

﴿رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: رب الجن، والإنس، والملائكة، ورب كل شيء. ارجع إلىٰ سورة الفاتحة، آية (٢)؛ لمزيد من البيان.

❖ ❖ ❖

حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم
بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ
جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ
عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ
لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ
عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾
قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ
بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ
لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ
لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن
نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟
أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾
۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا
يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟
هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾

ربع الحزب ١١٧

سورة الأعراف [الآيات ١٠٥ - ١٢٠]

[١٠٥] ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾:

﴿حَقِيقٌ﴾: واجب، أو حريص، أو جدير.

﴿عَلَىٰٓ أَن لَّآ﴾: على: تفيد العلو، أن: حرف مصدري؛ تفيد التعليل، والتوكيد.

﴿لَّآ﴾: الناهية.

﴿أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ﴾: أيْ: لا أخبر على الله بأي شيء من عندي، وفي قراءة أخرىٰ: حقيقة عليَّ: بتشديد الياء، وفتحها.

﴿إِلَّا﴾: للحصر، حصراً هو الحق من عند ربكم.

﴿ٱلْحَقَّ﴾: الصدق، والشيء الثابت الذي لا يتغير، ولا يتبدل؛ أيْ: ما نزل به الوحي إليَّ من ربي.

﴿قَدْ﴾: للتحقيق، والتوكيد.

﴿جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾: حُجَّة من ربكم، وبرهان ساطع، أو معجزة من ربكم، وهي العصا، واليد.

﴿فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: الفاء: للتوكيد؛ أي: اترك بني إسرائيل يخرجون معي إلىٰ الأرض المقدسة؛ أيْ: أطلق سراحهم؛ إذ كانوا ممنوعين من الخروج من مصر، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٤٧) في سورة طه وهي قوله تعالىٰ: ﴿فَأَرْسِلْ

مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾، وفي آية الأعراف: ﴿فَأَرۡسِلۡ مَعِيَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾؛ في سورة طه السياق كان في موسىٰ وهارون، وفي الأعراف السياق معظمه في موسىٰ وحده .

[١٠٦] ﴿ قَالَ إِن كُنتَ جِئۡتَ بِـَٔايَةٖ فَأۡتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾:

﴿ قَالَ ﴾: فرعون لموسىٰ: ﴿إِن كُنتَ ﴾: إن: شرطية؛ تدل علىٰ الاحتمال.

﴿جِئۡتَ بِـَٔايَةٖ ﴾: بمعجزة، أو دليل، أو برهان.

﴿فَأۡتِ بِهَآ ﴾: الفاء: رابطة لجواب الشرط؛ تفيد التوكيد، أرنا إياها، أو أخرجها لنا، أو أحضرها إلينا.

﴿إِن ﴾: شرطية؛ تفيد الاحتمال، أو الشك بأن تكون من الصادقين؛ أيْ: إنك من الكاذبين.

﴿كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾: فيما قلت، أو زعمت.

[١٠٧] ﴿ فَأَلۡقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعۡبَانٞ مُّبِينٞ ﴾:

﴿ فَأَلۡقَىٰ ﴾: الفاء: تدل علىٰ الترتيب، والتعقيب، والمباشرة.

﴿ فَأَلۡقَىٰ عَصَاهُ ﴾: أيْ: ألقىٰ موسىٰ عصاه علىٰ الأرض، طرحها علىٰ الأرض، هذا هو الإلقاء الثاني للعصا، فهناك الإلقاء الأول: كان بعد رجوع موسىٰ من مدين، وعند الطور الأيمن، أمام رب العالمين.

وهذا هو الإلقاء الثاني: أمام فرعون.

وأما الإلقاء الثالث: فسيكون أمام السحرة، والناس في يوم الزينة.

﴿فَإِذَا ﴾: الفاء: للتوكيد، إذ: الفجائية؛ ظرف للزمان، أو المكان.

﴿هِيَ ﴾: تفيد الحصر، والتوكيد.

﴿ثُعۡبَانٞ مُّبِينٞ ﴾: حية عظيمة، ضخمة، مخيفة، من أعظم الحيات، والثعبان هو الذكر، ففي هذه الآية وصف العصاة بأنها ثعبان مبين فهي ليس حية أو كأنها

جـــان، وإنما ثعبان مبين خاص ليراه فرعون في كل مرة لعله يخاف ويرتدع، وأما لموسىٰ فقد تظهر كحية أو كأنها جان، ولم يذكر الخوف، ولم يعقب؛ لأن موسىٰ الآن فـــي موقف التحدي وبعد أن علم حقيقة العصا، كما رأينا في ســـورة طه آية (٢٠)، وسورة النمل آية (١٠).

وفي سورة طه، الآية (٢٠)، وصفها بأنها حية تسعىٰ، فقال: ﴿فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾؛ لأن موســـىٰ كان وحده بعد رجوعه من مدين. ارجع إلىٰ سورة طه لمزيد من البيان.

وفي ســـورة النمل، الآية (١٠): وصفها بأنها: جان وكان موســـىٰ لوحده، فهذه العصا بقدرة الله قادرة علىٰ أن تأخذ شـــكل ثعبان، أو حية، أو جان. ارجع إلىٰ سورة النمل لمزيد من البيان.

﴿ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾: ظاهر لكل إنســـان يراه، وليس من نوع السحر، وملامحه وشكله المخيف لا تدعو إلىٰ الشك.

[١٠٨] ﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ﴾:

﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ﴾: من جيبه؛ أيْ: أخرج يده بعنف، وعسر.

﴿فَإِذَا﴾: الفاء: للتعقيب، والمباشرة. إذا: تفيد الفجائية.

﴿هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ﴾: من غير سوء؛ أيْ: أدخل يده في جيبه، والجيب في الأصل: هو مكان دخول الرأس في الثوب، ثم أخرجها فإذا هي تشـــع كالشمس من غير سوء، ليس فيها أي عيب؛ كالبرص، أو غيره؛ أيْ: هذا البياض ليس مرضاً، وبين ذلك في آية أخرىٰ قال سبحانه: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ [النمل:١٢].

أيْ: أدخل يدك في جيبك، ثم أخرجها (انزعها): تخرج ﴿بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ﴾ من غير سوء.

[١٠٩] ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴾:

﴿ٱلْمَلَأُ﴾: هم سادة القوم، ممثلو القوم (أو الشعب) من قوم فرعون. ارجع إلىٰ الآية (٧٥) وآية (١٠٣) من نفس السورة، ؛ لمزيد من البيان.

﴿قَالُوٓا﴾: لما شاهدوا تحوُّل العصا إلىٰ ثعبان مبين.

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿هَٰذَا﴾: الهاء: للتنبيه، ذا: اسم إشارة؛ يفيد القرب.

﴿لَسَٰحِرٌ﴾: اللام: لام التوكيد.

﴿عَلِيمٌ﴾: صيغة مبالغة؛ أيْ: كثير العلم في علم السحر، وفي سورة الشعراء آية (١٣٧) قال تعالىٰ: ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾ كان هذا رد الملأ علىٰ سؤال فرعون لهم فماذا تأمرون للمبالغة؛ فقد تأثروا بما حدثهم فرعون عن تربية موسىٰ في قصره. ارجع إلىٰ سورة الشعراء للبيان.

[١١٠] ﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾:

﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُمْ﴾: أن: للتوكيد.

﴿يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ﴾: أرضكم: أرض مصر، وفي آية أخرىٰ، قال: ﴿يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ﴾ [الشعراء:٣٥]. آية الشعراء من قول فرعون فهو يؤكد لهم أن ما جاء به موسىٰ هو السحر كي لا يؤمنوا بموسىٰ.

﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾: الفاء: للتعقيب، والمباشرة. ماذا: استفهام؛ يفيد توكيد، أشد، وأقوىٰ من: ما تأمرون.

فماذا تأمرون. قيل: هذا كلام فرعون.

يسأل الملأ من حوله: ما رأيهم؟ مما شاهدوه من السحر، فكيف يشاورهم،

وهو الذي ادّعىٰ أنه ربهم الأعلىٰ، فهذا يدل علىٰ ضعفه، أو يحاول أن يستميل قلوب قومه.

وقيل: هذا كلام الملأ، يسأل بعضهم بعضاً.

[١١١] ﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾:

﴿قَالُوٓاْ﴾: أي: الملأ من قوم فرعون.

﴿أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ﴾: أخِّره، أخِّر هذه المسألة، أو أجِّل، أو اطلب الإرجاء في الحكم، في هذه المسألة.

﴿وَأَرۡسِلۡ﴾: وأرسل جنودك في كل مدينة، يبحثوا عن السحرة؛ كي يحضروهم إليك، وفي سورة الشعراء آية (٣٦) ﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَٱبۡعَثۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾؛ البعث: معناه الإرسال، وفيه تحريض وإثارة أشد من الإرسال.

﴿فِي ٱلۡمَدَآئِنِ﴾: في كل مدينة من مدن مصر المدائن، جمع مدينة، وهي القرية الكبيرة.

﴿حَٰشِرِينَ﴾: أيْ: يجمعون إليك سحرة كل مدينة، ويسوقونهم إليك.

[١١٢] ﴿يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾:

﴿يَأۡتُوكَ﴾: من الإتيان: وهو المجيء بسهولة.

﴿بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾: بكل: الباء: للإلصاق، بكل ساحرٍ عليمٍ. كل: تفيد الاستغراق والشمول، وتعني كل من هو ماهر بفنون السحر، أو صيغة مبالغة؛ أيْ: عليم بعلم السحر.

وفي آية أخرىٰ، قال: ﴿يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾ [الشعراء:٣٧]: سحار: أقوىٰ وأعظم سحراً من ساحر؛ أيْ: خبير، أو أستاذ في فن السحر، يُعلِّمُ السحر للآخرين، وفيها مبالغة أشد من ساحر عليم.

ونفسر القولين: بأن قسم من الملأ من قوم فرعون قالوا: ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (١١١) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾.

وقسم آخر قالوا: ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (٣٦) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾.

[١١٣] ﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾:

﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ﴾: أيْ: جاؤوا بصعوبة من كل المدائن، أُحضروا بالقوة. فرعون الابن. ارجع إلى الآية (١٠٣) للبيان.

﴿قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾: أيْ: لا بُدَّ أن نؤتى أجراً على حضورنا وقيامنا بالسحر.

﴿إِنَّ﴾: شرطية؛ تفيد الاحتمال.

﴿نَحْنُ﴾: للتوكيد.

﴿الْغَالِبِينَ﴾: على موسى وسحره.

لنقارن هذه الآية من سورة الأعراف، مع الآية (٤١) من سورة الشعراء: ﴿قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾.

ففي آية سورة الشعراء: قسم من السحرة، قالوا: ﴿أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾؛ أيْ: يستفهمون.

وفي آية سورة الأعراف: قسم من السحرة، قالوا: ﴿إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾: قد حكموا بضرورة وجود الأجر، جاء بصيغة الخبر.

فالقرآن ينقل لنا الصورة كاملة، ما قاله كل طرف، طرف يستفهم، وطرف واثق بأن لهم أجراً، وليس في القرآن تعارض، كما يظن البعض خطأً.

[١١٤] ﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾:

قال فرعون للسحرة: ﴿نَعَمْ﴾: أيْ: لكم أجر، وأضاف أيضاً، ﴿وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾.

وفي سورة الشعراء، الآية (٤٢): ﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾، أضاف إذن: للتوكيد على الوفاء بوعده أن لهم أجراً، وإنهم من المقربين، وأكَّد على كونهم من المقربين بإضافة لام التوكيد حين قال: لمن المقربين إليَّ إذا انتصرتم على موسى.

[١١٥] ﴿ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴾:

﴿ قَالُوا۟ ﴾: أي: السحرة: ﴿يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ ﴾: للتخيير، ﴿أَن تُلْقِىَ ﴾: أن حرف: مصدري؛ يفيد التوكيد.

﴿إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴾: إما أن تلقي عصاك أولاً، أو نحن نلقي أولاً.

و﴿نَحْنُ ﴾: يفيد التوكيد.

عند هذا السؤال أوحى الله إلى موسى : بأن يطلب منهم أن يلقوا أولاً؛ حتى تلقف عصاه ما يأفكون.

[١١٦] ﴿ قَالَ ٱلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾:

﴿ قَالَ ﴾: موسى للسحرة: ألقوا ما أنتم ملقون.

﴿فَلَمَّآ ﴾: ظرفية زمانية؛ بمعنى: حين.

﴿أَلْقَوْا۟ ﴾: حبالهم، وعصيهم.

﴿سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ ﴾: أيْ: حبالهم، وعصيهم، لم تتغيَّر، والذي تغيَّر هو أعين الناس، بسبب السحر؛ فالسحر لا يقلب الحقيقة، والحقيقة تظل كما

هي، ويراها الساحر على حقيقتها، والناس يرون الحقيقة مختلفة. ارجع إلى سورة طه، آية (٥٨) وسورة البقرة، آية (١٠٢)؛ لبيان معنى السحر.

﴿وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ﴾: أيْ: أدخلوا الرهبة في نفوس الناس الحاضرين، المشاهدين، والرهبة: اضطراب النفس والخوف والشعور بالضعف والهرب.

﴿وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾: أعظم ما عندهم من فنون السحر.

[١١٧] ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾:

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ﴾: الوحي: هو إعلام بالخفاء. ارجع إلى سورة النساء، آية (١٦٣)؛ لمزيد من البيان.

﴿أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا﴾: أن: مصدرية؛ تفيد التوكيد، أو تفسيرية. فإذا: إذا فجائية.

﴿تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾: أي: العصا؛ تتحول إلى ثعبان عظيم، تبتلع ما ألقوه.

﴿تَلْقَفُ﴾: بالضم؛ تعني: الأمر واقع الآن، أما حين يقول: تلقفْ بالسكون: فيعني: السحر لم يقع بعد، وسيقع في المستقبل.

﴿مَا﴾: موصولة، أو مصدرية؛ بمعنى: الذي.

﴿يَأْفِكُونَ﴾: من الإفك، وهو الكذب المتعمد، المختلق؛ أيْ: ما كان السحر الذي جاء به سحرة فرعون إلا كذب مختلق لا يصل إلى الحقيقة بشيء، بل هو أوهام، وتخيلات.

[١١٨] ﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾:

﴿فَوَقَعَ﴾: الفاء: للتعقيب، والسرعة.

﴿ٱلْحَقُّ﴾: تبيَّن الحق، وظهر، وثبت بشكل حسي، وتبيَّن ما جاء به موسى، هو الحق؛ أي: الصدق.

﴿وَبَطَلَ﴾: اندحر، وتبيَّن بطلان سحر السحرة.

﴿مَاكَانُواْ﴾: ما: اسم موصول، أو مصدرية.

﴿يَعْمَلُونَ﴾: أيْ: يقولون، أو يفعلون.

[١١٩] ﴿فَغُلِبُواْهُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْصَٰغِرِينَ﴾:

﴿فَغُلِبُواْ﴾: الفاء: للتعقيب، والمباشرة.

﴿فَغُلِبُواْ﴾: أي: السحرة؛ أي: انهزموا أمام موسىٰ.

﴿هُنَالِكَ﴾: وأمام الناس، وفي مكان الاجتماع، اجتماع السحرة، والناس، وموسىٰ، وفرعون.

﴿وَٱنقَلَبُواْ﴾: انقلب فرعون وقومه، والانقلاب: هو الرجوع إلىٰ حالة غير التي كانوا عليها قبل إلقاء موسىٰ لعصاه.

﴿صَٰغِرِينَ﴾: جمع صاغر، والصغار: الاعتراف بالذل والإقرار به بما لحقهم من الهزيمة والخيبة، أما السحرة؛ فآمنوا عندما رأوا المعجزة، وخرّوا لله ساجدين.

[١٢٠] ﴿وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ﴾:

﴿وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ﴾: أيْ: خرّ السحرة ساجدين لله سبحانه؛ حين رأوا الحق، وعلموا أن ما جاء به موسىٰ ليس سحراً، وتيقنوا أن عصا موسىٰ حق؛ عندها لم يتمالكوا أنفسهم. وكلمة ألقىٰ: تدل علىٰ سرعة الهوي إلىٰ الأرض.

﴿سَٰجِدِينَ﴾: وكلمة ألقي: تدل علىٰ أنهم خروا سجداً تلقائياً، من دون تردُّد، وظهرت فطرتهم الإيمانية، وزال عنها الحجاب، وأسرعوا بالعودة إلىٰ فطرتهم الإيمانية، ولم يبالوا بأيِّ تهديد ووعيد من فرعون.

❖ ❖ ❖

قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ
فِرۡعَوۡنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكۡرٞ مَّكَرۡتُمُوهُ
فِي ٱلۡمَدِينَةِ لِتُخۡرِجُواْ مِنۡهَآ أَهۡلَهَاۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ
أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿١٢٤﴾
قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا
بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتۡنَاۚ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ
﴿١٢٦﴾ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ
فِي ٱلۡأَرۡضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَنَسۡتَحۡيِۦ
نِسَآءَهُمۡ وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ
ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن
يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓاْ أُوذِينَا
مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ
أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ
فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ وَلَقَدۡ أَخَذۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ
بِٱلسِّنِينَ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾

سورة الأعراف [الآيات ١٢١ - ١٣٠]

[١٢١] ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾:

﴿قَالُوٓاْ﴾: أي: السحرة: آمنا برب العالمين.

أما في سورة طه، فقالوا: ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾ [طه:٧٠].

السؤال: ماذا قال السحرة؟ هل قالوا: ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾؟ أم قالوا: ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾؟

الجواب: كان هناك أكثر من سبعين ساحراً، فهناك من: ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾، وهناك من قال: ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾.

السؤال الثاني: لماذا قالوا: ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾؟ وقدَّموا هارون على موسى؟

الجواب: لأنهم لو قالوا: رب موسى وهارون؛ فقد يظن أحدٌ ما أن رب موسى هو فرعون الذي رباه حين كان وليداً، ولذلك أخَّر موسى، وقدَّم هارون؛ لأن هارون لم يربِّه فرعون، وأتبع موسى بهارون.

[١٢٢] ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾:

وحين يقدِّم موسى على هارون يسبقه دائماً بالقول: رب العالمين، رب موسى وهارون، فلم يعد هناك شبهة لغوية، أو بيانية.

فهم قد آمنوا: أن رب هارون هو رب العالمين، ورب موسىٰ وهارون هو رب العالمين.

[١٢٣] ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾:

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ﴾: ارجع إلىٰ الآية (١٠٣). للبيان.

﴿ ءَامَنتُم بِهِۦ ﴾: به: تعود إلىٰ الله سبحانه، وقد تعود إلىٰ موسىٰ، أما قوله في سورة الشعراء، الآية (٤٩): ﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ﴾: أيْ: صدقتم بموسىٰ، وأطعتموه.

﴿ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ﴾: أن: للتوكيد.

﴿ ءَاذَنَ لَكُمْ ﴾: أسمح لكم.

﴿ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ﴾:

﴿ إِنَّ ﴾: حرف مشبه بالفعل؛ يفيد التوكيد.

﴿ هَٰذَا ﴾: الهاء: للتنبيه، وذا: اسم إشارة.

﴿ لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ ﴾: المكر: هو التدبير الخفي؛ الذي تبيته لتنال من خصمك من دون أن يعلم بما تفعله؛ أيْ: هذه حيلة، أو خديعة تواطأتم مع موسىٰ في المدينة سابقاً، قبل أن تخرجوا إلىٰ هذا المكان.

﴿ لِتُخْرِجُوا۟ ﴾: اللام: لام التعليل.

﴿لِنُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا﴾: أي: القبط، وتسكنون فيها، أنتم فيها؛ يعني: بني إسرائيل.

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾: وعيد، أجمله، ثم فصَّله في الآية التالية (١٢٤). وسوف: للمستقبل البعيد. فسوف: الفاء: للتوكيد؛ سوف تعلمون: لإدخال الرعب في قلوبهم، ولتدل على جبروته وظلمه.

﴿تَعْلَمُونَ﴾: عاقبة أمركم هذا بالتآمر مع موسى.

[١٢٤] ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾:

﴿لَأُقَطِّعَنَّ﴾: اللام: لام التوكيد، والنون: لزيادة التوكيد.

﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ﴾: من كل شق طرفاً؛ أي: اليد اليمنى، والرجل اليسرى، أو اليد اليسرى، والرجل اليمنى.

﴿ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ﴾: ثم: تفيد التباين، بين القطع والصلب، وتفيد الترتيب، والتراخي بعد القطع تأتي مرحلة الصلب.

﴿أَجْمَعِينَ﴾: توكيد، ولم يذكر في هذه الآية كيف سيصلبنهم، ولكن شرح ذلك في الآية (٧١) من سورة طه.

فقال: ﴿فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾: ارجع إلى سورة طه؛ للبيان.

وإذا نظرنا في سورة الشعراء، الآية (٤٩): نجده يقول: ﴿ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.

أضاف اللام في كلمة ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ بدلاً من فسوف تعلمون، واللام:

تفيد التوكيد؛ أيْ: تهديده في آية سورة الشعراء أشد وأقوىٰ من تهديده في آية سورة الأعراف.

[١٢٥] ﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾:

وكأنهم يقولون: إنا لا نبالي بالموت؛ لأنَّا علىٰ أي حال ﴿إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾: راجعون، وإنا: إنَّ: حرف مشبه بالفعل؛ يفيد التوكيد، وفي سورة الشعراء، الآية (٥٠): ﴿قَالُواْ لَا ضَيْرَۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾.

لنقارن هذه الآية (١٢٥) من سورة الأعراف، مع الآية (٥٠) من سورة الشعراء: ﴿قَالُواْ لَا ضَيْرَۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾:

إضافة ﴿لَا ضَيْرَ﴾ في سورة الشعراء؛ لأن الوعيد في الشعراء أشدّ، فجاء الرد من السحرة مناسباً للوعيد بقولهم: ﴿لَا ضَيْرَۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾.

أيْ: هناك من السحرة من قال هذا، وهناك من قال: ﴿لَا ضَيْرَۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾.

[١٢٦] ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو: عاطفة، ما: حرف نفي.

﴿تَنقِمُ مِنَّآ﴾: تعاقبنا، أو تثأر منا.

﴿إِلَّآ﴾: أداة حصر، أن: حرف مصدري؛ يفيد التوكيد.

﴿ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا﴾: صدقنا بالعصا، وغيرها من المعجزات التسع.

﴿لَمَّا جَآءَتْنَا﴾: لما: ظرف حين (أو زمن).

﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾:

ثم اتجهوا إلىٰ خالقهم، فقالوا: ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾: ولم ينادوا: يا ربنا؛ لأنهم يعلمون أنه قريب منهم، ولا يحتاجون إلىٰ أداة نداء.

﴿أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾: أيْ: صب علينا الصبر صباً؛ حتىٰ يفيض ويغمرنا؛ أيْ: هب لنا كل الصبر، الصبر الكثير التام؛ حيث سمعوا ما توعدهم فرعون به: من تقطيع الأيدي، والأرجل، والصلب، وكان قادراً علىٰ فعل ذلك.

﴿وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾: ثابتين علىٰ الإسلام، والتوحيد، مخلصين لك.

ولم يرد في القرآن ما يدل علىٰ أن فرعون نفَّذ وعيده في السحرة، أم لا؟ وما حدث لهم، وقد قال ابن عباس عنهم: (كانوا في أول النهار سحرة، فصاروا في آخره شهداء بررة).

[١٢٧] ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ﴾:

وينتقل القرآن بنا إلىٰ ما قاله الملأ من قوم فرعون، ويبدو أن موسىٰ وهارون تركا المكان، ولم يقبض عليهما.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾: ارجع إلىٰ الآية (١٠٣) من نفس السورة.

﴿أَتَذَرُ﴾: أتترك، والهمزة: همزة استفهام إنكار، وتعجب، موسىٰ وقومه (بني إسرائيل) ﴿لِيُفْسِدُوا۟﴾: اللام: لام التوكيد، ﴿لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: بدعوة الناس إلىٰ عبادة الله، وترك عبادة فرعون، ومخالفة أوامرك، وإثارة الفتن.

﴿وَيَذَرَكَ﴾: أيْ: لا يطيعك موسىٰ، ولا يطيع آلهتك، فكيف تتركه يفعل ذلك.

﴿وَءَالِهَتَكَ﴾: قيل: كان فرعون يعتقد أن هناك آلهة في السماء، وآلهة في الأرض، وهو الرب الأعلىٰ في الأرض، كما قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾.

وقيل: إنه كان لقومه أصنام حجارة يعبدونها، وفرعون لا يبالي بذلك؛ لأنه يظن أنه هو الرب الأعلىٰ.

﴿قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ﴾:

انتبه! الملأ يسألونه عما سيفعله بموسىٰ، وجوابه لم يتطرق إلىٰ موسىٰ، وإنما تطرق إلىٰ قوم موسىٰ الضعفاء؛ فهو يخاف من موسىٰ باطناً، ويخاف الاتصال بموسىٰ، ولا يريد مفاجأة أخرىٰ، كما حدث أمام الناس يوم الزينة.

﴿سَنُقَتِّلُ﴾: السين: للاستقبال القريب.

﴿أَبْنَآءَهُمْ﴾: أي: الأطفال الذكور من بني إسرائيل، ويؤكد علىٰ قتل الأبناء، كما فعل سابقاً.

﴿وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ﴾: نبقي نساءهم علىٰ قيد الحياة؛ للخدمة، والسخرة.

﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ﴾: وإن حرف مشبه بالفعل؛ يفيد التوكيد.

﴿قَٰهِرُونَ﴾: أيْ: غالبون؛ أيْ: هم تحت سيطرتنا، ونفعل بهم ما نشاء، فالمُلك، والسلطان لنا، وهم شرذمة قليلون، وقولهم قاهرون: تدل علىٰ الاستكبار والعلو، وتدل علىٰ تمكنهم من بني إسرائيل.

[١٢٨] ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾:

﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ﴾: هم بنو إسرائيل.

﴿ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوا۟﴾: اطلبوا العون من الله، واصبروا على أذى فرعون وقومه، وما حل بكم، فما لكم إلا الصبر.

﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾:

﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ﴾: إنَّ: تفيد التوكيد، الأرض لله؛ أي: وهو الحاكم، والمالك الحق، وهو يورثها من يشاء من عباده، متى يشاء، وكيف يشاء.

﴿لِلَّهِ﴾: اللام: لام الاختصاص، والملكية.

﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾: بشارة من موسى لقومه، والعاقبة: الخاتمة للمتقين في الدنيا والآخرة، فما عليكم إلّا الصبر، والصلاة، والتقوى؛ هذا هو سلاحكم.

[١٢٩] ﴿قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾:

﴿أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا﴾: كرسول، ونبي: بالقتل، والاستحياء، والتسخير؛ أي: الخدمة، أو أُوذينا قبل مجيئك، وقبل ولادتك.

﴿وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾: كرسول، ونبي، وأن الله لم يخلصنا، أو يكشف عنا العذاب، وينجينا من فرعون؛ أيْ: لم يتغير شيء، ويبدو أنهم في حالة يأس، وانهزام نفسي، ولم يحددوا ما جاء به موسى.

انتبه! إلى الفرق بين أتى وجاء: الإتيان: هو أيسر من المجيء، والمجيء:

يستعمل لما هو أشق، وأصعب، وأشد، ولم يستعمل حرف به بعد كلمة تأتينا، أو بعد كلمة ما جئتنا؛ لأنه لا يريد سبحانه تحديد ما أتاهم، أو ما جاءَهم.

ولو استعمل به وقال: من قبل أن تأتينا به، أو ما جئتنا به؛ لحدد المعنى، ولكن لم يحدد؛ لكي تشمل كلَّ المعاني.

﴿قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ﴾: عسى: فعل ترجي؛ لحصول الفعل في المستقبل؛ أيْ: أرجو من الله، وأطمع أن يهلك عدوكم (فرعون وملئه).

﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: أيْ: يمكن لكم في الأرض دِينكم، والسيادة، والملك، والنجاة من فرعون، وقومه.

﴿فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾: الفاء: للتعقيب، والمباشرة.

﴿كَيْفَ﴾: للاستفهام، والتعجب، والتخدير.

﴿كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾: هل تشكرونه، ويزداد إيمانكم، أو تكفرون، وتجحدوا نعمه عليكم.

﴿فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾: سبحانه! هو ينظر لا ليعلم ـ حاشا لله ـ فهو يعلم بكل شيء قبل أن يقع، ولكن لا يريد أن يحكم بعلمه على خلقه، ولكن يريد أن يحكم على خلقه؛ بفعل خلقه؛ حيث ترك لهم الإرادة، والاختيار، وليكون ذلك حُجَّة عليهم، وإقراراً منهم.

[١٣٠] ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: استئنافية، لقد: اللام: لام التوكيد، قد: تحقيق وتوكيد.

﴿أَخَذْنَآ﴾: الأخذ يكون باليد، أو اللسان، ويعني: بالعذاب، بقوة وشدة؛ أيْ: بالسنين.

﴿ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾: أتباع فرعون، وأعوانه.

﴿بِٱلسِّنِينَ﴾: أيْ: بالقحط، والفقر، والمجاعة.

﴿بِٱلسِّنِينَ﴾: جمع سنة، وتعني: العام، وكلمة السنة في القرآن: تحمل معنىٰ البؤس، والشدة، والقحط، والشر؛ بينما كلمة العام: تحمل معنىٰ الخير، والبركة، والرزق، وهذا من خصائص القرآن.

﴿بِٱلسِّنِينَ﴾: الباء: للإلصاق، والتوكيد.

﴿وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾: ثمرات النخيل، والأعناب، والثمار، والفواكه؛ أيْ: بنقص بالزراعة.

﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾: لعلَّ: أداة للتعليل، والترجي، تستعمل في الأمور الممكن تحققها.

﴿يَذَّكَّرُونَ﴾: تدل علىٰ المبالغة في التذكر؛ أيْ: أخذناهم بالسنين، بالقحط، والجدب، ونقص من الثمرات؛ لعلَّ ذلك يحدث لهم هزة قلبية، فيرتدعون، ويتعظون، ويعودون إلىٰ رشدهم بعد طول نسيان، وضلال، وكفر.

❖❖❖

فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ
يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ
لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ
ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ
فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ
ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن
كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ
إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ
هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ
فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾
وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ
ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ
ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ
يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾

سورة الأعراف [الآيات ١٣١ - ١٣٧]

[١٣١] ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾:

﴿فَإِذَا﴾: الفاء: للترتيب، والتعقيب. إذا: ظرفية زمانية للمستقبل، وفيها معنى الشرط، وتدل على حتمية الحدوث.

﴿جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ﴾: من الله، والحسنة: هي كل ما يسر النفس، أو تستحسنه؛ مثل: الغنى، والأمن، وكثرة الرزق، والعافية، والسلامة من الأوبئة.

﴿قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ﴾: أيْ: نحن نستحقها؛ لأننا كذا وكذا، أو أوتيناها على علم، وخبرة، وقدرة.

﴿وَإِن﴾: الواو: حرف عطف، إن: شرطية؛ تدل على قلَّة الحدوث.

﴿تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾: مثل: بلاء، أو شدة، أو مجاعة، أو وباء عام، أو قارعة، والسيئة: كل ما يسوء النفس، وجاءت بصيغة النكرة؛ لتشمل كلَّ سيئة مهما كانت.

﴿يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥ﴾: يطيروا: أدغمت التاء في الطاء؛ لأنهما من مخرج واحد، والطير، والتطير: مشتقة من كيف يطير الطائر؛ حيث كان صاحب الطير في قديم الزمان يزجره، ثم يتركه يطير؛ فإذا طار عن يمينه: أصابه الفأل الحسن، وإن طار يساراً: دل على فأل سيِّئ، فالتطير، أو الطيرة: هي التشاؤم، وضده التفاؤل.

إذن: إذا أصابتهم سيئة تشاءموا بموسىٰ، ويقولون: كل ما حدث من أشياء سيئة هو والذين آمنوا معه سببُها.

﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾: ألا: أداة استفهام، وتنبيه.

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة؛ تفيد التوكيد.

﴿طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾: أيْ: سبب شرهم، أو خيرهم هو من عند الله، هو الذي قدَّره لهم، ومن حكمته ومشيئته، وليس من موسىٰ ، أو غير موسىٰ.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾:

﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾: ما هو التطيُّر في الحقيقة؛ هو وهم، ومرض نفسي، وسببه ضعف الشخص، وبدلاً من أن يتَّهم نفسه بالعجز، والكسل، والجهل، يتَّهم غيره ليبرِّر لنفسه تقصيره.

[١٣٢] ﴿وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾:

﴿وَقَالُوا۟﴾: أيْ: آل فرعون.

﴿مَهْمَا﴾: قيل: إنها مكونة من مه: بمعنىٰ اكفف، وما: اسم للشرط، مثل ما يفتح الله للناس من رحمة.

وقيل: إنها مكونة من ما: الشرطية، زيدت عليها ما: للتوكيد، مثل: إما يأتينكم، ثم أبدلت الألف الأولىٰ هاء؛ لئلا تتوالىٰ كلمتان من لفظ واحد.

وقيل: مهما: إنها كلمة واحدة، أو قيل: هي ما: المضاعفة؛ بغرض الإبهام.

﴿تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ﴾: مثل العصا، وغيرها؛ لتسحرنا بها؛ لتصرفنا عما نحن

عليه، فلن نؤمن بك، ونصدقك، فهم لم يميزوا بين المعجزة التي هي حق، وبين السحر الذي هو باطل.

وقولهم: مهما: يدل ذلك على تمادي فرعون في العناد، والضلال، والتحدي، وأنهم لن يقبلوا بأي آية (معجزة)، مهما كانت.

فيكون معنى الآية (مه): كف عن أن تأتينا بآية؛ فلن نصدقك، أو نؤمن لك.

[١٣٣] ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾:

﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ﴾: الفاء: للتعقيب والمباشرة؛ أرسلنا على قوم فرعون؛ أي: استجاب الله لدعاء موسى عليهم، وأرسلنا: نون الجمع أو العظمة للدلالة على عظم وهول هذه الآيات، وعليهم: تدل على الشدة والمشقة؛ أي: تمكن هذه الأمراض منهم.

﴿ٱلطُّوفَانَ ﴾: المطر الشديد؛ المسبب للغرق، المدمر لمساكنهم، وزروعهم. ارجع إلى سورة العنكبوت، آية (١٤).

﴿وَٱلْجَرَادَ ﴾: أرسله الله؛ لإتلاف الزرع، والثمرات.

﴿وَٱلْقُمَّلَ ﴾: حشرات صغيرة؛ مثل: حشرة السوس؛ تؤذي الزرع، أو الحنطة، وقيل: أولاد الجراد، قبل أن تنبت الأجنحة، والمهم: هو ليس قمل الرأس المعروف.

﴿وَٱلضَّفَادِعَ ﴾: بأعداد كبيرة، تلقي أنفسها في الطعام، أو القدور؛ فتفسد الطعام، وتشمئز منها النفوس.

﴿وَٱلدَّمَ﴾: كان يُرىٰ في الماء العذب، ويرون الدم في الأنهار، حتىٰ إن ماء نهر النيل؛ اختلط بالدم، وقيل: هو الرعاف.

﴿ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ﴾: مفصلات: تعني: لا توجد آية مع آية أخرىٰ في زمن واحد، بل بين الآية والآية فاصل زمني، أو مشتقة من نفصل الآيات؛ أيْ: مبينات، ظاهرات، أنها من آيات الله سبحانه، وفيها عبر ومواعظ.

﴿ءَايَٰتٍ﴾: وهي الآيات التسعة، وهي: العصا، واليد، والأخذ بالسنين، ونقص الثمرات، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم.

وروي عن ابن عباس قال: مكث موسىٰ في آل فرعون بعدما غلب السحرة (٢٠ سنة) يريهم الآيات (المعجزات).

﴿فَٱسْتَكْبَرُوا۟﴾: عن الإيمان بالله، والتصديق بموسىٰ. ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (٨٧) لمزيد من البيان.

﴿وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾: أيْ: مستمرين علىٰ ارتكاب الذنوب القبيحة، والشرك، والكفر، والعصيان. ارجع إلىٰ سورة الأنعام آية (٥٥) لبيان معنىٰ المجرمين.

[١٣٤] ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾:

﴿وَلَمَّا﴾: الواو: استئنافية، لما: ظرف بمعنىٰ حين، وفيها معنىٰ الشرط.

﴿ٱلرِّجْزُ﴾: العذاب، وأصل الرجز: من رجز الجمل؛ أي: ارتعشت قوائمه عند القيام أو ناقة، وجزاء؛ أي: تقارب خطوها واضطرب لضعف فيها، ووردت

هذه الكلمة في عشر مواضع من القرآن، وللبيان ومعرفة الفرق بين الرجس والرجز ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (٥٩).

﴿وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ﴾: وحين وقع عليهم العذاب، مثل: الطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم.

﴿قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾:

إذن: هذا السؤال يدل علىٰ أنهم أدركوا، أو آمنوا بأنَّ موسىٰ مرسل من ربِّه، وقالوا: ﴿ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾: ولم يقولوا: ربنا.

و﴿رَبَّكَ﴾: يدل علىٰ أن موسىٰ هو أقرب إلىٰ الرب منهم، فهم لم يؤمنوا بعد، وكذلك هم أيقنوا أن العذاب منزل من الله، ولن يرتفع إلّا بسؤال موسىٰ، وإذا كانوا يعتقدون أن فرعون هو الرب، فلماذا لم يطلبوا من فرعون بدلاً من موسىٰ أن يكشف عنهم الرجز.

﴿بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾: بما أوصاك، أن تدعوه فيجيبك، أو ﴿بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ في كشف العذاب.

﴿لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ﴾: لئن: اللام: لام التوكيد، إن: شرطية؛ تدل علىٰ الندرة، والاحتمال.

﴿لَئِن كَشَفْتَ﴾: رفعت عنا العذاب، أو لئن كشفت، والكشف؛ يعني: الزوال؛ أي: إزالته بعد نزوله، وأما دفع البلاء منعه قبل نزوله.

﴿لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ﴾: اللام: لام التوكيد، نؤمننَّ: نون التوكيد الثقيلة؛ أيْ: لنصدقنك، أو نصدقنَّ ما جئت به.

﴿وَلَنُرْسِلَنَّ﴾: مثل: ولنؤمنَنَّ: لنخرجن معك بني إسرائيل؛ أيْ: نطلق سراح بني إسرائيل من مصر، ونتركهم يخرجون معك، واللام في لنرسلنَّ، والنون تفيدان التوكيد.

[١٣٥] ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾:

﴿فَلَمَّا﴾: ظرف؛ بمعنىٰ: حين، تتضمن معنىٰ الشرط. فلمّا: عاطفة تدل علىٰ الترتيب، والتعقيب، فلما كشفنا: أزلنا، أو رفعنا عنهم العذاب، عن آل فرعون: ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ﴾: الأجل هنا هو إغراقهم في اليم؛ أيْ: إلىٰ حين أوحينا أن موسىٰ اضرب بعصاك البحر، أو كلما كشفنا عنهم العذاب إلىٰ أجلٍ؛ أيْ: بعد رفع العذاب عنهم في كل مرة، يمكثون زمناً، ثم يطالبهم موسىٰ بالإيمان، أو إرسال بني إسرائيل؛ إذا هم ينكثون عهدهم في كل مرة.

إذا: ظرف زمان فيه معنىٰ الفجأة، ينقضون العهد الذي عاهدوه، والنكث في الأصل: مشتق من فك، وخيوط الصوف المغزول؛ أيْ: نقضها وحلها، ثم استعير لنقض العهد، كما قال: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا﴾ [النحل:٩٢]. أنكاثاً: جمع نكث؛ أيْ: ما حُلَّ فتله من الغزل.

[١٣٦] ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾:

﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾: الفاء: للترتيب، والتعقيب، فبعد أن نكثوا عهدهم في كل مرة.

﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾: في البحر، الانتقام: هو العذاب بسلب النِّعمة.

﴿بِأَنَّهُمْ﴾: الباء: للإلصاق، والتعليل.

﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾: لم يؤمنوا بالآيات؛ أي: المعجزات، أو الآيات التسعة.

﴿وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾: وكانوا عنها معرضين، فالغفلة: تعني: تجاهل الأمر، ولم يلتفتوا إليها، لا يفكرون فيها ونسوها. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٧٤)؛ لمزيد من البيان.

وبهذا الخبر ينتهي خبر آل فرعون، وأما عملية إغراق فرعون، وكيف هلك، فذكر ذلك في آيات سورة يونس (٩٠-٩١)، ونهاية مصيرهم ذُكر، أو جاء في آيات القصص، وهود، وغافر.

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ﴾ [القصص:٤١].

﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر:٤٥-٤٦].

﴿وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ [القصص:٤٢].

[١٣٧] ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾:

﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ﴾:

أيْ: بني إسرائيل؛ لقوله في سورة الشعراء، الآية (٥٩) كذلك: ﴿كَذَلِكَ

﴿وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾، ﴿كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ﴾: كان يستضعفهم فرعون، وآل فرعون؛ أيْ: يُذلهم، ويسخرهم لخدمته، وخدمة قومه، ويقتل أبناءهم، ويستحيي نساءهم.

﴿مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا﴾: المراد بها جميع نواحيها، أو جهاتها، ويعني: أرض مصر، والشام، مَلكها وحكمها بنو إسرائيل بعد الفراعنة، والعمالقة.

﴿ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾: بالماء الخصب، وسعة الأرزاق. باركنا فيها: تعود على الأرض؛ أرض الشام، ومصر.

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْ﴾:

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾: وعد ربك بني إسرائيل؛ بإهلاك عدوهم، واستخلافهم في الأرض، والتمكين في الأرض، وإقامة شعائر الدِّين والحرية، كما قال تعالى: ﴿وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [القصص:٥-٦].

﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾: صفة ونعت لكلمة ﴿رَبِّكَ﴾ على بني إسرائيل.

﴿بِمَا صَبَرُواْ﴾: الباء: للإلصاق، والتعليل؛ أيْ: بسبب صبرهم على فرعون وملئه؛ إذ كانوا يسوموهم بسوء العذاب، يذبحون أبناءهم، ويستحيون نساءهم.

﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ﴾:

﴿وَدَمَّرْنَا﴾: الدمار: هو دائماً يأتي كعقوبة، ويشمل كل شيء بلا استثناء؛ أيْ: أهلكنا، خربنا ما كان يصنع فرعون. ارجع إلى سورة الإسراء آية (١٦) لبيان معنى دمرنا.

﴿مَا﴾: اسم موصول أو مصدرية؛ أيْ: دمرنا الذي كان مصنوعاً من فرعون وقومه، مثل: الأهرامات، والأبنية، والتماثيل، والصروح العالية، والأبنية المشيدة؛ كصرح هامان، وما: أوسع شمولاً من الذي.

﴿كَانَ﴾: زائدة؛ تفيد التوكيد.

﴿يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ﴾: فرعون الأب (رمسيس الثاني)، والابن منفتاح. ارجع إلىٰ الآية (١٠٣) من نفس السورة للبيان.

﴿وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾: أيْ: دمرنا جناتهم، وحدائقهم المعروشات، وغير المعروشات، وتكرار (كان)؛ لإثبات تدمير ما كان يصنع فرعون، وقومه من البنيان، وإثبات تدمير ما كانوا يعرشون من الجنات.

❖ ❖ ❖

وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ
أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ
قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ مَّا هُمۡ فِيهِ وَبَٰطِلٞ
مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِيكُمۡ إِلَٰهٗا
وَهُوَ فَضَّلَكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذۡ أَنجَيۡنَٰكُم
مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُقَتِّلُونَ
أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن
رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ﴿١٤١﴾ ۞ وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ
وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ وَقَالَ
مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ
سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ
رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ
إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ
رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ
قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٤٣﴾

نصف الحزب ١٧

سورة الأعراف [الآيات ١٣٨ - ١٤٣]

[١٣٨] ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾:

﴿وَجَٰوَزْنَا﴾: أيْ: مكّناهم من عبور البحر الأحمر، وساروا مسافة بعدها.

جاوز الشيء إلىٰ غيره: قطعه، وخلفه وراءه.

﴿فَأَتَوْا۟﴾: الفاء: للتعقيب، والمباشرة.

﴿فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ﴾: قدِموا ومرُّوا علىٰ قوم يعكفون؛ أيْ: يقيمون علىٰ أصنام لهم. من عكف: يقيم إقامة لازمة، أو عكف علىٰ الشيء: واظب علىٰ الشيء، ولم يتركه.

﴿عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ﴾: أيْ: يعبدون أصناماً، ويقيمون، أو يواظبون علىٰ عبادتها، والأصنام: هي أجسام لها صورة الإنسان أو الحيوان مصنوعة من خشب أو معادن فالذهب أو الفضة أو النحاس أو حجارة تمثل أشخاصاً، أو أشياء خيالية. ارجع إلىٰ سورة العنكبوت آية (١٧) للبيان.

﴿لَّهُمْ﴾: أصنام خاصَّةً لهم، وليس لغيرهم؛ أي: ليست أصنام معروفة، أو مشهورة (عامة)، وتنكير هذه الأصنام للحط من شأنها، ولا قيمة لها.

﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾: قالوا ذلك بعد رؤيتهم كيف أنجاهم الله من فرعون وجنوده، وفلق البحر، وعبوره؛ قالوا هذا القول؛ الذي يعتبر قمة الغباء، وعمىٰ البصيرة، والشرك.

﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾: أيْ: صنماً نعبده، كما: الكاف: للتشبيه، ما: اسم موصول؛ أيْ: كالذي لهم من آلهة.

﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾: قال موسىٰ لهم: إنكم قوم جهلاء، وهي كلمة ذم؛ تعني: ليس عندكم؛ أيْ: علم في الدِّين: وأن العبادة لا تكون إلا لله وحده. ارجع إلىٰ سورة الفرقان آية (٦٣)، وسورة الزمر آية (٦٤) لبيان تجهلون.

وجاء بالفعل المضارع: تجهلون: ليدل علىٰ تجدد جهلهم، واستمرار عمىٰ بصيرتهم، فهم قد شاهدوا قوم فرعون من قبل، قبل أن يعبدوا الأصنام، ويعبدوا فرعون؛ فهم يريدون تقليدهم.

ولنقارن ثلاث آيات متشابهة تصف ثلاثة أقوام؛ وصفوا بالجهل:

أولاً: قوم نوح، الآية (٢٩) من سورة هود: ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾.

ثانياً: قوم لوط، الآية (٥٥) من سورة النمل: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾.

ثالثاً: قوم موسىٰ؛ بنو إسرائيل، الآية (١٣٨) من سورة الأعراف: ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾.

فآية قوم نوح: جاءت في سياق طرد الذين آمنوا، والدعوة إلىٰ الله .

وآية قوم لوط: جاءت في سياق الفاحشة.

وآية بني إسرائيل، جاءت في سياق الشرك، وعبادة الأصنام، وبما الشرك والارتداد الذي يطلبه بنو إسرائيل من أعظم الذنوب، وأعظم من الفاحشة؛ لذلك أكَّد بقوة: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾، وأما قوله: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾: ففيها توكيد أقل من التوكيد في: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾، والتوكيد في: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾، أقوىٰ من: ﴿وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾.

إذن: مقابل الشرك (أعظم الذنوب): قال: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾.

مقابل الفاحشة (من الكبائر): قال: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾.

ومقابل طرد الذين آمنوا (بسبب السيئات): قال: ﴿وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾.

[١٣٩] ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾:

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾: الهاء: للتنبيه، أولاء: اسم إشارة، يحمل معنى الذم، ويشير إلى القوم؛ الذين يعكفون على أصنام لهم.

﴿مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ﴾: التتبير: هو الهلاك.

﴿مَّا هُمْ فِيهِ﴾: من عبادة الأصنام؛ أيْ: هؤلاء الذين يعكفون على أصنام لهم، هم وأصنامهم هالكون، خاسرون.

﴿وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾: باطل زائل، لا يفيدهم، أو ينفعهم ذلك، لا في الدنيا، ولا في الآخرة، ويحبط شركهم هذا ما كانوا يعملون في الدنيا من الأعمال الصالحة ثواب لهم.

﴿مَّا﴾: اسم موصول، أو حرف مصدري؛ أي: الذي كانوا يعملون، أو عملهم هذا باطل.

وإضافة ﴿كَانُوا۟﴾: بدلاً من قوله: (وباطل ما يعملون): تفيد التوكيد، وتفيد الدلالة على بطالة الذي يعملونه، سواء أكان في الماضي، أم الحاضر، أم المستقبل، (كان) هنا تشمل: الأزمنة الثلاثة.

[١٤٠] ﴿قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾:

﴿قَالَ﴾: موسى لبني إسرائيل.

﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ﴾: الهمزة في أغير: همزة استفهام، وتعجب، وتوبيخ، واستغفار.

﴿أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا﴾: ألتمس، أو أطلب لكم؛ أيْ: أأبغي لكم إلهاً غير الله؟!

فيها تهويل، وتعجب، واستنكار شديد، وقدَّم كلمة غير المفعول به؛ للاهتمام بدلاً من القول: (أبغيكم غير الله إلهاً).

﴿وَهُوَ﴾: ضمير منفصل؛ يفيد التوكيد، تعود على الله .

﴿فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: عالمي زمانهم ذاك؛ أيْ: على الأمم، أو الأقوام التي كانت تعيش في ذلك الزمن، ثم أراد أن يذكرهم ببعض نعمه عليهم، ومن أفضلها؛ نجاتهم من آل فرعون.

[١٤١] ﴿وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾:

﴿وَإِذْ﴾: ظرف زمان للماضي؛ أيْ: واذكروا إذ أنجيناكم، أو حين أنجيناكم.

﴿أَنجَيْنَٰكُم﴾: ولم يقل: نجيناكم، أو نجاكم؛ لأن أنجيناكم: تدل على السرعة في النجاة، والقوة، والشدة في عملية النجاة، من الغرق، وعبور البحر، أما نجيناكم، أو نجاكم؛ فتدل على طول الزمن، والبطء في عملية النجاة، كما في يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم.

﴿مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾: من أتباع وأعوان فرعون.

﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾: يسومونكم: يبغونكم. ارجع إلى الآية (٤٩) من سورة البقرة؛ لمزيد من البيان، وسورة القصص آية (٤)، وسورة إبراهيم آية (٦١). ويسومونكم؛ تعني: يذيقونكم.

واختيرت هذه الكلمة؛ لأنها تجمع كل المعاني، ففرعون ابتغى لهم العذاب، وأذلهم وأعنتهم، وآل فرعون أذاقوهم ونفذوا فيهم سوء العذاب، وسوء العذاب: أشده وأفظعه.

والسوء: هو كل ما يغم الإنسان من أمور الدنيا والآخرة، أو يسيء إلى النفس،

وسوء العذاب؛ يعني: الضرب، والشتم، والعنت إضافةً إلىٰ ﴿يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾: ولم يقل: (يذبحون أبناءكم)؛ لأن الذبح نوع من أنواع القتل، ويقتلون: جاءت بصيغة المضارع؛ لتدل علىٰ حكاية الحال؛ أيْ: لإظهار بشاعة القتل، وكأنك تراه أمام عينيك.

﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾: من استحيا؛ أيْ: أبقاه علىٰ قيد الحياة؛ أيْ: يتركونهنَّ أحياء؛ للخدمة، وللمتعة، وللذل.

﴿وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾: ذلكم: اسم إشارة، يشير إلىٰ البعد؛ أيْ: إلىٰ سوء العذاب، والقتل، والاستحياء، وكذلك النجاة من الغرق، وقوله: ﴿وَفِي ذَٰلِكُم﴾: ولم يقل: في ذلك، فذلكم: تفيد التوكيد، والتعدد.

﴿بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾: البلاء: امتحان من ربكم، والبلاء، والابتلاء: يكون في الخير، والشر؛ لكي يرىٰ أتشكرون، أم تكفرون؟ ولإقامة الحُجَّة، والإقرار عليكم.

﴿عَظِيمٌ﴾: لشدّته، وفظاعته، ليس فوقه بلاء؛ لما فيه من العذاب، والألم، وطول الزمن.

[١٤٢] ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾:

﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً﴾: انتبه إلىٰ واعدنا، غير وعدنا، الوعد: إذا كان بين طرفين، وقبل به كلا الطرفين، يقال: واعدنا.

وإذا كان الوعد من طرف واحد، يقال: وعدنا.

وهنا في هذه الآية؛ كانت المواعدة بين الله سبحانه، وموسىٰ: أن الله سبحانه سينزل الألواح عليه بعد تمام ثلاثين ليلة، وأمره بصومها؛ فصامها، وقيل: كانت شهر ذي القعدة.

فلما أتم موسى الصيام؛ أنكر موسى رائحة فمه؛ فاستاك؛ فكان ذلك سبباً لزيادة العشر، وهذا تفسير قوله سبحانه: ﴿وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾، وكانت هذه العشرة هي العشر الأوائل من شهر ذي الحُجَّة.

ونحن نذكر في سورة البقرة الآية (٥١)، قال: ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ﴾، ولا تعارض بين الآيتين، فآية البقرة جاءت بالأسلوب الإجمالي، وآية الأعراف جاءت بالأسلوب التفصيلي.

وانتبه! إلى قوله: ﴿ثَلَاثِينَ لَيْلَةً﴾، أو ﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾، ولم يقل: ثلاثين، أو أربعين يوماً؛ لأن العرب تحسب بالليالي، فأول الشهر يبدأ بليلة أول الشهر؛ لكونهم يعتمدون على الأهلة؛ فصارت الأيام تبعاً لليالي.

﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾:

﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ﴾: عندما عزم على الذهاب للطور؛ لتلقي الألواح، قال موسى لأخيه هارون: ﴿اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي﴾: أيْ: كن خليفتي في قومي؛ أيْ: راعياً لبني إسرائيل.

﴿وَأَصْلِحْ﴾: تفقد أحوالهم، وارفق بهم، وارعاهم، وحل خلافاتهم.

﴿وَلَا﴾: الواو: عاطفة، لا: الناهية.

﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾: كيف يقول موسى لأخيه هارون النبي؛ الذي بعثه الله لمؤازرته هذا الكلام؟! وهو نبي، وكيف يتبع سبيل (طريق) المفسدين (بالشرك، والضلال، والباطل). ارجع إلى الآية (١٠٣) من نفس السورة؛ لبيان معنى المفسدين.

هذا يدل على أن موسى كان خائفاً أن تحدث فتنة، وخاصَّةً بعد أن رأى ما حدث من بني إسرائيل حين طلبوا منه أن يجعل لهم إلهاً، كما لهم آلهة بعد

نجاتهم من آل فرعون، ونجاتهم من الغرق؛ فكأنه قد توقع حدوث فتنة بعد ذهابه، ويريد أن يحذر أخاه هارون؛ الذي يمتاز برأفة، ورحمة على بني إسرائيل.

[١٤٣] ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۖ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾:

﴿وَلَمَّا﴾: الواو: عاطفة، لما: ظرف زمان؛ بمعنى: حين.

﴿لِمِيقَٰتِنَا﴾: اللام: الاختصاص. الميقات المكاني: جانب الطور الأيمن، والزماني: (٤٠ ليلة).

﴿وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ﴾: عن قتادة قال: لما سمع موسى كلام الله له، طمع في الرؤيا؛ أي: اشتياقاً، والله أعلم بما دفعه للسؤال بذلك.

قال الحق سبحانه: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾: لن: هذه تفيد نفي المستقبل، ولكن لا تفيد النفي المؤبد، كما قال بعض المفسرين سابقاً؛ أيْ: لن تراني في الحياة الدنيا، أما في الآخرة؛ فقد يرى الإنسان ربه، كما دلت على ذلك الآيات، والأحاديث، مثل قوله: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾ [القيامة:٢٣]، ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [يونس:٢٦].

ولو قال سبحانه: لن أُرى؛ فهذا قد يعني في الدنيا، والآخرة.

وكذلك انتبه إلى قول موسى: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ﴾: فيها معنى: إن أريتني؛ فهذا من مشيئتك؛ أيْ: وهبت لي الطاقة على رؤيتك، وجاء جواب الله سبحانه لموسى بلطف وكرم، قال له: ﴿لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ﴾: أيْ: إنه أراد أن يُبيِّن لموسى لِمَ لا يستطيع أن يراه، ويجب عليه أن ينتظر إلى الآخرة؛ كي يرى ربه، ولم يقل: لن تراني، وانتهى الكلام، ولا تسألني عن شيء بعدها، لكنه قال: ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ﴾، ولكن: حرف استدراك.

﴿فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى﴾: فإن: الفاء: للتعقيب، والمباشرة. إن: شرطية.

﴿ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ﴾: ثبت، ولم يتزلزل، أو يصبح مستوياً بالأرض.

﴿فَسَوْفَ تَرَىٰنِى﴾: الفاء: للتعقيب، سوف للمستقبل مع التراخي، ولماذا، جاء بسوف بدلاً من السين التي تدل على القرب في الزمان، وذلك لأن وقوع هذه الرؤية بعيدة المنال، ومستحيلة الحصول الآن.

وسوف: أكثر توكيداً من السين.

سوف: للتراخي في الزمن، أو للبعد الزماني، والاستبعاد المعنوي؛ أيْ: أن يحدث ذلك الأمر قريباً.

﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾: فلما: الفاء: للتعقيب، والمباشرة. لمّا: ظرف زماني؛ بمعنى: حين.

﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾: ظهر وانكشف، بدء ظهور نوره، والجبل: أعظم من الطور حجماً وارتفاعاً وعرضاً.

﴿جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾: صار الجبل مدكوكاً: مسحوقاً كالتراب، ومستوياً مع وجه الأرض، لم يعد له أثر ارتفاع على الأرض.

ومعنى دكه: جعله مساوياً، أو مستوياً مع الأرض.

يقال ناقة دكاء: أيْ: ذاهبة السنام، مستوٍ ظهرها؛ كأن سنامها دك.

وأصل دككت: أيْ: دققت.

﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾: مغشياً عليه، أو مغمى عليه؛ أيْ: فاقداً لوعيه.

إذن: من رحمة الله بموسى: أنه لم يتمكن من رؤيته، ولو أصر موسى لحدث له مثل ما حدث للجبل، وعدم استطاعته رؤية ربه؛ لأصبح عقاباً له،

وليس رحمة له، وبمجرَّد أن تجلَّى ربه للجبل؛ أصبح الجبل دكاً، وخرّ موسى صعقاً.

﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ﴾: الفاء: للتعقيب؛ لما: ظرفية زمانية؛ أيْ: حين: ﴿أَفَاقَ﴾: من غيبوبته، وارتد إليه وعيه، وأفاق من صعقته.

﴿قَالَ سُبْحَٰنَكَ﴾: أيْ: أنزهك تنزيهاً من كل عيب، ونقص، وأنزهك عن الذي تصورته؛ أيْ: تصورت أني أستطيع رؤيتك، وهذا لا يليق بذاتك سبحانك؛ أيْ: لا تشبه خلقك.

﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾: وكأن موسى شعر بالذنب بطلب الرؤية، وقد أخطأ، وشعر أنه قد دخل في زمرة الذين ما قدروا الله حق قدره.

وشعر أن ربه قد يبتعد عنه؛ فهو يريد العودة إلى ما كان عليه، وباب العودة معروف: هو التوبة أولاً؛ فلذلك نزه ربه وقال: تبت إليك.

﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: أيْ: أول المؤمنين بأن لن يراك أحدٌ من خلقك في الحياة الدنيا، أو أول المؤمنين من بني إسرائيل، أو أول المؤمنين في الإيمان، ودرجة الطاعة، وأول المؤمنين: لا تعني ترتيباً زمنياً؛ لأن هناك الكثير ممن آمن قبل موسى؛ مثل: آدم، ونوح، وإبراهيم عليهم السلام.

وانتبه! إلى قوله: ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾، ولم يقل: إني تبت إليك؛ لتدل على السرعة في التوبة.

وانتبه! إلى قوله: ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ أولاً؛ أيْ: نزه ربه أولاً؛ أي: أصلح ما قاله، ثم قال: ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾: أيْ: تاب ثانياً، ثم قال: ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: عاد، وأعلن إيمانه.

❖ ❖ ❖

قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي
فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا
لَهُۥ فِي ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ
شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ
دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ
فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟
بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟
سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا
وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ
ٱلْءَاخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟
يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ
عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ
سَبِيلًا ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ
فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا
رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾

سورة الأعراف [الآيات ١٤٤ - ١٤٩]

[١٤٤] ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾:

﴿إِنِّي﴾: إنّ: للتوكيد.

﴿ٱصْطَفَيْتُكَ﴾: الاصطفاء: الاختيار من بين أشياء متشابهة؛ كأن تختار قلماً من بين مجموعة أقلام.

أما الاختيار يكون من بين أشياء غير متشابهة؛ كأن تختار قلماً من بين ورقة، وكتاب، وقلم، فالاصطفاء عملية أشد وأصعب من مجرَّد الاختيار، والاصطفاء يحدث بعد الاختيار، والاصطفاء يكون لأمر، أو فعل متميز فريد في نوعه ربما لم يحدث قبل مثل تكليم الله رب العالمين لموسىٰ لأول مرة. فالاصطفاء أعلىٰ درجة من الاختيار، والاجتباء يشبه الاصطفاء، ولكن يأتي في سياق الأفراد وليس في الأفعال كما هو الحال في الاصطفاء.

﴿عَلَى ٱلنَّاسِ﴾: أيْ: برسالاتي، جمع رسالة في العقيدة، والعبادات، والمعاملات؛ أيْ: الشرائع، والشرعة: هي المنهج، أو الرسالة، ومجموعها رسالات أو رسائل، والباء: تدل علىٰ الإلصاق، والتوكيد، وتقديم الجار والمجرور ﴿عَلَى ٱلنَّاسِ﴾: يفيد الحصر ﴿عَلَى ٱلنَّاسِ﴾؛ أي: اخترتك علىٰ الناس لتكون رسولاً إلىٰ بني إسرائيل، برسالاتي: جمع رسالة؛ رسالة: التوحيد، والإيمان، والطاعة، والأخذ بالأوامر، وتجنب النواهي، والإيمان بالأخرة، ودعوة فرعون وقومه.

﴿وَبِكَلَٰمِي﴾: أيْ: تكليمي إياك من وراء حجاب؛ يعتبر اصطفاءً أيضاً.

﴿فَخُذْ﴾: الفاء: للتعقيب، والمباشرة.

﴿مَآ ءَاتَيْتُكَ﴾: ما: اسم موصول، أو مصدرية؛ بمعنىٰ: الذي أتيتُك.

﴿مَآ ءَاتَيْتُكَ﴾: من الألواح والرسالة، ولم يقل: ما أعطيتك. الإيتاء: ليس فيه تملك، كما هو الحال في العطاء، والإيتاء: أعم من العطاء؛ يشمل النواحي المادية، والحسية. ارجع إلىٰ سورة البقرة، آية (٢٥١)؛ لمزيد من البيان.

﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾: لله؛ لهذا الاصطفاء، والتكليم، والإكرام، ولبيان معنىٰ الشكر؛ ارجع إلىٰ آية (١٠) في نفس السورة.

[١٤٥] ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا سَأُورِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾:

﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ﴾: ولبني إسرائيل في الألواح، ولم يبين سبحانه عددها، والألواح قيل: هي غير التوراة، وغير الصحف التي أنزلت علىٰ موسىٰ.

﴿مِن﴾: الاستغراقية، كل ما يحتاجه بنو إسرائيل في دِينهم، ودنياهم.

﴿كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً﴾: الوعظ: هو النصح بالترغيب، أو الترهيب، أو كلاهما، والوعظ: هو القول الصدق الذي يؤثر في النفوس المؤمنة، وغير المؤمنة.

﴿وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾: أيْ: تبياناً لكل شيء، بيان للأحكام المفصلة للحلال، والحرام، والأمر، والنهي، والحدود.

﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾: الفاء: للتعقيب، والمباشرة. بقوة: بجد، وعزيمة؛ عزم علىٰ الطاعة، والعمل بالأوامر، وتجنب النواهي، وتدبر المواعظ، والأمثال.

﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا﴾: أحسنها: هناك حسن وأحسن؛ أيْ: مبالغة في الحسن، علىٰ وزن أفعل، وكلها تعتبر حسنة، وأحسنها؛ أي: الأكثر ثواباً؛ مثال: القصاص النفس بالنفس، والعين بالعين، وأحسن من القصاص: العفو.

﴿سَأُورِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾: سأوريكم: السين: للاستقبال القريب.

﴿سَأُورِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾: وهي النار، ونحن نعلم: أن كل مخلوق سيرد

على النار؛ ليراها، وهي دار الفاسقين؛ لقوله: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم:٧١].

وقد تعني: ﴿سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾: في الدنيا، دار الفاسقين، مساكن الذين كفروا، وعصوا الرسل، أمثال: فرعون وأتباعه، وقوم عاد، وثمود، ولوط؛ لقوله تعالى: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا﴾ [النمل:٥٢].

وقوله تعالى: ﴿فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [القصص:٥٨]، ولمعرفة معنى الفاسقين: ارجع إلى سورة البقرة، آية (٢٦).

[١٤٦] ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾:

﴿سَأَصْرِفُ﴾: سأبعد، والسين: للاستقبال القريب.

﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ﴾: أيْ: أصرفهم عنها، فلا يتأملونها، ولا يعتبرون بها، ولا يصدقونها، أو يعملون بها، والصرف يكون بالغفلة، أو الطبع أو المنع.

﴿آيَاتِيَ﴾: تشمل الآيات القرآنية، أو الكونية، أو المعجزات.

وإضافة الآيات إليه بقوله: ﴿آيَاتِيَ﴾: تدل على أهمية، وشرف هذه الآيات

﴿الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾: يتكبرون عن طاعتي، ويتكبرون على الناس بغير حق، وعن الإيمان، والتصديق برسلي.

والمتكبر: هو من أظهر عظم شأنه فوق ما يستحق، ولا يملك من مقومات الكبر: الغنى، والقوة، والسلطة، والجاه شيئاً.

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾: والسؤال هنا: هل هناك تكبر بحق؟ نعم، التكبر بالحق، لله وحده فقط، وكل من دون الله تعالى؛ فهو يتكبر بغير حق، أو حين يستكبر إنسان؛ لحماية الضعيف، أو يفعل ذلك لكف ظالم عن ظلمه.

﴿وَإِن﴾: شرطية؛ تفيد القلة أو الاحتمال.

﴿وَإِن يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾: مع كثرة الآيات لا يؤمنون بأي آية منها.

﴿وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾: سبيل الرشد: طريق الهدى، والسداد، والصواب، والاستقامة في أمور الدنيا والدين؛ أي: في الأمور الدنيوية والأخروية والاهتداء لا يسلكونه. ارجع إلى سورة النساء، آية (٦)؛ لمزيد من البيان عن الرشد.

﴿وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾: سبيل الغي، طريق الضلال

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾: ذلك الصرف عن آيات الله أولاً؛ بسبب تكذيبهم بآيات الله المنزلة في التوراة، والآيات الكونية، أو المعجزات. وثانياً: ﴿وَكَانُوا عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾: غير عاملين بها، أو مبالين بها، ونسوها، ولم يعدوا يذكرونها؛ بسبب الطبع على قلوبهم، أو بسبب الكبر، والتكذيب؛ فالذين يصرفون عن آيات الله هم الذين يتكبرون في الأرض بغير حق. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٧٤)؛ لمزيد من البيان عن معنى غافلين.

قد يظن قارئ أنه يكفي قوله سبحانه: ﴿وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾؛ أنه سيسلك سبيل الغي إذا لم يسلك سبيل الرشد، والحقيقة: أن ذلك لا يكفي ؛ لأن من يعرض، ويبتعد عن سبيل الرشد؛ قد لا يسلك سبيل الغي حتماً، فهو قد لا يسلك لا سبيل الرشد، ولا سبيل الغي، بل يقف على الحياد.

ولكي يؤكِّد على كونه لم يقف على الحياد، ويلغي ذلك الظن صرح بأنه سلك سبيل الغي.

[١٤٧] ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾:

﴿وَٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول يفيد الذم.

﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾: المنزلة على رسلنا، ولم يؤمنوا بها؛ أي: الآيات المنزلة في الكتب السماوية، أو المعجزات، أو الآيات الكونية الدالة على عظمة الخالق، ووحدانيَّته.

﴿وَلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾: ولم يصدِّقوا بالبعث، والحساب، والجزاء.

﴿حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ﴾: بطلت أعمالهم التي عملوها في الدنيا. أعمالهم الحسنة: كالصدقات، والإحسان، وذهبت سدىً؛ لفقدان شرط القبول: وهو الإيمان؛ أيْ: بسبب كفرهم، أو شركهم، أو عدم الإيمان. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٢١٧)؛ لبيان معنى حبطت.

﴿هَلْ﴾: للاستفهام، والنفي.

﴿يُجْزَوْنَ﴾: الجزاء يكون مطابقاً للعمل، والعمل يشمل القول والفعل معاً.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾: إنْ خيراً فخير، وإن شراً فشر، ولن يظلمهم الله مثقال ذرة.

[١٤٨] ﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَـٰلِمِينَ﴾:

﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ﴾: اتخذ: من أفعال التصيير.

﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾: من بعد أن تركهم؛ ذاهباً إلى جبل الطور؛ لتلقي الألواح.

﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَـٰلِمِينَ﴾:

﴿وَٱتَّخَذَ﴾: أيْ: صيروا، أو صنعوا من حُليهم. الحُلي هنا هي: الذهب، والفضة، وقال: ﴿حُلِيِّهِمْ﴾: حلي بني إسرائيل، وحلي القبط التي استعاروها منهم، وبقيت عندهم بعد عيدهم، والذي اتخذ من حليهم عجلاً: هو السامري،

وعبر بالقوم بدلاً من السامري؛ لأنهم شاركوا في الجريمة بإعطائهم الحلي له، ولم يعيدوها إلىٰ أصحابها.

واتخذ: من الأفعال المتعدية؛ أيْ: لها مفعولان؛ فالمفعول الأول: هو ﴿عِجْلًا﴾، والثاني: محذوف تقديره: إلهاً، وفي جميع القرآن يحذف المفعول الثاني، وهو إلهاً؛ لأن هذا الإله لا يستحق أن يذكر اسمه لكونه عجلاً، أو صنماً، أو وثناً.

﴿عِجْلًا جَسَدًا﴾: أيْ: مجرد تمثال علىٰ هيئة العجل. جسداً: يعني: لا روح فيه.

﴿لَّهُۥ خُوَارٌ﴾: الخوار: هو صوت البقر.

واختار السامري العجل بدلاً من غيره؛ لأن قوم موسىٰ رأوا المصريين القدامىٰ، وغيرهم يعبدون العجل.

﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾: ألم: الهمزة للاستفهام، والإنكار، والتعجب.

﴿يَرَوْا﴾: الرؤية هنا: رؤية بصرية، أو عينية حقيقية.

﴿أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ﴾: أنه: للتوكيد، لا: النافية، يكلمهم: ولو بكلمة واحدة، فكيف يعقل أن يكون إلهاً لا يتكلم، وكيف يهديهم إلىٰ أيْ: سبيل، وهو لا يتكلم؟!

﴿وَلَا يَهْدِيهِمْ﴾: تكرار لا: لزيادة النفي.

﴿وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾: إذا ضلوا، وانحرفوا عن الهدىٰ، والصواب. سبيلاً: نكرة تشمل أيَّ سبيل. لا يهديهم؛ أيْ: سبيل يمكن أن ينقذهم من ضلالهم، وغيِّهم.

﴿ٱتَّخَذُوهُ﴾: صيَّروه، وجعلوه إلهاً من جهلهم.

﴿وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ﴾: أيْ: كانوا مشركين؛ لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣]، ولمعرفة معنىٰ الظلم: ارجع إلىٰ سورة البقرة، آية (٥٤).

وكانوا ظالمين لأنفسهم ولغيرهم؛ لأنهم أوردوها مورد الهلاك.

والظلـــم: الخروج عن منهج الله؛ فكل من يخرج عن منهج الله تعالىٰ يُعدُّ ظالماً لنفسه.

[١٤٩] ﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾:

﴿ وَلَمَّا سُقِطَ ﴾: لما: ظرفية زمانية؛ بمعنىٰ: وحين بعد رجوع موسىٰ إليهم.

﴿ سُقِطَ فِيٓ أَيْدِيهِمْ ﴾: لها تفسيران: يقال للنادم: سقط في يده؛ أي: سقط الندم في يده؛ أي: في قلبه؛ فالسقوط هو الندم، والسقوط بمعنىٰ الوقوع، والسقوط أعم من الوقوع؛ أي: وقعت بهم الشدائد والمصائب.

التفسير الأول: ولما سقط (الندم) في أيديهم؛ أيْ: في أنفسهم؛ أيْ: بعد أن تبيَّنوا جريمتهم؛ باتّخاذ العجل؛ ندموا ندماً شديداً علىٰ شركهم، وكان ذلك بعد رجوع موسىٰ، والسقوط يدل علىٰ السرعة، وشعروا بالندم بسرعة علىٰ ما فعلته أيديهم، وقالوا: ﴿لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾.

التفسير الثاني: النادم أحياناً يعض علىٰ يده من شدة الندم، ويقال للرجل النادم علىٰ ما فرط: قد سُقط في يده؛ أيْ: في نفسه؛ لأن اليد كانت هي السبب في الفعل السيِّئ.

﴿لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٢٣) من سورة الأعراف؛ للبيان، ولمعرفة الفرق بين دعاء بني إسرائيل هذا ودعاء نوح وآدم، وقدَّموا الرحمة علىٰ المغفرة؛ لأن الرحمة أعم وأوسع من المغفرة، والمغفرة تأتي بعد الرحمة، فمن لا يرحمه ربه لا يغفر له، وأكَّدوا خسارتهم في الدنيا والآخرة باستعمال لام التوكيد في كلمة (لئن)، والنون في (نكوننَّ).

❖ ❖ ❖

وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى
مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ
أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟
يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى
رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟
ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ
وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ
تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ
﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى
نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ وَٱخْتَارَ
مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ
قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ
ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّا ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى
مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ
﴿١٥٥﴾

سورة الأعراف [الآيات ١٥٠ - ١٥٥]

[١٥٠] ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾:

﴿وَلَمَّا﴾: الواو: عاطفة. لما: ظرف زماني؛ بمعنىٰ: حين.

﴿رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ﴾: من بعد استلام الألواح، والميقات. غضبان: علىٰ وزن فعلان ملآن غضباً، صيغة مبالغة؛ أيْ: شديد الغضب؛ لما فعله السامري وقومه من بعده.

﴿أَسِفًا﴾: الأسف: هو الحزن، والغضب معاً.

وأسفاً: صيغة مبالغة؛ تدل علىٰ الحزن الشديد، مع الغضب الشديد.

حين تقول: أنا آسف: يعني أسف عادي، وأنا آسِف: صيغة مبالغة، أو أسفاً شديداً.

﴿قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ﴾: بئس: من أفعال الذم؛ أيْ: بئس الخلافة، والخليفة: هو من استخلف في أمرٍ مكان من كان قبله، أو بئس شيئاً خلفتموني من بعدي؛ إذ عبدتم العجل، أو بئس الشيء خلفتموني من بعدي. كان يكفي خلفتموني، وإضافة من بعدي؛ أي: من بعد ذهابي إلىٰ الطور، أو من بعد حذرتكم منه، وتدل علىٰ فظاعة وسوء ما فعلوا بعد غيابه من الضلال واتخاذ العجل، واستعمال (من) بدلاً من (الذي): لزيادة الإبهام علىٰ السامع، بينما الذي تستعمل للشيء المحدَّد علىٰ السامع، والخطاب موجَّه إلىٰ من الْتقىٰ بهم بعد رجوعه بمن فيهم أخوه هارون.

﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾: الهمزة: استفهام إنكاري، وعجل الأمر؛ أيْ: لم يتممه، وتركه ناقصاً.

﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾: قال ابن عباس: أعجلتم ميعاد ربكم، فلم تصبروا (٤٠ ليلة) على عودتي، أو تحافظوا على وصيتي لكم (٤٠ ليلة)؛ فعبدتم العجل، أو لم تنتظروا أمر ربكم؛ حتى آتيكم بالتوراة، أو استبطأتموني، وظننتم أن لن أرجع إليكم.

﴿وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ﴾:

﴿وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ﴾: من شدة غضبه، وأسفه، ودهشته، وتكسر بعضها.

﴿قَالَ ابْنَ أُمَّ﴾: ولم يقل: ابن الأب؛ لأن أبا موسى وهارون ليس له خبر، أو ذكر في قصة موسى، وكل الآيات تتعلق بأم موسى، بعكس قصة يوسف: الأب هو المحور، وجاء ذكره في كل الآيات، ولم تذكر أم يوسف في أي آية.

﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾، وفي سورة طه، آية (٩٤) قال: ﴿يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي﴾: ذوائبه.

﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي﴾: أيْ: بشعري؛ أيْ: برأس أخيه، ولحيته يجره إليه؛ حيث ظن موسى أن أخاه هارون عصى الله؛ لبقائه معهم، ولم يلحق به، وبين هذا في سورة طه، الآيتان (٩٢-٩٣)، قال: ﴿قَالَ يَهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا ۝٩٢ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾.

﴿قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾:

قال هارون لموسى: ﴿إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي﴾: أي: استذلوني، ولم يطيعوني.

﴿وَكَادُوا﴾: من أفعال المقاربة.

﴿يَقْتُلُونَنِي﴾: هذا يدل على أنه قد قاومهم، وخاصمهم، ولم يكن راضياً عما فعلوه.

﴿فَلَا﴾: الفاء: للترتيب، والتعقيب. لا: الناهية.

﴿تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ﴾: الشماتة هي إظهار الفرح بمصيبة تقع بخصم، والأعداء هم القوم الذين اتخذوا العجل.

﴿وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: ولم يقل: في القوم الظالمين؛ لأنه لم يكن في السابق، ولا في الحال، ولم يكن قط في زمرة الظالمين؛ أي: المشركين، أو الذين ظلموا أنفسهم بعبادة العجل؛ أيْ: لا تجعلني مع زمرة الظالمين، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (٩٤) في سورة طه وهي قوله تعالى على لسان هارون: ﴿يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ ۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾: نجد في آية طه جاءت بالسبب؛ سبب عدم تدخل هارون بشكل صارم بعدا اتخاذهم العجل، وفي آية الانحراف: يحذر هارون موسى؛ النتيجة: نتيجة جره من لحيته أمام الناس، وعدم الظن السيء به.

[١٥١] ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾:

بعد أن سمع اعتذار أخيه، وأنه حاول صدهم عن اتخاذ العجل؛ راح موسى يستغفر الله لنفسه ما قاله، وفعله بأخيه هارون، ويستغفر لأخيه كذلك عما حدث منه من تقصير في صد قومه عن عبادتهم للعجل، ويسأل ربه أن يدخلهما في رحمته، ويقول: ﴿فِي﴾: الظرفية، ﴿رَحْمَتِكَ﴾: أيْ: هو وأخوه، كان سابقاً في رحمة الله؛ أيْ: وأدخلنا في رحمة أخرى، أو رحمة جديدة.

﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾: الراحمين: جمع راحم، فهناك من البشر من يرحم، ولكن الله سبحانه هو أعظم الراحمين، أو أفضلهم.

﴿أَرْحَمُ﴾: على وزن أفعل، ومن يرحم الناس يسمَّى: رحيماً، وراحماً، فالله سبحانه أوصى خلقه بالتراحم، كما كتب على نفسه الرحمة، وكما ورد في

الحديث الذي رواه أبو هريرة، قال رسول الله ﷺ: «من لا يَرْحَمْ لا يُرْحَمْ» [متفق عليه]، وإذا قارنا هذه الآية مع الآية (١٥٥) في نفس السورة وهي قوله تعالىٰ علىٰ لسان موسىٰ: ﴿فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ﴾: نجد أن في آية الاعراف (١٥١) قال موسىٰ: (رب اغفر لي ولأخي، وفي الآية (١٥٥) قال موسىٰ: (فاغفر لنا) إذن طلب المغفرة في كلا الآيتين، والمغفرة تدل علىٰ ذنبٍ كبيرٍ، أو صغيرٍ، وطلب الرحمة في كلا الآيتين، وفي الآية (١٥٥) ذكر خير الغافرين؛ لأن ذنب الذين اتخذوا العجل كان أعظم مما حدث بين هارون وموسىٰ.

[١٥٢] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ﴾:

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ﴾: اتخذوا: من أفعال التحويل، والتصيير؛ أي: اتخذوا العجل إلهاً.

﴿سَيَنَالُهُمْ﴾: السين: للمستقبل القريب؛ أيْ: في الدنيا.

﴿غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾: عذاب من ربهم، وهو ما أمرهم به، من قتل الذين اتخذوا العجل.

﴿وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: خروجهم من ديارهم، وتشردهم: بالقتل، والجلاء، والجزية ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٦١].

﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ﴾: جمع مفترٍ: وهو الذي يختلق الكذب المتعمد؛ أيْ: كما جزيناهم بالغضب، والذلة؛ نجزي المفترين علىٰ الله الكذب، والمشركين بالله، والفرية مثل ما عمل السامري نجزي المفترين؛ أمثال: السامري... وغيره.

[١٥٣] ﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾:

هذه الآية تشير إلىٰ حكم عام، أما من اتخذوا العجل فكانت توبتهم قتل أنفسهم. ارجع إلىٰ سورة البقرة، آية (٥٤).

وأما ﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: فقيل: الصغائر والكبائر.

﴿ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا﴾: من بعدها؛ أي: السيئات، وندموا علىٰ ما فعلوا، وعزموا علىٰ ألّا يعودا إليها، وأصلحوا ما أفسدوا، وأكثروا من النوافل. ارجع إلىٰ سورة النساء، آية (١٦-١٧)؛ لمزيد من البيان.

﴿وَءَامَنُوٓا۟﴾: أخلصوا إيمانهم لله، ولم يشركوا به شيئاً.

﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا﴾: بعد تلك السيئات ﴿لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. إن: للتوكيد.

أو ﴿بَعْدِهَا﴾: من بعد التوبة، وتطبيق شروطها.

﴿لَغَفُورٌ﴾: اللام: تدل علىٰ التوكيد.

﴿لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٥٤) من سورة الأنعام؛ للبيان.

ولم يقل: لغفور رحيم لهم، بل جعل صفة الرحمة والمغفرة عامة، وشاملة، ولم يقيدها بهم فقط.

[١٥٤] ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾:

﴿وَلَمَّا﴾: الواو: استئنافية. لما: ظرف زماني؛ يعني: حين.

﴿سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ﴾: شبَّه الغضب بشيء يُثير موسىٰ، ويهيِّجه؛ فلما سكت عن موسىٰ الغضب؛ أيْ: زال وانتهىٰ، أو سكن؛ فالغضب جعله يلقي

الألواح، ويأخذ برأس أخيه، ثم جاءت مرحلة الاستغفار، والألواح ما زالت ملقاة على الأرض، أخذ الألواح التي ألقاها.

﴿وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى﴾: أيْ: ما كتب فيها هدىٰ، مصدر هدىٰ، أو هو هدىٰ يهدي للحق، والخير، ويهدي للغاية الموصلة إلىٰ السعادة، والكمال في الدارين.

﴿وَرَحْمَةٌ﴾: الرحمة: جلب ما ينفع، ودفع ما يضر، وتعني النِّعم، أو الأنعام على المحتاج.

﴿لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾: للذين: اللام: لام الاختصاص، والتوكيد. هم: لزيادة التوكيد، والمبالغة.

﴿يَرْهَبُونَ﴾: يخافون، والرهبة: هي الخوف الذي يمتد طويلاً، مع توقُّع العقوبة بعلم؛ أيْ: من دون شك؛ الخوف الذي يصاحبه ازدياد في نبضات القلب، واللجوء إلىٰ الهرب؛ لتجنب وقوع العقوبة.

[١٥٥] ﴿وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا ۖ فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا ۖ إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾:

﴿وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ﴾: ولم يقل: من قومه؛ لأن من اختارهم موسىٰ هم خيرة القوم، أو هم مختارون سابقاً من القوم، ولم يخترْ غيرهم؛ أيْ: ممثلو القوم وسادتهم، وربما اختار موسىٰ عدة؛ أيْ: عدد قليل جداً لم يغيروا المشهد.

﴿سَبْعِينَ رَجُلًا﴾: يمثلون قومه؛ للاعتذار عن عبادة العجل، واتخاذه إلهاً.

﴿لِّمِيقَاتِنَا﴾: اللام: لام الاختصاص، ميقاتنا: الميقات الزماني، والمكاني للحضور، ويعني: لميقاتنا الثاني. الميقات الأول: حين استلم الألواح، وهذا الميقات: للاعتذار للربِّ.

﴿فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾: الفاء: للترتيب، والتعقيب، لما: ظرفية، زمانية؛

تعني: حيـــن. أخذتهم الرجفة: أصابتهم الزلزلة الشـــديدة المرعبة حين ســـألوا موسىٰ ، وقالوا: أرنا الله جهرة.

﴿قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّـٰىَ﴾: قـــال موســـىٰ: رب لو: حرف امتناع لامتنـــاع، ولم يقل: يا رب؛ لأنه يعلم أن ربه قريب منه، ولم يســـتعمل ياء النداء.

﴿أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّـٰىَ﴾: من قبل مجيئنـــا للميقات، وإذا قارنا هذه الآية بالآية (٩) من سورة النحل: ﴿وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ نرىٰ أنه سبحانه أكد علىٰ الهداية، ولم يؤكد علىٰ الهلاك؛ لأن الهداية أهم أو أصعب من الهلاك.

﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾: أتهلكنا: الهمزة: للاستفهام، والاستعطاف.

﴿بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾: الذين طلبوا رؤية الله ســـفهاً وجهلاً، أو قيل: الذين عبدوا العجل؛ أمثال: السامري، وأصحابه، أو كلاهما، وتشمل كلَّ السفهاء.

﴿بِمَا﴾: الباء: للتعليل، أو الإلصاق، وما: اسم موصول؛ بمعنىٰ: الذي.

﴿إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ﴾:

﴿إِنْ﴾: حرف نفي؛ أيْ: ما هي إلّا فتنتك.

﴿هِىَ﴾: ضمير منفصل؛ يفيد التوكيد.

﴿إِلَّا﴾: للحصر، والتوكيد.

﴿فِتْنَتُكَ﴾: ابتلاؤك، واختبـــارك. ارجع إلىٰ ســـورة العنكبوت، آية (٢)؛ لمزيد من البيان عن الفتنة.

﴿تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ﴾: تضـــل بهذه الفتنة مـــن أرادوا الضلال منهم، واختار لنفسه طريق الضلال؛ فهم أعطوا حق الاختيار؛ فاختاروا اتخاذ العجل بأنفسهم.

﴿وَتَهْدِي مَن تَشَآءُ﴾: تهدي من أراد، أو طلب الهداية؛ أيْ: من رفض اتخاذ العجل إلهاً، وآمن بالله، ولم يشرك به.

﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ﴾:

﴿أَنتَ﴾: ضمير منفصل؛ يفيد التوكيد.

﴿وَلِيُّنَا﴾: المتولي لأمورنا، والمدبر لها، وحافظنا، والمعين لنا.

﴿فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا﴾: الفاء: للتوكيد، والترتيب، والتعقيب.

﴿فَٱغْفِرْ لَنَا﴾: الغفر: هو الستر؛ أي: استر ذنوبنا، وامحها.

﴿وَٱرْحَمْنَا﴾: طلب الرحمة بعد الغفران، وتعني: أنعم علينا من نعمك، وقنا السيئات، والرحمة تعني: جلب ما يسر، ودفع ما يضر.

﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ﴾: جمع غافر، من فعل غفر؛ أيْ: ستر، والمغفرة معناها: ستر الذنب، الغفور الذي يستر الذنوب والمعاصي، ولا يفضح صاحبها، ولا يعاقبه عليها، ويجازيه على ما قام به من أعمال صالحة (حسناته)، فلا يطرح السيئات من الحسنات.

وأما العفو: فهو الذي يسقط الذنب (يترك العقوبة)، ولا يقتضي إيجاب الثواب، وقد تمنُّ عليه بعفوك له، وتذكره به؛ لأنه ربما كان لا يستحق العفو.

وأما الصفح: فهو العفو مع ترك المن، وعدم ذكر الزلة لصاحبها؛ أيْ: ترك العقوبة، والمن، وعدم ذكر ذلك له.

أما بالنسبة للتدرج فكما يلي:

العفو: إسقاط الذنب، أو ترك العقوبة، ولا يقتضي الثواب.

الغفران: العفو مع إعطائه ثواب أعماله الحسنة.

الصفح: العفو مع عدم المن عليه بالعفو (ترك اللوم)، والصفح أبلغ من العفو.

والغفار: صيغة مبالغة؛ أيْ: كثير المغفرة كمّـاً؛ أيْ: يغفر الذنوب الكثيرة مهما كثرت وتعدَّدت، أو تجددت.

الغفور: صيغة مبالغة كثير الغفر. قيل: يغفر الذنوب العظام؛ (صيغة مبالغة)؛ أيْ: يغفر الذنوب مهما كان نوعها إلا الكفر والشرك إذا لم يتب قبل موته، وتعني دوام المغفرة.

﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ﴾: أنت: ضمير منفصل؛ يفيد التوكيد.

﴿خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ﴾: أفضـل الغافرين، والغافرين: جمـع غافر، وغافر يعني: الساتر للذنب، ولا يعاقبه عليه، إضافةً إلىٰ ذلك يعطي لمن غفر له؛ ثواب أعماله الحسنة.

﴿خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ﴾: معنىٰ ذلك: أن هناك من الخلق من يغفر لغيره من الناس، ولا يعاقبه علىٰ ذنبه بأسباب، أو بغير أسباب؛ كأن يغفر له خوفاً منه، أو سمعة، أو رياء، أو صدقاً، وابتغاء وجه الله تعالىٰ.

فكيف يدخل الله سـبحانه ذاته مع خلقه في صفـة الغفر، أو الخلق: خير الخالقين، أو الرزق: خير الرازقين، والوارثين، والحاكمين؟

والجواب علىٰ هـذا: هـو أولاً: إعطاؤهم هذه الصفـات هي من فضله وإحسانه، أو وصفهم بهذه الصفات هي من فيض إحسانه، وفضله.

ثانياً: وإن أُعطوا هذه الصفات فهم عرضة للأغيار؛ فهي صفات غير دائمة؛ أيْ: زائلـة بمجرد موتهم، وهي محدودة غير مطلقـة، بينما صفات الخالق مثل الغفر والرحمة والرزق: صفات لا تتغيـر، أو تتبدل مطلقة غير محدودة، ودائمة غير زائلة منذ الأزل إلىٰ الأبد.

❖ ❖ ❖

ثلاثة أرباع الحزب ١٧

۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنَّا
هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى
وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ
ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ
ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ
فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ
عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ
ٱلْخَبَـٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَـٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ
عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟
ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ
يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى
لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ
فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ
وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾
وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾

سورة الأعراف [الآيات ١٥٦ - ١٥٩]

[١٥٦] ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾:

﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾: واكتب: أيْ: آتِنا، وشرع لنا في هذه الدنيا حسنة. لنا: خاصَّةً في هذه الدنيا. حسنة: لمعرفة معنىٰ حسنة ارجع إلىٰ سورة البقرة، آية (٢٠١).

﴿وَفِى ٱلْآخِرَةِ﴾: الجنة، والرضوان، والنعيم المقيم.

﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾: هاد؛ أيْ: رجع، وهدنا إلي: رجعنا إليك؛ أيْ: تبنا إليك، هذا كلام يعبر به موسىٰ عن نفسه، وأخيه، وقومه، وخاصَّةً الذين عبدوا العجل؛ أيْ: تبنا إليك؛ فأنت أكرم من أن تردَّنا خائبين.

﴿قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ﴾: أيْ: إذا أذنب العبد ذنباً؛ فأنا أعذبه، أو أغفر له، وقوله تعالىٰ: ﴿عَذَابِىٓ﴾: فيه تحذير شديد حيث نسب العذاب له تعالىٰ.

﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾: ورحمتي؛ أيْ: في الدنيا وسعت كلَّ شيء؛ أيْ: تشمل الطائع، والعاصي، والمؤمن، والكافر، وكل شيء خلقه، ووسعت الذنوب جميعاً؛ إذا تاب العبد، وأناب إلىٰ ربه.

﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾:

﴿فَسَأَكْتُبُهَا﴾: الفاء: للتوكيد، والسين: للاستقبال القريب، والكتابة؛ تعني: رحمتي أمنحها أو أوتيها، والكتابة تحصل قبل، أو قيد العطاء، أو العقد المحقق حصوله وفيها معنى العهد، والله لا يخلف عهده.

﴿لِلَّذِينَ﴾: اللام: لام الاختصاص، والاستحقاق؛ أيْ: رحمتي وسعت كل شيء في الدنيا، ولكن هذه الرحمة سوف تنتهي بالنسبة للكافرين متى توفتهم رسلنا، ولكنها رحمة مستمرة للمؤمنين، فسأكتبها في الآخرة: ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾: (أي: الشرك والمعاصي) بامتثال أوامر الله تعالى، وتجنب نواهيه.

﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم﴾: هم: ضمير منفصل؛ يفيد: التوكيد.

﴿بِـَٔايَـٰتِنَا﴾: التشريعية، والكونية، والمعجزات.

﴿يُؤْمِنُونَ﴾: يصدِّقون.

وجاءت: ﴿يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾: بصيغة المضارع: للدلالة على الاستمرار، والتجدُّد.

[١٥٧] ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَـٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾:

المناسبة: بعد أن ذكر الله مستحقي رحمته الذين يتقون، ويؤتون الزكاة، والذين هم بآياته يؤمنون.

روى عن ابن عباس: اليهود قالوا: نحن مستحقو هذه الرحمة، فجاء الرد:

لو كنتم مستحقي هذه الرحمة؛ لآمنتم بمحمد ﷺ؛ لأن من تعاليم التوراة: أن تتبعوا الرسول النبي الأمي؛ الذي تجدونه مكتوباً عندكم.

﴿فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾: اسمه، ووصفه؛ النبي الأمي؛ أي: الذي لا يكتب.

والأمي: كما في لسان العرب لابن منظور: هو الذي لا يكتب، وليس كما هو متداول بين الناس: أن الأمي الذي لا يقرأ، ما يتلىٰ عليه؛ أيْ: يتلو عن سماع، وأحسن من قرأ القرآن هم الأميون.

وكما وصفه ربه بأنه يأمرهم المعروف؛ أي: الموافق لما أمر به الشرع، وتعارفت عليه الأمة، أو تعني ما يجدونه في التوراة، والإنجيل يأمرهم باتباع محمد ﷺ، وكذلك يأمرهم بالمعروف.

﴿وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾: مثل الشرك، والباطل، وما تنكر صحته العقول السليمة، والشرع.

﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾: جمع طيب، والطيب: هو الحلال الطاهر.

﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾: جمع خبيثة؛ مثل: الميتة، والدم، ولحم الخنزير، والربا، والرشوة، والمال الحرام.

﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾: الإصر: الثقل الذي يأصر صاحبه؛ أيْ: يحبسه من الحركة أو يحمله علىٰ ظهره؛ ارجع إلىٰ سورة البقرة، آية (٢٨٦)؛ لمزيد من البيان في معنىٰ الإصر.

﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ﴾: أي: يحطها عنهم؛ أيْ: يخفِّف عنهم؛ كقوله تعالىٰ:

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ [البقرة:٢٨٦].

والإصر؛ قد يعني: العهد المؤكد بيمين، أو قسم.

﴿وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾: القيود، أو التكاليف الشاقة في الشريعة؛ مثل: الزكاة (٢٥٪)، تحريم العمل في السبت، القصاص بالقتل فقط، وليس بالدِّيَة، أو التسامح، إزالة النجاسة: بقطع طرف أو جزء من الثوب النجس، والأغلال: جمع غل: هو القيد الذي تربط به يد الجاني إلى عنقه، والمراد بها التكاليف الشاقة في بالشريعة.

﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ﴾: به: تعود على محمد ﷺ.

﴿وَعَزَّرُوهُ﴾: أيَّدوه، وعظَّموه؛ أيْ: منعوه؛ حتى لا يقوى عليه عدوه؛ أيْ: حاموا عنه: دافعوا عنه.

﴿وَنَصَرُوهُ﴾: من النصرة على أعدائه.

﴿وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ﴾: أي: القرآن أنزل معه.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾: أولئك: اسم إشارة للبعد؛ يفيد التعظيم؛ أيْ: إذا كان هناك مفلحون؛ فهم حقاً المفلحون.

﴿هُمُ﴾: ضمير منفصل؛ يفيد القصر، والتوكيد، والمبالغة.

﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾: الفلاح: الفوز، الظفر بالمرغوب، والدخول إلى الجنة. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٥)؛ لمزيد من البيان.

[١٥٨] ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾:

﴿ قُلْ ﴾: خطاب للنبي ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾: أداة نداء، والهاء: للتنبيه، والناس: كافة الإنس والجن.

﴿إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ ﴾: للتوكيد، رسول الله تعالىٰ.

﴿إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾: إلىٰ الناس جميعاً: للتوكيد كما قال تعالىٰ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ:٢٨]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧]، والسؤال هنا: لماذا جاءت (١٥٧-١٥٨) التي تخص رسول الله ﷺ في خضم آيات بني إسرائيل؟ لأن اليهود جحدوا بنبوة محمد ﷺ فذكرهم الله سبحانه بأنه مالك السموات والأرض، وأنه أعلم حيث يجعل رسالته، وهو الذي يحيي ويميت.

﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾: الذي: اسم موصول؛ يفيد المدح، والتعظيم له.

﴿لَهُۥ ﴾: تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر؛ أيْ: له وحده حكم السموات والأرض.

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾: لا: نافية.

إله: اسم بمعنىٰ: مألوه؛ أيْ: معبود، ولا معبود إلا هو، فما دام الوجود كله، السموات والأرض لله؛ فهو الأولىٰ، والأحق: أن يعبد، وقمة العبادة: هي أن تشهد أن لا إله إلا الله، وما دام كونه إلهاً، فلا بُدَّ أن يطاع، ولا يطاع إلّا بما شرعه؛

أيْ: بمنهجه، وأول المنهج وقمته التوحيد، ولا أحد غيره يحيي ويميت. ارجع إلىٰ سورة البقرة، آية (٢٥٥)؛ لمزيد من البيان.

﴿لَآ﴾: النافية.

﴿إِلَٰهَ﴾: اسم بمعنىٰ: مألوه؛ أيْ: معبود، ولا معبود إلّا هو.

﴿يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾: هو الذي يحيي، ويميت: صفة لا يشاركه فيها أحد من خلقه؛ أيْ: ماذا بعد الإقرار بوحدانية الله، وعبوديته؛ إلا الإيمان.

﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ﴾: دعوة إلىٰ الإيمان بالله ورسوله محمد ﷺ، النبي، الأمي. ارجع إلىٰ الآية (١٥٧) من نفس السورة، والآية (٨) من سورة البقرة.

﴿ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ﴾: أيْ: آمنوا بمحمد ﷺ النبي الأمي؛ الذي يؤمن بوحدانية الله، وبكل أركان الإيمان وفروعه.

﴿وَكَلِمَٰتِهِۦ﴾: أيْ: ما تضمنته كتبه: القرآن، والتوراة، والإنجيل، والزبور، ورسائله.

﴿وَٱتَّبِعُوهُ﴾: اتبعوا هديه، وسنته، اتبعوا الإسلام.

﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾: لعلَّ أداة ترجٍّ، أو للتعليل.

﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾: لعلَّكم: لعلَّ: للتعليل؛ أيْ: إذا اتبعتم أسباب الهداية الخاصَّة، والعامة، وآمنتم بالله، ورسوله، النبي، الأمي، وسألتم الله العون، فستهتدون.

[١٥٩] ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾:

﴿وَمِن﴾: مـــن للابتداء، والتبعيض، وتعني: ليس كل قوم موســـىٰ من بني إسرائيل.

﴿قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ﴾: يرشدون الناس، ويهدونهم إلىٰ الإيمان الصحيح، وطاعة الله، وعبادته، والعمل بالتوراة، وما أنزل الله فيها.

﴿بِٱلْحَقِّ﴾: بالوحي، أو التوراة، أو ما أنزل الله عليهم.

﴿وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾: به: تعود علىٰ التوراة، أو ما أنزل إليهم من ربهم، وبالحق يحكمون بين الناس؛ أيْ: يعدلون في الحكم.

﴿وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾: ولم يقل: بالحق يعدلون، بل قال: ﴿وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾؛ لأن الحديث عن بني إسرائيل، وضلالهم، وعنادهم، ومعلوم: أن إعادة الاسم الظاهر أقوىٰ وأبلغ من الضمير، فقولـــه: ﴿أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ﴾ وبالحق يعدلون: أبلغ، وأقوىٰ في النفس من قوله: ﴿بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾.

﴿أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾: وذلك؛ لأن الخطاب إلىٰ بني إسرائيل، وكذلك كرَّر هذه حين قال في الآية (١٨١): ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾.

❖❖❖

وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ
إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ
فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ
مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ
وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا
ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِذْ
قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ
شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ
لَكُمْ خَطِيٓـَٰتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾
فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ
فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟
يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ
حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ ۘ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ
حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ
لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾

سورة الأعراف [الآيات ١٦٠ - ١٦٣]

[١٦٠] ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾:

﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ﴾: القطع: الفصل بينهم بشكل ظاهر؛ أيْ: صيَّرناهم اثنتي عشرة أسباطاً؛ أي: اثنتي عشرة قبيلة.

السبط في بني إسرائيل يعادل قبيلة عند العرب.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾:

﴿وَأَوْحَيْنَآ﴾: الوحي: هو إعلام بخفاء، أعلمنا موسىٰ بطريق الوحي. ارجع إلىٰ سورة النساء، آية (١٦٣)؛ لبيان معنىٰ (أوحينا)، وتم هذا الإيحاء إلىٰ موسىٰ ، وهم في التيه.

﴿إِذِ﴾: ظرفية، زمانية؛ بمعنىٰ: حين.

﴿ٱسْتَسْقَىٰهُ﴾: الألف، والسين، والتاء؛ تعني: الطلب؛ أيْ: حين طلب قوم موسىٰ من موسىٰ الماء للسقيا للشرب.

وهذا الطلب يعد المرحلة الأولىٰ، وبعدها جاءت الآية (٦٠) في سورة

البقرة: ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ﴾ موسى طلب السقيا من الله تعالى؛ فأوحى إليه أن اضرب بعصاك الحجر.

﴿أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ﴾: أن حرف مصدري يفيد التوكيد، والتعليل.

﴿فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾: الانبجاس؛ قيل: هو خروج الماء، وتدفقه بقلة، أو ضعف، وليس كالانفجار الذي ورد في آية البقرة (٦٠).

﴿ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾: عدد أسباط بني إسرائيل، أولاد يعقوب الاثني عشر، بما فيهم يوسف وأخوه.

السؤال هنا: ما هي الفروق بين هذه الآية، والآية (٦٠) من سورة البقرة: ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾؟

ففي آية سورة البقرة: الذي استسقى، أو طلب السقيا الماء: هو موسى ، طلب من الله السقيا، وموسى أقرب إلى الله تعالى من بني إسرائيل، بينما في آية سورة الأعراف الذي طلب السقيا هم بنو إسرائيل، طلبوا السقيا من موسى .

الفرق الثاني: هو في آية سورة البقرة: ﴿فَٱنفَجَرَتْ﴾، وفي آية سورة الأعراف: ﴿فَٱنۢبَجَسَتْ﴾، والانفجار؛ يعني: بقوة، وسعة، وكثرة في تدفق الماء، وغزارة، مقارنة بقوله: فانبجست: التي تدل على تدفق الماء بقلة، وضيق، وبعض العلماء فسروا ذلك: بأن الانفجار حدث أولاً؛ لكثرة حاجتهم إلى الماء في البداية

وعطشهم، وبعد ذلك خفت الحاجة إلى الماء؛ فقل الماء؛ فأصبح يتدفق بقلة حسب الحاجة بعد أن كان يتدفق بشدة؛ إذن حدث الانفجار، ثم الانبجاس.

﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾: ارجع إلى سورة البقرة، آية (٦٠).

﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾: ارجع إلى سورة البقرة، آية (٥٧).

﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾: ارجع إلى سورة البقرة، آية (٥٧).

[١٦١] ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾:

قبل البدء بتفسير هذه الآية ومقارنتها بآية (٥٨) من سورة البقرة لنعلم أن آية الأعراف (١٦١) جاءت في سياق آيات التوبيخ والذم لبني إسرائيل التي افتتحت بقوله تعالى: ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف:١٣٨]، وكذلك لا بد من الرجوع إلى سورة البقرة لمقارنة هذه الآية لبيان لفروق بينهما.

﴿وَإِذْ﴾: واذكر إذ، أو واذكر حين.

﴿قِيلَ لَهُمُ﴾: قيل لهم: بصيغة المبني للمجهول مقارنة بقوله تعالى في سورة البقرة آية (٥٨) قلنا، قيل لهم تدل على قلة الاهتمام.

﴿اسْكُنُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ﴾: مقارنة بقوله تعالى في سورة البقرة آية (٥٨) ادخلوا فلا تعارض بين الآيتين الدخول ثم السكن.

﴿هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾: الهاء: للتنبيه، ذه: اسم إشارة؛ للقريب، وقيل: هي بيت المقدس، أو ريحاً أو غيرها أمروا بدخولها بعد التيه.

﴿وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ﴾: مقارنة بقوله تعالىٰ: فكلوا منها حيث شئتم رغداً في سورة البقرة آية (٥٨) حيث أضاف الفاء ورغداً.

﴿وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ﴾: أي: اغفر لنا، أو حط عنا أوزارنا، وخطايانا.

﴿وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا﴾: باب القرية، سجداً بتواضع، وخضوع لله، واسجدوا لله عند دخولكم الباب، سجود شكر، ونجد تقديم وتأخير معاكس في كلا الآيتين آية البقرة وآية الأعراف يناسب سياق الآيات؛ في سورة البقرة: الاهتمام والتكريم، وفي سورة الأعراف: التوبيخ والذم.

﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٔتِكُمْ﴾: الغفر: هو الستر، والمغفرة هي ستر الذنب. لكم: أي نغفر لهؤلاء؛ الذين قاموا بما أمروا به. خطيئاتكم: الخطايا: هي الذنوب، وخطيئاتكم: جمع قلة. وسواء كان خطاياكم أو خطأكم: جمع خطيئة. خطاياكم: جمع كثرة (في مقام التكريم والاهتمام)، وخطأكم: جمع قلة (في مقام التوبيخ والذم).

﴿سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: السين: للاستقبال القريب. من النعم، والخيرات، والرضىٰ، والثواب، والإحسان؛ هنا مستقل عن المغفرة؛ أي: نغفر لكم وأيضاً نزيد المحسنين.

انتبه إلىٰ أن الواو في (وكلوا)، و(قولوا)، و(حطة): لا تدل علىٰ الترتيب،

فســواء دعوا، أو دخلوا، أو أكلــوا، أو أكلوا، أو دخلوا، أو دعــوا؛ كلها مقبولة، والترتيب لا يهم.

في آية الأعراف قال: ﴿سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: الإحســان: مستقل عن المغفرة، فبعد الغفران سنزيد المحسنين.

أما في آية البقرة؛ فقال: ﴿وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: الإحسان: المغفرة شيء واحد، وهذا أفضل من سنزيد المحسنين، الواو: تدل على الاهتمام.

[١٦٢] ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ﴾:

هذه الآية تتمة للآية التي جاءت بعد أن قل إيمان بني إسرائيل.

﴿فَبَدَّلَ﴾: الفاء: تدل على التعقيب، والمباشرة على التبديل.

﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾: فقالوا: بدلاً من حط عنا خطايانا قالوا: حطة.

ودخلوا الباب من دون خضوع، وخشوع.

﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ﴾: خاصَّةً؛ تفيد التوكيد.

﴿فَأَرْسَلْنَا﴾: الفاء: للتعقيب، والمباشرة، والإرسال: فيه معنى الكثرة؛ أيْ: مرات عديدة، بعكس: أنزلنا؛ تعني: مرة، أو عدداً قليلاً.

﴿رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: عذاباً من السماء.

أما الفرق بين الرجز والرجس:

فالرجس: المعاصي، والمآثم، والأصنام، والأوثان، وكل ما يستقبحه الشرع؛ فالرجس: يؤدِّي إلىٰ الرجز: وهو العذاب؛ أي: الرجس أعم من الرجز، فالرجس يشمل الرجز (العذاب) وكل أمر، أو شيء مستقبح قذر مثل الأصنام والمعاصي. ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (٥٩) لمزيد من البيان في معنىٰ الرجز والرجس.

﴿بِمَا﴾: الباء: باء البدلية، أو السببية، ما: بمعنىٰ: الذي.

﴿كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾: من الظلم، وهو الشرك، وعدم الطاعة، والخروج عن منهج الله. ارجع إلىٰ الآية (٥٤) من سورة البقرة؛ لمزيد من البيان عن الظلم.

ولنقارن هذه الآية (١٦٢) من سورة الأعراف: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾.

مع الآية (٥٩) من سورة البقرة: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾.

آية سورة الأعراف في سياق الذين أقل إيماناً، وآية سورة البقرة في سياق الأكثر إيماناً، وإذا قارنا هاتين الآيتين نجد الاختلافات التالية:

ففي آية الأعراف قال: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾: منهم: تدل علىٰ التوكيد من بني إسرائيل.

أما في آية سورة البقرة: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾: فلم يذكر (منهم).

في آية الأعراف قال: ﴿فَأَرْسَلْنَا﴾: تعني: مرات كثيرة، فيها شدة أكثر من ﴿أَنزَلْنَآ﴾ التي وردت في سورة البقرة، فأرسلنا؛ أي: العذاب المرسل، إرسالاً متتابعاً، ومتكرراً، ﴿أَنزَلْنَآ﴾: يعني: مرة أو مرتين.

في آية الأعراف قال: ﴿عَلَيْهِمْ﴾: أعم من (على) التي وردت في سورة البقرة؛ لأن عليهم: تشمل الذين ظلموا وغيرهم.

في آية الأعراف قال: ﴿يَظْلِمُونَ﴾، وفي سورة البقرة ﴿يَفْسُقُونَ﴾، والظلم أشد من الفسق، وأعلى درجة، والفسق يسبق الظلم، وهو أقل إثماً من الظلم، ويعني: الخروج عن طاعة الله، أو الدِّين.

[١٦٣] ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾:

﴿وَسْـَٔلْهُمْ﴾: ولم يقل أخبرهم عن قصة القرية التي كانت حاضرة البحر، بل لأن هذه القصة لها أهمية وشأن، والسؤال موجَّه إلى رسول الله ﷺ، أن يسأل اليهود من بني إسرائيل عن قصة القرية التي كانت حاضرة البحر، وهذا السؤال له غايات عدة منها: أن هذه القصة ليست كما وردت في التوراة فهم حرفوها وغيروها، وكانوا يكتمونها، وأن الله سبحانه أطلع رسوله ﷺ على الحقيقة فهي علامة على صدق نبوته، ولتكون أيضاً عبرة لمن يحاول الاحتيال على ما حرم الله سبحانه، وعاقبة أمره الخسران والهلاك وجدوى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

﴿عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾: القرية: المدينة، وقيل: هي مدينة العقبة على البحر الأحمر، أو مدين.

﴿حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾: قريبة، أو مجاورة للبحر؛ البحر الأحمر على شاطئه.

﴿إِذْ﴾: ظرف زمان؛ بمعنى: حين.

﴿يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ﴾: فقد أمروا أن يعظموا السبت؛ بترك العمل فيه، والتفرغ لعبادة الله، ونهوا عن الاصطياد في ذلك اليوم، ولكنهم خالفوا أمر الله، وتجاهلوه، وتجاوزوا الحد.

﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ﴾: السمك، والعرب تستعمل كلمة الحوت، وتعني السمكة.

﴿يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا﴾: أيْ: ظاهرة على وجه الماء، شرعاً: جمع شارع من شرع عليه؛ أي: اقترب وأشرف، وتطلق على إتيان الإبل والنعم نحو الماء لتشرب إذا شرعها الرعاة تسابقت واكتظت مع الماء فهو تشبيه بديع؛ شارعة ظاهرة على وجه الماء في كل ناحية؛ فقد كان السمك يأتيهم بكثرة، ويطفو على سطح الماء، ويسهل صيده، ومن دون عناء يوم السبت فقط، وبأعداد كبيرة.

﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ﴾: في باقي الأيام من النادر أن ترى سمكة في الماء.

﴿كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾: أيْ: مثل ذلك البلاء الشديد.

﴿نَبْلُوهُم﴾: نختبرهم، والابتلاء قد يكون في الخير، أو الشر. نبلوهم هل يطيعون ما أمرهم الله به بعدم الاصطياد.

﴿بِمَا﴾: الباء: للتعليل، أو بسبب ما كانوا يفسقون؛ لأن من سنة الله سبحانه: أن من عصاه يبتليه بأنواع كثيرة من المحن، والمصائب؛ لتزداد ذنوبه، وآثامه، أو يتوب ويعود إلى طريق الإيمان، ومن يطع الله كذلك يبتليه؛ لزيادة ثوابه في الآخرة، أو يرتد عن الإيمان، ولا يصبر.

ولكن حاولوا الاحتيال على ما حرَّم الله، فكانوا يرمون بشباكهم في البحر في غير يوم السبت؛ مثل يوم الجمعة مثلاً، وتبقى شباك الصيد في الماء؛ فإذا جاء يوم السبت دخلت الأسماك في الشباك، ولم تستطع الخروج، وفي يوم الأحد مثلاً يخرجون شباك الصيد الممتلئة بالأسماك، وهكذا زين لهم الشيطان أعمالهم، وظنوا أن الله راضٍ عنهم.

﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾: من الاصطياد يوم السبت، والفسق: وهو الخروج عن طاعة الله ومعصيته. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٢٦)؛ لبيان معنى الفسق.

❖❖❖

وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ
عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾
فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ
وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ
﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ
﴿١٦٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن
يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُ
لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ
الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ
وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ
وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا الْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا
وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ
أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ ۗ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ
خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ
بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾

سورة الأعراف [الآيات ١٦٤ - ١٧٠]

[١٦٤] ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾:

﴿وَإِذْ﴾: واذكر إذ قالت، أو حين قالت. إذ: ظرفية زمانية؛ للزمن الماضي.

﴿قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ﴾: أمة: جماعة، أو فئة منهم من أهل القرية التي كانت حاضرة البحر؛ إذ انقسمت القرية، كما قيل إلىٰ ثلاث جماعات، أو فئات.

الفئة الواعظة؛ أي: الآمرة بالمعروف، والناهية عن المنكر.

الفئة الموعوظة؛ أي: العاصية التي تحتال، وتصطاد يوم السبت.

الفئة الثالثة: المتبقية من أهل القرية، ليس هم من الفئة الواعظة، أو الموعوظة، ويمكن تسميتهم الفئة الحيادية المتفرجة.

﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا﴾:

﴿لِمَ﴾: استفهامية.

﴿تَعِظُونَ﴾: من الوعظ، ويعني: النصح، والتحذير، والأمر، والنهي، والإرشاد بأسلوب الترغيب، والترهيب. ارجع إلىٰ آية (٤٥) من نفس السورة؛ لمزيد من البيان.

﴿إِذْ﴾: بمعنىٰ: حين قالت أمة منهم (الفئة الثالثة الحيادية) تسأل الفئة الواعظة (الآمرة بالمعروف، والناهية عن المنكر)؛ لما تعظون الفئة العاصية التي تصطاد (الفئة الثانية).

﴿اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا﴾: لما تعظون الفئة العاصية التي تحتال،

وتصطاد في يوم السبت ما دام اختاروا أن يهلكهم الله، أو يعذبهم عذاباً شديداً؛ أيْ: مصيرهم إلىٰ الهلاك.

﴿قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾: قالت الفئة الواعظة: نعظهم؛ ليكون لنا عذراً عند ربنا؛ لأننا لم نستطع هدايتهم، أو منعهم من ارتكاب المعصية، وهي الصيد يوم السبت.

﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾: أيْ: والسبب الثاني: لعلَّهم يتقون.

لعلَّ: تفيد التعليل.

﴿يَتَّقُونَ﴾: يطيعون أوامر الله، ويتجنبون الاصطياد يوم السبت، ويعودون إلىٰ رشدهم؛ لأننا لم نيأس بعد من هدايتهم.

﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾: إذا قاموا بأعمال التقوىٰ الأخرىٰ، وسألوا الله العون؛ لعلَّ الله يجعلهم من المتقين.

[١٦٥] ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾:

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: للتعقيب، والترتيب؛ أيْ: مباشرة، لما: ظرفية، زمانية، وشرطية؛ بمعنىٰ: حين.

﴿نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾: أيْ: لما لم تعد الفئة العاصية تستمع إلىٰ أي نصح، أو تحذير، وأصبحت مهملة وغير مبالية بوعظ الفئة الواعظة ﴿نَسُوا مَا﴾: ما: اسم موصول؛ بمعنىٰ: الذي، ومصدرية.

﴿ذُكِّرُوا بِهِ﴾: من قبل الفئة الواعظة بعدم الاصطياد.

﴿أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ﴾: أنجينا: تدل علىٰ السرعة، والقوة، ولم يقل: نجينا التي تدل علىٰ البطء وطول الزمن.

﴿ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ﴾: هم الفئة الواعظة، الآمرة بالمعروف، والناهية عن المنكر.

﴿عَنِ ٱلسُّوٓءِ﴾: العمل الذي تسوء عاقبته، وهنا؛ يعني: الاصطياد يوم السبت.

﴿يَنْهَوْنَ﴾: جاء بصيغة المضارع؛ لتدل على أنهم لا يزالون يأمرون بالمعروف، وأن عملهم هذا لم يتوقف، ولم يقل: أنجينا الذين نهوا عن السوء.

﴿وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: أي: الفئة العاصية الموعوظة.

﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: بعدم طاعة الله، والإصرار على المعصية، وظلموا أنفسهم.

﴿بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ﴾: الباء: للإلصاق، بئيس: من البأس: وهو الشدة؛ أيْ: عذاب ذي بأس، أو ذي شدة.

﴿بِمَا﴾: الباء: للإلصاق، أو السببية، أو التعليلية.

ما: اسم موصول؛ بمعنى: الذي.

﴿كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾: من الفسق: وهو الخروج عن طاعة الله، وعصيانه.

[١٦٦] ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾:

﴿فَلَمَّا﴾: ارجع إلى الآية السابقة (١٦٥).

﴿عَتَوْا﴾: طغوا، وتجاوزوا الحد في المعصية، وتمرَّدوا وتكبَّروا، وازدادوا فساداً، ولم يعد فيهم أمل في العودة إلى طاعة الله، والكف عن عصيانه.

﴿قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾:

﴿قُلْنَا لَهُمْ﴾: صيَّرناهم، أو حَولناهم إلى قردة خاسئين: صاغرين، أذلاء، حقيرين.

﴿خَٰسِـِٔينَ﴾: مطرودين، مبعدين عن رحمة الله تعالى.

من الخسوء: وهو الطرد، والإبعاد، خسأت الكلب من باب منعته، وطردته، وزجرته.

قيل: عذبوا عذاباً شديداً، ثم مسخوا قردة، وعاشوا ثلاثة أيام، أو عدة أيام، ثم انقرضوا، وبعض المفسرين قالوا: كان المسخ مسخاً معنوياً، والله أعلم.

وأما مصير الفئة الثالثة: فقد قيل: إنها نجت برحمة الله، وعفوه.

[١٦٧] ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾:

واذكر ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾: أعلم من الأذان، وهو الإعلام، والكلام عن بني إسرائيل.

﴿لَيَبْعَثَنَّ﴾: اللام: لام التوكيد، والنون: لزيادة التوكيد.

﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾: يسلطنَّ عليهم إلىٰ يوم القيامة من يذلهم ويضطهدهم، مثل: البابليين، المجوس، والألمان، وغيرهم.

﴿مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾: من يذيقهم، من سام؛ أيْ: طلب. ارجع إلىٰ الآية (٤٩) من سورة البقرة؛ لمزيد من المعنىٰ.

يعني ذلك: أن الله سيسلط، ويبعث عليهم من يقوم بتعذيبهم سوء العذاب، ويستمر ذلك إلىٰ يوم القيامة.

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ﴾: إن حرف مشبّه بالفعل؛ يفيد: التوكيد. لسريع: اللام: لام التوكيد، سريع العقاب للظالمين، والمفسدين، والعاصين، وسرعة عقابه هي رحمة منه للمظلومين؛ لكي يتخلصوا من ظلم الظالمين، وبالمقابل: إن ربك لغفور رحيم لمن تاب، وآمن، وعمل صالحاً.

لنقارن هذه الآية مع آية سورة الأنعام (١٦٥): ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

الاختلاف في الآيتين: يرجع فقط إلى زيادة اللام في كلمة ﴿لَسَرِيعُ﴾: والتي تفيد التوكيد على أنه سريع العقاب.

والعقاب: هو الجزاء على الفعل؛ أيْ: يدل على المعاقب يستحق العقاب، عَقيب فعله، أو إجرامه، من دون تأخير.

والسبب في التوكيد: أن آية الأعراف: جاءت في سياق بني إسرائيل، وعدم التزامهم بأوامر الله، كما ورد في أصحاب السبت، وعبادة العجل، ونتق الجبل، ولذلك أكَّد الله أنهم يستحقون العقاب في الدنيا؛ لأنهم يستمرون على فعل المعاصي، ويظنون أنهم سيغفر لهم، وأما آية سورة الأنعام: فجاءت في سياق العقوبات في الآخرة.

[١٦٨] ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾:

﴿وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا﴾: أي: بني إسرائيل، فرَّقناهم في الأرض طوائف، فلا يكاد يخلو بلد منهم، وأمماً: جمع أمة، أو جماعة من الناس، تجمعهم عقيدة، أو شريعة واحدة؛ بغض النظر عن العدد، أو الحيز الجغرافي.

﴿مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ﴾: أيْ: منهم المؤمنون بالله، وبموسى ، وبالتوراة.

﴿وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ﴾: أي: الأقل صلاحاً، وإيماناً.

﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: بالنِّعم، والغنى، والجاه، والأمن، والصحة، وبالشدائد، وقلة الأمن، والخوف، والتشرذم.

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: عن فسادهم، وطغيانهم، ويتوبون إلى الله.

[١٦٩] ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ

سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾:

﴿ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ ﴾: الخلَف: بفتح اللام تستعمل لمن يأتي بعد من السلف؛ فإن حققوا مثالية السلف؛ يُطلَق عليهم خَلَفٌ، وإن ابتدعوا، وغيَّروا، وخالفوا السلف يعتبروا خلْفاً (بتسكين اللام).

فالعرب تستعمل خَلَفاً: في المدح، والخير، أو الصالح.

وتستعمل خلْفاً: بتسكين اللام في الذم، والسوء، أو الطالح.

وفي هذه الآية: نجد خَلْفاً بسكون اللام؛ أيْ: فَخَلَفَ من بعدهم خَلْف: ذرية سوء، أو ذرية غير صالحة.

﴿وَرِثُوا الْكِتَابَ ﴾: أي: التوراة.

﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾: العرض: هو المتاع، والمال؛ كالرشوة، والربا، والسحت، أو الحرام.

الأدنىٰ: من الدنو، أو الدناءة؛ أيْ: عرض هذه الدنيا.

﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾: السين: للاستقبال القريب؛ أيْ: يقولون بعد أن يأخذوه: سيُغفرُ لنا أفعالنا السيئة عن قريب؛ لأنهم يظنون أنهم أبناء الله، وأحباؤه، أو فضّلهم الله علىٰ العالمين. وسيغفر لنا: بناء الفعل للمجهول؛ لأنهم يظنون باطلاً أن ذنوبهم كلها مغفورة حتىٰ بدون توبة واستغفار.

﴿وَيَقُولُونَ ﴾: جاءت بصيغة المضارع؛ لتدل علىٰ استمرار، وتجدد أفعالهم، وأخذهم الحرام، وأنهم مصرُّون علىٰ الحرام، والآثام.

﴿وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ ﴾: أيْ: من المفروض، بعد الاستغفار، والتوبة، أن يكفوا عن العودة إلىٰ أخذ العرض الأدنىٰ، أخذ المال الحرام، وغيره من الخبائث، ولكنهم سرعان ما يعودون إلىٰ فعل ذلك، المرة تلو المرة.

﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ﴾:

﴿أَلَمْ﴾: الهمزة: همزة استفهام تقريري، وتوبيخي.

﴿يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ﴾: الكتاب: هو التوراة، والميثاق: هو العهد، المؤكد، الموثق، وقيل: الميثاق في التوراة: هو من ارتكب ذنباً عظيماً، لا يغفر له إلا بالتوبة، والتوبة: تعني عدم الرجوع إلىٰ ارتكاب الذنب مرة أخرىٰ.

﴿أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾: أي: الصدق، وما ورد في التوراة من دون تحريف، أو تبديل.

﴿أَن لَّا﴾: هذه، أن لا: تجمع معانيَ كثيرة منها:

بألا يقولوا علىٰ الله إلا الحق.

في ألا يقولوا علىٰ الله إلا الحق.

علىٰ ألا يقولوا علىٰ الله إلا الحق.

لئلا يقولوا علىٰ الله إلا الحق.

﴿أَن﴾: مصدرية، أو مفسرة.

﴿لَّا﴾: قيل: إنها نافية، وقيل: إنها ناهية.

﴿وَدَرَسُوا مَا فِيهِ﴾: قرؤوا التوراة، وفهموا معناها جيداً، ويعرفون أحكامها، ويذكرونها، فلِمَ كذبوا، فقالوا: إن الله سيغفر لهم، وكيف يغفر لهم، وهم مصرُّون علىٰ العودة إلىٰ المعاصي، وقول الباطل.

﴿وَالدَّارُ الْآخِرَةُ﴾: أي: الجنة.

﴿خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾: للذين: اللام: لام الاختصاص، يتقون: المعاصي، والحرام، ويتقون غضب الله، والنار؛ أيْ: يطيعون أوامر الله، ويجتنبون نواهيه.

﴿أَفَلَا﴾: الهمزة: استفهام إنكاري، وتعجب، وتوبيخ، وأداة حضٍّ وتحمل معنىٰ الأمر علىٰ التقوىٰ، وعدم القول علىٰ الله إلّا الحق.

﴿تَعْقِلُونَ﴾: تفهمون أن الجنة، (الدار الآخرة) أفضل من الدنيا، وحطامها. تعقلون: مشتقة من عقل الشيء؛ أيْ: عرفه بدليله، وفهمه بأسبابه، ونتائجه، ويعني: الموازنة بين الأشياء؛ للوصول إلىٰ الحقيقة.

[١٧٠] ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾:

بعد أن ذكر الخَلْف: الطالح من اليهود؛ يذكر في هذه الآية الخَلَف: بفتح اللام؛ أي: الصالح من اليهود؛ الذين يعملون بالتوراة، وقد تشمل كلَّ الأمم التي تتمسك بكتابها، سواء أكان التوراة، أم الإنجيل، أم القرآن.

﴿وَالَّذِينَ﴾: اسم موصول؛ يفيد المدح.

﴿يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ﴾: يُمَسِّكون؛ يعني: أن الماسك تمكن مما يمسك؛ أيْ: فيه مبالغة في المسك؛ أيْ: يعملون بالكتاب، سواء كان التوراة، أو الإنجيل، أو القرآن، ويطبقون أحكامه، وحلاله، وحرامه، وما أمروا به.

﴿بِالْكِتَابِ﴾: بالباء: للإلصاق (بكل الكتاب).

﴿يُمَسِّكُونَ﴾: بصيغة المضارع؛ تدل علىٰ التجدُّد، والتكرار، والاستمرار، وليس بزمن ما وانتهىٰ، بل هو زمن مطلق، ولأن التمسك يكون دائماً، ولا ينقطع بكتاب الله .

﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾: بأركانها، وشروطها، وأوقاتها، وخشوعها، واختيرت الصلاة من بين العبادات؛ لأنها أهم أركان العبادة، وتمثل العبادات الأخرىٰ.

﴿إِنَّا﴾: للتعظيم.

﴿لَا﴾: النافية.

﴿نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾: ولم يقل: إنا لا نضيع أجر الذين يمسكون

بالكتاب، أو لا نضيع أجرهم، وإنما جـاء بكلمة: ﴿أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾: لأن الأجر لا يختص بهؤلاء الذين يمسكون بالكتاب، وإنما يشمل كل المصلحين، وهؤلاء الذين يمسكون: هم من زمرة المصلحين.

انتبه! إلى التغيـر في الصيغ: ﴿يُمَسِّكُونَ﴾: جـاءت بصيغة المضارع، و ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: جاءت بصيغة الماضي، ولم يقل: يقيمون الصلاة، لماذا هذا التغيُّر؟

الجـواب: لأن إقامة الصلاة لها أوقات محـدودة، ولذلك جاءت بصيغة الماضي.

أما التمسُّك بالكتاب (بالقرآن)، أو غيره من الكتب؛ فهو مطلق، كما ذكرنا سابقاً غير محدد بوقت، وكذلك الإصلاح؛ مثل: التمسك غير محدد بزمن.

والفرق بين استمسك، ومسك؛ كقوله تعالى: ﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ﴾ [الزخرف:٤٣]؛ أيْ: يأمرنا أن نستمسـك بالقرآن، والألف، والسين، والتاء: للطلب، وبعد مرحلة الطلب استمسك؛ تأتي مرحلة التمكُّن من المسك؛ يعني: الماسك تمكن من المسـك؛ أيْ: يُمَسِّكون بشدة، واسـتمرار، ويعتصمون به، ويلتزمون بالعمل بما فيه.

❖ ❖ ❖

وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ
خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾
وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ
عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ
ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ
ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ
ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ
﴿١٧٤﴾ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا
فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا
لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ
كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ
يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ
ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ
كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ
فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾

سورة الأعراف [الآيات ١٧١ - ١٧٨]

[١٧١] ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾:

﴿وَإِذْ﴾: أيْ: واذكر حين، أو اذكر إذ نتقنا.

﴿نَتَقْنَا﴾: النتق: هو قلع الشيء من جذره، أو نزعه، أو خلعه من الأرض؛ بتحريكه يمنة ويسرة، وهزاً وجذباً.

﴿ٱلْجَبَلَ﴾: ولم يقل: الطور؛ الجبل أعظم حجماً، وبناءً من الطور.

﴿فَوْقَهُمْ﴾: ظرف مكاني، وقدَّم الجبل على الظرف فوقهم: جرياً على الأصل، فهذا هو الأصل.

وفي آية (٦٣) من سورة البقرة، قال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾.

فإذا قارنا هاتين الآيتين: نجد في سورة البقرة، قال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا﴾، ولم يقل: ﴿نَتَقْنَا﴾: النتق: هو أشد، وأقوى من الرفع؛ لأن النتق: هو اقتلاع الشيء بشدة، فيه جذبٌ مع تحريك، والنتق يسبق الرفع.

وقال تعالى: ﴿ٱلطُّورَ﴾: وليس الجبل، وقدَّم فوقهم، لماذا هذا الاختلاف؟ لأن سورة الأعراف: جاءت في سياق الأقل إيماناً من بني إسرائيل، وفي سياق التقريع، والتهديد لهؤلاء الخلْف، ولذلك استعمل في الأعراف لفظ الجبل بدلاً من الطور، وكلمة النتق بدلاً من الرفع، وقدَّم لفظ الجبل عليهم.

بينما في سورة البقرة: جاءت في سياق الأكثر إيماناً من بني إسرائيل،

وسياق التكريم، وسياق ذكر نعم الله عليهم، فاستعمل كلمة الرفع، والطور، وقدَّمهم على كلمة الطور.

﴿كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ﴾: سحابة تظلّهم.

﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ﴾: أيقنوا أنه ساقط، أو سيقع عليهم، إنذار لهم بوقوعه، والظن هنا: هو الظن الراجح؛ الذي تغلب، أو ترجح فيه كفة الإثبات على كفة النفي.

﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾: بجدٍّ، وقوة، وعزيمة؛ أيْ: نفِّذوا أحكام التوراة، أو خذوا التوراة بجدٍّ، وعزيمة، واعملوا بها، ولا تؤمنوا ببعض، وتكفروا ببعض.

﴿وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ﴾: من الأوامر، والنواهي، والأحكام، ولا تنسوها، وبيِّنوها للناس.

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾: لعلَّ: للتعليل، تتقون وقوع الجبل فوقكم، والقضاء عليكم، وتتقون عذاب النار، وسخط الله تعالى، وغضبه عليكم.

[١٧٢] ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾:

﴿وَإِذْ﴾: أيْ: واذكر إذ، أو اذكر حين أخذ ربك من بني آدم.

﴿مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾: الذرية: هم النسل، الأولاد، والبنات، والذرية تكون جمعاً، وتكون واحداً.

وبنو آدم: هم أولاد آدم، من لدنه إلى أن تقوم الساعة.

لفهم وتفسير هذه الآية تحتاج إلى الاستعانة بالإعجاز العلمي للقرآن.

فكيف يأخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم؟ بالتزاوج، والإخصاب،

والتناسل الذي يتم بالإلقاح، الحيوان المنوي الخارج من الخصية، والبويضة الخارجة من المبيض، وما يتلو ذلك من تطورات في عالم الجنين، ودلت اكتشافات العلم الحديث: أن الخصية التي هي مصدر الحيوان المنوي، والمبيض الذي هو مصدر البويضة كلاهما ينشأ من الخلايا الوريقة المتوسطة التي هي واقعة في المنطقة التي هي ظهر الجنين، إضافةً إلى خلايا الوريقة الخارجية، والداخلية التي تشكل الجنين، وبدلاً من القول: الخصية، أو الحيوان المنوي، والمبيض، والبويضة، أو أعضاء التناسل، قال: الظهر؛ لأن الوريقة الوسطى التي نشأت في الظهر؛ شكلت الأعضاء التناسلية، فاختصر كل ذلك بقوله: ﴿مِن ظُهُورِهِمْ﴾، وقال: ﴿مِن ظُهُورِهِمْ﴾، ولم يقل: (من ظهر آدم)؛ لأن الكل أُخرجوا من ظهره، فاستُغني عن ذكر آدم؛ لأن الكل يفهم أن آدم هو الأصل، وكل إنسان يعلم أنه خلق من ظهر أبيه، وأمِّه، وأبوه وأمُّه كانوا في ظهور آبائهم، وأمهاتهم، وهكذا حتى آدم، فكل إنسان في الحقيقة يحمل ذرة، أو ذرات من آدم، وهذه الذرات تسمَّى: الجينات، والمحفظة الوراثية، والحمض النووي المسمَّى (دي، ن، أي).

وهذه الجينات، والمورثات التي عندنا؛ انتقلت إلينا بطريقة الوراثة؛ فهي قد تشكلت في العهد الأول حين خلق الله تعالى آدم، وشهدت بأن الله ربّها، وخالقها، وأنه لا إله إلّا هو لا شريك له، حين عرض الله تعالى على آدم الأمانة؛ فقبل أن يحملها، وهذا يسمَّى عهد الذر، أو العهد الذري.

فكل ذرة أو خلية في جسم الإنسان (المؤمن، والكافر، والصالح، والطالح) تؤمن بالله، ولكن الله سبحانه أعطى الإنسان القدرة على التحكم بهذه الخلايا، أو الذرات، أو الجزيئات حتى يأتي يوم القيامة، وتشهد له، أو تشهد عليه، فالمؤمن الصالح ذرات جسمه متوازنة مطمئنة منسجمة؛ لأنها تعمل حسب الفطرة التي خلقت عليها، بينما ذرات الكافر، أو المشرك غير متوازنة، تعمل بما يأمرها

صاحبهـــا، وهي كارهة للقيام بذلك، فتراه غير مطمئن، وغير متوازن، ويخاف أن تسأله عن الله سبحانه، أو دِينه.

﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾: أقررهم ألست بربكم: استفهام تقرير.

والله سبحانه قادر أن يخاطب أي شيء من خلقه، وقادر أن يخاطب الذر، ويخاطب كل ذرة خلقها؛ لتشـــكل آدم، وتكون كالأم، أو المحفظة الوراثية بلغة العلم الجيني، وبالتالي تنتقل بالوراثة إلىٰ ذرية آدم، فرداً فرداً إلىٰ أن تقوم الساعة، وتتمثل هذه كذلك في الفطرة البشرية، السليمة، المسلمة لربها.

الفطـــرة التي تقر بأن لها رباً خالقاً، وكما ورد في الحديث الشـــريف: «كل مولود يولد علىٰ الفطرة».

﴿قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾: فهذه الذرات، وبالتالي الجينات الوراثية شـــهدت أن خالقها هو الله؛ بقولها: بلىٰ شـــهدنا أنك إلهنـــا، وأنه لا إله إلا أنت؛ فكانت هذه شهادة الوحدانية في العهد الفطري، أو عهد الذر.

﴿أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ﴾:

﴿أَن تَقُولُواْ﴾: أن: مصدرية (أو مفسرة)؛ للتعليل والتوكيد. ارجع إلىٰ آية (١٦٩).

﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ﴾: أيْ: أخذنـــا عليكم هـــذا العهد حتىٰ لا يكون لكم علينا حُجَّـــة يوم القيامة بأنكم لم تُبَلَّغوا بأنه إله واحد أحد، أو ليس لكم إله، أو رب. ارجع إلىٰ سورة البقرة، آية (٧٤)؛ لمزيد من البيان في معنىٰ غافلين.

[١٧٣] ﴿ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾:

ولئلا تقولوا، أو حتىٰ لا يقولنَّ أحد منكم يوم القيامة.

﴿إِنَّمَآ﴾: كافة مكفوفة؛ تفيد التوكيد.

﴿أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ﴾: أيْ: نحن نقلد آباءنا، أو كنا عن هذا غافلين؛ أي: الغفلة عن عهد الذر، والتقليد هي أعذار الكافرين.

﴿أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾: أفتهلكنا: الهمزة همزة استفهام، وتعجب، ولمعرفة معنىٰ الهلاك: ارجع إلىٰ الآية (٤) من نفس السورة.

﴿بِمَا﴾: الباء: للإلصاق، أو السببية، ما: مصدرية، أو اسم موصول؛ بمعنىٰ: الذي، وهي أوسع شمولاً.

﴿فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾: المبطلون: جمع مبطل؛ اسم فاعل من أبطل؛ يعني: آباءَهم؛ لأنهم أبطلوا منهج الله تعالىٰ، ولم يرغبوا إلىٰ سماعه، ولا إلىٰ تبليغه، فهم يدعون أنهم لا ذنب عليهم؛ لأنهم قلَّدوا آباءهم، والباطل: هو الزائل (الذاهب)، أو ما لا وجود له. ارجع إلىٰ سورة الأنبياء، آية (١٨)؛ لمزيد من البيان.

إذن: ليس لهم عذر في التقليد، والإشراك، كما لم يكن لآبائهم عذر في الإشراك، أو الغفلة.

[١٧٤] ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾:

مثل هذا البيان لعهد الذر؛ نبيِّن لهم الآيات؛ ليتدبروها.

ولعلَّ الغافل يصحوا من غفلته، ويرجع عن كفره، أو شركه.

ولعلَّ المقلد لآبائه؛ يرجع عن تقليد الآباء، واتباع الباطل إلى اتباع الحق، والإيمان بوحدانية الله تعالى، وربوبيته، وأسمائه، وصفاته.

[١٧٥] ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾:

﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ ﴾: يا محمد ﷺ.

﴿نَبَأَ﴾: أي: الخبر العظيم عن الذي.

﴿ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا﴾: أيْ: علمناه آياتنا التشريعية؛ أي: التي وردت في الكتب المنزلة؛ مثل: التوراة، والإنجيل، والقرآن. وقيل: هو ابن باعوراء، أو عامر الراهب. وقيل: أمية بن أبي الصلت، واسمه غير مهم.

عالم من علماء بني إسرائيل، أو أحداً من علماء السوء.

﴿فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾: من الآيات، كفر بها، ونبذها وراء ظهره؛ طمعاً في حطام الدنيا، ومتاعها؛ أي: المال، والجاه؛ أيْ: باع آخرته.

والأصل في السلخ: هو إزالة الجلد عن الشاة، أو الحية من ثوبها؛ أيْ: تركها، وخرج منها، كما تخرج الحية من ثوبها، أو ينسلخ الجلد عن الشاة المذبوحة؛ أيْ: بعد أن تعلم آيات ربه، ودينه، وأصبح عالماً؛ تخلى عن كل ذلك، وباع دِينه لعرض من دنياه، وجحد، وأنكر آيات ربه.

﴿فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾: أيْ: لحق به، وصار ملازماً له، يجري وراءه خطوة خطوة مخافة أن يعود إلى الإيمان.

﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾: فصار من الضالين عن منهج الله بعد أن كان من المهتدين. ارجع إلى سورة الحجر آية (٤٢) للبيان.

[١٧٦] ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ

ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾:

هذه الآية من أشد الآيات على أهل العلم إذا تهاونوا في دِينهم، ولم ينكروا المنكر؛ ابتغاء عرض من الدنيا مثل: المال، والجاه، أو مالوا إلى الهوى، واشتروا الدنيا، وباعوا آخرتهم.

﴿ وَلَوْ شِئْنَا ﴾: شرطية.

﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا ﴾: أكرمناه، ورفعناه منزلة وقدراً، واللام في كلمة لرفعناه: للتوكيد، الباء: للتعليل.

﴿ بِهَا ﴾: أي: الآيات.

﴿ وَلَٰكِنَّهُۥٓ ﴾: حرف استدراك، وتوكيد.

﴿ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾: مال إلى الدنيا، واختارها، ورغب فيها عن الآخرة، أو باع آخرته من أجل المال، والجاه، والشهوات.

﴿ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ﴾: الهوى: ارجع إلى الآية (١١٩)، من سورة الأنعام؛ للبيان.

﴿ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾:

فأصبح مثله كمثل الكلب: إن تحمل عليه؛ أيْ: تطرده؛ يلهث، أو تتركه مرتاحاً يلهث، واللهث: هو التنفس الشديد، السريع، مع إخراج اللسان.

ويلهث؛ لأن جسم الكلب لا توجد فيه غدد عرقية إلا في قدميه؛ فهو يلهث ليتخلص من العرق الذي تجمع في جسمه؛ كي ينظم حرارة جسمه، فمثل الذي يعرض عن الإيمان، ويحرص على دنياه؛ أيْ: يصبح جائعاً للدنيا؛ إن تعطه لا يشبع، وإن لم تعطه لا يشبع، يريد أكثر فأكثر، لا يهمه إلّا دنياه؛ إن حملت عليه

كما تحمل على الكلب؛ أيْ: إن وعظته هو ضـــال، ومتبع هواه، وإن تركته، ولم تعظه ضال، وتمثيله بالكلب؛ يدل على خســة حاله، وذلة نفســه وهوانها؛ ذلك المثل الذي ضربناه لك للذي آتيناه آياتنا، فانسلخ منها، واتبع هواه، هو مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا في كل زمان، ومكان، وباعوا آخرتهم بدنياهم.

﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ﴾: فاقصـــص: الفاء: للترتيب والمباشـــرة؛ أيْ: قص عليهم قصة الذي انسلخ عن آياتنا؛ لعلَّهم يحذرون، أو يتفكرون، ويرجعون إلى الحق.

[١٧٧] ﴿سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ﴾:

﴿سَآءَ﴾: فعل ماض؛ لإنشاء الذم، مثل: بئس.

﴿سَآءَ مَثَلًا﴾: أيْ: بئس ذلك المثل الذي ضربناه للذي انســـلخ عن آياتنا، وشـــبهناه بالكلب، وهو مثل ينطبق على كل الذين كذبوا بآياتنا، ولم يؤمنوا بها، ويصدقونها، وأضاف الآيات إليه سبحانه؛ فقال: ﴿بِـَٔايَـٰتِنَا﴾: ولم يقل :الآيات؛ لعظمة تلك الآيات.

﴿وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ﴾: بتدنيسها بالشرك، والمعاصي، والتكذيب؛ فهم لن يضروا إلا أنفسهم، وقدَّم كلمة أنفسهم على يظلمون ، بدلاً من القول: وكانوا يظلمون أنفسهم؛ للاهتمام، وأن الإساءة مقصورة عليها خاصَّةً.

والظلم: هو الخروج عن منهج الله تعالى في أي زمان، ومكان. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٥٤)؛ لمزيد من البيان.

[١٧٨] ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾:

﴿مَن﴾: شرطية.

﴿يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى﴾: الفاء: تفيد التوكيد.

﴿فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى﴾: ضمير منفصل؛ يفيد زيادة التوكيد.

﴿فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى﴾: بزيادة الياء، ولم يقل: فهو المهتد.

والسبب في زيادة الياء؛ لأن هذا الذي كذب بآيات ربه، وانسلخ منها، واتَّبع هواه، واتبعه الشيطان، وأخلد إلى الأرض؛ يحتاج إلى زمن طويل؛ لكي يهتدي، فهدايته شاقة، وتحتاج زمن طويل، ولو كانت غير شاقة، ويمكن أن يهتدي بزمن قصير؛ لقال: فهو المهتد.

كما ورد في سورة الإسراء، الآية (٩٧): ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾.

وفي سورة الكهف، الآية (١٧): ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾.

وفي سورة الحديد، الآية (٢٦): ﴿فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾.

فهذه الآيات جاءت في سياق الذي، أو الذين هدايتهم تحتاج إلى زمن أقصر، وأقل مشقة، وشدة.

﴿وَمَن يُضْلِلْ﴾: الله سبحانه لا يُضل أحداً، وأما إذا أراد العبد الضلال، وسار في طريق الضلال، وابتعد عن الحق، وعن الصواب، والصراط؛ فعندها يتركه الله تعالى وشأنه.

﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ﴾: الفاء: رابطة لجواب الشرط، أولئك: اسم إشارة، ويفيد البعد، ويحمل معنى الذم، والتحقير، وعدم الأمل في التوبة.

﴿هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾: هم: ضمير منفصل؛ يفيد التوكيد، والمبالغة في الخسارة؛ أيْ: إذا كان هناك خاسرون؛ فهؤلاء هم في مقدمة الخاسرين. ارجع إلى سورة النساء، آية (١١٩)؛ لمزيد من البيان.

❖ ❖ ❖

وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ
لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ
بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾
وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي
أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ
يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ
كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا ۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ
هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ
أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا
هَادِيَ لَهُ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ
أَيَّانَ مُرْسَاهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ
فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ
عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾

سورة الأعراف [الآيات ١٧٩ - ١٨٧]

[١٧٩] ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾:

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: استئنافية.

﴿وَلَقَدْ﴾: اللام: للتوكيد، قد للتوكيد أيضاً، والتحقيق.

﴿ذَرَأْنَا﴾: ذرأ: بث، ونشـــر، والبث في الأرض معناه: نشرهم في الأرض بالتكاثر بالتزاوج.

﴿ذَرَأْنَا﴾: يعني: خلقنا خلقاً؛ يتكاثر بذاته.

﴿لِجَهَنَّمَ﴾: اللام: لام التعليل، لام العاقبة، أو الصيرورة، جهنم: مشـــتقة من الجهومة: وهي الشيء المخوف الكريه المنظر، وقيل: بعيدة القعر. ارجع إلى سورة الرعد آية (١٨) للبيان المفصل.

﴿كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾: خلقنا لجهنم كثيراً من الجن، والإنس.

والسؤال هنا: إذا كان الله سبحانه ذرأ لجهنم كثيراً من الجن، والإنس، فما هو ذنبهم، أو مصيبتهم؛ ليعذبهم فيها؟

الجواب: ما هي علّة خلقهم: هي قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦].

إذن علَّة الخلق: هي عبادة الله تعالى وطاعته، وليس دخولهم جهنم.

فبعد الذرء، فمن الجن والإنس من استجاب، وعبد الله ، وأطاعه؛ فهؤلاء مصيرهم إلىٰ الجنة؛ لأنهم اختاروا لأنفسهم طريق الحق، والنجاة، ومن الجن والإنس من رفض، وانكر وجود الخالق، وطاعته، وعبادته؛ فهؤلاء مصيرهم إلىٰ جهنم؛ لأنهم اختاروا لأنفسهم طريق الهلاك، وانتبه إلىٰ قوله سبحانه: ﴿كَثِيرًا﴾، ولم يقل: قليلاً، فيا ويلتاه! ويا حسرة علىٰ العباد!

وقد وصف هؤلاء الذين اختاروا طريق جهنم من الجن والإنس بثلاث صفات، وقدَّم الجن علىٰ الإنس؛ للترتيب الزمني؛ فالجن كانوا أسبق خلْقاً.

﴿لَهُمْ﴾: اللام: لام الاختصاص، ثم وصفهم بثلاث صفات:

الأولىٰ: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾: الفقه: هو الفهم، واصطلاحاً: هو معرفة الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية القرآن والسنة والإجماع والقياس وغيرها؛ ارجع إلىٰ سورة النساء آية (٧٨) لمزيد من البيان، ولنعلم أن القلب ليس القلب هو مضخة للدم فقط، بل وجدوا في القلب خلايا عصبية تحمل صفات الخلايا العصبية في الدماغ المختصة بوظيفة الذاكرة، والعاطفة، والإدراك، وهذا يؤكد علىٰ القلب هو مركز للأحاسيس، والمشاعر، والإيمان، والكفر، والحب، والكره... وغيرها.

وهذا يفسر لنا كيف يكتسب الذي زُرِعَ له قلب بعض صفات المتبرِّع من الحب، أو الكراهية لبعض الأشياء، أو يحدث تغيُّر في بعض أخلاق الذي زُرِعَ له القلب ومعاملاته.

﴿لَهُمْ قُلُوبٌ﴾: والقلب له علاقة بالدماغ محل الإدراك، فمن دون القلب لا يعمل الدماغ، وعقول، أو مناطق الإدراك، والفهم عندهم معطلة، فهي لا تستجيب، ولا تنتفع بآيات الله تعالىٰ وبما جاء علىٰ ألسنة رسله من الحق.

والثانيــة: ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾: أعين: جمع عين، وعين تجمع على أعين وعيون؛ أعين: تعني التي نبصر بها، أو قد تعني البصيرة، أما عيون: فلا تعني إلا عيون المــاء مثل عيون الجنة، مثل قولــه تعالىٰ: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الذاريات:١٥]؛ أيْ: لا ينظرون نظر البصيرة، نظرة تبصُّــر، واعتبار؛ فهم لا ينتفعون بأعينهم ولا يرون الحق.

والثالثــة: ﴿وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾: وكذلــك لا يســمعون ســماع تدبُّر، وإصغاء، ولا ينتفعون بسمعهم، أو آذانهم.

﴿أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾:

﴿أُولَٰئِكَ﴾: اسم إشارة، واللام: للبعد، ويفيد الذمَّ.

﴿كَالْأَنْعَامِ﴾: الكاف: كاف التشبيه؛ كالأنعام: وهي البقر، والغنم، والإبل، والمعز، إذا لم يســتخدموا عقولهم، وســمعهم، وأبصارهــم، ويتجنبوا الكفر، والشــرك، ويختاروا طريق النجاة، والهدىٰ؛ فهم كالأنعــام حين لا ينظرون في عواقب الأمور، وما يعملون في دنياهم، ثم يستمرون في غفلتهم.

ولنعلم: أن الأنعــام، والنباتات، والجمادات كلها تســجد، وتســبح لله بطريقتها الخاصَّة، وأن الأنعام غير مكلَّفة، ولم تحمل الأمانة، وأدوات إدراكها؛ مثل: العقل، والعين، والأذن معدَّة لما خُلقت له من وظيفة (التسخير).

وهــي من آيات الله ســبحانه تعمل بما أودع الله ســبحانه فيها من أجهزة خاصَّةً؛ كي تكون مسخرة لبني آدم.

﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾: بل: للإضراب الإبطالي؛ أيْ: ليسوا كالأنعام، بل هم أضل من الأنعام؛ لأن الأنعام تقوم بما أمرها الله به، ومحكومة بالغريزة، ولا اختيار لها في شيء، والأنعام تعرف ربها، وتسجد له، ولا يبلغ مواقع بها الضلال أن تقع في

الهلاك أو الموت كما هم يفعلون، وهم لا يعرفون ربهم، وينكرونه؛ فهم أضل من الأنعام؛ أيْ: أسوأ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة.

﴿هُمُ﴾: ضمير منفصل؛ يفيد المبالغة؛ أيْ: إن كان هناك غافلون على الأرض؛ فهم أغفلهم حقاً.

﴿ٱلْغَٰفِلُونَ﴾: جمع غافل: وهو الذي لا يحضر في باله الشيء، أو انمحى عن ذاكرته الشيء، فلم يعد يذكرون آخرتهم، ويستعدون لها.

﴿ٱلْغَٰفِلُونَ﴾: لما نسوا ذكر ربهم، وتركوا الإيمان، والتدبُّر في كتاب الله، كانوا بمنزلة الغافلين. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٧٤)؛ لمزيد من البيان.

[١٨٠] ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾:

﴿وَلِلَّهِ﴾: الواو: استئنافية.

﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾: تقديم الجار والمجرور، لفظ الجلالة، يدل على الحصر؛ أي: الأسماء الحسنى، هي قصراً، وحصراً لله وحده، ولا يسمَّى بها أحد من خلقه.

﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾: مؤنَّث الأحسن، ومعنى الحسنى: البالغة في الحسن والتفضيل هنا مطلق، وليس مقيداً.

مثال المطلق: الله الأفضل، بينما المقيد: الله أفضل من الآلهة، وهذه الأسماء الحسنى (٩٩) اسماً، كما جاء في الصحيحين، عن أبي هريرة ﷺ، قال رسول الله: «إن لله تسعاً وتسعين اسماً».

﴿فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾: الدعاء: هو السؤال؛ أيْ: تجعلها وسيلة لك عند الدعاء؛ فتقول مثلاً: يا حي، يا قوم، يا ذا الجلال والإكرام.

﴿فَٱدْعُوهُ﴾: الدعاء بها يتضمن معرفتها، والدعاء: دعاء عبادة تتعبد الله بها، مثلاً: الرحيم: مشتق من الرحمة، فتقوم بالأسباب التي تؤدِّي إلىٰ الرحمة، أو دعاء المسألة؛ أي: التوسل بها.

﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾: اتركوا.

والإلحاد: من اللحد، وهو الميل، والإلحاد بها يشمل إنكار أيِّ شيء من أسماء الله، أو التغيير، أو التعطيل، والتكذيب، أو أن يسمِّي أحد نفسه بها، أو زيادة اسم، أو حذف اسم، أو أن نشتق منها أسماء للآلهة، والأصنام؛ كتسمية اللَّات من الله، والعُزَّىٰ من العزيز.

﴿سَيُجْزَوْنَ﴾: السين للاستقبال القريب؛ أيْ: سيلقون جزاء هذا الإلحاد قريباً، وهذا تهديد ثانٍ، ووعيد لهؤلاء الذين يلحدون في أسماء الله، والتهديد الأول: هو قوله تعالىٰ: ﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾.

﴿مَا كَانُوا۟﴾: ما: اسم موصول؛ بمعنىٰ: الذي، وما أوسع شمولاً.

﴿يَعْمَلُونَ﴾: يقولون، ويفعلون في الدنيا؛ لأن العمل يشمل: القول، والفعل.

[١٨١] ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾:

المناسبة: بعد قوله: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾، ولم يقل: كل من خلقنا، بل قال: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ﴾؛ يعني: القليل من الجن، والإنس.

﴿ وَمِمَّنْ ﴾: الواو: استئنافية، ممن: تضم من زائد من، أدغمت الثانية في الأولىٰ، ومن الأولىٰ: ابتدائية، ومن الثانية: بعضية.

﴿خَلَقْنَآ ﴾: في أي زمان، ومكان.

﴿أُمَّةٌ ﴾: جماعة من الناس بغض النظر عن العدد، والحيز الجغرافي جماعة تجمعهم عقيدة، أو مبادئ واحدة.

﴿يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾: ستجد أمة قائمة بشرع الله، وحاملة لمنهج الله، وداعية له، وسائرة علىٰ الطريق المستقيم.

﴿يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ ﴾: أيْ: هداة مهديون، هم اختاروا طريق الهداية، فهداهم الله، ثم أصبحوا هداة لغيرهم، ودعاة إلىٰ الحق، يرشدون الناس إلىٰ الإيمان، والدِّين الصحيح، وطاعة الله، وعبادته.

﴿يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ ﴾: الحق: هو الأمر الثابت الذي لا يتغيَّر، وكل شيء من عند الله، هو الحق، والحق هو القرآن، أو الوحي، وسنة رسوله.

﴿وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾: وبالحق يحكمون بين الناس؛ أي: بالعدل، ولا يجورون علىٰ احد.

﴿وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾: وبه: بالحق يحكمون، أو يعملون به؛ مثل: الأنبياء، والعلماء، وكل من تمسك بشرع الله تعالىٰ، وولي أمر الناس.

ومن قبل ذكر: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾: ارجع إلىٰ الآية (١٥٩) من نفس السورة؛ لمزيد من البيان.

[١٨٢] ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾:

ومقابل الذين يهدون بالحق وبه يعدلون الذين كذَّبوا بآياتنا، لم يؤمنوا بها، وجحدوا بها، بآياتنا: تشمل القرآنية، أو الشرعية، والكونية، والمعجزات.

﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾: السين: للاستقبال القريب، الاستدراج: على وزن استفعال، واستدرجه؛ بمعنى: أدناه منه بالتدرج.

والاستدراج: من الدرج: وهو السلم، وسيلة للانتقال للصعود، أو النزول درجة درجة.

مثال على الاستدراج: نُملي عليهم النِّعم، النِّعمة تلو الأخرى، حتى يصلوا إلى أعلى درجات البطر، والعصيان، والإثم، والبعد عن الله، وعدم الشكر؛ ظانين أن تواتر النِّعم عليهم بسبب قربهم من الله، أو عدم مؤاخذتهم، وأن الله غفور رحيم، ولا يعلمون أنما هي خذلان لهم، وتبعيد عنه، ثم يأخذهم بالعذاب بغتة، أو على غفلة؛ فإذا هم مبلسون، أو خامدون.

﴿مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾: بما يُدبَّر لهم من الهلاك، والعذاب، والكيد.

﴿مِّنْ﴾: لابتداء الغاية.

﴿حَيْثُ﴾: ظرف زمان، أو مكان.

من حيث لا يعلمون الزمان، والمكان، ولن يفلت منهم أحد.

[١٨٣] ﴿ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴾:

﴿ وَأُمْلِى لَهُمْ﴾: من الإملاء: وهو التأخير؛ أيْ: تأخير العقوبة، أو العذاب، ولا يعني: الإهمال، مع طول، أو قصر الزمن.

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿كَيْدِى﴾: أخذي، وتدبيري، والكيد: هو التدبير الخفي، والكيد: أقوىٰ من المكر. ارجع إلىٰ سورة يوسف، آية (٥)؛ لبيان معنىٰ الكيد.

﴿مَتِينٌ﴾: شديد؛ كقوله تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].

وقوله: كيدي: فيه تحذير، وتهديد شديد؛ فهو كيد رب العالمين.

[١٨٤] ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ ۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾:

﴿أَوَلَمْ﴾: الهمزة: للاستفهام الإنكاري.

﴿أَوَلَمْ﴾: ولم يقل: ألم، وما هو الفرق بينهما؟

الواو في ﴿أَوَلَمْ﴾: تدل علىٰ شيء مرئي، مشاهد، وتنكره، والواو: تدل علىٰ شدة الإنكار لذلك الشيء الذي تراه، ثم تنكره، وغيرك لا ينكره؛ أيْ: إنهم إذا تفكروا في شأن محمد ﷺ، وتجردوا من عصبيتهم، وأهوائهم؛ لأدركوا صدقه، وأنه ليس مجنوناً؛ كما يزعمون.

﴿مَا﴾: النافية.

﴿بِصَاحِبِهِم﴾: الباء: للإلصاق، والتعليل؛ يعني: محمداً ﷺ.

﴿مِّن جِنَّةٍ﴾: من استغراقية؛ أيْ: جنون؛ لأنهم كانوا يقولون: شاعر، مجنون، والباء: تدل علىٰ الإلصاق، وأنهم يعرفونه منذ بدء نشأته، وأنه الصادق، الأمين، وليس المجنون.

﴿إِنْ﴾: للتوكيد.

﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل؛ يفيد التوكيد.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾: نذير من الإنذار: وهو الإعلام مع التحذير، أو التخويف، نذير للمكذبين بآيات ربهم، ومنذر من عذاب يوم القيامة، أو الآخرة، مبين؛ أيْ: إنذاره واضح، وبين لكل فرد، ولا يخفىٰ علىٰ أحد، وإنذار لا يحتاج معه إلىٰ برهان، أو دليل.

وانتبه! كيف يستعمل في القرآن: ﴿وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾، يستعملها دائماً في سياق، أو مقام الدعوة، الهادئة المبينة بالحُجَّة.

﴿إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ﴾: يستعملها في سياق، أو مقام المجادلة، والمخاصمة، والجهاد في القول.

[١٨٥] ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾:

إذا لم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة، لماذا لا ينظرون في ملكوت السموات والأرض؛ نظرة مشاهد، ومعتبر؛ ليروا عظيم ملكه، وقدرته، وبديع صنعه.

و﴿مَلَكُوتِ﴾: اسم لما يملكه الله من كل شيء، ولا نراه، وهو خاص بالله تعالىٰ وحده، وهو صيغة مبالغة للملك.

والمُلك: هو كل ما تشاهده، وتراه، وتدركه، وتحسه أمامك، أما الملكوت: فهو كل ما غاب عنك، وراء الملك. ارجع إلىٰ سورة الأنعام، آية (٧٥)؛ لمزيد من البيان.

﴿وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾: من: استغراقية؛ أيْ: تشمل كلَّ شيء.

وكلمة شيء: نكرة؛ تشمل كلَّ شيء، ومن: تشمل كلَّ شيء، والشيء: هو أقل القليل، فلا يوجد شيء مهما كان شكله، أو نوعه، أو حجمه، أو لونه، أو صفاته؛ إلا ويعتبر آية من آيات الله سبحانه؛ الدالة علىٰ عظمة قدرته، وأنه واجب

الوجود، وأنه الإله الحق، خالق كل شيء، والذي يجب أن يعبد، ويسبح، ولا يشرك به.

﴿وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾:

﴿وَأَنْ﴾: تفيد التوكيد.

﴿عَسَىٰٓ﴾: أداة رجاء؛ أيْ: ما بعدها، يرجى حدوثه.

﴿وَأَنْ عَسَىٰٓ﴾: أصلها: وأنه عسى أن يكون قد اقترب أجلهم، وهم لا يعلمون متى سيكون.

﴿قَدِ﴾: للتوكيد، والتحقيق.

فلما لا يسارعون في النظر، أو المبادرة إلى الإيمان، بالرسول وبالقرآن، قبل فوات الأوان، فربما يموتون عن قريب، أو لعلَّ أجلهم قد اقترب.

﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾:

﴿فَبِأَيِّ﴾: الفاء: للتعقيب، والمباشرة؛ أي: استفهام، والباء: للتوكيد، والإلصاق.

﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ﴾: أيْ: بعد القرآن يصدقون؛ أيْ: وإذا لم يؤمنوا بمحمد أولاً، وبما جاء به، وأنذر به، ولم يصدقوا بالقرآن، فهم لن يصدقوا، ويؤمنوا بأي حديث آخر، أو كلام آخر، وفي الكلام تحذير، وترهيب شديد.

[١٨٦] ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾:

﴿مَن﴾: شرطية.

﴿يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥ﴾: والسؤال هنا: هل الله سبحانه يُضل أحداً؟

الجواب: لا؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ [الزمر:٧].

فالله دعا الناس جميعاً للإيمان، والهداية، فأنزل كتبه، وأرسل رسله، وآياته الكونية، والمعجزات، وكل ذلك؛ لكي يؤمنوا.

فمعنىٰ: ﴿مَن يُضْلِلِ﴾: أيْ: من يختار طريق الضلال، والكفر، ولم يؤمن بالله، ولا بكتبه، ولا برسله، فليذهب إلىٰ ضلاله، وكفره، كما يشاء، ولن تجد له هادياً غير الله؛ ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة:١٠].

﴿وَيَذَرُهُمْ﴾: ويتركهم في طغيانهم، وترددهم، وحيرتهم ﴿يَعْمَهُونَ﴾: والعمة: هو فقدان البصيرة، والعمىٰ: هو فقدان البصر (النظر). ارجع إلىٰ سورة الأنعام، آية (١١٠)؛ للبيان.

[١٨٧] ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾:

﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾: أي: السائل يقف أمام رسول الله ﷺ، وجهاً لوجه.

﴿عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾: الساعة؛ تعني: ساعة تهدم النظام الكوني الحالي، وأما القيامة؛ فيعني: البعث، والخروج من القبور.

﴿أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾: أيَّان: للاستفهام، وأيَّان: تستعمل للأمور العظام، الجسام، وللتفخيم، والتعظيم، وجاءت في (٦) آيات، كلها في سياق البعث: ﴿أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾، و﴿ٱلسَّاعَةِ﴾، و﴿أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾.

أيَّان: تعني: متىٰ، ولكن هناك فرق بين متىٰ، وأيَّان؛ أيَّان: تختص فقط بالمستقبل، وتستعمل للأمور العظام؛ كما قلنا، أما متىٰ: فتستعمل للماضي، والمستقبل، والأمور العادية.

﴿مُرْسَىٰهَا﴾: حدوثها، أو متىٰ وقوعها.

﴿مُرْسَىٰهَا﴾: مشتقة من مرسىٰ السفينة؛ حيث تنتهي، أو قيل: بثبوتها، ويقال: رسا في الأرض؛ أيْ: ثبت، أو استقرَّ بعد الإبحار. فالساعة شبهها بالسفينة التي تقترب كل يوم حتىٰ تبلغ مرساها في الشط؛ أي: منتهاها.

﴿قُلْ﴾: لهم يا محمد ﷺ.

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة؛ تفيد التوكيد.

﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي﴾: أيْ: قد استأثر ربي بعلمها، ولم يطلع عليها أحد.

﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا﴾: أيْ: لا يظهرها إلا هو. لوقتها: اللام: لام التوقيت، أو التعليل عند وقتها؛ أيْ: لا يكشف خفاء علمها إلا هو سبحانه، وهذا يعني عند دنوِّ أجل الساعة يكشف لنا ربنا أشراط الساعة، أو علاماتها الكبرىٰ.

﴿ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: ثقل وقوعها علىٰ أهل السموات والأرض، أو عظم شأنها علىٰ أهل السموات والأرض، أو الكل يخافونها: الملائكة في السموات، والناس، الجن، والإنس علىٰ الأرض.

﴿ثَقُلَتْ﴾: الثقل: قد يكون فكرياً، نفسياً، أو مادياً؛ فالخوف يعتبر ثقلاً نفسياً، وفكرياً. ثقلت علىٰ أهل السموات: الملائكة، وعلىٰ أهل الأرض، الإنس والجن، وثقلت؛ تعني: لا يستطيعون تحملها من شدتها.

والثقل: يكون كذلك من عدم معرفة أيَّان مرساها، وكونها تأتي بغتةً.

﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾: لا تأتيكم إلّا فجأةً علىٰ غفلة منكم، إلا: أداة حصر.

﴿يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾: الحفيُّ لها عدَّة معانٍ؛ منها:

١ - هو المُلِحُّ في طلب الشيء؛ أيْ: بكثرة محاولاً الوصول إلىٰ معرفتها،

ومن كثرة ذلك يصبح عالماً بها أكثر؛ أيْ: كأنك دائب السؤال عنها، والعناية بها؛ كأنك عالم بها، أو كأنك معنيٌّ بطلب علمها.

٢ - وحفيٌّ: قد تعني: يسألونك عنها كأنك صديقٌ لهم (من كثرة السؤال)؛ كقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾ [مريم:٤٧].

أو حفـــي: حافي القدمين من كثرة الذهاب، والمجيء للســـؤال عنها؛ أيْ: تمزق نعليك من كثرة المشي؛ للوصول إلىٰ معرفتها، وأصبحت حافي القدمين.

﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾: تكـــرار قـــل: للتأكيد، إنما: كافـــة مكفوفة؛ تفيد التوكيد.

علمها عند الله ؛ علم وقوعها، وحدوثها فقط عنده، وما يحدث فيها.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أن الله أخفاها؛ لتجزىٰ كل نفس بما تســـعىٰ، أو لا يعلمـــون أن الله العالـــم بها، واختص بها وحده، أو تعنـــي: هناك القلَّة من العلماء من يعلم شيئاً عن أشراط الساعة، وأهوالها.

❖ ❖ ❖

قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ
أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ
أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ ۞ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم
مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ فَلَمَّا
تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتۡ حَمۡلًا خَفِيفٗا فَمَرَّتۡ بِهِۦۖ فَلَمَّآ أَثۡقَلَت دَّعَوَا
ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنۡ ءَاتَيۡتَنَا صَٰلِحٗا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾
فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحٗا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى
ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ
﴿١٩١﴾ وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ لَهُمۡ نَصۡرٗا وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾
وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمۡۚ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ أَدَعَوۡتُمُوهُمۡ
أَمۡ أَنتُمۡ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ
عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن
كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمۡ أَرۡجُلٞ يَمۡشُونَ بِهَآ أَمۡ لَهُمۡ أَيۡدٖ
يَبۡطِشُونَ بِهَآ أَمۡ لَهُمۡ أَعۡيُنٞ يُبۡصِرُونَ بِهَآ أَمۡ لَهُمۡ ءَاذَانٞ
يَسۡمَعُونَ بِهَاۗ قُلِ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾

سورة الأعراف [الآيات ١٨٨ - ١٩٥]

[١٨٨] ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾:

المناسبة: في الآية السابقة: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى﴾.

وفي هذه الآية قل أيضاً: ﴿لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾: أي: الأمور كلها بيد الله وحده: الساعة، وعلم الغيب، والنفع، والضر.

﴿لَّآ﴾: النافية.

﴿أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾: اللام: لام الاختصاص؛ أيْ: لا أستطيع جلب أي نفع، أو دفع أي ضر عن نفسي، ولا عن غيري، والضُّر: بضم الضاد ما يصيب البدن من مرض أو طارئ، والضَّر: بفتح الضاد ضد النفع، وقدم النفع على الضر في هذه الآية.؛ لأن السياق في ذكر الساعة والهداية فقدم النفع الذي هو ثواب الآخرة (الساعة)، أو الهداية هي (نفع) على الضر الذي هو عقاب الأخرة، أو الضلال والنفع أحب إلى الإنسان من الضر.

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء.

﴿مَا﴾: اسم موصول؛ بمعنى: الذي، وهي أوسع شمولاً من الذي؛ للعاقل وغير العاقل.

﴿شَآءَ ٱللَّهُ﴾: أيْ: إلا ما أراد الله، والمشيئة تأتي قبل الإرادة؛ إلا ما أراد الله أن أملكه.

﴿وَلَوْ﴾: لو شرطية.

﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾: الغيب: هو كل ما غاب عنا، فلا تراه العيون، ولا يدرك بالحواس، ومعناه محصل في الصدور، والغيب أنواع: منه المطلق: لا يعلمه إلّا الله، والنسبي: الغيب الذي يطلعه الله على رسله.

﴿لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ﴾: اللام: للتوكيد.

استكثرت: الألف، والسين، والتاء: تعني الطلب؛ أيْ: لطلبت، أو لجلبت الكثير من الخير لنفسي، والخير: هو كل شيء حسن، ونافع، وحلال، وطيب.

﴿وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ﴾: ما: النافية، السوء: كل ما يسيء، أو يسوء إلى النفس، أو القبيح، والمكروه، والضرر، مثال: الفقر، والهزيمة في الغزوات، والموت؛ أيْ: من هو حاله كحالي كيف يعلم الغيب، أو علم الساعة.

﴿إِنْ أَنَا﴾: حرف نفي؛ بمعنى: ما أنا، وهي أشد نفياً من ما. والتقدير: ما أنا إلا: أداة حصر.

﴿نَذِيرٌ﴾: من الإنذار: وهو الإعلام مع التخويف، أو الزجر. وقدم نذير على بشير؛ لأن الآيات جاءت في سياق المشركين لذلك قدم الإنذار على البشارة.

﴿وَبَشِيرٌ﴾: من البشارة: الإخبار بما يسر، الإعلام بما يسر، ولأول مرة؛ أيْ: أرسلت بشيراً، ونذيراً، خاصَّةً.

﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: لقوم: اللام: لام الاختصاص، وأرسلت إلى الناس كافة بشيراً ونذيراً، وخاصَّةً لقوم يؤمنون؛ أيْ: من ينتفع من إنذاري، وتبشيري خاصَّةً، هم القوم الذين يؤمنون.

[١٨٩] ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا

تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾:

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾: هو: تعود على الله سبحانه وتعالى، وهو ضمير منفصل؛ يفيد الحصر، والتوكيد.

﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾: الخلق: هو التقدير، والإيجاد.

﴿مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾: أيْ: من نفس الجنس البشري؛ أيْ: كل النفوس خلقت من نفس واحدة (مثل جرم واحد).

﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾: الجعل: يكون بعد الخلق؛ أيْ: مرحلة تلي الخلق؛ أيْ: بعد خلق النفوس من نفس واحدة جعل بعضها أنثوية، وبعضها ذكرية؛ ليسكن إليها، ويغشاها، وتحمل، وتلد.

ولا بُدَّ من مقارنة ثلاث آيات متشابهة في القرآن؛ هي:

آية سورة النساء، رقم (١): ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ﴾.

آية سورة الأعراف، رقم (١٨٩): ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾.

آية سورة الزمر، رقم (٦): ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾.

أولاً: الآيات الثلاث مطلعها واحد هو قوله تعالى: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾؛ أيْ: كافة البشر بما فيهم آدم وحواء، وكل نفس أخرى؛ ذكراً وأنثى، الكل خلق من نفس واحدة هي الأصل.

أما بالنسبة لآية النساء، فقوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾: يؤكِّد أن نفس الذكر، ونفس الأنثى نفوس متشابهة (من حيث البناء) أو التشريح.

أما بالنسبة لآية الأعراف، قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾: فالجعل يكون عادة بعد الخلق، فبعد أن خلق الله النفوس من نفس واحدة ميزها؛ جعل بعضها ذكرية، وأنثوية؛ ليتم التزاوج والتناسل، وهكذا ما تؤكده الآية؛ ليسكن إليها، ويتغشاها، وتحمل، وتلد.

أما بالنسبة لآية الزمر، قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾: فـ(ثم) هنا ليست للترتيب، والتراخي، وإنما للتباين، والاختلاف رغم كونها خلقت من نفس واحدة، فنفس الرجل (الزوج) غير نفس الأنثى (الزوجة) من حيث: اتخاذ القرار، والعواطف، والمشاعر، والرحمة، والأمومة، والحمل، والإرضاع، ومن حيث تحمل الأعباء، والمشاق، فلكل نفس طابع خاصٌّ مصوَّر في المحفظة الوراثية.

﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾: اللام: لام التعليل؛ من السكينة، فالزوجة سكن لزوجها، والزوج سكن لزوجته؛ أيْ: لتأنس به ويأنس بها، ويأوي إليها، وتؤوي إليه، وفيها معنى الاستقرار، والإقامة؛ سكون مودة، ورحمة؛ أيْ: حب، وتراحم.

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: للتعقيب، والترتيب. لما: ظرف زماني؛ بمعنى: حين.

﴿تَغَشَّىٰهَا﴾: كناية عن الجماع، أو لامسها، أو الوطء، وتغشاها: مشتقة من الغشاء؛ أي: الغطاء؛ أي: الستر؛ أيْ: هو يسترها، وهي تستره كالغطاء كلٌّ للآخر.

﴿حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا﴾: أيْ: ابتدأ الحمل في أسابيعه الأولى، كانت لا تشعر بأنها حامل، ولا تشكو من أي أعراض الحمل من تعب أو إعياء.

﴿فَمَرَّتْ بِهِۦ﴾: فلما تجاوزت الأسابيع الأولى، واستمرت في حملها.

﴿فَلَمَّآ أَثْقَلَت﴾: أيْ: بلغت مراحل الحمل الأخيرة زاد وزنها، وأصبحت تعاني من أعراض الحمل من التعب، والإعياء، وغيرها من الأعراض.

﴿دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا﴾: أي: الـزوج، والزوجة؛ دعوا الله ربهما دعاء التوحيد، توحيد الألوهية، والربوبية معاً.

﴿لَئِنْ﴾: اللام: للتوكيد، إن: شرطية.

﴿ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا﴾: أيْ: رزقتنا ولداً سـوياً من العيـوب، والأمراض، وقد تعني صالحاً: صلاح الدِّين، أو كلاهما.

﴿لَّنَكُونَنَّ﴾: اللام، والنون: تفيدا التوكيد.

﴿مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾: من: ابتدائية. الشاكرين: لنعمك علينا، والشاكرين على المولود. ارجع إلى الآية (١٠) من نفس السورة؛ لمزيد من البيان.

[١٩٠] ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾:

﴿فَلَمَّآ﴾: الفاء: للتعقيب. لما: ظرفية؛ بمعنى: حين.

﴿ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا﴾: حصل المطلوب، ولكـن النتيجة كانت بالعكس، فلم يحصل منهما الشـكر الذي وعدا الله به، بل جعلا له شـركاء، فيما أتاهما؛ أيْ: هذا الولد الذي آتاهما الله سبحانه؛ كان صالحاً، معافىً، صحيح الجسم، فكيف جعلا له؛ أيْ: لله شركاء، فيما أتاهما؟ هناك عدَّة تفاسير:

١ - أن هـذه الآية نزلت في قصي، وهو جد من أجداد الرسـول ﷺ؛ فقد طلـب، أو دعا قصي هو وزوجته من الله أن يعطيـه ذرية صالحة، فلما أعطاهما الذرية الصالحة سمَّاها بأسـماء الآلهة؛ مثل: عبد مناف، عبد العُزى، وجعل لله شركاء في التسمية، والعبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب.

٢ - أو أن هذه الآية تعود إلى ذرية آدم حين تصبح الزوجة عاقراً، أو عقيمة غير قادرة على الإنجاب، ثم يشـاء الله تعالى أن تحمـل بالولد، ويظن أو يعتقد الأب والأم أن الولـد الصالح الذي رُزِقا به كان بسـبب أنهما ذهبا إلى قبر الولي

فلان، ودعا عند قبره بأن يرزقهما الولد؛ فظنَّا أن الولي، أو الشيخ هو السبب فتعالىٰ الله عما يشركون.

٣ - يجب الانتباه أن هذه الآية لا تتعلَّق بآدم وحواء، كما جاء في بعض كتب التفسير؛ فآدم وحواء لم يشركا بربهما، ولم يذكر اسم آدم أو زوجته في الآية أبداً.

﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾: والذي جعل له شركاء فيما آتاهما هما الزوجان الكافران، أو المشركان بالله تعالىٰ؛ لكونهما أبدلا شكرَ الله علىٰ الولد المعافىٰ (صالحاً) بالكفر والجحود.

﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: ترفع، وتقدس الله عما يشركون به من الأولياء، والأصنام، والمخلوقات.

[١٩١] ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾:

﴿أَيُشْرِكُونَ﴾: الهمزة: همزة استفهام تعجبي، وإنكاري، أيشركون في عبادةِ الله الأصنام، أو غيرها من الأشياء التي لا تخلق أي شيء مهما كان، وهي نفسها مخلوقة، فكيف يحق لها أن تكون آلهة تعبد، وهي عاجزة عن خلق أيِّ شيء.

﴿مَا﴾: اسم موصول، وتستعمل للمفرد، والجمع، ولا النافية.

﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾: هم ضمير فصل لا يطلق إلا علىٰ العاقل؛ أي: العقلاء، فكيف أطلق ضمير العاقل علىٰ الأصنام التي لا تعقل؟ أطلقها علىٰ الأصنام بناء علىٰ اعتقاد الذين يعبدونها أنها تنفع وتضر.

فالأصنام، والذين يعبدونها الكلُّ عجزة.

وإضافةً إلىٰ عجزهم عن خلق أيِّ شيء هم لا يستطيعون لهم نصراً، وهذا عجز آخر، ولا أنفسهم ينصرون عجز ثالث؛ كما ورد في الآية التالية.

[١٩٢] ﴿ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴾:

أيْ: هذه الأصنام لا تستطيع أن تنصرهم، ولا هي قادرة على نصر أنفسها، ولا هم قادرون على نصر هذه الأصنام أيضاً، والكلُّ عجزة، وتكرار لا يفيد توكيد النفي، وفصل نصر عابديها عن نصر أنفسها؛ أيْ: لا هذا، ولا ذاك، ولا كلاهما.

وإضافةً إلى هذا العجز هناك عجز آخر هو:

[١٩٣] ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ ﴾:

﴿وَإِن ﴾: شرطية؛ تفيد الاحتمال؛ أيْ: إن تدعوا هذه الأصنام إلى الهدى لا يتبعوكم؛ لا تستجيب لكم.

﴿تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ﴾: وإن تدعو هذه الآلهة الأصنام إلى الهدى، أو الاستجابة لكم فهي لا تستجيب؛ فهي لا تصلح أن تكون متبوعة، ولا تبعاً لغيرها.

فهي لا تجلب لكم نفعاً، ولا تستطيع أن تضركم، ولا تهديكم، ولا تهدوها.

﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ ﴾: الهمزة في أدعوتموهم: همزة التسوية؛ أي: يتساوى عندكم دعاؤهم، أو عدمه؛ أيْ: لا يسمعونكم إذا دعوتموهم، أو لم تدعوهم؛ أي: أنتم صامتون، والصمت يعني: عدم التفوُّه بأيِّ كلمة.

[١٩٤] ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾:

﴿ إِنَّ ﴾: للتوكيد.

﴿الَّذِينَ ﴾: اسم موصول.

﴿تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: تعبدون من غير الله، أو تدعوهم؛ أيْ: تطلبوا منهم العون والنصرة.

﴿عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾: كيف تجعلون الأصنام عباداً أمثالكم، أو تشبهونها بكم؛ فهذا استهزاء بكم، وسخرية بكم، أو كيف تعبدونهم وتسمونهم آلهةً.

وتسميتهم عباداً أمثالكم: هو استهزاء بكم، وتقريع، وتوبيخ لكم.

وما دمتم اتخذتموهم آلهة هيَّا ادعوهم بأيِّ دعاء، أو طلب، وانظروا هل يستجيبون لكم.

﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾: إن: شرطية؛ تفيد الشك أن تكونوا صادقين، أو إن كنتم صادقين في عبادتكم لها، أو دعائكم لها، أو تعني: إنكم كاذبون.

[١٩٥] ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ﴾:

هذه تتمة للآية السابقة.

﴿أَلَهُمْ﴾: الهمزة: همزة استفهام إنكاري وتعجبي؛ أيْ: هل هذه الأصنام التي صنعتموها بأرجل، وأيدٍ، وأعين، وآذان؛ هل يمشون بهذه الأرجل التي صنعتموها، أم هل يبطشون بهذه الأيدي، أم هل يبصرون بهذه الأعين أيَّ شيء، أم هل يسمعون بهذه الآذان أيَّ دعاء، كلا، بل هي أعضاء معطَّلة لا حياة فيها، ولا حركة، ولا حسَّ.

ثم تحداهم، ولا داعيَ أصلاً للتحدِّي، ولكن ليقيم عليهم الحُجَّة، ويطلعهم على غباوة أمرهم، وأنه لا يخاف هذه الأصنام.

﴿ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ﴾: أيْ: نادوا آلهتكم، وأصنامكم، ثم بعد ذلك ﴿كِيدُونِ﴾: أي: أَجْمِعُوا أمرَكم، وتعاونوا على إلحاق الضررَ بي إن استطعتم.

﴿فَلَا تُنظِرُونِ﴾: الفاء: للمباشرة، والتعقيب؛ أيْ: من دون انتظار؛ أيْ: كيدون الآن.

﴿تُنظِرُونِ﴾: تمهلون.

انظر إلى المقارنة مع آية هود.

ولنقارن هذه الآية (١٩٥) من سورة الأعراف: ﴿قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ﴾.

مع قوله في الآية (٥٥) من سورة هود: ﴿مِن دُونِهِ ۖ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾.

آية الأعراف: جاء في سياق تحدِّي رسول الله ﷺ لمشركي قريش، والفاء في كلمة: ﴿فَلَا تُنظِرُونِ﴾: تدل على المباشرة؛ أيْ: كيدون الآن، ولا تنظرون، و﴿كِيدُونِ﴾ من دون ياء: تدل على قصر التحدِّي، وأنه تحدٍّ عاديٍّ.

آية هود: جاءت في سياق تحدِّي هود لقومه، و﴿ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾: تدل على التراخي في الزمن؛ أيْ: كيدوني متى تشاؤون في المستقبل، و﴿فَكِيدُونِي﴾ بالياء: تدل على شدة التحدِّي، وكونه أطول في الزمن، فليس ضرورياً أن يكون تحدِّياً قصيرَ الأمد.

ففي آية الأعراف: التحدِّي مباشرة، وتحدٍّ عاديٍّ قصير.

أما في آية هود: فالتحدِّي شديد، وبالغ، وتحدٍّ طويل الأمد ليس بقصير.

❖ ❖ ❖

إِنَّ وَلِيِّيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾
وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ
أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ ۖ
وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ
بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ
ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ
ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟
فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ
لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُوا۟ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا ۚ
قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى ۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ
وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ
فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَٱذْكُر رَّبَّكَ
فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ
وَٱلْـَٔاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ
لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ﴿٢٠٦﴾

سجدة

سورة الأعراف [الآيات ١٩٦ - ٢٠٦]

[١٩٦] ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾:

المناسبة: بعد قوله تعالىٰ لرسوله ﷺ: قل لمشركي قريش أنتم ادعوا شركاءَكم؛ فليستجيبوا لكم، ثم كيدون فلا تنظرون، وأنا أدعو وليِيَ اللهَ الذي نزل الكتاب.

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿وَلِيِّيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾: الولي: هو الذي يليك بالقرب؛ أي: القريب، والمعين، والناصر.

﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول.

﴿نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾: نزل القرآن، ونزل تعني: علىٰ دفعات، وليس جملة واحدة، وخلال (٢٣ عاماً).

﴿وَهُوَ﴾: ضمير فصل؛ يفيد التوكيد.

﴿يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: بدلاً من أن يقول: وهو يتولَّىٰ رسوله ﷺ قال: يتولَّىٰ الصالحين؛ أيْ: رسول الله ﷺ، واتباعه؛ فهي ولاية عامة للصالحين، وهذه تعتبر بشارة له.

والصالحين: جمع صالح، والصالح: ضد المفسد، والصالح الذي قام بحق الله تعالىٰ، وحق العباد.

﴿يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾: أيْ: يحفظهم، وينصرهم؛ لعمارة الأرض، ولمقاومة الفساد. ارجع إلىٰ سورة البقرة، آية (١٣٠)؛ لبيان معنىٰ الصالحين.

[١٩٧] ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾:

هذه الآية تتمة للآية السابقة: الله ولي الصالحين ينصرهم ويعينهم في الدنيا والآخرة.

﴿وَالَّذِينَ﴾: الواو: عاطفة. الذين: اسم موصول.

﴿تَدْعُونَ مِن دُونِهِ﴾: تعبدون، وتدعون من غيره من أولياء، أو شركاء أصنام، أو غير أصنام، بشر، أو ملائكة.

﴿مِن﴾: استغراقية.

﴿لَا﴾: النافية.

﴿يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ﴾: لأنهم غير قادرين، ولو كانوا قادرين فهو غير مسموح لهم، ولا يملكون كشف الضر عنكم، ولا تحويلاً.

﴿وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾: ولا قادرين علىٰ نصر أنفسهم، فكيف ينصرونكم، لا في الدنيا، ولا في الآخرة.

وتكرار (لا): يفيد توكيد النفي؛ نفي نصركم، ونصر أنفسهم كلاً علىٰ حِدَةٍ، أو معاً.

[١٩٨] ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾:

﴿وَإِن﴾: شرطية؛ تفيد الاحتمال، والواو: عاطفة.

﴿تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا﴾: أيْ: إن تدعوهم إلىٰ الهدىٰ بدلاً من أن

يدعوكم هم أنفسهم إلىٰ الهدىٰ؛ لأن هذا هو المفروض، لا يسمعون، وسواء أنتم دعوتموهم، أم هم دعوكم، لا يسمعون في كلا الحالين.

﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾: النظر: هو الالتفات إلىٰ الشيء؛ أي: توجه العين إلىٰ الشيء دون رؤيته؛ لأن هذه الاصنام بأعينهم الاصطناعية؛ التي لا تبصر، ولا تدرك، ويشبهون من ينظر إليكم، واستعمل هم التي تستعمل للعقلاء؛ استهزاء بالأصنام التي شبَّهوه بها.

﴿لَا يُبْصِرُونَ﴾: البصر: رؤية الشيء بوضوح لا يدركون ما يبصرون، أو لا يبصرون أصلاً رغم أنه واضح يمكن رؤيته.

وقد تنطبق هذه الآية علىٰ المشركين، والمنافقين؛ الذين ينظرون بأعينهم، وهم لا يبصرون بقلوبهم، أو لا يدركون ما يبصرون، أو يسمعون، ولا يفهمون شيئاً من دِينهم.

﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج:٤٦].

[١٩٩] ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾:

قال العلماء: جمع الله في هذه الآية مكارم الأخلاق.

﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾: العفو له معانٍ عدة:

١ - الصفح.

٢ - ما زاد عن الحاجة؛ لقوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾ [البقرة:٢١٩].

٣ - الأمر السهل اليسير.

وهذه المعاني الثلاثة تتضمن: اعفُ، واصفحْ عمن ظلمك، ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [الشورى:٤٣]. وأقبل ما تيسر من أخلاق الناس، ولا تتبع عوراتهم، وما زاد عن الحاجة؛ يعني: ما زاد من المال؛ مثل: الزكاة، والصدقة، خذ إذا كنت أنت الفقير المحتاج، أو أعط إذا كنت أنت الغني الكريم. خذ الأيسر من التكاليف الشرعية، ويسِّر، ولا تعسِّر على الناس.

﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾: العرف شرعاً: هو ما تعارف عليه الناس، واطمأنوا إليه من قول، أو فعل، ولا يحتاج إلى إثبات، أو ما تعرفه العقول السليمة، ويوافقه الشرع.

﴿بِالْعُرْفِ﴾: الباء: للإلصاق، والعرف: قيل: المعروف، والمعروف: اسم جامع لكل خير، وما تعارف عليه الناس في عبادتهم، ومعاملاتهم.

﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾: الجهل له معانٍ؛ منها: عدم العلم بشرع الله، والجهل ضد الحلم؛ أي: السفاهة، والجاهل؛ تعني: غير العالم، والسفيه. ارجع إلى سورة الزمر آية (٦٤)، وسورة الفرقان آية (٦٣) لمزيد من البيان في معنى الجاهلين.

﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾: بعد العفو، والصبر على سوء أخلاقهم، وسفههم، والحلم عنهم، والدفع بالتي هي أحسن، ودعوتهم إلى الحق؛ فإن لم يستجيبوا، واستمروا في شرِّهم؛ عندها: أعرض عنهم، ولا تجادلهم، وهذا الخطاب موجَّه إلى الرسول ﷺ، وإلى الصالحين.

[٢٠٠] ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾:

هذه الآية تتمة للآية السابقة، والتقدير هو: خذ العفو، وأْمر بالعرف، وأعرض عن الجاهلية.

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾:

﴿وَإِمَّا﴾: الواو: استئنافية. إن: الشرطية زائدة. ما: للتوكيد.

إن: الشرطية تفيد الاحتمال، أو الندرة في الحدوث.

﴿يَنزَغَنَّكَ﴾: فيها نون التوكيد، والكاف: للخطاب، والنزغ: أي: النخس، أو الغرز، أو النغز: والنزغ: مشتق، أو مأخوذ من إدخال الإبرة، أو طرف العصا في الجلد، أو وضع شيء بارز في الحذاء؛ مثل: حديدة كي تحث الحيوان على السير بسرعة.

والنزغ في اللغة: الإفساد بين الناس، كما قال يوسف: ﴿مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾ [يوسف:١٠٠].

والنزغ قيل: هو الإهاجة التي تثير الغضب، ونهاية النزغ: هي البغضاء.

﴿مِنَ الشَّيْطَانِ﴾: من: لابتداء الغاية. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٣٦)؛ للبيان.

﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾: اطلب العون من الله؛ أي: استعن بالله، والجأ إليه؛ فهو الحفيظ، والملجأ، فالشيطان قوي، وخفي، فلا تستعين إلَّا بمن هو الأقوى، وهو الله سبحانه؛ فهو القادر على تعطيل عمل الشيطان.

﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ﴾: لأقوال الجاهلين.

﴿عَلِيمٌ﴾: عليم بأحوالهم، لا يخفىٰ عليه شيء من أفعالهم، ونواياهم.

ولا بُدَّ من مقارنة هذه الآية، مع الآية رقم (٣٦) من سورة فصلت.

في سورة الأعراف، الآية (٢٠٠): ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ۚ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

وفي سورة فصلت، الآية (٣٦): ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾: نجد في آية الاعراف قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، وفي فصلت قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ أضاف هو + آل التعريف هناك عدة تفسيرات منها: آية الأعراف نزلت أولاً، أو فصلت نزلت ثانياً.

التفسير الثاني: في آية سورة الأعراف لم يؤكد بضمير الفصل (هو)؛ لأن الإعراض عن الجاهلين أسهل من مقابلة السيئة بالحسنة، والإحسان إلىٰ من أساء إليك، أو المسيء.

التفسير الثالث: في آية سورة فصلت أكَّد بضمير الفصل (هو)، وعرف بالسميع العليم؛ جاءت الصفتان معرفتان؛ لأن مقابلة السيئة بالحسنة أصعب علىٰ النفس.

في آية سورة الأعراف: وصف نفسه سبحانه بأنه سميع عليم، بعد ذكر الآيات التي تصف الأصنام التي يعبدونها؛ بأنها لا تسمع، ولا تبصر، ولا تقدر علىٰ الخلق، ووصف سبحانه نفسه بأن سميع عليم من دون أل التعريف، وضمير الفصل مقابل تلك الآلهة التي لا تسمع، ولا تعقل، ولا تعلم، فلا داعي للتعريف، والتوكيد.

بينما في آية سورة فصلت: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾: آيات فصلت: جاءت

في سياق الذين ظنوا أن الله لا يعلم كثيراً مما يعلمون؛ أيْ: نفوا عن الله كثيراً من العلم، فبيَّن لهم الحق، وأكَّد لهم أنه هو السميع العليم، المختص بالعلم الكامل، والسمع الكامل، ولو قال : (الله السميع العليم)؛ لكان ذلك يعني: أنه هو فقط السميع العليم، وغيره لا يسمع، ولا يعلم، وهذا نفي للإنس، والجن، والملائكة الذين وصفهم بالسمع والعلم.

[٢٠١] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾:

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول؛ يفيد المدح.

﴿ٱتَّقَوْا۟﴾: أطاعوا أوامر الله تعالىٰ، وتجنَّبوا نواهيه.

﴿إِذَا﴾: ظرفية زمانية؛ للمستقبل؛ تفيد حتمية الحدوث، وكثرته.

﴿مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾: المسُّ: هو أخف اللمس؛ أي: الإصابة الخفيفة، والمسُّ: يحدث بعد الوسوسة، والنزغ، والتزيين، والمسُّ يعني: أن المتَّقي بدأ بالعزم علىٰ فعل المعصية.

﴿طَٰٓئِفٌ﴾ اسم فاعل من طاف، وطاف الشيء إذا دار حوله، والطائف؛ يعني: الخيال، أو الوسوسة، أو الفكرة.

﴿تَذَكَّرُوا۟﴾: أيْ: تذكروا أنهم مخطئون، تذكروا الله خالقهم، وربَّهم، تذكَّروا عقاب الله.

﴿هُم﴾: ضمير منفصل؛ يفيد التوكيد، أو المبالغة في البصر.

﴿مُّبْصِرُونَ﴾: الحق، والحرام من الحلال، مبصرون للخطأ، أو الذي همُّوا من أجله، أو عزموا عليه.

﴿مُّبْصِرُونَ﴾: جملة اسمية؛ تفيد الثبوت؛ لأن البصر يجب أن يكون صفة ملازمة للمتَّقي، ولم يقل: (يبصرون): الذي يدل على التجدُّد، والتكرار؛ يعني: الوقوع في المعصية مرة أخرى، فهذا ليس من صفات المتَّقي، أن يعود بعد التوبة إلى تكرار المعصية.

[٢٠٢]. ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾:

﴿وَإِخْوَانُهُمْ﴾: إما أن تعود على الجاهلين؛ أيْ: وإخوان الجاهلين، وهم الشياطين، وإما أن تعود على الشياطين؛ شياطين الجن، وشياطين الإنس، أو تعود على شياطين الإنس من أهل الشرك، والضلال، والمعاصي؛ أي شياطين الجن يمدونهم شياطين الإنس في الغي؛ أيْ: يمدون الفجار بالضلال، والغي، أو يمدون الجاهلين بالغي.

﴿يَمُدُّونَهُمْ﴾: من فعل مد، الثلاثي، ويستعمل فعل مد الثلاثي في الخير، والشر. بينما أمد الفعل الرباعي: يستعمل في الشر خاصَّةً، ويمدهم؛ تعني: يزيدهم، يمكن لهم، يملي لهم، يمهلهم.

﴿فِي﴾: أيْ: هم أصلاً في الغيِّ، ويمدونهم في غيٍّ جديد؛ إضافةً إلى غيِّهم السابق. ارجع إلى سورة الحجر، آية (٤٢)؛ لمزيد من البيان.

﴿الْغَيِّ﴾: ضد الرشد، وأصل الغي: الفساد، وغوى: ضل عن الحقيقة، أغواه: أفسده، وأضله بالوسوسة، والتزيين، وكذلك تعني: المعاصي، والضلال، والجهل، والباطل من قول، وعمل.

﴿ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾: ثم: لا تدل على الترتيب، والتراخي هنا، وإنما تدل على التباين، بين الإمداد، والتقصير، والتقصير: أعظم من الإمداد.

﴿لَا يُقْصِرُونَ﴾: من التقصير، لا يكفون، أو يتوقَّفون، أو لا ينتهون، أو لا يمسكون عن إغوائهم؛ خوفاً من أن يعودوا إلى رشدهم، ودينهم.

ولا بُدَّ من مقارنة هذه الآية، مع الآية (١٥) من سورة البقرة.

سورة الأعراف، الآية (٢٠٢): ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾.

سورة البقرة، الآية (١٥): ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.

في آية سورة البقرة: أسند الله سبحانه المد إلى ذاته، فالله يمدهم في طغيانهم؛ الذي هم بدؤوا به، وأرادوه لأنفسهم، ولم يمدَّهم في طغيان جديد، لم يفعلوه.

في آية سورة الأعراف: أسند المد إلى الشياطين؛ فهم يمدونهم في غيٍّ جديد؛ إضافةً إلى الغي الذي هم بدؤوا به.

[٢٠٣] ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي ۚ هَٰذَا بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: الواو: عاطفة. إذا: للمستقبل، شرطية، وتفيد الحتمية.

﴿لَمْ تَأْتِهِم﴾: لم: نافية للحال؛ أيْ: لم تأتهم الآن؛ أيْ: لم تأتِ أهل مكة، أو المشركين، أو قريش، كما اقترحوا لك من الآيات تعنتاً؛ مثل: أن تفجر لهم من الأرض ينبوعاً، أو لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً، أو تنزل عليهم كتاباً من السماء، أو غيرها.

﴿بِـَٔايَةٍ﴾: الباء: للإلصاق. آية: معجزة، أو آية من آيات القرآن.

﴿قَالُواْ لَوْلَا﴾: أداة حضٍّ، وطلب؛ أيْ: هلَّا.

﴿ٱجْتَبَيْتَهَا﴾: مشتقة من جبيت الماء في الحوض؛ أيْ: جمعته؛ أيْ: جمعت لنا آية، أو أتيت، أو اختلقت من عندك.

﴿قُلْ﴾: لهم يا محمد ﷺ.

﴿إِنَّمَآ﴾: كافة مكفوفة؛ تفيد التوكيد، والحصر.

﴿أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّي﴾: أيْ: لست بمختلق؛ لأي آية، وليس الأمر بيدي، ولا حتىٰ مؤيد لهذا الطلب، أو الاقتراح. ولمعرفة معنىٰ الوحي: ارجع إلىٰ سورة النساء، آية (١٦٣).

﴿هَٰذَا﴾: الهاء: للتنبيه. ذا: اسم إشارة للقرب، ويشير إلىٰ القرآن.

﴿بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾: أيْ: هذا القرآن بصائر، أو كالبصائر.

والبصائر: جمع بصيرة، والبصيرة: هي البرهان القاطع؛ الذي ليس فيه شكٌّ. البصائر: تشمل الحجج، والبراهين، والبينات، والآيات التي لا لبس فيها؛ فهو أكبر آية لكم؛ أيْ: معجزة خالدة إلىٰ يوم الساعة. ارجع إلىٰ سورة الجاثية آية (٢٠) لمزيد من البيان في معنىٰ بصائر.

﴿وَهُدًى﴾: مصدر للهداية، أو هدىٰ يهيد للحق، ويهدي للصراط المستقيم الموصل إلىٰ السعادة، والكمال في الدارين، ويهدي للغاية، وبيان الحق من الباطل، والخير من الشر.

﴿وَرَحْمَةٌ﴾: يجلب ما ينفع، ويدفع ما يضر، أو مصدر إنعام في الدنيا والآخرة، وشفاء ووقاية.

﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: اللام: لام الاختصاص؛ أيْ: ينتفع به الذين يؤمنون بربهم، وبما أن هذا القرآن بصائر، وهدىٰ، ورحمة لقوم يؤمنون؛ فإذا قرئ عليهم يجب عليهم أن ينصتوا له، ويستمعوا إليه. ارجع إلىٰ الآية (٦٣) من نفس السورة.

[٢٠٤] ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: ظرف زمان للمستقبل، شرطية؛ تفيد الحتمية، والكثرة.

﴿فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟﴾: الاستماع: الإصغاء إلىٰ تلاوته؛ بقصد وبنية.

﴿وَأَنصِتُوا۟﴾: الإنصات: السكوت، وعدم الكلام مع الاهتمام.

﴿لَعَلَّكُمْ﴾: لعلَّ: للتعليل.

﴿تُرْحَمُونَ﴾: أيْ: إذا استمعتم إلىٰ القرآن، وأنصتم، واتخذتم الأسباب الأخرىٰ للرحمة، وطلبتم العون من الله؛ فقد ترحمون.

﴿تُرْحَمُونَ﴾: بصيغة المضارع؛ لتدل علىٰ التجدُّد، والتكرار. ارجع إلىٰ سورة الإسراء، آية (٨)؛ لمزيد من البيان.

[٢٠٥] ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ﴾:

وبعد الاستماع إلىٰ القرآن، والإنصات إليه؛ عليكم بذكر ربِّكم؛ تضرعاً، وخيفةً.

﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ﴾: والذكر: هو حضور الشيء للفكر، أو العقل، والذكر

يكون باللسان، ويكون في النفس؛ أيْ: يتذكر الشيء في عقله، ويفكر به، والذكر يشمل الصلاة، والتسبيح، والتهليل، والحمد، والثناء، والدعاء، وقراءة القرآن، كلها من وسائل الذكر.

﴿تَضَرُّعًا﴾: بذلٍّ، وخشوع.

﴿وَخِيفَةً﴾: خوفاً، وخشية، وخاصَّةً حين تلاوة آيات الوعيد، والإنذار. ارجع إلىٰ الآية (٥٥) في نفس السورة للمقارنة.

﴿وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾: من دون صوت مرتفع؛ كأن تسمع نفسك فقط، دون الغير، وفوق السر.

﴿ٱلْجَهْرِ﴾: نوعان: جهر مقبول، وهو دون الجهر، وجهر غير مقبول: حين يتحول الذكر إلىٰ إزعاج الآخرين.

﴿بِٱلْغُدُوِّ﴾: من الفجر إلىٰ طلوع الشمس، والإبكار من طلوع الشمس إلىٰ الضحىٰ، والأصال: من العصر إلىٰ غروب الشمس.

﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾: لا: الناهية.

﴿مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾: عن ذكر ربهم، أو عن صلاتهم. الغافلين: جملة اسمية؛ تدل علىٰ الثبوت؛ أيْ: باستمرار، ودوام علىٰ الفعلة؛ لأن المؤمن قد يغفل إلىٰ فترة، ثم يعود إلىٰ ذكر الله. ارجع إلىٰ سورة البقرة، آية (٧٤)؛ لمزيد من البيان.

[٢٠٦] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ﴾

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾: الذين: اسم موصول.

﴿عِندَ رَبِّكَ﴾: أي: الملائكة؛ لأن الملائكة في السموات العلىٰ، والعندية هذه ليست عندية مكان؛ لأن ربنا لا يحدُّه مكان، ولكنها عندية الفضل، والرحمة، وقيل: هم الملائكة المقربون.

﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ﴾: لا: النافية. يستكبرون: لا يشعرون بالكبر، والعلو، والعظمة؛ مهما بلغوا من المنزلة، والرفعة، ويفعلون ما يأمرون دون تكبر.

﴿وَيُسَبِّحُونَهُۥ﴾: بالليل، والنهار، لا يفترون؛ أيْ: ينزهونه عن كل عيب، ونقص، ذاتاً، وصفاتٍ، وأسماءً.

﴿وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ﴾: تقديم الجار، والمجرور. له: يفيد الحصر بدلاً من القول، ويسجدون له، قال: ﴿وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ﴾.

أي: السجود لا يكون إلا لله وحده.

﴿يَسْجُدُونَ﴾: جاءت بصيغة المضارع؛ لتدل علىٰ التجدُّد، والتكرار؛ سجود طاعة، وعبادة، سجود شكر، وتعظيم، سجود تلاوة؛ حيث يكون العبد أقرب إلىٰ الله سبحانه من بقية الأوضاع.

❖ ❖ ❖

سُورَةُ الأَنفَالِ

ترتيبها ٨ | آياتها ٧٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

نصف الحزب ١٨

يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ
وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم
مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ
قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ
يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ
يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ
رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ
مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴿٥﴾
يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ
وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا
لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ
وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ
﴿٧﴾ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾

سورة الأنفال [الآيات ١ - ٨]

ترتيبها في القرآن (٨)، وترتيبها في النزول (٨٨).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾:

﴿يَسْأَلُونَكَ﴾: ارجع إلىٰ سورة البقرة، آية (٢١٥)؛ لبيان المعنىٰ.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ﴾: يسألونك: جاءت بصيغة المضارع، ولم يقل سألوك للدلالة علىٰ تكرار وتجدد السؤال، فالسؤال عن الأنفال سوف يتكرر في المستقبل، أو يدل علىٰ كثرة السائلين عن الأنفال، وقال تعالىٰ: يسئلونك، ولم يبدأ بالواو، ولم يقل: ويسئلونك، ذكر الواو يدل علىٰ أنه سؤال من عدة أسئلة، وعدم ذكر الواو يدل علىٰ أنه سؤال وحيد لم ترافقه أسئلة أخرىٰ، والأنفال: هي الغنائم الحربية الّتي تؤخذ من العدو بقتال، وهي جمع نفل، والنّفل: هنا يعني: الغنيمة، أما ما يؤخذ من العدو من دون قتال فيُسمَّىٰ: الفيء، والّذين يسألون: هم الصّحابة الّذين حضروا معركة، أو غزوة بدر الكبرىٰ، يسألون رسول الله ﷺ عن حكم الغنائم؛ أي: كيف توزع؛ لأنّهم اختلفوا في كيفية قسمتها؛ أيْ: توزيعها؛ فجاء الرّدُّ.

﴿الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾: أيْ: حكمها لله والرّسول، وقد بيَّنت الآية (٤١)

من سورة الأنفال كيف توزَّع؛ حيث قال سبحانه: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾.

﴿قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾: لله: اللام: لام الاختصاص، أو الاستحقاق، وأضاف الرسول، ولم يقل: وللرسول؛ لأن ما لله تعالىٰ هو ما لرسوله ﷺ.

﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾: التقوىٰ: هو امتثال أوامر الله، وطاعته، وتجنب نواهيه؛ كي تتَّقوا سخطه، وغضبه، وناره، وأصلحوا ذات بينكم: بترك، أو حل الشّقاق، والنّزاع، والخلاف في مسألة الغنائم، وغيرها من المسائل الاجتماعية، والدِّينية.

﴿وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾: البين: هو ما بين شيئين، أو يربط بين شيئين، وتُسمَّىٰ الصّلة، أو البين، وذات تعني: صاحبة؛ أيْ: أزيلوا الخلاف، أو الفاصل، أو الخصام الّذي ينشأ بينكم؛ لأي سبب.

والصلاح: فعل كل ما يتمكَّن به من الخير، أو يتخلص به من الشر.

والإصلاح: يتم بتربية النّفوس علىٰ الفضائل، والأخلاق، والأعمال الصّالحة.

﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾: في كلِّ ما يأمرانكم به، أو ينهيانكم عنه، وطاعة الرّسول هي طاعة لله سبحانه. ارجع إلىٰ الآية (٣٢) من سورة آل عمران؛ لمزيد من البيان.

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: إن: شرطية، وجواب الشّرط محذوف دل عليه ما قاله؛ أي: إن كنتم مؤمنين؛ فاتقوا الله، وأصلحوا ذات بينكم، وأطيعوا الله ورسوله.

[٢] ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾:

﴿إِنَّمَا﴾: كافة ومكفوفة؛ تفيد التّوكيد.

﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: ولم يقل: الّذين آمنوا، المؤمنون: الّذين أصبحت صفة الإيمان عندهم ثابتة؛ أي: استقاموا على الإيمان، وأمّا الّذين آمنوا: فهم السّائرون على درب الإيمان.

﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول.

﴿إِذَا﴾: ظرف زماني يدل على الاستقبال، فيه معنى: الشّرط.

﴿ذُكِرَ ٱللَّهُ﴾: ذكرت عظمته، وصفاته، وأسمائه الحسنى، وقدرته، وجبروته، ووعده، ووعيده.

﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾: الوجل: مزيج من الشعور بالخوف، والمهابة من الله ﷻ، والقلق، أو عدم الشعور بالطمأنينة؛ قد يرافقه البكاء، مع تغيرات في نبضات القلب، وقشعريرة في الجلد؛ بسبب التقصير في حق الله تعالى، وما قدَّموا لأنفسهم.

﴿وَإِذَا﴾: ظرفية زمانية؛ للاستقبال، متضمِّنة معنى: الشّرط.

﴿تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ﴾: أي: تليت عليهم آيات القرآن؛ أي: قرأت عليهم، والتّلاوة لا تكون إلا لكلمتين، أو أكثر، أمّا القراءة: فقد تكون لكلمة واحدة، والتّلاوة: أصلها إتْباع الشّيء للشيء، وتلاه يعني: تبعه؛ أيْ: تلاوة الآية بعد الآية، وكل تلاوة قراءة، وإذا تُليت: ولم يقل: تتلى، تُليت: فعل ماضٍ، تُليت عليهم ولو مرة واحدة؛ زادتهم إيماناً، أمّا تتلى: فعل مضارع؛ يدل على التّجدُّد، والتّكرار؛ أيْ: باستمرار.

﴿زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾: تصديقاً ويقيناً زادتهم إيماناً على إيمانهم؛ أيْ: قوي إيمانهم؛ فهم في إقبال على الله ﷻ.

﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾: وعلى: تقديم الجار والمجرور؛ يفيد الحصر؛ أيْ: لا يتوكلون إلا على ربهم وحدَه، يتوكلون: تعني: يقدِّمون الأسباب أولاً، ثم يطلبون منه العون؛ لتحقيق ما يرجون، فلا يطلبون إلا منه، ولا يرجون إلا إياه. ارجع إلى سورة الأعراف، آية (٨٩)؛ لمزيد من البيان.

لا بُدَّ من مقارنة ثلاث آيات متشابهة، هي:

الآية (٣) من سورة الأنفال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾.

والآية (٢٨) من سورة الرعد: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾.

والآية (٢٣) من سورة الزّمر: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾.

ففي آية الأنفال: ذِكرُ الله أدَّى إلى وجل القلوب، وفي آية الرّعد: ذكر الله أدَّى إلى اطمئنان القلوب، فكيف نفسر ذلك؟

أولاً: لا تعارض بين الآيتين؛ لأنّ الإنسان المسرف على نفسه، أو الظّالم لنفسه، والّذي يرتكب السّيئات يصبح يرجف ويخاف ربه حين يُذكر الله ووعيده؛ لأنّه خالف منهج الله فيصاب بالوجل مخافة منه، ومهابة الله وعقابه، أمّا الإنسان الّذي هو سابق بالخيرات، ولا يرتكب السّيئات؛ فحين يُذكر الله، أو آياته يصاب بالاطمئنان؛ فالمؤمن يمر بمراحل متعددة حسب إيمانه، قد يصاب قلبه بالوجل تارة؛ لشعوره بالتقصير، والخوف، والمهابة من الله، أو تارة أخرى

بالاطمئنان؛ لعلمه بأن الله أرحم الراحمين، ويغفر الذنوب جميعاً، أو تارة أخرىٰ يشعر بالوجل، والاطمئنان معاً.

كما في آية الزّمر: فقد جمعت الوجل والاطمئنان معاً، الوجل أولاً، ويتمثل في قوله: ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾، ثم الاطمئنان يتمثل في قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾.

[٣] ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾:

﴿يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾: ومن صفاتهم الأخرىٰ: يقيمون الصّلاة، وإقامة الصّلاة؛ تعني: أدائها، والقيام بها كاملة؛ أي: القيام بأركانها من تكبير، ومن ركوع، وسجود، وتلاوة، وسننها وشروطها، وفي أفضل أوقاتها، والمحافظة عليها، والدّوام.

﴿وَمِمَّا﴾: تعني: من بعض. ما: اسم موصول؛ تعني: الّذي.

﴿رَزَقْنَاهُمْ﴾: أي: أعطيناهم، أو آتيناهم من المال، والعلم، والحرث، والمتاع.

﴿يُنفِقُونَ﴾: ينفقون بصيغة المضارع؛ لتدل علىٰ تكرار الإنفاق، وتجدُّده، واستمراره. ارجع إلىٰ سورة البقرة، آية (٣)؛ لمزيد من البيان.

[٤] ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾:

﴿أُولَٰئِكَ﴾: اسم إشارة؛ يفيد إلىٰ البعد؛ بعد منزلتهم.

﴿هُمُ﴾: ضمير فصل؛ يفيد المبالغة؛ أيْ: إذا كان هناك مؤمنون فهم أفضلهم، وأحسنهم إيماناً.

﴿الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾: المؤمنون: ارجع إلىٰ الآية (٢).

﴿حَقًّا﴾: الحق الصّدق: وهو الأمر، أو الشّيء الثّابت الّذي لا يتغير، ولا يتبدل.

﴿لَّهُمْ﴾: اللام: لام الاختصاص، والاستحقاق.

﴿دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾: درجات في الجنة، منازل في الجنة حسب أعمالهم، وقيل: الجنة (١٠٠ درجة)، بين كل درجة ودرجة ما بين السّماء والأرض. عند ربهم: تدل على عندية الشّرف.

﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾: من الغفران، والغفر: ستر الذّنب؛ أي: العفو عنه، والثّواب على العمل الصّالح؛ أي: مغفرة كاملة لذنوبهم، وسيئاتهم.

﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾: رزق: نكرة؛ ليشمل كلَّ أنواع الرّزق في الجنة، رزق واسع لا ينفد، ولا ينقص، رزق طيب مبارك، وبما أنّه رزق من الكريم، وهو الله سبحانه؛ فهو رزق كريم.

ولا بُدَّ من مقارنة هذه الآية: ﴿لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾، وقوله تعالى في سورة آل عمران، آية (١٦٣): ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾: ارجع إلى سورة آل عمران، آية (١٦٣)؛ لمعرفة الفرق.

[٥] ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ﴾:

﴿كَمَآ﴾: الكاف: كاف التّشبيه؛ تدل على تشبيه حالة بحالة أخرى.

﴿أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ﴾: الخطاب إلى رسول الله ﷺ.

﴿أَخْرَجَكَ رَبُّكَ﴾: رغم أنّ الخروج من بيته ﷺ في المدينة كان باختيار رسول الله من نفسه أضاف الله سبحانه الخروج إليه؛ فقال: أخرجك ربك، ولم

يقل: كما خرجت من بيتك؛ ليدل على أنّ الله هو المدبِّر، ولا يتم شيئاً إلا بإذنه، ومشيئته.

﴿بِٱلْحَقِّ﴾: الباء: للإلصاق؛ أي: الخروج كان حقاً لا بُدَّ منه.

﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ﴾: كما كان فريق من الصّحابة كارهين لقسمة الأنفال؛ أي: كارهين لحكم الأنفال؛ كانوا كارهين للخروج إلى غزوة بدر، وكانت العاقبة في كلا الحالتين خيراً، أو: وإن كان فريق من المؤمنين كارهين للخروج لقتال المشركين في بدر كان خروجك من بيتك بالحق لا بُدَّ منه.

[٦] ﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾:

﴿يُجَٰدِلُونَكَ﴾: من الجدال: وهو الحوار بين طرفين أو أكثر؛ لإظهار حُجة أو لدفع شبهة، أو إثبات حق، والنّون في يجادلونك: بدلاً من يجادلوك؛ تفيد التّوكيد.

يجادلونك: فريق من الصّحابة يجادلونك بعدما اتضح أن العِير «غير ذات الشّوكة» الّتي يقودها أبو سفيان نجت، وأمرتهم بالتّصدي، وقتال الطّائفة ذات الشّوكة؛ أي: السّلاح.

أو يجادلونك: قبل بدء المعركة: بأنّهم قلة في العدد، والعدة، ولم يخرجوا للقتال، وغير مستعدين له.

﴿فِى ٱلْحَقِّ﴾: في قتال المشركين «النّفير» الّذين جاؤوا من مكة؛ لنصرة الباطل.

﴿بَعْدَمَا تَبَيَّنَ﴾: بعد إعلام الرّسول ﷺ لهم: بأنّ الله سينصرهم.

﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾: كأنما: الكاف: للتشبيه، كأن

فزعهم، وخوفهم، وهم سائرون إلىٰ غزوة بدر لملاقاة العدو «النّفير» يشبه حال الّذين يساقون إلىٰ الموت.

﴿يُسَاقُونَ﴾: من دون إرادتهم؛ أي: قسراً عنهم. ويساقون: تعني يكونون أمام السائق كي لا يتخلفوا أو ينكصوا علىٰ أعقابهم ويدل ذلك القسر والإكراه في السوق.

﴿وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾: أي: كأنهم يرون الموت أمام أعينهم، وهم قادمون عليه عالمون بأنّ مصيرهم الموت.

[٧] ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾:

﴿وَإِذْ﴾: أي: واذكر.

﴿يَعِدُكُمُ﴾: حين وعدكم الله.

﴿إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ﴾: الطّائفة الأولىٰ: أبو سفيان، وما معه من العِير والمال، وفيها (٤٠ فارساً)، وسُمِّيت غير ذات الشوكة، الطّائفة الثّانية: أبو جهل، وجيشه القادم من مكة، ولم يحدِّد أيَّ الطّائفتين سيظفرون بها.

ولما نجا أبو سفيان بالعِير والتّجارة أخبر أبو سفيان أبو جهل أنّه نجا بالعِير، ولكنّ أبو جهل كره أن يعود أدراجه إلىٰ مكة من دون قتال الرّسول ﷺ وصحابته؛ فمضىٰ قادماً إلىٰ أرض بدر، ولما علم بذلك أصحاب رسول الله ﷺ ودُّوا لو أنّهم ظفروا بالطّائفة غير ذات الشّوكة «العِير والأموال»؛ لأنّهم اعتبروا ذلك مغنماً من دون قتال.

﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن﴾: أن: للتوكيد، الإرادة: العزم علىٰ فعل ما يريد.

﴿أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾: أيْ: أن يفي الله بوعده الّذي وعده لرسول الله ﷺ بنصر المؤمنين، أو إنّ إحدىٰ الطّائفتين أنّها لكم، وإن تظفروا بالنّصر، وعلىٰ ذات الشّوكة «السّلاح».

﴿وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: أيْ: يستأصل الكافرين عن بكرة أبيهم بقتالكم إياهم، وقتال الملائكة معكم.

[٨] ﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾:

﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ﴾: ليحق: اللام: للتوكيد، يحق الحق: «هذا هو الحق الثّاني»؛ ليظهر الإسلام، ويعزه.

﴿وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ﴾: أي: يمحق الكفر، والشّرك، ويزيل الباطل، والباطل ما لا وجود له في الأصل، أو لا دليل، وهو الزائل، ويطلق علىٰ الشرك، والكفر، والظلم، والكذب... وغيره.

﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾: لو: شرطية، ولو كره المجرمون؛ أي: الكفار، والمشركون.

والمجرمون: جمع مجرم، وأجرم؛ أي: أذنب، أو ارتكب ذنباً، وعصىٰ ربه، وجرم؛ تعني: قطع؛ أي: قطع صلته بربه، أو جحد به.

واصطلاحاً: المجرم: هو من تمرد علىٰ أوامر ربه وعصىٰ ربه، ولم يتجنب نواهيه، ورفض الخضوع إليها.

❖ ❖ ❖

إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ
مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ
وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ
عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ
عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ
الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾
إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ۚ
سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ
الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ
شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ
شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ
عَذَابَ النَّارِ ﴿١٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ
كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ
دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ
بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦﴾

سورة الأنفال [الآيات ٩ - ١٦]

[٩] ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾:

﴿إِذْ﴾: أي: واذكر إذ، أو واذكر حين؛ إذ: ظرف زمان للماضي.

﴿تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾: تطلبون الغوث، من استغاث؛ أي: طلب الغوث من القادر على الإغاثة؛ أي: تستنصرون الله، وتطلبون منه أن ينصركم عليهم، وأصلها من الغيث: وهو المطر الّذي يحمل الرّحمة.

وجاء بصيغة الجمع تستغيثون: كأن كلّ واحد كان يطلب الغوث؛ أي: النّصر من الله، وإذا كان المستغيث هو رسول الله ﷺ؛ فهو يمثل كلَّ الصّحابة ودعاؤه يكفي، أو كان ﷺ يدعو الله تعالى أن ينصر عباده المؤمنين، وهم يقولون: آمين.

﴿فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾: فاستجاب: الفاء: للتعقيب، والمباشرة؛ أي: استجاب لدعائكم مباشرة.

﴿لَكُمْ﴾: اللام: لام الاختصاص؛ أيْ: لكم خاصَّةً، وليس لغيركم.

﴿أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾: مُرْدفين: أي: يتبع بعضهم بعضاً، أو يلحق بعضهم بعضاً، وفي قراءة نافع مردَفين بفتح الدال على صيغة اسم المفعول، وتعني: متبوعين بغيرهم من الملائكة؛ يعني: إذا وعدهم الله بألف من الملائكة إذا أردفوا بغيرهم صاروا ثلاثة آلاف، ثم بعد ذلك يصيرون

خمسة آلاف وهذا ما ذكر في سورة آل عمران آية (١٢٤-١٢٥) كما قال تعالىٰ: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ (أي: لهم علامات خاصة). إذن: كان الوعد بألف، ثم صارت ثلاثة آلاف، ثم صارت خمسة آلاف، والآيات الثلاثة في الأنفال وآل عمران تتحدث عن معركة بدر حيث لم يذكر نزول ملائكة في معركة أحد. الإمداد: أكثر ما يستعمل في المحبوب، والمد: أكثر ما يستعمل في المكروه؛ كقوله: ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة:١٥]، وكقوله تعالىٰ: ﴿وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا﴾ [مريم:٧٩]، والإمداد هنا يعني: الزّيادة في العدد؛ أي: في عدد الملائكة والسّلاح. والإمداد بالجيش أو بغيره، وما كان علىٰ جهة القوة والإعانة، والمد يكون من جهة الزيادة في العدد أو في بشر.

﴿بِأَلْفٍ﴾: الباء: للإلصاق.

﴿مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾: من ردفه؛ أي: تبعه؛ أي: متتابعين يتبع بعضهم بعضاً، بعضهم ردف بعض؛ يلحق بعضهم بعضاً.

[١٠] ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو: استئنافية. ما: النّافية.

﴿جَعَلَهُ﴾: الهاء: تعود علىٰ الإمداد بالملائكة.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿بُشْرَىٰ﴾: جعل الإمداد بالملائكة بشرىٰ حصراً وقصراً؛ بشارة لكم بالنّصر، والبشرىٰ: الإخبار بما يُسر به المخبر؛ أي: خبر يُسركم، ولأول مرة.

وانتبه لحذف لكم؛ لم يقل: بشرىٰ لكم، وإنما قال فقط: بشرىٰ؛ لأنّه تقدَّم قوله سبحانه: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾، وكذلك قال: ﴿إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾، فلا حاجة لإعادة ذكر لكم للمرة الثّالثة.

﴿وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ﴾: جاء باللام: للتوكيد، وقدَّم به علىٰ قلوبكم، ولم يقل: ولتطمئن قلوبكم به (كما ورد في آية آل عمران ١٢٦)، هذا التقديم يفيد الاختصاص؛ أي: لتطمئن به قلوبكم لا بغيره لكي تثبت بعدما أصابها من الخوف الشديد من المشركين، وقدَّم به الّتي تعود علىٰ الإمداد بالملائكة مباشرة قبل أن تهلع قلوبهم، وترتعد أمام جيش الأعداء؛ الّذي يفوق بالعدد والعدة.

فجاء بذكر الإمداد أولاً قبل القلوب؛ لأن الإمداد بالملائكة هو الأهم؛ لأنه يُطمئنُ قلوبهم؛ فتبقىٰ صامدة.

﴿وَمَا﴾: الواو: استئنافية. ما: نافية للتوكيد.

﴿النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾: إلا أداة حصر؛ أيْ: من عند الله، ولا تحسبوه من عند الملائكة؛ فالناصر هو الله وحده، وليس الملائكةُ، ولا أيُّ أحدٍ.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾: إن: حرف مشبه بالفعل؛ يفيد التّوكيد. العزيز: الغالب الّذي لا يقهر، القوي الممتنع لا يحتاج إلىٰ أحد، ولا يناله أحد؛ أيْ: لا يُغلب، ولا يُقهر، الحكيم من الحكمة؛ أي: الحكيم في تدبيره لخلقه، وكونه، والحكيم من الحكم: الحاكم؛ فهو أحكم الحكماء، وهو أحكم الحاكمين.

[١١] ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴾:

﴿ إِذْ ﴾: تعني: واذكر بمعنى: حين، وظرف للزمن الماضي.

﴿يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ﴾: أيْ: يحل بكم النّعاس كأنّه غشاء، أو غطاء؛ أيْ: يتسرب إلى الدّماغ، أو جزء من الدّماغ، بينما لو قال: يغشاكم؛ يعني: يبقى محيطاً بكم من كل الجوانب، ولا يتسرب إلى داخلكم.

﴿أَمَنَةً مِّنْهُ﴾: أمنة: تعني: زوال الخوف الكافي الّذي مكنهم من النوم، والأمنة: من الأمن (بعض الطمأنينة)، والفرق بين الأمن، والأمنة: الأمن: يعني: الأمن التام، الكامل. أما الأمنة؛ فتعني: بعض الأمن.

﴿مِّنْهُ﴾: من الله عزَّ وجلَّ رحمة ربانية وسكينة ليزيل الخوف عن قلوبكم. ارجع إلى سورة آل عمران آية (١٥٤) لمزيد من البيان.

﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾: ماء المطر.

﴿لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ﴾: اللام: للتعليل، والتّوكيد، يطهركم به: لكي تستعملونه في الوضوء، والغسل.

﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾: رجز الشّيطان: أي: وسوسته لكم، وتخويفه إياكم من العطش، والهزيمة، والظنون السيئة.

﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ ﴾: وليربط: الواو: عاطفة، ليربط: اللام: للتوكيد، يربط على قلوبكم: أيْ: يجعلها صابرة ثابتة باليقين، والصّبر، وعدم الفرار من أرض المعركة، وانتظار النصر.

﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾: أي: المطر إذا نزل على الأرض الرّملية جعلها متماسكة؛ «أيْ: يجعل الرّمل متماسك»، فلا تغوص الأقدام، والمطر كذلك يمنع هبوب الرّمل والغبار؛ مما يساعد على الرّؤية، ولم ينزل المطر على عدوهم، أو النعاس.

فبذلك وفّر الله سبحانه لرسوله ﷺ، والصحابة كل عناصر النصر؛ مثل: النعاس، وإنزال المطر، الماء للشرب والطهارة، ويثبت به الأقدام، وإنزال الملائكة، وإلقاء الرعب في قلوب أعدائهم؛ فما عليهم إلا الصبر، واليقين بنصر الله القادم.

[١٢] ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾:

﴿إِذْ﴾: انظر إلى الآيات السّابقة.

﴿يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾: الوحي: هو الإعلام بالخفاء لغة. ارجع إلى سورة النساء، آية (١٦٣)؛ لمزيد من البيان. والوحي كان للرسول ﷺ وحده، وليس للصحابة، ولذلك قال: (يوحي ربك)، ولم يقل: (يوحي ربكم).

﴿أَنِّى مَعَكُمْ﴾: أيْ: إني مُعينكم (بالعون) على التّثبيت، وغيره من الوسائل.

﴿فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: عن طريق الإلهام بالصّبر، والشّجاعة، وعدم الفرار؛ إذ للملائكة قدرة على الإلهام، كما للشياطين قدرة على الوسوسة، وقيل: كان الملائكة يتشبهون بصور رجال من المؤمنين، يقاتلوا في الطّليعة؛ كي يمدوهم بالشّجاعة، والعزيمة، وتقوى شوكتهم على عدوهم.

﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ﴾: وهو سلاح فتاك، وجند من جنود الله. أسند إلقاء الرعب إلى نفسه سبحانه بينما الضرب للملائكة والمؤمنين.

﴿فَٱضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ﴾: أي: الرّؤوس، أو أعالي الأعناق.

﴿وَٱضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾: البنان: الأصابع؛ لأنّ الأصابع إذا قطعت تعطلت وسائل الضّرب، والأيدي من دون الأصابع لا قيمة لها، وتصبح معطلة، منهم خاصَّةً؛ أي: عدوكم اقطعوا أصابعهم، وتكرار كلمة فاضربوا، واضربوا: للتوكيد، وتعني: من دون رحمة، ولا رأفة.

[١٣] ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾:

﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم: إشارة؛ يفيد البعد، ويشير إلى الضّرب فوق الأعناق، وضرب البنان.

﴿بِأَنَّهُمْ﴾: الباء: للإلصاق، والتّعليل، أو السببية.

﴿شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾: شاقوا من المشاقة المشتقة من الشّق، هذا في شق، وهذا في شق؛ أي: خالفوا وعادوا الله ورسوله.

﴿وَمَن﴾: شرطية، استغراقية.

﴿يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾: يعادي، ويخالف، ويشاقق من المشاقة؛ أي: العداوة، ومن يشاقق الله ورسوله؛ يشاقق: ولم يقل: يشاق؛ فهو فك الإدغام، ودائماً في القرآن متى يفك الإدغام، ويقول: يشاقق: يأتي معها ذكر الرّسول ﷺ. ارجع إلى الآية (١١٥) من سورة النساء؛ لمزيد من البيان.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ﴾: الفاء: للتعقيب، والمباشرة. إن: للتوكيد.

﴿شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾: العقاب: هو الجزاء على العمل، وعادة يعقب العمل، والعقاب: هنا القتل، والهزيمة في معركة بدر.

[١٤] ﴿ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾:

﴿ذَٰلِكُمْ﴾: اسم إشارة، واللام: للبعد، ذلكم: بدل من ذلك؛ لأنّ ذلكم تفيد التّوكيد، وأقوىٰ من ذلك، وتستعمل للأمور الكثيرة، أو تشير إلىٰ عدَّة أمور مهمة بدلاً من أمر واحد، كما هو الحال في ذلك، ذلكم العقاب، والضّرب فوق الأعناق، وضرب البنان، والرّعب، والقتل، والأسر.

﴿فَذُوقُوهُ﴾: الخطاب موجَّه إلىٰ الكفار. الفاء: للمباشرة؛ أي: الآن ذوقوه في الحياة الدّنيا، فذوقوه: من الذّوق: وهو الإحساس بالمطعوم، ذوقوا الآن فقط ما سيحل بكم من عذاب النّار في الآخرة.

﴿وَأَنَّ﴾: للتوكيد.

﴿لِلْكَٰفِرِينَ﴾: اللام: لام الاختصاص، والاستحقاق.

﴿عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾: في الآخرة.

[١٥] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾: نداء جديد للذين آمنوا بتكليف، أو أمر جديد، واستعمل الهاء: للتنبيه.

﴿إِذَا﴾: ظرفية زمانية للمستقبل، شرطية.

﴿لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: للقتال.

﴿زَحْفًا﴾: زاحفين نحوكم؛ أي: رأيتموهم يزحفون زحفاً لقتالكم، أو تعني: أريد منكم أن تزحفوا نحوهم ككتلة واحدة، أو جسم متماسك يدب الرّعب في صفوف الأعداء، والزّحف: جاءت من زحف الصّبي قبل المشي؛ أي: الحبو، والانتقال من مكان إلى مكان، والزّحف جاءت من الجيش الكثير العدد الّذي يُرى لكثرته كأنه كتلة واحدة متحركة تزحف ببطء.

﴿فَلَا﴾: الفاء: للتأكيد، لا: النّاهية.

﴿تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ﴾: جمع: دُبر، خلاف القبل، ولم يقل: ظهوركم، أو أعقابكم، وذكر الدّبر: وهو أبشع المفردات لأبشع الكبائر، وهي الفرار، والتولي يوم الزحف، وهذا تحذير شديد، وكأنّه يعني: كيف تولي دبرك للعدو، أو تمكّن العدو من نفسك؛ أي: لا يسمح لكم أن تولوهم الأدبار.

[١٦] ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾:

﴿وَمَن﴾: شرطية؛ للعاقل، وتشمل: المفرد، أو الجمع.

﴿يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ﴾: يومئذٍ: يوم القتال، ويومئذٍ: يوم: ظرف زمان أضيف إلى ظرف آخر إذ.

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء؛ أي: لا يسمح لكم أن تولوهم الأدبار؛ إلا في حالتين:

﴿مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ﴾: يسمح لكم إذا كنتم ستقاتلون طائفة أخرى أهمَّ، أو انسحاب خدعة، ثم تعاودون الكرَّ والقتال في مكان أفضل، أو المفاجأة. متحرفاً

لقتال: أيْ: حريف: لا يغلبه أحدٌ؛ لكونه مدرباً وخبيراً في القتال، أو القتال حرفته؛ أي: مهنته.

﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ﴾: أي: الانضمام إلىٰ فئة أخرىٰ تحتاج إلىٰ مساعدة، أو إمداد. ارجع إلىٰ الآية (١٣) من سورة آل عمران؛ لتعريف الفئة.

﴿فَقَدْ﴾: الفاء: للتوكيد، قد: لزيادة التّوكيد.

﴿بَآءَ﴾: رجع مصحوباً.

﴿بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾: الباء: للإلصاق، والملازمة، مطروداً من رحمة الله.

﴿وَمَأْوَىٰهُ﴾: المأوىٰ: المستقر، ومكان الإقامة، والرّاحة الدّائمة.

﴿جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾: بئس: من أفعال الذّم؛ أي: ساء المصير، والمصير: المنتهىٰ، أو النهاية، والمستقر الأخير، وهي جهنم.

جهنم: اسم من أسماء النار، أو دركة من دركاتها السبع، وهذا الاسم: مشتق من كونها كريهة المنظر، أو بعيدة القعر.

❖ ❖ ❖

فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ
وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ
ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ
وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ ۖ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ
فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ
تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ
لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ
ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ
وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ
وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ
تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟
مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾

ثلاثة أرباع الحزب ١٨

سورة الأنفال [الآيات ١٧ - ٢٥]

[١٧] ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾:

المناسبة: لما رأىٰ رسول الله ﷺ جيش قريش؛ قال رسول الله ﷺ داعياً الله سبحانه: «هذه قريش قد جاءت بخيلائها، وفخرها؛ يكذبون رسولك؛ اللهم إنّي أسألك ما وعدتني؛ فأتاه جبريل عليه السلام فقال له: خذ قبضة من التّراب فارمهم بها، فقال: لما التقىٰ الجمعان لعليٍّ رضي الله عنه: أعطني قبضةً من رمل الوادي؛ فرمىٰ بها وجوههم، وقال: شاهت الوجوه، فلم يبقَ مشترك إلا شُغل بعينه؛ فانهزموا، فلحق بهم المؤمنون يقتلونهم، ويأسرونهم، وبعد المعركة معركة بدر، أخذ الصّحابة يتفاخرون بأنّهم قتلوا، وأسروا وفعلوا كذا، وكذا فنزلت هذه الآية». [رواه الطبري، والقرطبي، وابن كثير].

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾: الخطاب للمؤمنين؛ الفاء: جواب شرط محذوف تقديره: لا تقولوا، ولا تفتخروا، ولا تظنوا أنكم قتلتموهم في معركة بدر، ولكنّ الله قتلهم.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾: لكن: حرف استدراك؛ للتوكيد، ولكن الله قتلهم: بأيديكم، وأيدي الملائكة الكرام.

﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾: يا محمّد أعين الأعداء بالحصىٰ؛ لأنّ كفاً من الحصىٰ لا يملأ عيون جيش يزيد عن الألف، ولكن الله القوي العزيز هو الّذي رمىٰ.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾: أوصل ذرات الرّمل تلك، أو التّراب إلىٰ عيونهم، وقذف في قلوبهم الرّعب.

﴿وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا﴾: ليبلي: اللام: لام التّوكيد، والتّعليل، وليبلي: من البلاء، والبلاء: يكون في الخير، أو الشّر، وهنا كان بلاءً حسناً؛ أيْ: اختباراً حسناً. منه: من الله في خوض المعركة، والقتال، وبالتّالي بالنّصر، والغنيمة؛ لكي يُطلعَ المؤمنين على صدق إيمانهم، ونواياهم؛ فيكون حُجَّةً لهم، أو حُجَّةً عليهم.

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾: أحاط سمعه بجميع أقوال عباده في السّر، والعلن، وأدعيتهم، وتضرع رسول الله ﷺ، وأقوال أعدائهم، وما قاله الكفار، والمشركون.

﴿عَلِيمٌ﴾: بأحوال المؤمنين، وأحوال المشركين، وعليم بنواياهم، وظواهرهم، وبواطنهم.

[١٨] ﴿ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾:

﴿ذَٰلِكُمْ﴾: اسم إشارة، يشير إلى القتل، والرّمي، والبلاء الحسن، والنّصر.

استعمل ذلكم بدلاً من ذلك؛ للمبالغة، والتعظيم، والأهمية، ولأنّه يشير إلى عدة أمور.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ﴾: أن: للتوكيد، وتقديره: ذلكم، واعلموا أنّ الله موهن كيد الكافرين.

﴿مُوهِنُ﴾: مضعف، والوهن: هو الضّعف.

﴿كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: الكيد: هو التّدبير الخفي الّذي يقوم به الفرد، أو الجماعة؛ لينال من عدوه من دون علمه، وهو أشد من المكر؛ أي: حين أراد مشركو قريش استئصال محمّد ﷺ، وأتباعه؛ رد الله كيدهم في نحورهم.

[١٩] ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾:

الخطاب في هذه الآية موجَّه لكفار مكة: «أبو جهل، وجيشه»؛ على سبيل التّهكم.

﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ ﴾: إن: شرطية؛ تفيد الاحتمال، تستفتحوا: الألف، والسّين، والتّاء؛ تعني: الطّلب؛ أي: إن تطلبوا الفتح، والفتح: هو النّصر، والغلبة من دون قتال؛ فقد جاءكم الفتح؛ أي: النّصر على سبيل التّهكم، والاستهزاء، وقد قيل: إن المستفتح كان أبا جهل قبل معركة بدر، أو قيل: إنّ المشركين حين خرجوا للقاء محمّد ﷺ، وأصحابه أخذوا بأستار الكعبة، وقالوا: اللهم انصر أعلى الجندين، وأهدى الفئتين، وأكرم الحزبين، أو قالوا: اللهم انصر أقْرانا للضيف، وأوصلنا للرحم، وأفكنا للعاني؛ قاله السدي.

﴿ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ﴾: أي: أن تطلبوا الفتح: النّصر، والظّفر من دون قتال، أو حرب في حرب رسول الله ﷺ، وأصحابه.

﴿ فَقَدْ ﴾: الفاء: للترتيب، والمباشرة؛ أي: جاءكم الفتح بسرعة. قد: للتحقيق، والتّوكيد.

﴿ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ﴾: أي: الهلاك، والقتل، والأسر على سبيل التّقريع، والتهكم.

﴿ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾: إن: شرطية؛ كالسّابقة.

﴿ تَنتَهُوا۟ ﴾: عن الكفر، ومحاربة رسول الله ﷺ، وعداوته.

﴿ فَهُوَ ﴾: الفاء: للتوكيد، هو: لزيادة التّوكيد.

﴿ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾: أي: أسلم لكم من القتل، والهلاك، والأسر.

﴿وَإِن تَعُودُوا نَعُدْ﴾، وإن تعودوا لمحاربته وقتاله؛ نعد إلى هزيمتكم، أو تعودوا إلى الاستفتاح نعد إلى الفتح على رسول الله ﷺ.

﴿وَلَن﴾: حرف نفي للمستقبل القريب، والبعيد.

﴿تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ﴾: الفئة: الجماعة. ارجع إلى الآية (١٣) من سورة آل عمران؛ لتعريف الفئة.

﴿وَلَوْ﴾: شرطية.

﴿كَثُرَتْ﴾: في العدد، والعدة.

﴿وَأَنَّ﴾: للتوكيد.

﴿اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: إذا استقاموا على طاعته، وكانوا أنصار الله؛ فلن يتخلَّى عنهم.

لنقارن بين هذه الآية، والآية (٨) من سورة الإسراء:

الأنفال، آية (١٩): ﴿وَإِن تَعُودُوا نَعُدْ﴾.

الإسراء، آية (٨): ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾.

آية الأنفال: نزلت في كفار مكة، ودلت الآية على أنهم سيعودون إلى عداوة رسول الله ﷺ، والدّليل جاءت بصيغة المضارع، وإن تعودوا نعُد التي تدل على التّكرار، والتّجدد.

آية الإسراء: نزلت في بني إسرائيل، واليهود، وإن عدتم: عدتم؛ عدنا بصيغة الماضي، والّتي تدل على العودة مرة فقط، وينتهي الأمر.

[٢٠] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾:

المناسبة: لما خاطب الله سبحانه الكفار، والمشركين، وحذرهم بقوله:

وإن تنتهوا فهو خير لكم، وإن تعودوا نعد؛ ينتقل في هذه الآية إلىٰ خطاب المؤمنين، ويأمرهم بطاعة الله ورسوله، ويحذرهم من مخالفته؛ فقال:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾: الهاء: للتنبيه، وياء النداء: للبعد، وهو نداء جديد.

﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾: فيما يأمرانكم به، أو ينهاكما عنه، ولم يقل: أطيعوا الله وأطيعوا الرسول؛ لأن طاعة الله تعالىٰ وطاعة الرسول ﷺ واحدة، فطاعة الرسول هي طاعة لله تعالىٰ، وإذا فصل بين الطاعتين إنما يشير إلىٰ طاعة الرسول فيما يبين وما يشرح من الأمور المجملة أو غير المذكورة، وكما قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر:٧]. ارجع إلىٰ الآية (٣١) من سورة آل عمران لمزيد من البيان.

﴿وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ﴾: لا: النّاهية، تولوا عنه؛ أي: تتولوا عنه؛ أدغمت إحدىٰ التاءَين بالأخرىٰ، ولا تولوا عنه؛ أي: لا تعرضوا عنه، وتخالفوا أوامره

﴿وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾: الآيات، والمواعظ، وما أنزل إليكم من ربكم.

ولنقارن هذه الآية، مع الآية (٥٢) من سورة هود.

الأنفال، آية (٢٠): ﴿وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾.

هود، آية (٥٢): ﴿وَلَا تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ﴾.

آية الأنفال: استعمل تولوا بدلاً من تتولوا؛ لأن تولي المؤمنين عن رسول الله ﷺ لا يتكرر، أو أقل عدداً، أو أقصر زمناً إذا حدث من تولي الكافرين، أو المجرمين؛ الّذي هو تولي كثير وعام، فالزّيادة في فعل التّولي وطوله يقابله زيادة في بناء الفعل، وحروفه؛ زيادة المبنىٰ تدل علىٰ زيادة المعنىٰ.

مع العلم: أن المخاطبين في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ﴾: هم قوم عاد. ارجع إلىٰ سورة هود، آية (٥٢).

بينما المخاطبون في آية الأنفال: الصحابة الكرام.

[٢١] ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾:

﴿ وَلَا ﴾: النّاهية.

﴿تَكُونُوا كَالَّذِينَ ﴾: الذين: اسم موصول؛ كالكافرين، والمشركين.

﴿قَالُوا سَمِعْنَا﴾: ما تقول من الآيات، والوعيد، والإنذار.

﴿وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾: وهم: للتوكيد، لا يسمعون؛ أي: لا ينتفعون بما يسمعون، أو يقولون: سمعنا وعصينا، أو لا يستجيبوا لما تأمرهم به، أو تنهاهم عنه؛ كالصم، وعندها يكونون شراً من الّذين لم يسمعوا على الإطلاق، أو البتة.

[٢٢] ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾:

﴿إِنَّ ﴾: للتوكيد.

﴿شَرَّ الدَّوَابِّ﴾: جمع: دابة: وهي ما تدب على الأرض، وتشمل: الإنس، والجن.

أصل الكلام: إنّ أشر الدّواب عند الله على وزن أفعل، ولكثرة الاستعمال، وأخف على اللّسان قال: شر الدّواب؛ أي: شر الخلق.

﴿عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾: أي: الكافرين، والمشركين.

﴿الصُّمُّ﴾: جمع أصم؛ أي: الّذين لا يسمعون الحق، وما أنزل الله من الآيات والذكر الحكيم.

﴿الْبُكْمُ﴾: جمع أبكم: وهو الأخرس عن قول الحق، وكلمة التّوحيد.

﴿الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾: من عقل الشّيء عرفه بدليله، وفهم أسبابه، ونتائجه.

﴿الَّذِينَ ﴾: اسم موصول.

﴿لَا﴾: النّافية للجنس؛ أي: الّذين لا يعقلون، لا يتدبرون، ولا يفهمون الحق، والصّواب، ولا يهتدون للخير، ويتجنبون الهدى، والرشاد.

[٢٣] ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾:

﴿ وَلَوْ ﴾: الواو: عاطفة، لو: شرطية.

﴿عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ﴾: أي: لو علم في هؤلاء شر الدّواب الصّم البكم؛ الّذين لا يعقلون خيراً أيَّ خير؛ يعني: أيَّ نفع، أو صلاح، قليلاً أو كثيراً، أو مهما كان.

﴿لَّأَسْمَعَهُمْ ﴾: لأسمعهم آياته، وأحكامه، السّماع الحقيقي: وهو سماع الحق، والهدىٰ، سماع الاستجابة، والفهم، والبصيرة، وهو الإيمان بآيات الله، ورسوله، واللام: للتوكيد، وهداهم الهداية الخاصَّة.

﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ ﴾: لو: شرطية غير امتناعية؛ أي: لا تقول: لو أسمعهم علىٰ سبيل الافتراض؛ لما حدث التّولي، أو امتنع التّولي لامتناع الاستماع؛ لأنّهم هم متولون أصلاً، سواء أسمعهم، أو لم يسمعهم.

﴿لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾: لتولوا: اللام: للتوكيد، وهم: لزيادة التّوكيد؛ مؤكداً جحودهم، وإعراضهم عن الحق، والإيمان، وطاعة الله ورسوله.

﴿مُّعْرِضُونَ ﴾: جملة اسمية: تدل علىٰ الثّبوت، والاستمرار؛ أي: قد علم الله سبحانه منذ الأزل أن هؤلاء ليس فيهم أيُّ خير، فلم يسمعهم السماع الحقيقي الّذي يُفيدهم، مع العلم أن آلات السمع عندهم موجودة، وتسمع اللغو، والباطل، ولكنها معطلة عن سماع الحق.

[٢٤] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾: نداء جديد للذين آمنوا بتكليف جديد أو أمر جديد والهاء للتنبيه.

﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ﴾: استجيبوا: الألف، والسّين، والتّاء: للطلب؛ أيْ: أجيبوا؛ أطيعوا الله فيما أمر به، أو نهىٰ عنه؛ أي: شرع لكم.

﴿لِلَّهِ﴾: اللام: للاختصاص.

﴿وَلِلرَّسُولِ﴾: أي: واستجيبوا للرسول أيضاً: اتبعوا الرّسول، وسنته، وأطيعوه فيما أمركم به، أو نهاكم عنه، وتكرار اللام، وللرسول: يفيد التّوكيد.

﴿إِذَا﴾: ظرفية زمانية للمستقبل، وشرطية.

﴿دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾: دعاكم لما فيه حياتكم، أو لما هو سبب حياتكم في الدّنيا، والآخرة حياتكم الأبدية إذا دعاكم للقرآن، والإسلام، وأمور دينكم، ودنياكم.

قال سبحانه: إذا دعاكم، ولم يقل: إذا دعياكم بالتّثنية؛ أي: الله ورسوله؛ لأنّ دعوتهما دعوة واحدة.

﴿لِمَا﴾: اللام: هنا للتعليل، وما: اسم موصول؛ بمعنىٰ: الّذي يُحييكم.

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾: أي: يستطيع الله أن يقف حائلاً، أو حاجزاً، أو مانعاً بين الإنسان، وما يتمناه، وقلبه وما يريده، من الحول بين الشّيء والشّيء؛ بمعنىٰ: الحجز، والفصل بينهما، أو يحول بينه، وبين قربه تعالىٰ من عبده: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ [الحشر:١٩]، والله يصرف القلوب كما يشاء؛ فالإنسان علىٰ سبيل الافتراض يريد أن يستدرك ما فاته من الإيمان؛ فيحول بينه وبين ذلك الموت، أو الإنسان يريد أن يُوفق للاستجابة، والطّاعة، ويعبد الله، فلا يوفقه الله؛ لسبب ما في العبد، وما دام الله سبحانه يستطيع أن يفعل ذلك؛ فما علينا إلا أن نُسرع، ونستجيب لله سبحانه قبل أن ينتهي الأجل، ويحول الله بيننا، وبين التّوفيق.

﴿وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾: قدّم إليه الجار والمجرور: للحصر؛ أي: إليه

وحده تحشرون؛ أي: تجتمعون في أرض المحشر. الحشر: هو السّوق، والجمع معاً.

[٢٥] ﴿ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾:

﴿ وَٱتَّقُوا۟ ﴾: أي: تجنبوا واحذروا.

﴿فِتْنَةً ﴾: جاءت بصيغة النّكرة؛ لتشمل كلَّ أنواع الفتن؛ مهما كانت صغيرة، أو كبيرة، وما نوعها، والفتنة أشد من الاختبار، وأهمها فتنة الكفر، والشّرك، والمعصية، والقتل، والبدع، وفتنة العذاب، والبأساء، والضّراء؛ كالفقر، والمرض، والغلاء، وتسلط الظّلم، وفتنة انتشار الزِّنى، واللواطة، والفاحشة، وفتنة السّكوت عن إنكار المنكر، والأمر بالمعروف. ارجع إلى سورة آل عمران، آية (٧)، والعنكبوت، آية (٢-٣)؛ لمزيد من البيان.

﴿لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ﴾: لا تصيبن: لا تهلك، أو لا تضر، أو لا تؤذي الّذين ظلموا منكم فقط؛ «أي: الّذين قاموا بعمل المنكر، أو إظهار البدع، ونشرها، والكفر، والقتل... وغيرها»، وإنما تصيب كذلك، وتتعدّى الّذين ظلموا؛ لتصيب الصّالح أيضاً؛ لأنّ الصّالح لم يقم بواجبه بردع الظّالم، والحدِّ من ظلمه، وبتغيير المنكر، لا باليد، ولا باللسان، ولا بالقلب.

﴿مِنكُمْ خَآصَّةً ﴾: أيْ: ستعم الفتنة، وتشمل الكلَّ؛ فلا ينجو منها إلا من رحم ربك.

﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾: تأكيد للتحذير السّابق؛ أي: إذا عاقب سبحانه؛ فإنّ عقابه أليم شديد.

❖ ❖ ❖

وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ
أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم
مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ
﴿٢٧﴾ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ
عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟
ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ
لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ
ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا
قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ
أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا
هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ
أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ
وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾

سورة الأنفال [الآيات ٢٦ - ٣٣]

[٢٦] ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾:

﴿وَٱذْكُرُوٓاْ﴾: فضل الله عليكم.

﴿إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: إذ: بمعنى: حين. أنتم: للتوكيد. قليلٌ: أي: قلة؛ أي: عددكم قليل في مكة، أو المَدينة خائفين فقراء، مستضعفون بسبب الإذلال، والاضطهاد من الكافرين، والمشركين.

﴿يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ﴾: من الخطف: وهو الأخذ بسرعة؛ أي: يأخذكم أعداؤكم من الكفار، والمشركين، وغيرهم بسرعة بالتعذيب، أو القتل، والسّلب دون أن يدافع عنكم أحدٌ، أو ينصركم أحدٌ.

﴿فَـَٔاوَىٰكُمْ﴾: الفاء: للترتيب، والتّعقيب، آواكم: جعل لكم مأوىً تأوون إليه: وهو المدينة المنورة، ورحَّب بكم الأنصار.

﴿وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ﴾: أيْ: أمدكم بيد العون في كثير من الغزوات؛ بإنزال الملائكة، وبالرعب، وبكفِّ أيدي النّاس عنكم... وغيرها.

﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾: الحلال المبارك الطاهر؛ من مطعم، ومشرب، وملبس، ومركب.

﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: لعلَّ: للتعليل، تشكرون: المنعم: وهو الله على ما رزقكم، وذلك بطاعته، والاعتراف بفضله عليكم، وتكرار الشّكر، والاستمرار على ذلك. ارجع إلى سورة الأعراف، آية (١٠)؛ لمزيد من البيان.

[٢٧] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: نداء جديد إلى الّذين آمنوا بأمر، وتكليف جديد بعدم الخيانة.

﴿لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾: لا: الناهية، تخونوا الله والرّسول: الخيانة: الغدر، أو نقض العهد، أو إخفاء الشّيء؛ أي: الأمانة.

والأمانة: تعريفها: كلّ حق يجب أداؤه إلى الغير من دون شهود، أو وثيقة، والأمر متروك إلى من عنده الأمانة إن شاء أقر بها، أو إن شاء أنكرها، وخيانة الله: تكون في تعطيل ما شرعه من الدِّين، وتعدِّي حدوده، ومحارمه، وعصيانه؛ أي: عدم أداء حقِّ الله؛ مثل: الفرائض، وعدم تجنب المحرمات، وإخفاء الكفر، والنفاق، وخيانة الرّسول: بعدم اتباع سنته، أو معصيته.

﴿وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ﴾: المالية، أو العهود، والمواثيق، والمعاهدات.

﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: أيْ: تخونون بنيَّة، وقصد، ولستم ساهين ناسين، وأنتم تعلمون وبالَ عاقبة الخيانة.

[٢٨] ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾:

﴿أَنَّمَآ﴾: كافة مكفوفة؛ تفيد التّوكيد.

﴿أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾: أي: ابتلاء، واختبار، والفتنة: أشد من الابتلاء، وفتنة الأموال: تكون كيف كسبها، وكيف أنفقها، وهل أدَّىٰ زكاتها، وهل شغلته عن طاعة الله، وذكره، والأولاد فتنة: لكونها تشغلكم عن طاعة الله، وسبب للوقوع في الإثم، والذّنوب.

وقدَّم الأموال علىٰ الأولاد: تقديم الأكثر علىٰ الأقل؛ فالكلّ عنده مال، وليس عند الكلّ أولاد.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾: وأنّ: للتوكيد، عنده أجر عظيم: خير من الأموال والأولاد، وهو النجاة من النار، والفوز بالجنة.

[٢٩] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾: نداء جديد للذين آمنوا بتكليف، أو أمر جديد، أو حكم.

﴿إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾: إن: شرطية، تتقوا الله: أي: تطيعوا أوامره، وتجنبوا نواهيه في القول، والعمل.

﴿يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾: هذا هو جواب الشّرط، والفرقان: هو ما يفرق بين الحق والباطل؛ أي: ندلكم كيف تعرفون الحق من الباطل، والنّافع من الضّار، والصّالح من المفسد، والهدىٰ من الضّلال؛ مما يحقق لكم النّجاة، والنصر.

﴿وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾: أي: يستر سيئاتكم؛ فلا يعاقبكم عليها،

والسّيئات، قيل: الصّغائر من الذّنوب. وقيل: السيئة الشيء الذي يسيء إليك، وتختلف عن الذنب؛ السيئات تحتاج إلى تكفير، والذنوب تحتاج إلى توبة وغفران، والغفران أشد من التكفير.

﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾: الذّنوب، والكبائر.

﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾: والله ذو؛ أيْ: صاحب. ولفظ (ذو): أشرف وأفضل من لفظ: صاحب. ارجع إلى سورة الأنبياء، آية (٨٧).

والفضل: الزّيادة الّتي تعطى زيادة عن الأجر، أو الثواب.

[٣٠] ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾:

﴿وَإِذْ﴾: ظرف زماني، واذكر إذ يمكر بك، أو اذكر حين مكر بك، والمخاطب هنا رسول الله ﷺ.

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: يمكر: جاءت بصيغة المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار، واذكر إذ اجتمع الّذين كفروا في دار الندوة؛ ليتشاوروا في أمرك، ويمكروا بك، والمكر: هو التّدبير الخفي؛ لإلحاق الضّرر بالآخر؛ من حيث لا يعلم، أو يشعر، وفيه نوع من الخداع والسوء، ولا يقوم به إلا ضعيف أو مهزوم، وتمخض اجتماعهم في دار الندوة عن ثلاثة مقترحات: هي الحبس، أو القتل، أو النّفي خارجاً، كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما.

﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾: اللام: لام التّعليل، يثبتوك: أيْ: يحبسوك، ويقيدوك بالقيد؛ حتّىٰ لا تقدر علىٰ الهروب.

﴿أَوْ﴾: للتخيير.

﴿يَقْتُلُوكَ﴾: بحيث يختار من كل قبيلة غلاماً، فيضربون رسول الله ﷺ ضربة رجل واحد؛ فيفترق دمه بين القبائل؛ فلا يستطيع بنو هاشم علىٰ حربهم، وإذا طلبوا الدّية تدفع لهم.

وكان القرار النّهائي: الاتفاق علىٰ قتل رسول الله ﷺ.

﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾: أيْ: هم يمكرون ليقتلوك، والله يمكر، وهو أعظم منهم مكراً، قادر علىٰ إحباط مكرهم، ومعاقبتهم علىٰ ذلك؛ لأنّه هو القوي العزيز، وهو خير الماكرين.

والسّؤال: كيف يمكر الله سبحانه، أو ينسب المكر إلىٰ نفسه؟

الجواب: هو مجرد مشاكلة باللفظ، والمكر من الله؛ يعني: الانتقام منهم، ومجازاتهم علىٰ ما يقومون به من مكر، وغدر، وكيد.

وجاء جبريل عليه السلام فأخبر رسول الله ﷺ، وأمره أن لا يبيت في مضجعه، وأذن له بالهجرة إلىٰ المدينة، وأمر رسول الله علياً رضي الله عنه؛ فنام في فراشه، وأبطل الله مكرهم، كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما.

[٣١] ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـٰذَآ ۙ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾:

أسباب النزول: كما ذكر الواحدي في أسباب النزول، وروىٰ الطبري. قيل: نزلت هذه الآية في النضر بن الحارث، كان تاجراً، ويسافر بين البلاد، ويشتري كتب الأعاجم، ويحدِّث بها أهل مكة، ولما سمع ما يُتلىٰ من القرآن، وقصصه قال لأهل مكة: أنا أخبركم بمثل هذا.

﴿ وَإِذَا ﴾: ظرف زماني للمستقبل.

﴿تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا﴾: علىٰ كفار قريش، أو أهل مكة، تتلىٰ عليهم آيات القرآن، وقصص القرآن، وذكر الأقوام الخالية، وتتلىٰ: تدل علىٰ تكرار التلاوة، وتجدُّده.

﴿قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا﴾: مثل هذه القصص، والأقوال، والأمثال من قبل أن تخبرونا.

﴿قَدْ﴾: للتحقيق، والتّوكيد.

﴿لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـٰذَآ﴾: لو حرف شرط، وتمنٍّ.

﴿لَقُلْنَا﴾: اللام: لام التّوكيد.

﴿لَقُلْنَا مِثْلَ هَـٰذَآ﴾: أي: مثل الّذي تقوله يا محمّد، أو تتلوه علينا.

﴿إِنْ﴾: حرف نفي أشد نفياً من ما؛ أي: ما هذا إلا أساطير الأولين.

﴿هَٰذَآ﴾: الهاء: للتنبيه، ذا: اسم إشارة للقريب.

﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: جمع أسطورة، والأسطورة: هي القصة الّتي سطرت في الكتب القديمة الأولى من أخبار السّابقين، والأسطورة: قد تكون قصة خيالية، أو أكذوبة.

[٣٢] ﴿وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾:

﴿وَإِذْ﴾: أي: واذكر إذ قالوا، أو حين قالوا.

﴿قَالُواْ﴾: القائل هنا قيل: أبو جهل، أو النضر بن الحارث، وهو المرجح، أو غيره، والعبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السّبب.

﴿إِن﴾: شرطية.

﴿كَانَ هَٰذَا﴾: الّذي يقرؤه محمّد علينا؛ أي: القرآن هو الحق المنزل من عندك.

﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا﴾: الفاء: للتعقيب، والمباشرة.

﴿حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: كما حدث لأصحاب الفيل، أو قوم لوط من قبل.

﴿أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: كما حدث لقوم عاد، وثمود، ومدين، والإتيان: أسهل من المجيء، والمجيء فيه معنى الصعوبة والشدة.

قالوا ذلك استهزاءً وجحوداً، وقيل: جواب هذا السّؤال، أو الدّعاء جاء في

سورة المعارج: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ﴾. وكذلك في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾.

[٣٣] ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو: عاطفة، ما: النّافية.

﴿كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾: اللام: لام التّعليل، والتّوكيد؛ توكيد النفي، ومنهم من يسميها لام الجحود. ليعذبهم: يعذبهم فعل مضارع؛ يدل علىٰ التّجدد، والتّكرار. وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾: جملة خبرها؛ أي: (خبر كان) محذوف تقديره قاصداً أو ناوياً أو مقدراً أن يعذبهم وأنت فيهم.

﴿وَأَنتَ فِيهِمْ﴾: أي: وأنت يا رسول الله حيٌّ، وما زلت بينهم، أو معهم؛ فلن يعذبهم حتّىٰ تخرج من عندهم، أو يتوفاك الموت.

أي: العذاب مرفوع عنهم مؤقتاً ما دمت يا رسول الله بين ظهرانيهم؛ فإذا مت قد ينزل بهم العذاب، وبما أن بقاء رسول الله ﷺ بينهم مؤقت لذلك استعمل الجملة الفعلية، ولم يقل: معذبهم.

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ﴾: معذبهم: اسم يدل علىٰ الثّبوت؛ أي: الله من صفاته الثّابتة الرّحمة بعباده المؤمنين.

﴿وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾: يستغفرون: **أولاً**: فعل مضارع؛ يدل علىٰ التّجدد، أو التّكرار؛ أي: الاستغفار، ولو كان متكرر، أو متقطع، أو مؤقت غير ثابت يرفع، أو

يمنع عنهم العذاب؛ حتّىٰ تقوم السّـــاعة، وهذا من رحمة الله سبحانه بهذه الأمة: أن عوَّض عليهم بعدم بقاء الرسول ﷺ بينهم بالاستغفار المتجدِّد والمتكرر.

وثانيـــاً: لم يقل: وما كان الله معذبهم وهم مســـتغفرون؛ لكان ذلك يعني: يجب أن تكون صفة الاســـتغفار عندهم ثابتة مســـتمرة، وهذا من المســـتحيل، أو الصعـــب جداً، واكتفـــىٰ بالاســـتغفار المتجدِّد، أو المؤقـــت؛ بقوله: ﴿وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾.

ثالثـــاً: قولـــه تعالـــىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾: فيه نفي للفعل؛ أي: التعذيب مقارنة بقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾: فيه نفي القصـــد أو النية للقيام بالفعل (التعذيب)، أو هنـــاك فرق بين نفي القصد (النية)، ونفي الفعل ذاته؛ لأن نفي القصد أو النية أبلغ وأشـــد من نفي القيام بالفعل، وفي هذا دليل علىٰ مكانة وشرف النبي ﷺ عند ربه.

❖❖❖

وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ
ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ
وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ
عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ
بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ
أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ
عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ
يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ
ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ
فِى جَهَنَّمَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾ قُل لِّلَّذِينَ
كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا۟
فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ
لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ
ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْا۟
فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾

سورة الأنفال [الآيات ٣٤ - ٤٠]

[٣٤] ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾:

﴿وَمَا لَهُمْ﴾: وما: الواو: استئنافية. ما: اسم استفهام؛ للحث، وتقديره: ولمَ لا يعذبُهُم الله.

﴿أَلَّا﴾: أن لا؛ أن: حرف مصدري، لا: نافية للتوكيد.

ومعنىٰ ذلك؛ أي: شيء يمنعهم من أن يعذبهم الله، إن يعذبهم الله عدل؛ لأنّهم فعلوا، وما زالوا يفعلوا ما يستحق العذاب؛ فهم لا زالوا يصدون - فعل مضارع يدل علىٰ التّجدُّد، والتّكرار - يصدون النّاس عن المسجد الحرام؛ أيْ: يمنعون النّاس عن الطّواف بالمسجد الحرام، والعمرة؛ فهم منعوا رسول الله، والمؤمنين عام الحديبية من زيارته، والعمرة.

﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ﴾: وما: النّافية، كانوا أولياءَه: حيث كانوا يدَّعون أنهم أولياء المسجد الحرام باطلاً؛ فنفىٰ الله سبحانه عنهم ذلك، وكيف يكونون أولياءَه وهم المشركون بالله، ويعادون دينه، ويصدون عن المسجد الحرام؛ فمن أعطاهم الولاية عليه؟

﴿إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ﴾: إن: نافية تفيد النّفي أكثر من: ما؛ أيْ: أولياؤه المتقون.

﴿إِلَّا الْمُتَّقُونَ﴾: إلا: أداة حصر؛ أي: حصراً، وقصراً، أولياؤه: هم المتقون لا غيرهم.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾: لكن: حرف استدراك، أكثر أهل مكة لا يعلمون.

﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾: أنهم ليسوا أولياءَه؛ إما لجهل، وإما لعنادهم، أو أنهم لا يستحقون أن يكونوا أولياءَه.

[٣٥] ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو: استئنافية، ما: النّافية؛ للتوكيد.

﴿كَانَ صَلَاتُهُمْ﴾: ولم يقل: كانت صلاتهم؛ لأنّ صلاتهم كانت صفيراً (من التصفير) وتصفيقاً، وكلاهما مذكر فجاء بالفعل المطابق لنوع صلاتهم.

﴿عِندَ ٱلْبَيْتِ﴾: أي: المسجد الحرام.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿مُكَآءً﴾: من فعل مكا، يمكو؛ أي: صفَّر.

﴿وَتَصْدِيَةً﴾: تصفيقاً؛ فقد كان الرّجال كذلك يطوفون بالبيت عراة، وهم يصفِّرون، ويصفِّقون، وكان ذلك في بداية الإسلام، وكان هذا من الجهل، والضّلال.

﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾: الباء: للتعليل، أو السّببية، وما: مصدرية؛ أيْ: بسبب كفرهم.

[٣٦] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾:

لا زالت الآيات تتحدث عن غزوة بدر، ونزلت هذه الآية كما قال مقاتل والكلبي تتحدث عما أنفقه الكافرون من أهل مكة من الأموال والأنعام يوم

بـــدر؛ مثال: المطعمين يوم بدر كانوا (١٢) رجلاً من كبار قريش يطعم كلّ واحد (١٠) من الجزور يومياً، وقيل: نزلت في أبي سفيان؛ فقد استأجر يوم أُحُدٍ ألفين من الأحابيش، وأنفق عليهم (٤٠) أوقية من الذَّهب؛ ليقاتلوا رســول الله ﷺ، وأصحابه، والعبرة بعموم اللفظ، وليس بخصوص السّبب.

﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل؛ يفيد التّوكيد.

﴿كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ﴾: ينفقــون، ولــم يقل: أنفقوا، بل يســتمرون في الإنفاق، والتّجدُّد، وتكرار فعل الإنفاق في حرب رسول الله ﷺ، والمؤمنين.

﴿لِيَصُدُّوا۟﴾: الــلام: لام التّوكيد، والتّعليل، يصدوا؛ أيْ: يمنعوا النّاس عن اتِّباع محمّد ﷺ، وعن سبيل الله، وهو دين الإسلام، والإيمان.

﴿فَسَيُنفِقُونَهَا﴾: الفاء: للتعقيب، والمباشرة، والسّين: للاستقبال القريب؛ أي: سينفقونها قريباً.

﴿ثُمَّ﴾: للاستقبال، والتراخي في الزّمن.

﴿تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾: أيْ: فــي الآخــرة؛ أيْ: عاقبــة إنفاقهــا ندماً، وحسرة، أو المال نفسه يتحول إلى حسرة.

﴿ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾: في الدّنيا، والآخرة.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾: يحشــرون: يجمعــون، وعلَّة هذا الجمع: هو ليميز الله الخبيث من الطّيب، «والحشر: هو السّوق+ الجمع». إلى: حرف يستعمل لكل الغايات، وهنا يفيد الانتهاء.

[٣٧] ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾:

﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ﴾: اللام: لام التّعليل، والتّوكيد، يميز الله: يكشف، يفصل، يفرّق.

﴿ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾: أي: العمل الخبيث «الإنفاق في سبيل الصّد عن سبيل الله» من الطّيب الإنفاق في سبيل الله، وإعلاء كلمته، أو يميز الخبيث «الكافر» من الطّيب «المؤمن»، أو يميز أهل النّار من أهل الجنة، وقدَّم الخبيث على الطّيب؛ لأنّ الحديث عن الّذين كفروا.

﴿وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾: أي: يجمع الخبيث بعضه فوق بعض.

﴿فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا﴾: الرّكم: أن يجعل بعض الشّيء على بعض؛ أي: يجمع الكفار بعضهم على بعض، أو فيركمه: يُلقي بعضهم على بعض إلى جهنم، أو تجمع أموالهم بعضها فوق بعض؛ أي: تضم، ثم يُلقى بها في جهنم لتكوى بها جباههم، وجنوبهم، وظهورهم، جميعاً: للتوكيد.

﴿فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ﴾: الفاء: ظرفية، جهنم: اسم من أسماء النّار، أو دركة من دركات النّار، مشتق من كونها بعيدة القعر، أو الجهومة: الشّيء المخوف الكريه المنظر.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة للبعد.

﴿هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾: هم: يفيد التّوكيد، الخاسرون: للمبالغة؛ أي: إذا كان هناك خاسرون؛ فهم في الطّليعة، أو الخاسرون حقاً أعظم الخاسرين.

[٣٨] ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾:

سبب النّزول: قيل: نزلت هذه الآية في أبي سفيان وأصحابه في مكة قبل فتحها، كما روي عن ابن عباس ﷺ.

﴿إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم﴾: إن: شرطية؛ تفيد الاحتمال. إن ينتهوا عما هم عليه من الكفر، والشّرك، ويدخلوا في الإسلام، ويتوبوا يغفر لهم.

﴿مَّا قَدۡ سَلَفَ﴾: قد: حرف تحقيق، وتوكيد، قد سلف: ما قد مضى من سيئات أعمالهم؛ «لأنّ الإسلام يَجُبُّ ما قبله، والتّوبة تَجُبُّ ما قبلها»، كما ورد في الصّحاح.

﴿وَإِن يَعُودُواْ فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾: وإن: شرطية، يعودوا إلى حرب الرّسول، والكفر؛ فقد مضت سنة الأولين؛ أي: أخذهم بالعذاب، والعقوبة بعد الإنذار، وانتهاء المُهلة.

انتبه إلى قوله: إن ينتهوا، ولم يقل: إن تنتهوا؛ أي: ليس المراد أن تخاطبهم نفسك؛ أيُّ إنسان يمكن أن يبلغهم ذلك.

[٣٩] ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾:

﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ﴾: ولم يقل: اقتلوهم، قاتلوهم؛ أي: هناك مفاعلة قتال طرفين كلّ يحاول قتل الآخر، أما اقتلوهم: فتعني: من طرف واحد؛ أي: من دون أن يتصدوا لكم، أو يخرجوا لقتالكم.

﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية؛ أي: حتّى النّهاية (نهاية الغاية).

﴿لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾: لا: النّاهية، تكون فتنة: فتنة هنا؛ تعني: الشّرك، والكفر، أو الظّلم، أو أي فتنة، أو الفتنة في الدِّين؛ أي: اضطهاد؛ أي: المؤمن، أو المؤمنة من أجل دينه. ارجع إلىٰ الآية (٢٥) من نفس السّورة؛ للبيان.

﴿وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾: أي: لا شرك، فلا يعبد مع الله أحد سواه.

﴿فَإِنِ انتَهَوْا﴾: الفاء: للتفصيل، إن: للتوكيد، انتهوا: استجابوا، وأطاعوا، ودخلوا في الإسلام.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ﴾: الفاء، وإن: للتوكيد.

﴿بِمَا﴾: الباء: للإلصاق، ما: اسم موصول؛ بمعنىٰ: الذي، أو مصدرية.

﴿يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: يعملون: تضم الأقوال، والأفعال، بصير: يرىٰ، ويراقب أعمالهم، ويحيط علمه بكلّ شيء.

ولنقارن سورة الأنفال، الآية (٣٩): ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

مع سورة البقرة، الآية (١٩٣): ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾.

الاختلاف: آية الأنفال: ويكون الدِّين كلّه لله، والنّهاية: فإنّ الله بما يعملون بصير.

آية البقرة: ويكون الدِّين لله، والنّهاية: فلا عدوان إلا علىٰ الظّالمين.

الاختلاف: سببه أنّ آية الأنفال: جاءت في سياق قتال الكفار كافة، والآية تفيد العموم، والشّمول، ولذلك قال: كلّه لله؛ أي: قاتلوا الكفار كافة؛ ليكون الدِّين كله لله.

أمّا آية البقرة: فجاءت في سياق قتال كفار مكة؛ فحسب، وحول المسجد الحرام قتال لصد عدوانهم، وحتّىٰ يكون الدِّين لله.

أمّا نهاية الآيتين: فإنّ الله بما يعملون بصير؛ لأنّ من الكفار بعد قتالهم منهم من سيدخل في الإسلام، ومنهم من لن يدخل؛ فإنّ الله بما يعملون بصير.

وأما قوله تعالىٰ: فلا عدوان إلا علىٰ الظّالمين؛ لأنّه سبقها قوله: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة:١٩٤]، وكذلك قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة:١٩٠]، فلذلك ختمها بقوله: فلا عدوان إلا علىٰ الظّالمين «كفار قريش وغيرهم».

[٤٠] ﴿وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾:

﴿وَإِن﴾: شرطية؛ تفيد الاحتمال.

﴿تَوَلَّوْا۟﴾: أعرضوا أو نكثوا العهد، وعادوا إلىٰ حربكم.

﴿فَٱعْلَمُوٓا۟﴾: الفاء: تعليلية، وللتوكيد.

﴿أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ﴾: أنّ: تفيد التّوكيد أيضاً، مولاكم: متولي أموركم بالنّصر، والتّأييد، والمعونة.

﴿نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾: نعم: من أفعال المدح، المولىٰ: المتولي بأمور عباده، المتعهد لأوليائه بالأمن، والهداية، والمحافظ علىٰ أوليائه، والقيِّم علىٰ أمورهم.

﴿وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾: علىٰ وزن فعيل؛ صيغة مبالغة، النّصير: كثير النصرة لعباده المؤمنين، ولأوليائه علىٰ أعدائهم.

❖ ❖ ❖

۞ وَاعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ
وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن
كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ
يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ إِذْ
أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ
أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ
وَلَٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ
هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ
لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ
وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ
وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ
يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ
فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ
تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً
فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾

سورة الأنفال [الآيات ٤١ - ٤٥]

[٤١] ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾:

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا﴾: أيها المسلمون: أنما: أن: للتوكيد، ما: شرطية، أو اسم موصول؛ بمعنى: الّذي.

﴿غَنِمْتُم﴾: من الغنيمة؛ أي: أخذتم من أموال الكفار بالقتال، والقهر، والحرب «هذا يُسمَّى الأنفالَ»، وما غنمتم من أموال الكفار من دون قتال «هذا يُسمَّى الفيءَ»؛ فالغنيمة قد تكون نفلاً، أو فيئاً.

﴿مِّن شَىْءٍ﴾: من: استغراقية؛ تشمل كلّ شيء غنمتموه قليلاً، أو كثيراً مهما كان نوعه، أو قيمته.

﴿فَأَنَّ﴾: الفاء: جواب الشّرط؛ تفيد التّوكيد.

﴿لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾: اللام: لام الاختصاص، والتّعليل. خمسه: والسّؤال كيف يكون لله خمسه مع العلم أن لله ما في السّموات، وما في الأرض، وهو مالك الملك؟ قيل: ذكر اسم الله هنا؛ للتشريف، والبركة.

﴿وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: الواو: في كلّ هؤلاء عاطفة. إذن ($\frac{11}{55}$) لله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل، كما أجمع أكثر المفسرين، فالغنيمة، أو الأنفال تقسم إلى خمسة أخماس: أربعة أخماسها توزع على المقاتلين، والخُمُس الباقي لهؤلاء الخمسة

بما فيهم رسول الله ﷺ، وبعد وفاته نصيبه هو لصالح المسلمين، والثّابت: أنّ الغنائم لم تكن تحل لأحد من الأنبياء قبل رسول الله ﷺ.

﴿وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾: أيْ: سهماً من خُمُس الخُمُس لذوي القربىٰ: وهم أقارب النّبي ﷺ: بنو هاشم، وبنو المطلب، حسب قول الإمام الشّافعي مستنداً إلىٰ حديث في صحيح البخاري.

﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾: وهم الأطفال الصّغار من المسلمين من لا أب له.

﴿وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾: أهل الفقر، والحاجة من المسلمين.

﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: المسافر البعيد عن ماله، أو الّذي فقد ماله، ولم يبقَ معه شيئاً، ويُسمَّىٰ ابن السّبيل؛ أيْ: ابن الطّريق؛ فهو بحاجة للمساعدة، وكما قلنا أربعة أخماس الغنيمة الباقية توزع علىٰ المقاتلين: للفارس مثلاً: سهمان، أو ثلاثة أسهم، وللراجل: سهم واحد، هذا هو قول أكثر أهل العلم، وهذا تغيَّر في عصرنا الحديث؛ فالدّولة هي المسؤولة عن كلّ ذلك، والجنود هم موظفون عند الدّولة، ولهم أجرهم.

﴿إِن﴾: شرطية؛ تفيد الاحتمال، أو النّدرة.

﴿كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾: فاعلموا أنما غنمتم من شيء فأنّ لله خُمُسه وللرسول ولذي القربىٰ واليتامىٰ والمساكين وابن السبيل، والأربعة أخماس الباقية توزع علىٰ المقاتلين.

﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ﴾: بالله: الباء: للإلصاق، إيمان العقيدة.

﴿وَمَآ أَنزَلْنَا﴾: الواو: عاطفة، ما: اسم موصول؛ بمعنىٰ: الّذي.

﴿عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾: محمّد ﷺ، وهو ألف من الملائكة المردفين، والمطر، والنّعاس، والإيحاء بالضّرب فوق الأعناق، والبنان.

﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾: يوم بدر، وسُمِّي يوم الفرقان؛ لأنّه فرق بين أهل الحق، وأهل الباطل؛ معسكر الإيمان، ومعسكر الكفر، والشرك.

﴿يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾: تكرار يوم؛ يفيد التّوكيد، توكيد عظمة ذلك اليوم، يوم التقىٰ: جمع المسلمين بجمع الكافرين من قريش علىٰ ماء بدر.

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: قادر علىٰ الجمع بينهما، وقادر علىٰ أن يجعل فئة قليلة تغلب فئة كثيرة؛ أي: لا يعجزه شيء في الأرض، ولا في السّموات.

[٤٢] ﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِي ٱلْمِيعَٰدِ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾:

﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا﴾: إذ: ظرف للزمن الماضي؛ أي: واذكروا إذ أنتم بالعدوة الدّنيا، بالعدوة الدنيا: العدوة ظرفية تعني شط الوادي، والدّنيا؛ أيْ: شط الوادي الأقرب إلىٰ المدينة المنورة، والدّنيا: مؤنث الأدنىٰ؛ أي: الأقرب.

﴿وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ﴾: كفار قريش بالعدوة القصوىٰ: شط الوادي الأبعد عن الوادي؛ أي: العدوة القصوىٰ وهي أفضل من العدوة الدنيا؛ لأنّ الماء كان فيها ، وكانت أرض صلدة، والعدوة الدّنيا ليس فيها ماء، وأرض رملية يصعب المشي عليها.

﴿وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾: أيْ: أبو سفيان، والأربعون رجلاً، والعير أسفل منكم؛ أي: بالسّاحل، وبمكان أسفل من مكانكم حيث غيَّر أبو سفيان مسير القافلة، واتجه إلىٰ ساحل البحر، وساحل البحر هو أسفل من الأرض اليابسة، وذكر كلّ هذه التّفاصيل؛ للتذكير بأهمية موقع القتال، وقلة عدد المسلمين وعدتهم حينذاك، وعدم خبرتهم في القتال، وحالتهم الصّعبة، وهم لا يريدون القتال، ولم يخرجوا له.

﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِي ٱلْمِيعَٰدِ﴾:

﴿وَلَوْ﴾: الواو: عاطفة، لو: شرطية.

﴿تَوَاعَدتُّمْ﴾: أيْ: وجعلتم بينكم وبين المشركين موعداً لزمن القتال والمكان على سبيل الافتراض.

﴿لَاخْتَلَفْتُمْ﴾: اللام: للتوكيد؛ أي: اختلفتم في المكان، والزّمان؛ فجاء بعضكم متأخّراً عن الموعد، أو منحرفاً عن المكان، ولم يحصل اللقاء بينكم، أو وليتم مدبرين بعد أن رأيتم عددهم، وعدتهم؛ خوفاً من القتل، ولم يحدث اللقاء كما حدث في بدر في الزمان والمكان المحدد.

﴿وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾:

﴿وَلَٰكِن﴾: للاستدراك، والتّوكيد.

﴿لِّيَقْضِيَ﴾: اللام: للتوكيد، والتّعليل.

﴿لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾: أي: يُتم الله سبحانه أمراً مقدراً: وهو نصر الله لأوليائه، وجمعكم بغير ميعاد، وليحق الحق بكلماته، ويقطع دابر الكافرين دلالة على عظمة ذلك الأمر أو النصر.

﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ﴾:

﴿لِّيَهْلِكَ﴾: اللام: لام التّعليل، والتّوكيد؛ ليهلك في معركة بدر ﴿مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ﴾: ليموت من مات من الكفار، أو المؤمنين عن بينة.

﴿عَن بَيِّنَةٍ﴾: أيْ: ليتبيَّن لكلّ منهما حقيقة نفسه، ويعلم حالته الّتي هو عليها من الكفر، أو الإيمان من دون لبس، ولا شك، هذا مات على الإسلام، وهذا مات على الكفر.

﴿وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ﴾: ويعيش من عاش بعد معركة بدر، سواء من الكفار، أو المؤمنين.

﴿عَن بَيِّنَةٍ﴾: ومن دون شبهة أنه يعيش كمسلم، أو أنه يعيش كافراً.

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾:

﴿وَإِنَّ﴾: للتوكيد.

لسميع: اللام: لزيادة التّوكيد، سميع: لكلّ ما يقوله عباده في السّر، والعلن، والقريب، والبعيد من الأصوات.

﴿عَلِيمٌ﴾: بكلّ ما يفعلوه في الخفاء، وفي الظّاهر؛ أحاط علمه بكلّ شيء؛ فلا تخفىٰ عليه خافية في الأرض، ولا في السّماء.

[٤٣] ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِي ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾:

في هذه الآية، والّتي تليها: يخبرنا الله سبحانه بما حدث من الأحداث، والأمور الغيبية التي أصابت قلوب، وعيون كلّ من الطّرفين يوم بدر.

﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا﴾:

﴿إِذْ﴾: ظرفية؛ أي: في ليلة معركة بدر رأىٰ رسول الله ﷺ رؤيا في المنام: أنّ عدد جيش الكفار قليل؛ «فكانت هذه المعجزة الأولىٰ»، وفي الصّباح أخبر رسول الله ﷺ أصحابه بهذه الرّؤيا؛ ففرحوا بذلك، وسرت فيهم روح العزيمة، والجرأة، والشّجاعة علىٰ القتال، والمضي إلىٰ أرض المعركة.

﴿وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِي ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ﴾:

﴿وَلَوْ﴾: شرطية؛ أيْ: لو كانت الرؤيا أنّ عدد جيش الكفار كثير؛ لحدث العكس.

﴿أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا﴾: في منامك.

﴿لَّفَشِلْتُمْ﴾: الفشل: أي: الإحباط، والوهن، وعدم الجرأة علىٰ القتال، واللجوء إلىٰ الفرار، واللام في لفشلتم، واللام في لتنازعتم: تدلان علىٰ التّوكيد.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ﴾: فلم يحدث مثل ذلك الفشل، والتّنازع في أمر القتال.

﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾: ارجع إلىٰ الآية (١١٩) من سورة آل عمران؛ للبيان.

[٤٤] ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾:

﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا﴾: وفي يوم المعركة «معركة بدر»، وقبل بدء القتال حدثت معجزة ثانية؛ فقد أصبح يرىٰ المؤمنون عددَ أعدائهم قليلاً؛ حتّىٰ يبث الله في المؤمنين الشّجاعة، والشّعور بالعزة، والنّصر.

﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ﴾: وفي نفس الوقت أصبح المشركون «جيش أبي جهل»: يرون عددَ المؤمنين «صحابة رسول الله ﷺ» قليلاً أيضاً؛ حتّىٰ يبث في أنفسهم الإقدام علىٰ المعركة، ولا يتراجعون؛ حتّىٰ قال أبو جهل: إنّهم أكلةُ جزور خذوهم أخذاً، واربطوهم بالحبال؛ فالله سبحانه يريد أن تبدأ المعركة .

وما إن بدأت المعركة حتىٰ حدثت معجزة ثالثة: أصبح المشركون يرون عدد المؤمنين ضعفين، وذكر هذا في الآية (١٣) من سورة آل عمران: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾؛ مما أدّىٰ إلىٰ انسحاب المشركين من أرض المعركة، وهزيمتهم، وقُتِل (٧٠) منهم، وأُسِر (٧٠). ارجع إلىٰ الآية (١٣) من سورة آل عمران؛ لمزيد من البيان.

﴿لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾: هذا تكرار للآية (٤٢)؛ للتوكيد أنّ وعده بنصر المؤمنين، وإعلاء كلمة الحق سيتم لا محالة.

﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾: تقديم الجار والمجرور: وإلىٰ الله: يفيد الحصر؛ أيْ: وإلىٰ الله حصراً وقصراً كل الأمور ترجع إليه؛ للفصل، والحساب، وإصدار الحكم بعد ذلك إلىٰ الجنة، أو إلىٰ السّعير.

[٤٥] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾: نداء إلىٰ الّذين آمنوا بأوامر جديدة، بكيفية قتال العدو:

الأمر الأوّل: كان في الآية (١٥-١٦) من نفس السّورة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ ﴾.

الأمر الثّاني: ﴿إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ﴾: إذا: ظرف زماني للمستقبل.

﴿لَقِيتُمْ فِئَةً﴾: أيْ: حاربتم. فئة: جماعة من النّاس. ارجع إلىٰ الآية (١٣) من سورة آل عمران؛ للبيان.

﴿فَٱثْبُتُواْ﴾: أيْ: لا تفروا، أو تنسحبوا من أرض المعركة؛ اصمدوا أمام عدوكم.

الأمر الثّالث: ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾: أيْ: في مواطن الحرب لا تنسوا ذكر الله بالتّكبير، والتّحميد، والتّسبيح، والصلاة، والدعاء باللسان؛ تضرعاً وخفية، والتّوكل علىٰ الله.

﴿لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾: لعلَّ: للتعليل، والتّرجي؛ أيْ: لعلّكم إذا ثبتُّم في أرض المعركة، وذكرتم الله، وأخذتم بالأسباب الأخرىٰ الموصلة إلىٰ الفلاح، والنّصر؛ لعلّكم تفلحون: لعلَّ النّصر، والفوز يتحقق لكم. ارجع إلىٰ الآية (٥) من سورة البقرة؛ لبيان معنىٰ الفلاح.

❖ ❖ ❖

وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ
وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ
خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ
عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ
ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ
ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَٰٓءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ
عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ
إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذْ يَقُولُ
ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ
وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾
وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ
وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ
بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾
كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ
فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾

سورة الأنفال [الآيات ٤٦ - ٥٢]

[٤٦] ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾:

الأمر الرّابع: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾: اتبعوا ما أمر الله تعالىٰ، ورسوله في أحكام القتال؛ مثل: عدم الخيانة، والأمانة، وتوزيع الغنائم، وطاعة أولي الأمر منكم.

﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ﴾: لا: النّاهية، ولا تنازعوا: أي: إياكم والخلاف.

﴿فَتَفْشَلُواْ﴾: فإنّه مدعاة للفشل، والهزيمة، وعليكم بوحدة الصّف، والكلمة.

﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾: أيْ: قوتكم، وقيل: الرّيح الدّولة؛ أيْ: تذهب دولتكم، واستعمل الريح؛ لأن الريح القوية العاصفة قد تقلع الأشجار والبيوت، فالريح تحمل في معانيها وتمثل القوة، واستخدم الريح بدلاً من القوة.

﴿وَٱصْبِرُوٓاْ﴾: على الشّدائد، والمحن، والجراح، وتحمل البأس.

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾: يمدهم بالعون، والقوة، والصّبر.

[٤٧] ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾:

﴿وَلَا﴾: الواو: استئنافية، لا: النّاهية.

﴿تَكُونُوا﴾: أي: لا تتشبهوا بالكفار، والنهي عن التشبه أبلغ من النهي عن الفعل كما لو قال: ولا تخرجوا كالذين خرجوا من ديارهم.

﴿كَالَّذِينَ﴾: الكاف: للتشبيه. الّذين: اسم موصول؛ يفيد الذم.

﴿خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ﴾: أيْ: كفار مكة، وعلىٰ رأسهم أبو جهل، وأصحابه، خرجوا من مكة لحماية العير «القافلة الّتي يقودها أبو سفيان» بالدّفوف والمعازف، ولما نجا أبو سفيان بالعير أبىٰ أبو جهل العودة إلىٰ مكة، وقال: لا نرجع حتّىٰ نرد بدراً، ونشرب بها الخمور، وتعزف لنا القيان، ونطعم الطّعام، وتسمع بنا العرب؛ فذلك كان بطراً، ورئاء النّاس؛ أيْ: تكبراً، وخيلاء، ورئاء النّاس: بإطعامهم الطّعام؛ أيْ: يريدون الحرب، والخروج إلىٰ بدر للسمعة، وحتّىٰ تصبح لهم الهيبة، والسّمعة بين العرب.

﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾: يمنعون النّاس من الدّخول في الإسلام؛ فقد ظنوا أنّهم بقتالهم رسول الله ﷺ، وأصحابه يخوفون النّاس، ويصدونهم عن الدّخول في الإسلام، والإيمان بالله ورسوله.

﴿وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾: بما: الباء: للإلصاق، ما: حرف مصدري.

﴿مُحِيطٌ﴾: عالم بكلّ شيء يعملونه؛ أيْ: بما يقولون، ويفعلون محيط به إحاطة تامة.

[٤٨] ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾:

﴿وَإِذْ﴾: أيْ: واذكر إذ زيّن، أو: اذكر حين زين الشّيطان، وإذ ظرف للزمن الماضي.

﴿زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾: الشّيطان: هو إبليس.

﴿زَيَّنَ لَهُمُ﴾: بالوسوسة، والتّزيُّن لكفار مكة أبي جهل، وأتباعه من قريش بالخروج للقاء الرّسول ﷺ، وصحابته الّذين تصدوا للعير القادمة من الشّام يقودها أبو سفيان، زيَّن لهم بالوسوسة، وشجعهم على الخروج من مكة؛ لأنّ قريشاً قتلت رجلاً من كنانة، وكانت تخاف من بني بكر أن يأتوهم من ورائهم إذا خرجوا، وكان سراقة بن مالك سيد بني بكر بن كنان، وقيل: إنّ إبليس تمثل بصورة سراقة، وقدِم إلى قريش، ومعه جند من الشّياطين، وقال لقريش: اخرجوا، وإنَّا معكم، ولا تخافوا أحداً؛ فلا غالب لكم اليوم من النّاس؛ هذا ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما.

﴿وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ﴾: أي: مجيركم، وحاميكم من بني بكر، أو من أيِّ عدو.

﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: للتعقيب، والتّرتيب، لما: ظرفية زمانية؛ بمعنى: حين.

﴿تَرَٰٓءَتِ ٱلْفِئَتَانِ﴾: الفئة المؤمنة، والفئة الكافرة.

﴿تَرَٰٓءَتِ﴾: اقتربت الفئتان من بعضهما، وبدأت المعركة.

﴿نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾: أيْ: رأى إبليس الّذي لا زال متمثلاً بصورة سراقة بن مالك الملائكة تنزل إلى أرض المعركة، معركة بدر، ولّى هارباً تاركاً أرض المعركة، وقال:

﴿إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ﴾: أيْ: لا دخل لي فيكم، وأنا متخلٍّ عنكم.

﴿إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾: أي: الملائكة تنزل إلى أرض المعركة.

﴿إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ﴾: أن يهلكني.

﴿وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾: ولما عادت قريش إلىٰ مكة منهزمة، قالوا: إنّ سراقة هو سبب هزيمتهم في بدر؛ فبلغ هذا الخبر سراقة بن مالك؛ فتعجب، وقال: ما علمت بخروجكم حتّىٰ بلغني هزيمتكم، فلما أسلم بعضهم علموا: أنّ إبليس تمثل في صورة سراقة.

[٤٩] ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾:

﴿إِذْ﴾: واذكر إذ يقول المنافقون، أو حين قال المنافقون.

﴿يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾: المنافقون: جمع منافق: وهو الّذي يظهر الإسلام، ويبطن الكفر، وكلمة منافق مأخوذة من حيوان يشبه الفأر يُسمَّىٰ اليربوع يحفر لنفسه نفقاً في الأرض له بابان، أو أكثر؛ فإذا حاولت صيده خرج من الباب الآخر.

﴿وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: ضعاف الإيمان، أو مرض الحسد، أو الحقد، أو الشّبهات؛ يقولون بعد أن خرج رسول الله ﷺ وأصحابه إلىٰ بدر، وكان عددهم (٣١٣) رجلاً:

﴿غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ﴾: قالوا ذلك سراً؛ أي: اغتر هؤلاء المسلمون بدينهم، فكيف يخرجون للتصدِّي لقريش القادمة بأكثر من (١٠٠٠) مقاتل، غرَّ: من الغرور: هو خداع، أو إيهام يحمل الإنسان علىٰ فعل ما يضرُّه؛ أي: الوقوع في مضرة مع الإيهام بمنفعة، والمغرور: هو الّذي يرىٰ نفسه، أو يشعر بأنّه أعظم من غيره بما يملكه من خصلة، أو خصال، فقال المنافقون: غرَّ هؤلاء؛ أيْ: أحس المسلمون بقوتهم رغم أنّهم قلة، أو بوعد الله لهم بالنّصر فهذا غرور في ظنهم.

﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾: يطلب العون من الله، وبعد أن يقدِّم الأسباب؛ فهو حسبه، وكافيه، وينصره علىٰ عدوه، ولو كان ضعيفاً.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾: العزيز: الّذي لا يقهر، ولا يُغلب، الممتنع. والفاء، وإن: للتوكيد.

﴿حَكِيمٌ﴾: والحكيم: في تدبير شؤون خلقه، وكونه؛ فهو الحاكم المالك، وهو ذو الحكمة؛ لأنّه أحكم الحكماء، وأحكم الحاكمين. ارجع إلىٰ سورة البقرة، آية (١٢٩)؛ لمزيد من البيان.

[٥٠] ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾:

لا زالت الآيات تتحدث عن كفار قريش الّذين خرجوا من ديارهم بطراً، ورئاء النّاس، فلو ترىٰ هؤلاء حين يتوفاهم ملائكة الموت:

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى﴾.

﴿وَلَوْ﴾: لو: شرطية، وجواب لو محذوف للتعجب والتهويل والتعظيم.

﴿إِذْ يَتَوَفَّى﴾: إذ: ظرف زماني؛ أي: حين يتوفّىٰ الّذين كفروا ملائكة الموت بما فيهم ملك الموت يتوفّىٰ؛ أيْ: في مرحلة الوفاة، وهي المرحلة السّابقة لقبض الرّوح؛ ففي هذه المرحلة يبدأ عذاب البرزخ، ويظن النّاس أنّ المريض متألم، ومتوجع، فلو أتيح لأعينهم رؤية الحقيقة؛ لرأوا الملائكة يضربون وجوه هؤلاء الكفار، وأدبارهم، والعياذ بالله، وترىٰ علىٰ وجه المريض الهلع، والذّعر، والخوف، وتقول لهم الملائكة: ذوقوا عذاب الحريق الّذي ينتظركم.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: المشركين قد يكونوا قتلىٰ بدر، وغيرهم من الكفار.

﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾: أي: وجوههم وظهورهم إذا جاؤوهم من بين أيديهم ومن خلفهم، أو إذا لقوهم يضربون وجوههم وإذا ساقوهم يضربون أدبارهم، وهذا الضرب قبل قبض أرواحهم؛ أي: قبل الموت، وسواء أكان في يوم بدر، أو يوم القيامة، أو يوم تتوفاهم الملائكة.

﴿وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾: في القبر (البرزخ)، وفي الآخرة (عذاب الحريق في جهنم).

[٥١] ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾:

﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة؛ يفيد البعد، ويشير إلى الضّرب، وعذاب الحريق.

﴿بِمَا﴾: الباء: باء السّببية، أو التّعليل؛ أيْ: بسبب، ما: اسم موصول؛ بمعنى: الذي، أو مصدرية.

﴿قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾: أيْ: بما قدَّمتم من الأعمال السّيئة، والمنكرات، والكفر، والظّلم، ونسب ارتكاب المعاصي إلى الأيدي؛ لأنّ معظم الأعمال السّيئة يزاولها، أو يكسبها الإنسان بيده، وهناك طبعاً اللسان، والأعين، والأرجل، وغيرها من الحواس، والأعضاء.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ﴾: وأنّ: للتوكيد.

﴿لَيْسَ﴾: للنفي المستمر.

﴿بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾: الباء: للتوكيد، والإلصاق، ظلام: صيغة مبالغة لظالم؛ فكان يمكن أن ينفي الأدنى أيْ: ظالماً، ويقول: ليس ظالماً للعبيد، أو يقول: ليس بظلام للعبد، ولكنه عدل عن ذلك فهو ليس بظالم، وليس بظلام، لا للعبد، ولا للعبيد. ارجع إلى الآية (١٨٢) من سورة آل عمران؛ لمزيد من البيان.

[٥٢] ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾:

﴿كَدَأْبِ﴾: الكاف: للتشبيه، الدّأب: هو الشّأن، والحال، والدّأب؛ يعني: الدّوام على فعل أمر ما، والإدمان عليه لطول الزّمن.

﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: أي: حال كفار مكة، وشأنهم، وأفعالهم، ودأبهم كحال، وشأن، وأفعال آل فرعون، ومن سبقهم من الأمم؛ مثل: قوم نوح، وعاد، وثمود.

﴿كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾: كما كفر هؤلاء مشركي مكة، كفروا: أي: جحدوا بآيات ربهم، ولم يؤمنوا بها.

﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾: الأخذ: يعني الانتقام والعذاب، والهلاك، والأخذ: يكون بطرق متعدِّدة: بالصّيحة، والرّجفة، أو الطّوفان، أو بالسّنين، ونقص الثّمرات... وغيرها.

﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾: الباء: للإلصاق، والتّعليل، والذّنوب: الآثام، والمعاصي، والكبائر.

﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾:

﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل؛ للتوكيد.

﴿قَوِيٌّ﴾: لا يُغلب، ولا يُقهر، وممتنع.

﴿شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾: مشتق من عقب؛ لأنّ فاعل الذّنب يستحق عقوبته عقيب فعل ذنبه؛ يعني: في الدّنيا، وعادة العقاب يكون في الدّنيا، والعذاب في الآخرة.

❖ ❖ ❖

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟
مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَدَأْبِ ءَالِ
فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم
بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ۚ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾
إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾
ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ
وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم
مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن
قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ
﴿٥٨﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾
وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ
تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ
لَا تَعْلَمُونَهُمُ ۖ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ
ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ۞ وَإِن جَنَحُوا۟
لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾

سورة الأنفال [الآيات ٥٣ - ٦١]

[٥٣] ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾:

﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة للبعد، ويشير إلىٰ الأخذ والعقاب الّذي حدث لكفار مكة، وآل فرعون، ومن سبقهم من الأمم لم يحدث إلا بسبب كفرهم، وجحدهم بنعم الله؛ فهم بدَّلوا نعمة الإيمان بالكفر، ولم يشكروا الله تعالىٰ المنعم عليها، فمن سُننه الكونية هذه السُّنة: سُنة تغيُّر النِّعمة.

﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ﴾: الباء: للتوكيد، والإلصاق، والاستمرار، أن: لزيادة التّوكيد.

﴿لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ﴾: لم يك: ولم يقل: لم يكن؛ حذف النّون؛ لأنّ يك: أقل من يكن؛ أي: لم يك مغيراً نعمة أنعمها علىٰ قوم أدنىٰ، أو أقل تغيُّراً بأن منعها عنهم، أو أنقصها، أو بدَّلها؛

﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية نهاية الغاية.

﴿يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ﴾: أيْ: حتّىٰ هم يغيروا ما بأنفسهم؛ حتّىٰ يكونوا هم البادئين بالتّغيير، وهذا من رحمته سبحانه: أنّه شاء أن يكون الإنسان هو البادئَ بالتّغيير، بالكفر، وترك الشّكر، والإعراض.

﴿وَأَنَّ﴾: أنّ: للتوكيد، الله سميع لكلّ ما يقوله الكافرون، ومكذبوا الرّسل، وعليم بما يفعلون.

﴿ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٤٢) من نفس السّورة.

[٥٤] ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَـٰلِمِينَ﴾:

هذا هو الدّأب الثّاني، وأمّا الـدّأب الأوّل: فقد جاء في الآية (٥٢)، وهذا الدّأب الثّاني غير الدّأب الأوّل.

الدّأب الأوّل: كان في العقيدة: الكفر، والشّرك، وعدم الاستجابة للرسل، والإيمان؛ فكان دأب كفار قريش؛ كدأب آل فرعون، ومن سبقهم من الأمم، مثل: قوم نوح، وعاد، وثمود في الكفر، والشّرك.

وأما الدّأب الثّاني: فجاء في الكفر بالنِّعم، والجحود بها؛ فكان كفار قريش أيضاً يشبهون آل فرعون، ومن سبقهم من الأمم في الكفر بأنعم الله، وعدم شكر المنعم على نعمه.

وأمّا الفروق بين الآيتين:

فالآيـة (٥٢): ﴿كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾.

والآيـة (٥٤): ﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ۚ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَـٰلِمِينَ﴾.

الفرق الأول: ﴿كَفَرُوا۟﴾ (آيـة ٥٢)، ﴿كَذَّبُوا۟﴾ (آية ٥٤): الكفر: هو أعم من التّكذيب، والكفر أشـد مـن التّكذيب، والتّكذيب: قـد يكون جزئياً، أما الكفر: فهو عام.

الفرق الثاني: ﴿بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ (آية ٥٢)، ﴿بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ﴾ (آية ٥٤):

﴿بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾: آيات الألوهية؛ أي: العبودية، والتقوىٰ، والطاعة، وآيات التوحيد؛ توحيد الصفات، والأسماء، والتكاليف، والمنهج.

﴿بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ﴾: آيات الخلق، والرزق؛ أي: آيات الربوبية، والحلال، والحرام، والنِّعم.

الفرق الثالث: ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ﴾ (آية ٥٢)، ﴿فَأَهْلَكْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾ (آية ٥٤).

الأخذ: يكون بالعذاب، وأنواعه، والأخذ: قد يكون أليماً شديداً.

والهلاك: قد يعني: الموت أولاً. ارجع إلىٰ سورة الأعراف، آية (٥).

﴿فَأَهْلَكْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾: الفاء: للتوكيد، بذنوبهم: الباء: للتعليل، أو السببية.

وهناك فرق بين قوله تعالىٰ: ﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ﴾ [الأنفال:٥٤]، وقوله تعالىٰ: ﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ [آل عمران:١١] إضافة التكذيب بآيات ربهم الخاصة يشير إلىٰ بشاعة وشدة كذبهم والاجتراء علىٰ الله تعالىٰ مقارنة بقوله بآياتنا (عامة).

﴿وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾: وبين كيف تم ذلك في سورة طه، آية (٧٨).

﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾، وأيضاً في سورة يونس، آية (٩٠-٩٢).

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾.

﴿وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَـٰلِمِينَ﴾: مشركو قريش، وآل فرعون، والّذين من قبلهم كانوا ظالمين: بالشّرك، والكفر، والمعاصي، وظالمين لأنفسهم بالصّد عن سبيل الله، وبإدخال أنفسهم في النّار، وبجحدهم نِعَمِ الله تعالىٰ.

[٥٥] ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾:

أسباب النّزول: قيل: نزلت هذه الآية في بني قريظة حين نقضوا عهد رسول الله ﷺ، وأعانوا مشركي قريش بالسّلاح في معركة بدر، كما رُوي عن ابن عباس رضي الله عنهما. والعبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب.

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ﴾: أصلها: أشر الدّواب، والدّواب جمع دابة، والدّابة: هي كلّ ما يدب على الأرض، مثل: الحيوان، والإنسان، والجن.

ومنهم من قال: الإنسان مستثنى من هذا التّعريف، ويقصد بالشّر الإصرار على الكفر، ونقض العهد، فهم لا يؤمنون، كما جاء في الآيتين (٥٥-٥٦).

﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾: العندية: عندية منزلة، أو درجة.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: ارجع إلى سورة البقرة، آية (٦)؛ لبيان معنى الّذين كفروا.

﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: فهم: الفاء: للتوكيد، هم: لزيادة التّوكيد.

﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾: لا: النّافية، يؤمنون: تدل على إصرارهم على الكفر، وعدم الإيمان بالله تعالى، وبآياته، ورسله، وكتبه، واليوم الآخر، والبعث، والحساب، والجزاء.

[٥٦] ﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾:

﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول.

﴿عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ﴾: أخذت منهم العهد على عدم التّدخل والانحياز، ونصرة الأعداء، أو إعانة مشركي قريش.

﴿مِنْهُمْ﴾: من الّذين كفروا؛ أمثال: بنو قريظة.

﴿ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب الزّمني، والتّراخي.

﴿يَنقُضُونَ﴾: أي: لا يوفون بالعهد، أو ينكثون العهد، وينقضون بصيغة المضارع: لتدل على استمرار نقضهم، وتجدُّده، ولم يتوقَّف. ارجع إلى سورة النحل آية (٩٢) لمزيد من البيان.

﴿فِي كُلِّ مَرَّةٍ﴾: للتوكيد.

﴿وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾:

﴿وَهُمْ﴾: ضمير فصل؛ يفيد التّوكيد.

﴿لَا يَتَّقُونَ﴾: لا: النّافية، يتقون: لا يطيعوا أوامر الله، ولا يتجنبوا محارمه، ولا يخافون عاقبة الغدر، والنّقض.

[٥٧] ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾:

﴿فَإِمَّا﴾: الفاء: عاطفة، إن: شرطية، وما: تفيد التّوكيد، وأصلها: للتفصيل.

﴿تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ﴾: تجدنَّهم، وتظفر بهم، وتقدر عليهم في الحرب.

﴿تَثْقَفَنَّهُمْ﴾: من الثقف: وثقف الرجل؛ أيْ: تمكن منه، وظفر به، وليس مجرَّد أن وجده حاول قتله، أو أسره، بل لا بُدَّ من أن يكون قادراً على فعل ذلك، وإلا يصبر زمناً، أو مكاناً آخر.

﴿فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ﴾: أرغمهم على ترك منازلهم بالقوة؛ فيصبحوا لا منزل لهم؛ إلا العراء، أو الخيام؛ فيؤدِّي ذلك إلى خوف الّذين من خلفهم من أعداء الدِّين الّذين يتربصون بكم؛ فيخافون أن يتشرَّدوا، كما حصل ذلك لغيرهم؛ مما يؤدِّي إلى الكف عن محاربتك، والكيد منك.

﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾: لعلَّ: للتعليل. يذكرون: لا ينسون ما حدث لإخوانهم، أو يتعظون. يذَّكرون: أصلها يتذكرون، ويذَّكرون: فيها مبالغة في التذكر، أو شدة تذكر تجعلهم يستيقظون من سباتهم، وتهتز مشاعرهم أو قلوبهم لما حدث، وأما يتذكرون تستعمل لما يحتاج إلى طول وقت للتذكر العقلي.

[٥٨] ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾:

﴿وَإِمَّا﴾: أصلها: (وإن ما) أدغمتا. إن: شرطية؛ تفيد الاحتمال، ما: للتوكيد، وإما أصلها للتفصيل.

﴿تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً﴾: أيْ: إذا ظهرت لك بوادر خيانةٍ، أو نقضٍ للعهد من الّذين بينك وبينهم عهد.

﴿فَانبِذْ إِلَيْهِمْ﴾: الفاء: للتوكيد، انبذ: من النّبذ: وهو إلقاء الشّيء وطرحه؛ استهانةً به، وإظهاراً بعدم الاهتمام به؛ أي: اطرح العهد الّذي بينك وبينهم؛ أي: تخلَّى عنه، أو تحلَّل منه لمجرد الخوف من الخيانة وتوقعها؛ لأن الانتظار لكي تحدث فيه خطر كبير للأمة ولمصالحها، وأخبرهم: بأنّك نقضت العهد معهم؛ لكي يعلم الكل ذلك.

﴿عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾: أيْ: هم وأنت على سواء في العلم، لا خداعٌ، ولا خيانةٌ.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ﴾: إنّ: للتوكيد، لا يحب: لا: النّافية.

﴿الْخَائِنِينَ﴾: جمع خائن، والخائن: هو الّذي تصدر منه الخيانة مرة واحدة، أو تصدر منه خيانة في أمر غير عظيم.

أمّا الخوان: فهو الّذي تصدر منه الخيانة مرات عديدة، أو مراراً، وتكراراً، وفي أمور عظيمة؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ [النساء:١٠٧]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ [الحج:٣٨].

[٥٩] ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴾:

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ﴾: الواو: استئنافية، لا: النّاهية، يحسبن: من حسب؛ أي: اعتقد، أو هو الظّن الرّاجح، وحِسبَ: تقوم على حساب حسي، وحساب قلبي قائم على النّظر، والتّجربة، والحساب.

﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ ﴾: سبقوا: من السبق؛ أي: الّذين فرُّوا من معركة بدر من المشركين خوفاً من القتل، أو الأسر: بأنّهم خلصوا، أو فلتوا من العذاب، والآية عامة؛ تعني: كلّ الكفار، وأصل السّبق: هو الفوت، والنّجاة من العذاب.

﴿ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴾: إنّ: حرف توكيد، لا: النّافية، يعجزون: أيْ: سوف ندركهم في الدّنيا، ونأخذهم بالعذاب، لا يحسبن الّذين كفروا أنا غير قادرين عليهم.

[٦٠] ﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾:

﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم ﴾: من الإعداد، والتّهيئة؛ لقتال العدو.

﴿ مَّا ٱسْتَطَعْتُم ﴾: قدر استطاعتكم؛ أيْ: كل ما تقدرون عليه، كل ما بوسعكم، ما: اسم موصول؛ بمعنى: الّذي.

﴿ مِّن قُوَّةٍ ﴾: من: استغراقية؛ تشمل كلّ قوة. قوة: جاءت نكرة؛ لتشمل أيَّ قوة مهما كانت من السّلاح، والصّواريخ، والطّائرات، والقنابل. والإعداد: يشمل الإعداد العسكري، والمالي، والمعنوي «النّفسي»؛ لبث روح الشّجاعة، والإقدام، والتّضحية.

﴿ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ ﴾: ومن: استغراقية، رباط الخيل: كان هذا في القديم،

والآن قد يتمثل رباط الخيل: بالطّائرات، والصّواريخ، والقذائف، وراجمات الصّواريخ، والأسلحة الخفيفة، والثقيلة، ولنعلم أن الخيل كانت رمز القوة في الزمن القديم.

﴿تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾: من الرهبة: وهي الخوف المقترن بالعلم من الّذي تخافه، وطول مدة الخوف المصحوب باضطراب نفسي، وقلق؛ أي: ترهبونهم حتّىٰ لا يقاتلوكم، أو يجرؤوا علىٰ محاربتكم. وتكرار ﴿عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ ولو قال عدو الله لكان يكفي أو عدوكم يكفي، ولكن قوله تعالىٰ: ﴿عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾: فيها حث علىٰ وجوب القتال والجهاد أكثر؛ لأن الجهاد في سبيل الله فيه مكاسب دنيوية وأخروية.

﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾: أي: إرهاب العدو الموالي لهؤلاء، أو إرهاب الآخرين من غيرهم «غير كفار قريش»، واليهود لا تعلمونهم الله يعلمهم، أمثال: الفرس، والرّوم، وغيرهم من الأمم.

﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ﴾: ما: شرطية، من شيء: من: استغراقية. شيء: مهما كان صغيراً، أو كبيراً: من مال، أو غير مال، طعام، أو مسكن.

﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: الجهاد، وغيره، وإعلاء كلمة الله تعالىٰ.

﴿يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾: أضعافاً كثيرة عشرة أضعاف أو (٧٠) ضعفاً، أو أكثر من ذلك.

﴿وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾: أنتم: تفيد التّوكيد، لا: النّافية، تظلمون: لا تنقصون حسنة، ولا تظلمون سيئة؛ أي: لا تظلمون من الثّواب، والأجر شيئاً، والشيء: هو أقل القليل.

[٦١] ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾:

﴿وَإِن﴾: شرطية تدل على احتمال الحدوث.

﴿جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ﴾: مالوا إلى الصّلح، والسّلم، وعدم القتال، ودعوك إليه بنية حسنة ورغبة صادقة فاجنح لها.

﴿فَٱجْنَحْ لَهَا﴾: أيْ: وافق على الصّلح، والسّلم أيضاً.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾: استعن بالله، وفوض أمرك إلى الله بعد الأخذ بالأسباب، والحيطة، والحذر.

﴿إِنَّهُۥ﴾: للتوكيد في كمال السّمع، والعلم.

﴿هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾: ارجع إلى الآية (٤٢).

❖ ❖ ❖

وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ
بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ
مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ
ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ
ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ
ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ
يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ
ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ
صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ
بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ
لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا
وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ
ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا
غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾

سورة الأنفال [الآيات ٦٢ - ٦٩]

[٦٢] ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾:

﴿وَإِن﴾: شرطية؛ تفيد الاحتمال، يريد بنو قريظة أن يخدعوك، أو غيرهم.

﴿يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ﴾: أن: حرف مصدري؛ يفيد التّعليل، والتّوكيد، يخدعوك حين يدعوك إلى السّلم، أو الصّلح، أو لتكف عنهم حتّى يستعدوا، أو يفاجئوك بغدر، أو مكر، والخداع: هو محاولة ستر وجه الصّواب عن الآخر؛ لكي يوقعه في مكروه.

﴿فَإِنَّ﴾: الفاء: جواب الشّرط. إن: للتوكيد.

﴿حَسۡبَكَ ٱللَّهُ﴾: الحسب: الكافي، وحسبك: أي: كافيك، أو يكفيك الله؛ أي: لن يستطيعوا خداعك.

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ﴾: هو ضمير فصل للتوكيد، أيّدك بنصره: يوم بدر، والباء: للإلصاق، أيّدك: من التّأييد، وهو التّمكين بالقوة، وبإنزال الملائكة، والمطر، والنّعاس، والرّعب... وغيرها من وسائل النصر، وأضاف سبحانه النصر إلى نفسه؛ لأنه نصر خارق للعادة بإنزال الملائكة والمطر وما حدث في بدر لينصر رسوله ﷺ خاصة، ولذلك قال أيدك بنصره.

﴿وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾: وليس معنى ذلك أنّهم حسبه، وإنما يؤيدونك، أو قوّاك بنصرتهم لك.

[٦٣] ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾:

﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ﴾: أيْ: أحدث بينهم الموافقة في الآراء، والتحابَّ، والتوادَّ، والصفاء، وأبعد عنهم التّباغض؛ بعد أن كانوا أعداءً تسيطر عليهم الحميَّة، والعصبية، مثال: ألَّف بين الأوس والخزرج (بين المهاجرين والأنصار)، ألَّف بينهم بالإسلام، وأخوَّة الدِّين، ويختلف التألف عن الجمع؛ فقد تجمع بين أفراد القوم، ويبقى بينهم عدم التحابِّ، والتوادِّ.

﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾: شرطية، أنفقت ما في الأرض: من مال، أو غيره، جميعاً توكيد.

﴿مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴾: ما: النّافية، ألفت بين قلوبهم: ولكن الله ألَّف، ولكن: للاستدراك، والتّوكيد.

﴿إِنَّهُ ﴾: للتوكيد.

﴿عَزِيزٌ ﴾: القوي الّذي لا يُقهر، ولا يُغلب، والممتنع؛ أيْ: لا يضرُّه أحدٌ من خلقه.

﴿حَكِيمٌ ﴾: في تدبير شؤون خلقه، وكونه، حكيم فهو الحاكم، وحكيم من الحكمة؛ فهو أحكم الحكماء، وأحكم الحاكمين. ارجع إلى الآية (١٢٩) من سورة البقرة؛ لمزيد من البيان.

[٦٤] ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ﴾: نداء للنبي ﷺ استعمل فيها يا النّداء؛ للبعد، والهاء: للتنبيه، وهو نداء تكريم، وتعظيم، ولم يقل: يا محمّد، أو: يا أيها الرّسول.

إذا نظرنا في القرآن الكريم: نجد أنّ الله سبحانه حين ينادي علىٰ رسله ناداهم بأسمائهم، أمثلة: ﴿يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآ﴾ [الصافات:١٠٤]، ﴿يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا﴾ [هود:٤٨]، ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [القصص:٣٠]، ﴿يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ﴾ [المائدة:١١٦].

أما حين نادىٰ الله ﷻ نبيَّه محمّداً؛ فقد ناداه بيا أيها النّبي، وذلك في (١٣) آيةً في القرآن، وناداه بيا أيها الرّسول مرتين في آيتين.

هذا في النّداء، أما في الإخبار، وهو غير النّداء؛ فقد ذكر اسمه محمّد في (٤) آيات، وورد اسم أحمد في آية واحدة، وسنرىٰ سبب ذلك حين بيان تلك الآيات، وهي:

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ [آل عمران:١٤٤].

﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ﴾ [الأحزاب:٤٠].

﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ﴾ [الفتح:٢٩].

﴿وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٖ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ﴾: [محمد:٢].

والنّداء بـ(يا أيها الرّسول): يأتي في سياق الدّعوة والتّبليغ والرّسالة: مثل قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة:٦٧].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ﴾ [المائدة:٤١].

وباقي النّداءات جاء بيا أيها النّبي، وهو نداء تشريف، وعام، ويأتي في سياق الأمور، والشّؤون الخاصّة به ﷺ، وعلىٰ كونه الأسوة، والقدوة للناس، أو في سياق الأحكام الخاصّة به ﷺ، وشؤون أسرته، وأزواجه، وأحكام الأسرة المسلمة بشكل عام.

﴿حَسْبُكَ ٱللَّهُ﴾: الحسب الكافي، وحسبك؛ أيْ: يكفيك أو كافيك.

﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: لا تعني- كما يظن بعض النّاس- : حسبك الله، وحسبك من اتبعك من المؤمنين، وإنما تفسيرها حسبك الله وحده، ومن اتبعك من المؤمنين حسبهم الله، أو : يا أيها النّبي حسبك الله، وأيها المؤمنون حسبكم الله؛ «أي: يكفيكم الله وحده»، أو : يا أيها النّبي حسبك الله، وحسب من اتبعك من المؤمنين أيضاً هو الله، والواو في كلمة ومن تبعك؛ تعني: مع ، أيْ : حسبك الله مع من تبعك من المؤمنين، الكلّ حسبكم الله ﷻ، في كلّ ما تدعونه، أو تحتاجونه في أمور دنياكم، وآخرتكم من النّصر، والرّزق، والتّوكل.

[٦٥] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾: نداء إلىٰ النّبي. ارجع إلىٰ الآية السّابقة؛ للبيان.

﴿حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: التّحريض: هو الحث، والتّشجيع علىٰ فعل الشّيء، ويكون ذلك بإلقاء الخُطب، أو تبيان الحكمة، والموعظة، والتّزيين، وبكونك الأسوة الحسنة، والقدوة الصّالحة.

﴿عَلَى ٱلْقِتَالِ﴾: أي: حثهم علىٰ الجهاد، والقتال في سبيل الله.

﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ﴾: إن: شرطية تفيد الاحتمال، والقلّة.

﴿يَكُن﴾: يوجد.

﴿مِّنكُمْ﴾: خاصَّةً؛ أيْ: من صحابة رسول الله ﷺ، أو منكم من أتباع رسول الله، وأنصاره من المؤمنين.

﴿عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ﴾: أيْ: أصبح الصّبر عندهم صفة ثابتة.

﴿يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ﴾: أيْ: كلّ مؤمن إذا صبر، وتوكل على الله قادر على أن يقاوم، ويجاهد عشرة رجال من الأعداء.

﴿وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ﴾: أي: مئة صابرة أيضاً.

﴿يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: أي: الرّجل يغلب (١٠) رجال من الّذين كفروا، فالمعيار الإيماني، أو القوة الإيمانية الواحد يساوي أو يعادل عشرة.

﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾: الباء: للإلصاق والتوكيد؛ ما هو الفرق بين بأنهم قوم لا يفقهون، والقول: لا يفقهون؟ إضافة كلمة قوم تدل على عدم الفقه، والفهم عندهم منذ القديم متمكن فيهم؛ أي: أسوء من قوله: بأنهم لا يفقهون؛ لا يفقهون: لا: النّافية، يفقهون: الفقه لغةً: الفهم، واصطلاحاً: هو معرفة الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية مثل القرآن والسنة والإجماع والقياس وغيرها؛ أي: لا يفهمون حكمة الجهاد في سبيل الله، وإعلاء كلمته، وما هو جزاء الّذين يحاربون الله، ورسوله، والّذين يسعون في الأرض فساداً، فالمؤمن يقاتل بشجاعة، ولا يخاف الشّهادة في سبيل الله، وأما الكافر: فهو يقاتل للحفاظ على حياته، ودنياه، ولا يؤمن بالآخرة، وما فيها.

[٦٦] ﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾:

﴿ٱلْـَٰٔنَ﴾: ظرف زماني، الآن وقد كثر عدد المسلمين، والمجاهدين في

سبيل الله، وتغيَّرت وسائل القتال، والحرب من السّيف إلىٰ الصّاروخ، ومن الرّكوب علىٰ الجياد إلىٰ الطّائرات... وغيرها.

﴿خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ﴾: الحكم السابق، أو المعادلة الإيمانية السّابقة الواحد يعادل عشرة إلىٰ معادلة جديدة الواحد يعادل اثنين.

﴿وَعَلِمَ أَنَّ﴾: تدل علىٰ التّوكيد؛ أيْ: أنّه علم علماً مؤكداً أنّ فيكم ضعفاً.

﴿فِيكُمْ ضَعْفًا﴾: لم يُبيِّن ما هو هذا الضّعف؛ فقد يكون في الاستقامة علىٰ الدِّين، وقد يكون في العدَّة، والعتاد، والقوة العسكرية، ويشمل كلَّ ضعف؛ لأنّه نكرة، و(ضعفاً) قد تكون جمع ضعيف.

فمع مرور الزّمن تكثر الفتن، ويضعف الإيمان ويُقبل النّاس علىٰ الدّنيا، ومع مرور الزّمن تتغير وسائل الحرب، فتظهر الصّواريخ العابرة للقارات، والطّائرات، ووسائل القتل، والدّمار.

﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: فكلّ نصر، أو هزيمة يكون بإرادة الله.

﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾: يمدهم بقوته، وبنصره، وبالصّبر، والشّهادة.

ويجب أن لا نظنَّ أنّ الآية الثّانية (٦٦) نسخت الآية الأولىٰ (٦٥): فكلا الحكمين قائمين، فالحكم الأوّل: هو الحد الأعلىٰ، وتمثل المسلمين الأوائل، والحكم الثّاني: هو الحد الأدنىٰ، وتمثل باقي المسلمين والمؤمنين.

[٦٧] ﴿مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾:

أسباب النّزول: نزلت هذه الآية في أسرىٰ بدر.

﴿مَا كَانَ﴾: ما: النّافية. كان: تعني: «ينبغي»؛ أي: ما كان ينبغي أو يصح.

﴿لِنَبِيٍّ﴾: اللام: لام الاختصاص، والتّوكيد، نبي: نكرة، ومعنىٰ ذلك: ما صح لأيِّ نبيٍّ من الأنبياء بما فيهم أنت يا محمّد ﷺ: أن يكون له أسرىٰ حتّىٰ يثخن في الأرض، وأما لو قال: يا أيها النّبي، أو ما كان للنبي؛ لدلَّ ذلك علىٰ المعرفة، ولكانت الآية خاصَّةً به ﷺ.

﴿أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ﴾: أن: حرف مصدري؛ يفيد التّعليل، والتّوكيد.

﴿أَسۡرَىٰ﴾: جمع أسير: وهو الّذي يقبض عليه من العدو، ويشد عليه بإسار: وهو القيد من الجلد، أو الحديد، هناك فرق بين أسرىٰ، أو أُسارىٰ: ﴿وَإِنيَأۡتُوكُمۡ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمۡ﴾ [البقرة:٨٥]. ارجع إلىٰ الآية (٨٥) من سورة البقرة؛ لمزيد من البيان.

أسرىٰ: جميع أسير، وأُسارىٰ: جمع أسرىٰ، فأسارىٰ: جمع الجمع. وقيل: الأسرىٰ: الذين في اليد، وأسارىٰ: الذين هم في القيود.

﴿حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: حتّىٰ: حرف غاية، وتشير إلىٰ نهاية الغاية، وهي يثخن في الأرض؛ أي: تصبح له شوكة، وقوة عظيمة عندها يصح أن يأخذ أسرىٰ بدلاً من قتلهم؛ أيْ: كان الأصح، والصّواب هو قتل المشركين الكفار يوم بدراً بدلاً من أسر السّبعين رجلاً، ثخن الشّيء: غلَظ وصلب، فهو ثخين؛ كقوله تعالىٰ: ﴿كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ [الفتح:٢٩].

﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا﴾: تريدون المال، أو متاع الدّنيا الزّائل الفاني، ويعني هنا: الفداء فداء أسرىٰ بدر بالمال.

﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾: والله يريد لكم الجنة، والنّعيم المقيم، فلا تبدلوا

الأعلى بالأدنى، ولم يقل تعالى: والله يريد عرض الآخرة؛ لأن العرض يزول والآخرة متاعها خالد لا يزول.

﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾: قوي، عزيز، لا يُغلب، ولا يُقهر، ممتنع لا يضره أحد من خلقه، حكيم في تدبير شؤون خلقه، وكونه، وحكيم فيما يشرعه لكم؛ لأنّه هو الحاكم، وهو أحكم الحكماء، وأحكم الحاكمين. ارجع إلى الآية (١٢٩) من سورة البقرة؛ لمزيد من البيان.

[٦٨] ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾:

﴿لَّوْلَا﴾: حرف امتناع لوجود.

﴿كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ﴾: حكم منه تعالى سبق في اللوح المحفوظ، وهو ألّا يعذِّب أحداً قبل أن يُبيِّن لهم أمراً، أو نهياً ما يفعلون.

﴿لَمَسَّكُمْ﴾: اللام: لام الاختصاص (التّعليل)، والتّوكيد.

﴿فِيمَآ أَخَذْتُمْ﴾: أيْ: من الفدية؛ أي: المال يوم بدر؛ لإطلاق سراح الأسرى.

﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: وهو أشد أنواع العذاب على الإطلاق، والّذي يتضمن الألم الشّديد، والمهين؛ فهذا الكتاب يعني: أنّ الله غفر لأهل بدر ذنوبَهم، وأخطاءَهم.

[٦٩] ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾:

بعد نزول الآية السّابقة: امتنع الصّحابة عما أخذوه من الفدية، أو المال، والغنائم، وأصبحوا في حيرة من أمرهم؛ فنزلت هذه الآية.

﴿فَكُلُوا۟﴾: الفاء: للترتيب، والتّعقيب، والمباشرة، والتّوكيد.

﴿مِمَّا غَنِمْتُمْ﴾: من الفدية، والغنائم، مما: من: بعضية، من بعض ما غنمتم، ما: اسم موصول؛ بمعنىٰ: الّذي.

﴿حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾: الحلال: ما نصَّ الشـارع علىٰ حلِّه، والذي لا يتعلَّق به حقُّ الغير، والطيب الطاهر المستحسن غير النجس، أو الخبيث، وسواء أكان طيباً في الواقع، أم لا.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾: بطاعة أوامره، وطاعة رسوله، وتجنُّب محارمه.

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: لما أخطأتم من الأسـر، وأخذ الفدية، غفور رحيم: صيغة مبالغة.

﴿غَفُورٌ﴾: كثير المغفرة، يغفر الذنوب جميعاً؛ إلا الشرك، والكفر، ويغفر الذنوب مهما كثرت، وعظمت.

﴿رَّحِيمٌ﴾: بكم وبعباده المؤمنين، ومن آثار رحمته: الإمهال، فلا يعجل لهم العقوبة، أو العذاب؛ لعلَّهم يتوبون.

❖ ❖ ❖

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ
فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ
وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٧٠﴾ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدۡ خَانُواْ
ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ فَأَمۡكَنَ مِنۡهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ
ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ
وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ
بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي
ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ
وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٧٤﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ
بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ
بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴿٧٥﴾

سورة الأنفال [الآيات ٧٠ - ٧٥]

[٧٠] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾:

أسباب النّزول: كما روىٰ الطبراني، والكلبي، قيل: نزلت هذه الآية في العباس بن عبد المطلب ﷺ الّذي خرج إلىٰ بدر قبل إسلامه مع مشركي مكة، وكان معه كمية من الذّهب الّتي كان ينوي إنفاقها علىٰ إطعام العرب أيام بدر، وبعد أن أُسر دفعها فدية لنفسه، وأخذها رسول الله ﷺ، وبعد أن أسلم، وحسن إسلامه طلب من الرسول أن يرد عليه ما أُخذ منه من فدية؛ فنزلت هذه الآية.

﴿قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن﴾: شرطية، وتفيد الاحتمال، أو الندرة.

﴿يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا﴾: أيْ: فيه الدخول في الإسلام والإيمان والإخلاص.

﴿يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ﴾: من الفدية؛ أيْ: يخلفكم خيراً، مما أُخذ منكم أضعافاً مضاعفة في الدّنيا والآخرة.

﴿وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ﴾: ذنوبكم وسيئاتكم.

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٦٩) من نفس السورة.

[٧١] ﴿وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدۡ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ فَأَمۡكَنَ مِنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾:

قيل: هذه الآية نزلت في أسرىٰ بدر حين طلب بعض الأسرىٰ من

رسول الله ﷺ أن يسمح لهم بالذّهاب إلىٰ مكة؛ لكي يحضروا له الفداء، وخشي رسول الله ﷺ أن تكون هذه خدعةً، واحتيالاً؛ لكي يطلق سراحهم حتّىٰ يحضروا الفدية، أم هذه حيلة وخيانة للنجاة، أو يراد بهم الأسرىٰ الذين أخذ منهم الفداء وأظهروا إسلامهم إذا عادوا إلىٰ مكة خانوك وعادوا إلىٰ الكفر.

﴿ وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ ﴾: وإن: شرطية؛ تفيد الاحتمال، أو الشّك، وقيل: معنىٰ إن يريدوا خيانتك: بالكفر بعد الإسلام؛ أي: الردّة بعد أن نطقوا بالشّهادة، وعادوا إلىٰ ديارهم، وعادوا إلىٰ الكفر، فلا تبالِ بهم.

﴿فَقَدْ﴾: الفاء: رابطة لجواب الشّرط، قد: تحقيق، وتوكيد.

﴿ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ﴾: أيْ: إن عادوا إلىٰ الخيانة فسيمكنك الله منهم: بقتلهم، أو أسرهم، كما فعل ببدر، خانوا الله: بكفرهم، ونقضهم عهدهم، وعدم إيمانهم.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾: عليم: بأيِّ خيانة يمكن أن يقوموا بها، أو عليم بنواياهم، وما تخفي صدروهم، وعليم: كثير العلم؛ صيغة مبالغة لعالم.

﴿حَكِيمٌ﴾: في تدبيره لخلقه، وما يأمرهم، ويفرض عليهم ويجازيهم عليه.

وحكيم مشتقة من الحكم؛ فهو أحكم الحاكمين، أو مشتقة من الحكمة؛ فهو أحكم الحكماء في تشريعه، وما يفرض من الأحكام.

[٧٢] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن

شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾:

﴿ إِنَّ ﴾: للتوكيد.

هناك ملاحظة يجب الإشارة إليها، وهي إذا جاءت إنَّ في مطلع آية الجهاد، كما في هذه الآية نرىٰ تأخير جملة في سبيل الله إلىٰ ما بعد ذكر أموالهم وأنفسهم، وإذا لم تجئ إن، أو تذكر في مطلع آية الجهاد؛ فإنّ ذلك يصاحبه تقديم كلمة في سبيل الله علىٰ الأموال والأنفس، وهذه الملاحظة قد تساعد حافظ القرآن.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾: آمنوا بالله، ورسوله، وما أنزل الله، وكتبه، وملائكته، واليوم الآخر.

﴿وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾: من دار الحرب، والكفر إلىٰ دار الإسلام إلىٰ المدينة، وإلىٰ الحبشة، أو غيرها، وهم المهاجرون، وتركوا أموالهم، وديارهم استجابة لله ورسوله.

﴿وَٱلَّذِينَ ﴾: اسم موصول.

﴿ءَاوَوا۟ ﴾: أسكنوا المهاجرين ديارهم.

﴿وَّنَصَرُوٓا۟ ﴾: المهاجرين علىٰ أعدائهم، آووا ونصروا: هم الأنصار.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾: أي: المهاجرين، والأنصار بعضهم أولياء بعض في الموالاة؛ أي: المودة، والمحبة، والمعونة، والنّصرة، وتبادل الأسرار، والنّصرة: ينصر بعضهم بعضاً.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ ﴾:

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟﴾: خوفاً على أموالهم، وديارهم، وبقوا في مكة، لا ولاية لهم؛ أيْ: لا تولوهم حتّى يهاجروا.

﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية «نهاية الغاية»؛ أي: متى هاجروا؛ ارجعوا إلى ولايتهم.

﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾:

﴿وَإِنِ﴾: شرطية؛ تفيد الاحتمال، والنّدرة.

﴿ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾: أيْ: طلبوا منكم أن تنصروهم في الدِّين على المشركين؛ فعليكم واجب نصرتهم، ولكن بشرط:

﴿إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾: عهد مؤكد. إلا: أداة استثناء؛ أي: لا تنصروا الّذين طلبوا منكم النّصرة في الدِّين على هؤلاء الّذين عاهدتم، ولا يجوز نقض العهد معهم.

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: بصير بظواهر الأمور وبواطنها، بصير بما تقولون، وتفعلون.

[٧٣] ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾:

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾: ويجب الانتباه إلى أمر مهم: هو أن موالاة المؤمنين بعضهم لبعض أمر تشريعي شرعه الله تعالى، وكذلك عدم موالاة الكفار؛ بينما موالاة الكافرين بعضهم لبعض أمر كوني فرضته الحال، والحاجة، والمصالح الاجتماعية، وليس أمراً تشريعياً؛ أيْ: هو أمر وضعيٌّ من وضع البشر.

﴿إِلَّا﴾: إلا: أصلها: إن: الشّرطية؛ تفيد الاحتمال، لا: النّافية.

﴿تَفْعَلُوهُ﴾: ما شرع لكم من موالاة المسلمين ونصرتهم؛ أيْ: ولاية بعضكم لبعض.

﴿تَكُن فِتْنَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: ابتلاء في الأرض، وشرٌّ، والابتلاء أشدُّ من الفتنة.

﴿وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾: أي: انتشار للفساد في الأرض، وانتشار الشّرك والكفر، والقتل، والتشرد، وانتصار للباطل على الحق، وفساد في الدِّين، وإهلاك للحرث، والنسل، وسفك الدّماء.

[٧٤] ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾:

هذه الآية ليست تكراراً للآية السّابقة (٧٢)، فهذه الآية تتحدث عن ثواب، ومنزلة الّذين آمنوا وهاجروا، وجاهدوا في سبيل الله «المهاجرين»، والّذين آووا ونصروا «الأنصار» إذا أطاعوا أمر الله، ووالَى بعضهم بعضاً، وطبَّقوا شرع الله.

﴿وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: ولم يذكر بالمال، أو بالنفس ليكون شاملاً لكل من يريد أن يجاهد في سبيل الله تعالى بأي شيء كان.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة، واللام: للبعد، يشير إلى علو المنزلة.

﴿هُمُ﴾: تفيد التّوكيد.

﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾: أيْ: حقاً في كمال الإيمان؛ فهم في طليعة المؤمنين مقارنة بالمؤمنين الذين لم يهاجروا.

﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾: لهم خاصَّةً، مغفرة: تُمحَىٰ عنهم سيئاتهم وذنوبهم.

﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾: لا ينقطع في الجنة، رزق مبارك من دون تعب، ولا جهد، ولا مشقة.

[٧٥] ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمْ ۚ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ﴾:

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعْدُ﴾: انظر كيف لم يحدد (من بعد) فقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعْدُ﴾، ولم يقل: من بعد ذلك؛ لتدل علىٰ الإطلاق والعموم، وتشمل كل مؤمن آمن من بعد، ومنهم من فسر من بعد صلح الحديبية، وتأخرت هجرتهم عن الهجرة الأولىٰ، وهؤلاء الّذين آمنوا قيل هم الّذين وصفهم الله تعالىٰ في سورة الحشر، الآية (١٠): ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾.

﴿وَهَاجَرُواْ﴾: إلىٰ المدينة، والسّؤال: هل كانت هناك هجرة أخرىٰ؟

الجواب: لا، وقيل: هجرة إلىٰ الله في سبيل مرضاة الله؛ للجهاد في سبيله، وإعلاء كلمته، والانضمام إلىٰ صفوف المؤمنين.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمْ﴾: الفاء: للتأكيد، أولئك: اسم إشارة؛ يفيد المدح، منكم: أيها المهاجرون والأنصار، أو أيها المؤمنون.

﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ﴾: أي: ذوو الأرحام الّذين تربطهم رابطة الرحم؛ أي: النّسب والدّم.

﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾: في حقِّ الميراث؛ أيْ: في الإرث من التّوارث

بالهجـــرة، أو الموالاة بالإيمان. ارجع إلى ســـورة الأحزاب، آية (٦)؛ لمزيد من البيان.

﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾: في اللوح المحفوظ، وفي القرآن، أو في حكم الله.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾: إنّ: للتوكيد.

﴿بِكُلِّ﴾: الباء: للإلصاق، والتّوكيد.

﴿شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾: بكل ما شرعه لكم من الأحكام في علم المواريث، وعليم بما تفعلونه في قســـمة الميراث، وما تحلُّونه، وما تحرِّمونه في التّوارث. وعليم بالهجرة، أو الجهاد، والموالاة، وكلِّ ما تقومون به من قولٍ أو فعلٍ.

❖ ❖ ❖

سُورَةُ التَّوْبَةِ

ترتيبها ٩ | آياتها ١٢٩

نصف الحزب ١٩

بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾
فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى
ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢﴾ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ
إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ
وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟
أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ
﴿٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ
شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ
مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ
فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ
وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ
وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾
وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ
كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾

سورة التّوبة [الآيات ١ - ٦]

ترتيبها في القرآن (٩)، وترتيبها في النزول (١١٣).

تسميتها: لقوله تعالى: ﴿فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾، ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾، ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾، ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا۟﴾، ﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾.

وسورة براءة؛ لقوله تعالى: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾.

وعن ابن عباس قال: إنها الفاضحة.

وهي السّورة الوحيدة في القرآن الّتي لم تبدأ بـ: بسم الله الرّحمن الرّحيم، وقيل في أسباب عدم ذكر التسمية، وهو أمر توقيفي:

١ - أنّ بسم الله الرّحمن الرّحيم؛ تعني: الأمان، والرّحمة، وبراءة تنافي الرّحمة، والأمان، كما قال ابن عباس، وجاء في تفسير الرازي.

٢ - أنّ سورة الأنفال، وسورة التّوبة واحدة؛ لأن سورة التوبة متممة لسورة الأنفال؛ فسورة الأنفال ذكر فيها العهود، وبراءة نقضها.

نزلت سورة التّوبة في السنة التاسعة من الهجرة، وهي السّنة الّتي حدثت فيها غزوة تبوك، وهي آخر غزوات الرّسول ﷺ.

ترتيب نزولها هي السّورة (١١٣) في ترتيب نزول السّور، وسور القرآن (١١٤)، نزلت قبل سورة النّصر: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ الّتي هي آخر سورة نزلت، كما قال ابن عبّاس في «صحيح مسلم».

[١] ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾:

﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾: أيْ: هذه براءة من الله ورسوله.

أو ﴿بَرَآءَةٌ﴾: بالتّنوين: مصدر لفعل برأ يبرأ، والتّنوين، أو المجيء، أو البدء بالمصدر: للتفخيم.

﴿مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾: لزيادة التّفخيم، والتّهويل؛ من الله ورسوله، ولم يقل: من الله، ومن رسوله؛ لأنّ براءة الله، وبراءة رسوله هي واحدة، نفس البراءة.

و﴿بَرَآءَةٌ﴾ من برئ؛ أيْ: سَلِم، أو تخلىٰ، أو قطع من العيب، أو الدّين، أو الحماية، أو العهد، أو لم يبق ثمة علاقة، أو صلة، أو عهد مع المشركين؛ أيْ: هذا أمر من الله ورسوله بقطع، ونبذ عهود الموالاة للمشركين؛ الّذين عاهدتم منهم.

والخطاب موجَّه إلىٰ رسول الله ﷺ، وأصحابه بالتّخلي عن كلّ العهود المبرمة مع المشركين؛ مثل: قبائل خزاعة، وبني مدلج، وبني خزيمة، وغيرهم.

وسبب هذه البراءة؛ لأنّ المشركين لم يوفوا بما عاهدوا عليه المؤمنين، فجاء الأمر الرّباني بنقض العهد معهم.

و﴿عَٰهَدتُّم﴾: من العهد، والمعاهدة: عقد العهد بين طرفين التزم كلٌّ منهما بقبول شروط العقد، وكانت العهود توثق بوضع كلّ طرف يده اليمنىٰ بيمين الآخر، ولذلك سمِّيت أيماناً. ارجع إلىٰ الآية (٢٧) من سورة البقرة؛ للبيان.

[٢] ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِي ٱلْكَٰفِرِينَ﴾:

﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: فسيحوا: الفاء: للترتيب، والتّعقيب، سيحوا في الأرض أربعة أشهر: أيْ: سيروا في الأرض بحرية آمنين أربعة أشهر دون قتال؛ فمن كان له عهد أقل من أربعة أشهر؛ فأجله إلىٰ مدته، ومن كان له عهد أكثر من أربعة أشهر فأجله أربعة أشهر، ولا أمان، ولا حرية بعدها.

﴿فَسِيحُواْ﴾: من السّياحة، والسّياحة في الأصل: جريان الماء، كما تمليه الطّبيعة، ثم استعملت في السّير، وسبب هذه الأربعة أشهر حتّىٰ لا يُنسب إلىٰ المسلمين الغدر، أو نبذ العهد دون إعلان، أو إنذار.

﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾: تبدأ من قراءة علي لهم هذا الإنذار في منىٰ من السّنة التّاسعة للهجرة، وكان معه أبو بكر.

﴿وَاعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي ٱللَّهِ﴾: أنكم: تفيد التّوكيد. غير معجزي الله: بالهرب، أو التّحصُّن، أو الخفاء بعد هذه المهلة؛ أيْ: لا تفوتونه.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِي ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: وأنّ: للتوكيد، مخزي: من الخزي: وهو الذّل، والفضيحة في الدّنيا، والآخرة، سواء أكان ذلك بالقتل، والتّشريد، أم العذاب بالبأساء، والضّراء في الدّنيا، وفي الآخرة بعذاب النّار.

[٣] ﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾:

﴿وَأَذَٰنٌ﴾: أيْ: إعلام، أو بلاغ من الله، ورسوله: وهو ما قرأه علي عليهم في منىٰ، وأذان: مصدر أذن.

﴿إِلَى ٱلنَّاسِ﴾: جميعاً من عاهد، أو لم يعاهد، ومن نكث، أو لم ينكث بعهده.

﴿يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ﴾: وسمّي الحجَّ الأكبرَ؛ لأنّه الحج الوحيد الّذي اجتمع فيه الكفار، والمؤمنون معاً، وبعدها لم يسمح لهم بالاقتراب من المسجد الحرام، وقد يكون لتسمية الحج الأكبر أسباب أخرىٰ؛ منها: كون يوم عرفة كان يوم الجمعة، أو الحج الأكبر؛ لأنّه كان حج قران (عمرة، وحج معاً).

﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ﴾: أنّ: للتوكيد، الله بريء من المشركين ورسوله: هذا هو نص الأذان، وهنا يجب الانتباه إلى أمرين:

الأوّل: قولُهُ: ورسولُهُ: بالضّم، ولو جاءت بالفتح: ورسولَهُ: لكان ذلك يعني: أنّ الله بريء من المشركين، وبريء من رسوله، وهذا خطأ فاحش.

والأمر الثّاني: لو عطف بالرّفع، وقال: أنّ الله بريء من المشركين، ورسولَه: لكانت براءة الرّسول بمنزلة براءة الله، وهذا غير صحيح؛ لأنّ براءة الرّسول ﷺ تابعة لبراءة الله، ولذلك عطف بالرّفع على منصوب؛ ليفيد كلا المعنيين.

فإن: الفاء: للتوكيد، إنّ: شرطية تفيد الاحتمال.

﴿تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: رغم الإعلام بالبراءة، وإمهاله أربعة أشهر لا يغلق الله سبحانه باب رحمته أبداً بالتّوبة؛ فإن تبتم من الكفر، والغدر، ونقض العهود؛ فهو أفضل لكم وخيرٌ.

﴿وَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾: وإن: شرطية؛ تفيد النّدرة، والقلة.

﴿تَوَلَّيْتُمْ﴾: عن التّوبة، أو الوفاء، بالعهود، وامتثال أوامر الله ورسوله.

﴿فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ﴾: اعلموا علم اليقين.

﴿غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ﴾: فائتين (ناجين) من عقابه، وعذابه.

﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: البشارة عادة هي الإعلام بخبر سار لأول مرة، ولكن استعملت هنا: للتهكم، والتقريع بهم، بدلاً من القول، وأنذر؛ قال وبشر بعذاب أليم، لا يستطيع أحد على تحمله.

[٤] ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُواْ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾:

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء؛ أيْ: يستثنى من هذا الإنذار، والإعلام الأربعة أشهر.

﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا﴾: أي: الّذين لم ينقضوا عهدهم معكم، أو لم ينقضوا من بنود العهد شيئاً.

﴿شَيْـًٔا﴾: نكرة؛ أيْ: لم يقتلوا منكم أحداً، ولم ينقصوكم من الممتلكات شيئاً؛ بالاستيلاء على أموالكم، أو التّعرض لتجارتكم، ولم تبدر منهم أيُّ خيانة أمثال بني بكر، وبني ضمرة.

﴿وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا﴾: أيْ: لم يُعينوا عليكم أحداً، يظاهروا: اشتقت من رفع الحمل على الظّهر، ولكي ترفعه على الظّهر تحتاج إلى من يساعد على رفعه.

﴿فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ﴾: أيْ: أتموا العهد إلى مدته مهما طالت، والوفاء بالعهد من فرائض الإسلام، والفاء: للمباشرة، والتّوكيد.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾: جاء بكلمة المتقين؛ لأنّ من يوفي بالعهد هو من المتقين، والمتقين الّذين امتثلوا لأوامر الله تعالى، وقالوا: سمعنا، وأطعنا، وتجنّبوا نواهيه.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾: للتوكيد، يحب المتقين، وجاءت كجملة اسمية؛ لتدل على ثبوت صفة الوفاء بالعهد، والتّقوى.

[٥] ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾:

﴿فَإِذَا﴾: الفاء: عاطفة، إذا: شرطية؛ تفيد حتمية الحدوث.

﴿ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ﴾: انسلخ: انقضت وانتهت، وخرجت الأشهر الحرم؛ أيْ: أشهر الأمان الأربعة الّتي أبيح فيها للمشركين الّذين نقضوا عهدهم أن يسيحوا في الأرض بأمان، وشبه انقضاء الأشهر الأربعة بما يقوم به الجزار بسلخ

الجلد عن الحيوان المذبوح، وقال تعالىٰ: انسلخ، ولم يقل: انسلخت؛ ذكر الفعل، والتّذكير يدل علىٰ جمع القلّة.

﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾: فاقتلوا المشركين الّذين نكثوا عهدهم.

﴿حَيْثُ﴾: ظرف مكان، وجدتموهم؛ أيْ: في أيِّ مكان في الحلِّ، والحرم.

﴿وَخُذُوهُمْ﴾: أيْ: أسرىٰ إذا تعذَّر قتلهم.

﴿وَٱحْصُرُوهُمْ﴾: أي: احبسوهم، والحصر؛ يعني: قيِّدوا حركاتهم، (ويكون بالسجن).

﴿وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾: أي: ارصدوا حركاتهم؛ أيْ: راقبوها حتّىٰ تأمنوا مكرهم، وأفعالهم، وأقوالهم. كلّ: تفيد التّوكيد؛ أيْ: لا يغيبوا عن أعينكم، والمرصد: هو الموضع الّذي يرَاقب فيه العدو.

﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: ثم بعد الأخذ، والحصر، والرّصد لا زال باب التّوبة مفتوح لهم؛ لأن الله سبحانه غفور رحيم بعباده.

﴿فَإِن تَابُوا۟﴾: الفاء: للتعقيب، تابوا من الكفر، ومعاداة المسلمين، ودخلوا الإسلام، وأعلنوا الشّهادة.

﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: أدوا الصّلاة الّتي هي عماد الدّين، بجميع أركانها، وشروطها، وأوقاتها، والمحافظة عليها، ودوامها.

﴿وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾: الّتي تحقق التّكافل الاجتماعي. ارجع إلىٰ الآية (٤٣) من سورة البقرة؛ للبيان.

﴿فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾: أطلقوا سراحهم، واتركوهم وشأنهم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: إنّ: تفيد التّوكيد بغفور رحيم.

﴿غَفُورٌ﴾: صيغة مبالغة كثير المغفرة، وتعني: ستر الذنب، وترك العقاب، يغفر الذنوب مهما كثرت، وعظمت؛ إلا الشرك، والكفر.

﴿رَّحِيمٌ﴾: صيغة مبالغة من الرحمة؛ رحيم بعباده المؤمنين، لا يعجل لهم العقاب؛ لعلهم يتوبون.

[٦] ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾:

﴿وَإِنْ﴾: الواو: استئنافية، إن: شرطية؛ تفيد قلة الحدوث، أو النّدرة.

﴿ٱسْتَجَارَكَ﴾: طلب الحماية من أجاره تكفل بحمايته، استجارك: الألف، والسين، والتّاء؛ تعني: الطّلب، طلب جوارك؛ أيْ: حمايتك، واستأمنك من القتل فأجره.

﴿فَأَجِرْهُ﴾: أيْ: أزل عنه الجور، وأمنه، واحميه.

﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾: حتّى: حرف غاية، ويفيد منتهى الغاية؛ حتّى يسمع كلام الله؛ أي: القرآن، ويطلع عليه، ويفكر فيه، ويتدبره، أو حتّى يتوب، أو يعلن الشهادة: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

﴿ثُمَّ﴾: للترتيب، والتّراخي، أبلغه مأمنه، وبما أنه طلب منك الحماية؛ فخذه إلى مكان آمن، أو مسكنه، أو دار قومه، أو أين ما يطلب منك.

﴿ذَٰلِكَ﴾: التّكفل بحمايته، وأمنه.

﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾: الباء: للتعليل، وللتوكيد، أو للسببية؛ بسبب أنّهم لا يعلمون، قوم جهلة لا يعلمون ما الإسلام، ولا ما أنزل الله على رسوله ﷺ.

❖❖❖

كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ
رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا
ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ
﴿٧﴾ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا
وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ
فَٰسِقُونَ ﴿٨﴾ ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا۟
عَن سَبِيلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ
فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾
فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ
فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَإِن نَّكَثُوٓا۟
أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓا۟
أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ
﴿١٢﴾ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟
بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ
أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾

سورة التّوبة [الآيات ٧ - ١٣]

[٧] ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا الَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۖ فَمَا اسْتَقَٰمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾:

﴿كَيْفَ﴾: للاستفهام، والاستبعاد، والتّعجب، استبعاد ثبات المشركين على أيِّ عهد يصدر عنهم، والعهد: تعريفه كما بينا في الآية (١) من سورة التّوبة، وآية (٢٧) من سورة البقرة.

﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ﴾: كيف يكون؟ الجواب: لا يكون، أو لا عهد لهم.

وعهد جاءت بصيغة النّكرة للتعظيم؛ أيْ: مهما كان نوعه صغيراً، أو كبيراً، أو مع أيِّ طرف.

﴿لِلْمُشْرِكِينَ﴾: اللام: لام الاختصاص.

﴿عِندَ اللَّهِ﴾: ظرف زمان، ومكان؛ أيْ: لا عهد لهم عند الله، ولا عند رسوله، وتكرار عند: للتوكيد، وكلاً على حدة؛ أيْ: لا عهد لهم عند الله، ولا عند رسوله، ولا كلاهما معاً.

﴿إِلَّا الَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾: إلا: أداة استثناء، عاهدتم عند المسجد الحرام. قيل: هم بنو بكر، وبنو ضمرة، وهم المستثنون من قبل في الآية (٤) من سورة التّوبة.

﴿عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾: أيْ: قرب المسجد الحرام.

﴿فَمَا اسْتَقَٰمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾: ما: شرطية، أو مصدرية.

﴿ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ﴾: أيْ: حافظوا على عهدهم، ولم ينقضوه.

﴿فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ﴾: أيْ: وأنتم حافظوا على عهدكم إليهم، ولا تنقضوه، والفاء: للمباشرة والتّوكيد.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾: إنّ: للتوكيد.

﴿يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾: الّذين يوفون بعهدهم إذا عاهدوا؛ الّذين أطاعوا أومر الله، وتجنبوا نواهيه، وتكرار إنّ الله يحب المتقين: يؤكد حبه للمتقين الّذين من بين صفاتهم الثّابتة: الوفاء بالعهد، والتّقوى، المتقين: جملة اسمية تدل على الثّبوت، بثبوتهم على التقوى، والاستقامة.

[٨] ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ﴾:

﴿كَيْفَ﴾: للاستفهام، والاستبعاد، والتّعجب من أن يكون لهم عهد، وحذف الفعل، ولم يكرِّره مرة أخرى؛ لأنّه أصبح معلوماً.

﴿وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ﴾: إن: شرطية.

﴿يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ﴾: أيْ: يتمكنوا منكم، أو تكون لهم قوة، أو يجدوا من يظاهرهم عليكم فعندها:

﴿لَا يَرْقُبُوا۟﴾: لا: النّافية، يرقبوا: من الرّقيب، الرّقابة: تعني: الحراسة، والمراقب الحارس؛ أيْ: لا يحافظوا على عهد، ولا قرابة، ولا جوار، ولا حلف، ولا قسم، ولا أمانة.

﴿فِيكُمْ﴾: في: ظرفية زمانية ومكانيه؛ أيْ: لا يرقبوا في أيِّ زمان، ولا مكان.

﴿إِلًّا﴾: الإل: الحلف، أو اليمين، أو العهد، أو القرابة، والجوار.

﴿وَلَا ذِمَّةً﴾: الذّمــة: الأمانة، أو حقاً؛ أي: الوفــاء بالأمانة الّتي ليس عليها شهود، أو كتابة، أو يؤدّي حقاً لأهله.

﴿يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾: أيْ: يظهرون لكم الكلام الحسن الجميل، والنون فــي يرضونكم: بدلاً من يرضوكم للتوكيــد؛ أيْ: مجرد كلام، أو لغو لا قيمة لما يقولون.

﴿وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ﴾: الإيفاء بالعهد، أو تأبىٰ قلوبهم إلا الغدر، ونكث العهد، والخيانة.

﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ﴾: وأكثرهــم خارجون عن طاعة الله، ورســوله، وعن دِين الإسلام، كاذبون، وناقضون للعهد، والميثاق.

[٩] ﴿ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾:

﴿ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: اشــترىٰ: أخذ المادة المشــتراة، ودفع الثّمن؛ أيْ: أخذوا الثّمن القليل (المــال، أو الجاه)، ودفعوا الثّمن آيات الله (أيْ: إيمانهم)؛ لأنهم امتنعوا عن الاســتماع إلــىٰ آيات الله (آيات القــرآن)، ولذلك لم يؤمنوا فخسروا إيمانهم، ولو استمعوا؛ لآمنوا.

أســباب نزول هذه الآية: روي أنّ أبا سفيان كان يجمع الأعراب بين الحين والآخر علىٰ طعامه؛ ليكونوا في حِلفِه.

في هذه الآية يقول الحق سبحانه: ﴿ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾.

وفي الآية (٧٧) من ســورة آل عمران يقول تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾.

وفي الآية (١٧٧) من سورة آل عمران: ﴿ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾.

إذن: هم اشتروا المال، والكفر، ودفعوا آيات الله، أو عهد الله وأيمانهم ثمناً لذلك.

﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: وصف الثّمن بالقليل؛ لأن ليس هناك ما يساوي، أو أفضل من ثمن النّجاة من النّار، والفوز بالجنة؛ فمهما أخذوا من أموال طائلة؛ تبقىٰ قليلة مقابل ما خسروا.

﴿فَصَدُّوا عَن سَبِيلِهِۦٓ﴾: صدوا أنفسهم عن دين الإسلام، والإيمان، وصدوا غيرهم؛ أيْ: منعوهم من الدّخول في دين الإسلام، أو منعوا غيرهم من الوفاء بالعهد، أو منعوهم من طاعة الله، والتّقرب إليه بشتىٰ الوسائل: بالتّعذيب، والاضطهاد، أو الرّشوة، ومنعهم من الاستماع إلىٰ القرآن، واللغو حين تلاوته؛ حتّىٰ لا يفهم منه شيئاً، أو يمنعون النّاس من الاتصال برسول الله ﷺ.

﴿إِنَّهُمْ سَآءَ﴾: للتوكيد، ساء: قبح، وساء من أفعال الذّم، وتعني: كذلك بئس.

﴿مَا﴾: اسم موصول، أو مصدرية؛ أيْ: بئس وقبح الّذي، أو بئس العمل عملهم.

﴿كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾: يعملون: تضم الأقوال، والأفعال؛ أيْ: ساء، أو بئس ما يقولون، أو يفعلون.

[١٠] ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ﴾:

﴿لَا يَرْقُبُونَ﴾: لا: النّافية، يرقبون: من راقب؛ أيْ: حافظ، والمراقب الحارس الّذي يحرس الأشياء، لا يرقبون: لا يحافظون، ولا يراعون عهداً، أو أمانة مع أيِّ مؤمن، والفاعل هنا كفار مكة، ومَن حولهم من الأعراب، والمنافقين، واليهود.

﴿فِى﴾: ظرفية زمانية ومكانية.

﴿مُؤْمِنٍ﴾: أيِّ مؤمن.

﴿إِلًّا﴾: الإل العهد، وقيل: القرابة، أو الجوار، أو اليمين، والقسم.

﴿وَلَا ذِمَّةً﴾: ولا حق، ولا أمانة، وتكرار (لا) تفيد التّوكيد، وفصل كلّ من الإل والذّمة؛ فهم لا يرقبون لا الإل لوحده، أو الذّمة لوحدها، أو كلاهما.

﴿وَأُولَٰئِكَ﴾: اسم إشارة للبعد؛ يفيد الذم.

﴿هُمُ﴾: ضمير فصل؛ يفيد التّوكيد.

﴿ٱلْمُعْتَدُونَ﴾: جمع معتدٍّ؛ أيْ: هم المعتدون. المعتدي: هو من تجاوز الحد في الظّلم، ظلم الغير، حقاً من بين كلّ الأعداء؛ أيْ: هم في طليعة الأعداء، والمعتدون: جملة اسمية؛ تعني: أنّ صفة الاعتداء أصبحت عندهم ثابتة، لا تتغيَّر.

[١١] ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾:

هذه الآية تؤكد لنا: أنّ الإسلام يَجُبُّ ما قبله، وأنّ باب التّوبة مفتوح.

﴿فَإِن﴾: الفاء: للترتيب، والتّعقيب. إن: شرطية، ولم يقل: فإذا تابوا؛ استعمال (إنْ): يدل على الاحتمال، والشّك، وقلة الحدوث، ولو استعمل فإذا تابوا: لدلَّ على حتمية الحدوث، وأن توبتهم مؤكَّدة.

﴿فَإِخْوَٰنُكُمْ﴾: الفاء: رابطة لجواب الشّرط؛ تفيد التّوكيد.

﴿فِى﴾: ظرفية ﴿ٱلدِّينِ﴾، الإخوة نوعين: إخوة النّسب والدّم، وهناك الإخوة في الدّين والعقيدة، وشاء الله أن يرفع الإيمان إلى مرتبة النّسب؛ فقال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾، فما دام قد دخلوا معنا في الإيمان؛ فأصبح لهم حق إخوة النّسب في التّواد، والتّراحم، بل جعل إخوة الدّين أهم من إخوة الدّم، والنّسب.

﴿وَنُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: نفصل؛ أيْ: نأتي بالآيات بأشكال وألوان متعدِّدة، ومواضيع مختلفة؛ لكي يتعلم النّاس، ويفقهوا أمور دينهم، واللام في

لقوم: لام الاختصاص؛ أيْ: نفصل هذه الآيات لقوم يعلمون؛ أي: يتفكرون أولاً، ثم يتدبرون، ثم يفقهون، ثم يعلمون ما في الآيات من أحكام ومواعظ وأسرار.

[١٢] ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ﴾:

﴿ وَإِن ﴾: الواو: عاطفة، إن: شرطية؛ تفيد الاحتمال.

﴿نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم ﴾: نقضوا أيمانهم، وعهودهم، وإن نكثوا أيمانهم: هذا القول يثبت أنّ لهم أيمان، ولكن حين قال بعدها لا أيمان لهم؛ نفى عنهم الأيمان أصلاً.

﴿مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ ﴾: للتوكيد، ومن: تعني بعد الزّمن القصير مما يدل على أيمانهم لا تطول.

﴿وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ ﴾: الطّعن في الدِّين: أن يعاب، ويعني: السّب، والشّتم، والإساءة بالقول، والفعل، وأنّ الدِّين ناقص، وغير كامل، وأصل الطّعن: طعن الجسم بالآلة الحادة؛ كالسكين، أو الرّمح؛ لإفساده، أو طعنوا الرّسول ﷺ، أو الصحابة بسبب إيمانهم.

﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ ﴾: فقاتلوا: الفاء: للترتيب، والتّعقيب، والتّوكيد، أئمّة الكفر: زعماء الكفر، وقادته؛ أيْ: رؤساء المشركين، وقادتهم.

﴿إِنَّهُمۡ ﴾: للتوكيد.

﴿لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ ﴾: لا: النّافية للجنس، أيمان: عهود لهم صادقة، وقيل: لا أمان لهم؛ أيْ: بطل أمانهم؛ لأنّهم نقضوا عهدهم.

﴿لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ﴾: لعل: للتعليل، ينتهون؛ أيْ: لينتهوا بأنفسهم عن نقضهم الأيمان، والطّعن في الدِّين، ومحاربة الإسلام، أو لعلَّ قتالكم لهم يُنهي كلّ ذلك.

[١٣] ﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾:

﴿ أَلَا ﴾: أداة حضٍّ، وحثٍّ على القتال.

﴿ تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ ﴾: نقضوا عهودهم؛ مثل: نقض عهد الحديبية... وغيره.

﴿ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ ﴾: هموا: عقدوا، وعزموا النّية على إخراجه من مكة؛ حين اجتمعوا في دار النّدوة.

﴿ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾: بدؤوا بالعداوة، ومحاربتكم، والصّد عن الإسلام من أوّل ما بدأ ﷺ يدعو النّاس إليه، أو بدؤوكم بنقض العهود بالقتال يوم بدر، أو في غيره من المواقع.

﴿ أَتَخْشَوْنَهُمْ ﴾: الهمزة: استفهام إنكاري، وتفيد النّفي؛ أيْ: لا تخشوهم؛ أيْ: لا يصح أن تخشوهم، أو تخافوهم، أو ما الّذي يمنعكم من قتالهم؛ إلا أن تكونوا خائفين منهم، أو تخافون أن يغلبوكم، أو ينالكم منهم مكروه، وهنا أنتم أمام حالين: إما أن تخشوهم، أو تخشوا الله سبحانه، والله سبحانه هو أحق بالخشية؛ لأنه هو الأشد، والأعظم، والمؤمن لا يخشى إلا ربه وحده.

﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾: بالله حقاً؛ فعليكم بقتالهم، إن: شرطية؛ تفيد الاحتمال، والشّك؛ فإما الشّهادة في سبيل الله، وإما النّصر.

❖ ❖ ❖

قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ
عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ
غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ
﴿١٥﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟
مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ
وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ
أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ
أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾
إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ
وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ
أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ ۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ
ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ
وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ
بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾

ثلاثة أرباع الحزب ١٩

سورة التّوبة [الآيات ١٤ - ٢٠]

[١٤] ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾:

﴿قَٰتِلُوهُمْ﴾: تكرار؛ للحضِّ، والتّرغيب، والتّوكيد، وأن القتال مطلوب منكم، ولو قال: إن تقاتلوهم؛ فيدل على أن القتال غير مؤكَّد عليكم، ثمّ يبيِّن الله الحكمة من الأمر بالقتال؛ فيقول:

﴿يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾: والسّؤال: لماذا اختار أن يعذب المشركين، وكفار مكة بأيدي المؤمنين، وليس بعذابٍ من عنده: بأن ينزل عليهم آية، وينتهي الأمر؟! ولا داعي للقتال، لو حدث ذلك، وأنزل الله عليهم آية من السّماء؛ لما تغيَّرت نظرة كفار مكة بالنّسبة للمؤمنين ـ ولكونهم لا يؤمنون بالله ـ إذن: لن تتغيَّر حالتهم الإيمانية، ولو كانوا آمنوا من قبل؛ لانتهت المسألة، وما قالوا؛ هذا حدث كوني قد مسَّ آباءنا البأساء والضّراء مثل هذا من قبل، فأراد الله سبحانه أن يُري الكفار بأس الفئة القليلة الّتي غلبت فئة كثيرة، ولعلَّ ذلك يردعهم؛ فلا تحدثهم أنفسهم بقتال المؤمنين في المستقبل.

﴿وَيُخْزِهِمْ﴾: يذلهم، ويفضحهم، والخزي فيه عذاب نفسي، وفضيحة أمام النّاس.

﴿وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ﴾: بالقوة، والعدة، والسّلاح.

﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾: قيل: هؤلاء القوم: هم خزاعة؛ قدموا من اليمن، وسبأ إلى مكة؛ فأسلموا، وكانوا حلفاء رسول الله ﷺ، وواجهوا،

ولقوا من أهل مكة أذىً شديداً، وأخبروا رسول الله ﷺ بذلك؛ فبشرهم بالفرج القريب، وكان ذلك في بدر.

[١٥] ﴿ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾:

﴿ وَيُذْهِبْ غَيْظَ ﴾: الغم والهيجان الّذي أصاب قلوب المؤمنين أمثال: خزاعة وغيرهم من أفعال المشركين من قريش، وبني بكر من الظّلم، والإيذاء، والغدر بخزاعة.

والغيظ: هو غضب كامن في نفس العاجز عن الثأر، والانتقام، أو التشفي، وهو نوع من الغم، أو مرحلة من مراحل الغضب، وهو أشد من الغضب، وقيل: مراحل الغضب هي: السخط، ثم الغضب، ثم الغيظ، ثم الحرد، ثم الحنق، ثم الاختلاط.

﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ﴾: هذا إخبار من الله بأن بعض أهل مكة سيتوبون من بعد كفرهم، وقد كان ذلك حين أسلم بعض منهم، وحسن إسلامهم؛ مثل: أبي سفيان، وعكرمة... وغيرهم.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ ﴾: بنيات كل فرد، وما يقولون، وما يفعلون، وما يدبرون، وما كان، وما سيكون من توبة بعض المشركين.

﴿حَكِيمٌ ﴾: الحاكم، وذو الحكمة: وهي تدبير أمر خلقه، وكونه بحكمته.

حكيم: مشتقة من الحكمة؛ فهو أحكم الحكماء، وحكيم: مشتقة من الحكم؛ فهو أحكم الحاكمين.

لنقارن الآيتين (١٥، و٢٧) من سورة التّوبة.

الآية (١٥) من التّوبة، يقول تعالىٰ: ﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

جاءت في سياق كفار مكة، وما فعلوه برسول الله من التّضييق، والعمل علىٰ إخراجه من مكة، فأمر الله بقتالهم، وخزيهم، ثمّ يتوب الله علىٰ من يشاء؛ أيْ: من أسلم منهم بعد ما فعل ما فعل من العدوان، والصّد عن سبيل الله؛ فقال: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾؛ عليم: بما جرىٰ، وحكيم: فيما يقدر.

أما الآية (٢٧) من التّوبة: ﴿ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾: فجاءت في سياق ما جرىٰ يوم حنين من تولِّي المسلمين، والهزيمة في بداية معركة حنين؛ حيث أعجبتهم كثرتهم، وفاجأهم العدو رغم أنهم كانوا (١٢) ألفاً، والعدو (٤) آلاف؛ فهؤلاء فروا، ثمّ عادوا، وقاتلوا مع رسول الله ﷺ، وما وقع منهم من خطأ فالله غفره لهم، ولذلك قال: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾.

[١٦] ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تُتۡرَكُواْ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَلَمۡ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَلِيجَةٗ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾:

﴿أَمۡ﴾: للإضراب الانتقالي؛ «أم المنقطعة»، والهمزة: للاستفهام الإنكاري.

﴿حَسِبۡتُمۡ﴾: من الحسبان: وهو الظّن الرّاجح؛ أي: اعتقدتم، وهو حساب حسي وحساب قلبي قائم علىٰ النّظر، والتّجربة والحساب، والمخاطب: هم المؤمنون.

﴿أَن﴾: أن حرف مصدري؛ يفيد التّعليل، والتّوكيد.

﴿تُتْرَكُوا﴾: من دون ابتلاء، وتمحيص، أو لا تصيبكم فتنة، والابتلاء: يكون في الخير، أو الشر، وهذا الابتلاء، والاختبار فائدته:

١ - معرفة الّذين جاهدوا منكم، وصدق نواياهم للجهاد، أم فقط كذب، وادِّعاء، وبطر، ورياء.

٢ - معرفة من يتخذ وليجة من دون الله، ولا رسوله، ولا المؤمنين، ﴿وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾.

وقوله سبحانه: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ﴾: لما: حرف نفي.

سبحانه يقوم بهذا الابتلاء، أو الاختبار لهؤلاء، لا ليعلم نفسه سبحانه صدق جهادهم، أو تجسسهم؛ فهو يعلم منذ الأزل ذلك، ولكن قيامه بالابتلاء والاختبار هو ليبيِّن لهم صدقهم، أو كذبهم يوم القيامة، ويقيم الحجج عليهم، أو لهم؛ فهو اختبار للعبد؛ لكي يعرف نفسه فيما إذا كان صادقاً، أم كاذباً؛ فقد يأتي يوم القيامة فيقول: لولا اختبرتني بكذا الفعلة؛ فهو اختبار للعبد نفسه.

﴿وَلِيجَةً﴾: بطانة من الكفار؛ ليفشوا إليهم أسرار المؤمنين؛ أيْ: يتخذوهم أصدقاء يتداخلون فيهم، أو معهم؛ ليعرفوا أسرارهم.

وليجة: من الولوج؛ دخول شيء بشيء من ﴿مِن دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾: أيْ: هناك من اتخذوا من غير الله، وغير رسوله، وغير المؤمنين أصدقاء يسرون إليهم بالمودة، وبأخبار المؤمنين.

﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾: خبير عليم ببواطن الأمور، وبأعمال العباد، ودقائقها. وقدم خبير؛ لأن السياق في النوايا، والأسرار، وهذه أفعال لا يعلمها إلا الله تعالى.

[١٧] ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴾:

﴿ مَا ﴾: النّافية.

﴿كَانَ ﴾: أيْ: ما كان ينبغي، وليس معقولاً، أو مقبولاً، أو يصح للمشركين.

اللام: لام الاختصاص، والتّوكيد؛ أن يعمروا مساجد الله.

﴿يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ ﴾: العمارة نوعين: حسية؛ تعني: التّشييد، والبناء، والتّرميم والإعداد.

والعمارة المعنوية: القدوم إلى المسجد، والصّلاة، والذّكر، والاعتكاف، والعبادة.

﴿أَن ﴾: حرف مصدري؛ يعني: التّوكيد للمشرك.

إذن لا يُعقل، أو يصح أن يبني المشركون مسجداً لله، أو يأتوا إليه، ويعمروه بالعبادة؛ لأنّ ذلك يصبح شاهداً عليهم بالكفر؛ إضافة إلى الشّهود الآخرين.

أو ﴿شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ﴾: بما يقولونه؛ أيْ: بكلامهم الّذي لا يطابق أفعالهم.

﴿مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ ﴾: جمع مسجد، ومسجد اسم جنس، ومساجد الله تشمل كلّ مسجد بما فيها المسجد الحرام.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ﴾: اسم إشارة للبعد.

﴿حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ ﴾: بطلت وذهبت أجورها بلا فائدة؛ بسبب شركهم، وكفرهم.

﴿حَبِطَتْ ﴾: مشتقة من مرض الحبط الّذي يصيب الماشية؛ فتصاب بانتفاخ

البطن، أو الحبن، ويُظن أنها سمينة، أو نمت وهي في الحقيقة مريضة، ومتورِّمة، وما نراه هو ليس لحماً، أو شحماً، وإنّما تورُّم مرضيٌّ، ثمّ تموت الماشية، ولا يستفاد منها بشيء. ارجع إلىٰ سورة البقرة، آية (٢١٧)؛ لمزيد من البيان.

﴿وَفِي ٱلنَّارِ هُمۡ خَٰلِدُونَ﴾: قدَّم الجار والمجرور للحصر والقصر.

﴿هُمۡ﴾: ضمير يفيد التّوكيد.

﴿خَٰلِدُونَ﴾: من الخلود، وهو استمرار البقاء من وقت له بداية، وليس له نهاية.

[١٨] ﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾:

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة؛ تفيد التّوكيد.

﴿يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾: بالبناء، والتّشييد، والصّيانة، والإعداد، وبالعبادة، والذّكر، والقدوم إليها، وإقامة العلم. ارجع إلىٰ سورة الجن آية (١٨) لبيان معنىٰ: (مساجد الله).

﴿مَنۡ﴾: ابتدائية.

﴿ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾: ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (٨) للبيان.

﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: وهي عماد الدِّين إقامتها بأركانها، وشروطها، وأوقاتها، والمحافظة عليها.

﴿وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٤٣) من سورة البقرة.

﴿وَلَمۡ﴾: للنفي.

﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾: والخشـــية: هي الخوف مع شـــعور بعظمة الخالق، والعلم به (معرفته).

﴿وَلَمْ﴾: أداة حصر، وقصد.

﴿فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ﴾: الفاء: للتوكيد. أولئك: اســـم إشـــارة، واللام: للبعد، والمدح.

عسىٰ: من أفعال الرجاء.

﴿أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾: أن: تدل علىٰ الاستقبال. من المهتدين إلىٰ طريق الحق، والصّواب، والإسلام، والطريق المستقيم المؤدِّي إلىٰ الجنة.

[١٩] ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾:

ســـبب النّزول: كما روي عن ابن عباس: نزلت هذه الآية في أســـرىٰ بدر، ومنهـــم: العباس بن عبد المطلب؛ فبعد الأســـر تحدث إليهـــم بعض الصّحابة، ودعوهم للإســـلام، والجهاد في ســـبيل الله، فأجابوهم أنا كنا نسقي الحجيج، ونعمر المســـجد الحـــرام، ونفكُّ العانـــي، وكذلك كانوا يفتخـــرون بأنّهم أهل الحرم، ويقومون علىٰ السّقاية، وسدنة البيت، ويعتبرون ذلك أفضل من الإيمان، والجهاد؛ فنزلت هذه الآية. ذكره الواحدي في أسباب النزول.

﴿أَجَعَلْتُمْ﴾: الهمزة: للاستفهام الإنكاري، والتعجبي.

﴿سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ﴾: سقي الحجيج بالماء.

والسّـــقاية في اللغة: موضع السّـــقي المكان الّذي يشرب منه النّاس؛ مثل: السّبيل، والسّقاية: هي إناء السّقي، أو المهنة مهنة السّقي.

﴿وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾: بنائه، وصيانة وسدانة البيت.

﴿كَمَنْ﴾: الكاف: للتشبيه.

﴿ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: ارجع إلى الآية (٨) من سورة البقرة؛ للبيان، والجهاد في سبيل الله. ارجع إلى سورة الحج آية (٣٩) للبيان المفصل.

﴿لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ﴾: لا: النّافية، لا يستوون في الدّرجة، والفضل.

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: الظّالمين: جمع ظالم: وهو الّذي اختار لنفسه طريق الضّلال، والغواية، واتبع هواه، والشّيطان، وازداد ظلماً، وبعداً عن خالقه، ولم يتب، ولم يطلب من الله العون، ولم يقدم الأسباب للهداية؛ فالله سبحانه لا يهديه، ويتركه لنفسه، وهواه.

[٢٠] ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾:

هذا التّصنيف إذا قابلناه بالتّصنيف في سورة الأنفال، الآية (٧٤).

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾:

نجد أنّ تصنيف آية الأنفال كان تصنيفاً بعد الهجرة مباشرة، أمّا التّصنيف في آية التّوبة فجاء بعد سنوات من الهجرة.

﴿أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ﴾: من الّذين افتخروا بسقاية الحج، وعمارة المسجد الحرام.

﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ﴾: أولئك: اسم إشارة للبعيد؛ يفيد المدح، والتّعظيم، وهم: ضمير منفصل؛ يفيد التّوكيد.

﴿ٱلْفَآئِزُونَ﴾: تفيد كمال فوزهم؛ أي: الفائـزون حقاً، وإن كان غيرهم من بين الفائزين.

وإذا قارنا هذه الآية من سـورة التّوبـة: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ﴾.

مع الآية (٧٢) من سـورة الأنفـال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.

في آية التّوبة: قدَّم في سبيل الله على أموالهم وأنفسهم؛ لأنّ السياق سياق الآيات في الجهاد، وأهم شيء في الجهاد أن يكون في سبيل الله.

وفي آية الأنفال: قدَّم الأموال والأنفس على سبيل الله؛ لأنّ السّياق كان في الغنائم؛ أي: الأنفال، ولذلك قدَّم الأموال على سبيل الله.

وهناك ملاحظة أخرى:

مجيء إنَّ: فإذا ذكرت إنّ في بداية آيـة الجهاد: نرى دائماً تقديم أموالهم، وأنفسهم على جملة في سبيل الله. ارجع إلى سورة الأنفال، آية (٧٢)؛ للمقارنة.

للنظر:

آية الأنفال (٧٢): ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.

آيـة التوبـة (٢٠): ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾.

❖ ❖ ❖

يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا
نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ
عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ
وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ
وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن
كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ
وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ
تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ
فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى
ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ
كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ
تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ
بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ
عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا
وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾

سورة التّوبة [الآيات ٢١ - ٢٦]

[٢١] ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾:

الّذين آمنوا، وهاجروا، وجاهدوا في سبيل الله؛ يبشرهم ربهم برحمة منه.

﴿يُبَشِّرُهُمْ﴾: من البشارة؛ يخبرهم ربهم بخبر سار. ارجع إلى الآية (١١٩) من سورة البقرة؛ لبيان معنى البشارة.

﴿بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ﴾: الباء: للإلصاق، والاهتمام، والرّحمة: هنا تعني النّجاة من النّار، والفوز بالجنة، وهي أكبر رحمة.

﴿مِّنْهُ﴾: تعني: رحمة عامة، ولم يقل من لدنه؛ فهذا يدل على رحمة خاصّة، والرحمة تعريفها: تعني جلب ما يسر، ودفع ما يضر.

﴿وَرِضْوَانٍ﴾: من الرّضا: وهو سرور واطمئنان القلب إلى أمر فيه نفع، صيغة مبالغة، على وزن فعلان؛ أيْ: كثير الرّضا، ورضوان مشتقة من رضا الله عن العبد، وهو أكبر من الجنة، وما فيها، وهو أفضل الجزاء.

فالجنّة: هي الجزاء المادي، ورضوان الله هو الجزاء الرّوحي المعنوي، ومن ثمراته الزّيادة، وهي رؤية الله ؛ لقوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦].

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢-٢٣].

﴿وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ﴾: اللام: لام الاختصاص، والاستحقاق، جنات الفردوس، والنّعيم، وجنات عدن، وجنات المأوى، ودار السّلام.

﴿فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾: دائم لا يزول، ولا يحول.

[٢٢] ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾:

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾: الخلود: هو البقاء، والاستمرار من بداية؛ أيْ: له بداية، وليس له نهاية، يبدأ من زمن دخولهم الجنات.

﴿أَبَدًا﴾: للمبالغة في الخلود؛ أي: الخلود في المستقبل إلىٰ غير نهاية، وقد تعني: للتوكيد.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾: إن: للتوكيد.

﴿عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾: الأجر: يكون مقابل العمل؛ أي: الأجر لا يُستحق إلا بعد العمل، والأجر يكون في الطّاعات للأعمال البدنية، أو هو الجزاء علىٰ العمل، سواء أكان عملاً دنيوياً، أم أخروياً، والأجر يأتي دائماً بمعنىٰ: النفع.

﴿أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾: أيْ: أعظم الأجور علىٰ الإطلاق.

[٢٣] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾:

المناسبة: قيل: نزلت هذه الآية لما أمر رسول الله ﷺ المسلمين بالهجرة إلىٰ المدينة؛ فعزَّ علىٰ بعض المسلمين ترك آبائهم، وإخوانهم في مكة، ولم يهاجروا، وتركوا الهجرة، كما رُوي عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وقيل: نزلت في تسعة نفر ارتدوا عن الإسلام، ولحقوا بأهلهم بمكة؛ فنهىٰ الله عن ولايتهم، كما رُوي عن مقاتل، والمهم: هو عموم اللفظ، وليس خصوص السبب.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: نداء جديد للذين هم علىٰ درب الإيمان بأمر أو بتكليف هو:

﴿لَا تَتَّخِذُوٓاْ﴾: لا: النّاهية، تتخذوا: من اتخذ، وبمعنىٰ: جعل، أو صير.

﴿ءَابَآءَكُمۡ﴾: الآباء، والأمهات، والأجداد، والأعمام.

﴿وَإِخۡوَٰنَكُمۡ﴾: أي: الأصدقاء والإخوة.

﴿أَوۡلِيَآءَ﴾: جمع ولي، والولي: المعين، وتعني: المودة، والمحبة؛ أيْ: لا تتخذوهم بطانة تحبوهم، وتودوهم، وتفشوا إليهم بأسرار المسلمين، أو تؤثروهم علىٰ الهجرة إلىٰ المدينة، أو تنصروهم.

﴿لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ﴾: إن: شرطية؛ تفيد الاحتمال، والشّك، أو الندرة.

﴿إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِ﴾: ولم يقل: إن أحبوا الكفر علىٰ الإيمان؛ لأن القول: إن أحبوا؛ تعني: هذا الحب، هو حب الفطرة؛ أيْ: أمر فطري، وهذا غير معقول، وإنّما قال استحبوا وهذا الحب هو حب مستفعل؛ أيْ: هو حبٌّ هم صنعوه، واختاروه بأنفسهم، وهو حبٌّ يعارض حب الفطرة؛ الّذي هو حب الإيمان، وللمزيد في بيان الولي: ارجع إلىٰ الآية (١٠٧) من سورة البقرة.

﴿وَمَن﴾: شرطية.

﴿يَتَوَلَّهُم﴾: يتخذهم أولياء، ويلقي إليهم بالمودة، ويطلعهم علىٰ أسرار المسلمين، ويتجسس لهم، وينصرهم.

﴿مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: منكم خاصَّة.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾: الفاء: للتأكيد، أولئك: اسم إشارة للبعد.

﴿هُمُ﴾: ضمير منفصل؛ يفيد التّوكيد.

﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: الظّالمون حقاً، وإن كان يوجد غيرهم من الظّالمين؛ فهم

أظلمهم. جمع ظالم، والظالم: الّذي لا يتبع منهج الله سبحانه؛ فيظلم نفسه بأن يوردها في النار. ارجع إلى الآية (٥٤) من سورة البقرة؛ لمزيد من البيان في معنى الظلم.

و﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: جملة اسمية تفيد الثّبوت، صفة الظّلم أصبحت ثابتة عندهم.

[٢٤] ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾:

هذه الآية تتمة للآية السّابقة؛ نزلت في هؤلاء الّذين تخلفوا عن الهجرة بسبب أهليهم، وعيالهم، وأموالهم، وديارهم.

وقد قيل: إنّه لما نزلت الآية السّابقة قال بعض الصّحابة: يا رسول الله! إن نحن اعتزلنا من خالفنا في الدِّين؛ قطعنا آباءنا، وعشيرتنا، وذهبت تجارتنا، وخُربت ديارنا؛ فنزلت هذه الآية، كما رُوي عن ابن عباس رضي الله عنهما.

﴿قُلْ﴾: لهم يا رسول الله ﷺ:

﴿إِن﴾: شرطية.

﴿كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ﴾: عشيرتكم: جمعها عشائر، والعشيرة: تضم كل الأقارب، والعائلة.

﴿وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا﴾: أيْ: حصلتم عليها بجهد ومشقة، وتعب، وليست من المال الموروث؛ أيْ: من وراء تجارة، أو حرفة. اقترفتموها: من الاقتراف، أو القرف. ارجع إلى سورة الأنعام، آية (١١٣)؛ للبيان.

﴿وَتِجَٰرَةٌ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا﴾: بوارها؛ لتركها وراءكم في مكة بعد الهجرة، وعدم رواجها، وخاصَّة إذا كانت له شراكة مع المشركين، أو غير المسلمين؛ فستضيع حصتهم.

﴿وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ﴾: مسرورين بها، أو فرحين بها.

﴿أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾: من الهجرة، ومن محبة الله ورسوله، والامتثال لأوامرهما، وطاعتهما.

﴿فَتَرَبَّصُواْ﴾: التّربص: هو الانتظار، ولو طال، والانتظار مع التّحفز؛ أي: الانتباه، والترقُّب لوقوع شيء بكم.

﴿حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦ﴾: بقضائه، أو عقابه، وقيل: فتح مكة، وهذا وعيد لهؤلاء الّذين لا يريدون الهجرة.

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾: جمع فاسق: وهو الخارج عن طاعة الله، والدّين ـ باختياره طريق الفسق والضّلال ـ وابتعاده عن طريق الهدىٰ؛ فالله لا يوفقه، ولا يرشده إذا كان الفاسق يريد أن يفسق؛ يتركه الله سبحانه لما يحب من الفسق، والعصيان. ارجع إلىٰ الآية (٢٦) من سورة البقرة؛ لبيان الفسق، والفاسقين.

[٢٥] ﴿لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ﴾:

﴿لَقَدۡ﴾: اللام: للتوكيد، قد: للتحقيق؛ أيْ: قد ثبت، وتحقق ذلك النّصر.

﴿نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ﴾: مواطن: جمع موطن: اسم مكان لفعل وطن، يطن، والموطن: هو مكان التّوطن؛ أي: الإقامة، ويطلق علىٰ موقع المعركة.

﴿مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾: مثل: بدر، والحديبية، وخيبر، وفتح مكة.

﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾: غزوة، أو موقعة حنين، وحنين: وادي بين مكة، والطائف.

خرج رسول الله ﷺ، ومعه عشرة آلاف مقاتل من المدينة، مع ألفين من أهل مكة؛ لمحاربة هوزان، وثقيف بعد فتح مكة، وكانوا أربعة آلاف، فأُعجب المؤمنون بكثرتهم، وقالوا عندها: لن نغلب بعد اليوم من قلة، ولكن سرعان ما انهزموا في بداية المعركة، ولم تغن عنهم كثرتهم شيئاً، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت، ثمّ لما عدلوا عن غرورهم، وتضرعوا إلى الله؛ نصرهم الله في نهاية المعركة، وأنزل جنوداً (ملائكة، ولكنها لم تقاتل).

﴿إِذْ﴾: ظرفية زمانية؛ تفيد الفجأة.

﴿أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾: أيْ: غرتكم كثرة عددكم، ولم تتوكلوا على الله.

﴿فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا﴾: تُغن: ولم يقل تغني، حذف الياء؛ للدلالة على أن هذا كان غنىً مؤقت في بداية المعركة وزال، أما يغني: بزيادة الياء يعني: غنىً كامل ودائم؛ أيْ: لم تنفعكم شيئاً، وفررتم في أول المعركة، ولم يبق مع النّبي إلا مئة رجل. شيئاً: نكرة، وتعني: أي شيء، والشيء: هو أقل القليل.

﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾: أيْ: ضاقت عليكم رغم سعتها، ورحابها.

﴿ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾: ثم: لتباين موقف الغرور، والشّعور بالنصر، مع الشّعور بالهزيمة.

﴿مُّدْبِرِينَ﴾: جمع مدبر: اسم فاعل من أدبر، انهزمتم راجعين من أرض

المعركة على أدباركم؛ إلا رسول الله ﷺ، ومعه العباس، وأبو سفيان، وقلة من الصّحابة.

[٢٦] ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾:

﴿ ثُمَّ ﴾: للترتيب، ترتيب الأحداث، وليس للتراخي في الزّمن.

﴿أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾: لو تأملنا في القرآن: لوجدنا أنّ الله سبحانه يأتي بذكر سكينته، وهاء الضّمير في سكينته: يعود على الله تعالى.

وقد لوحظ: أنه سبحانه حين يذكر الرّسول يذكر سكينته؛ تعظيماً للسكينة، وتشريفاً لرسول الله ﷺ، وحين لا يذكر الرّسول في سياق الآيات يأتي بذكر السّكينة بدلاً من سكينته، فهذه سكينة عامة بالمؤمنين، وتلك سكينة خاصَّة برسول الله ﷺ.

﴿وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾: أي ملائكةً لم تقاتل كما قاتلت في بدر، وإنّما كانت فائدتها: أنّها ثبتت قلوب المؤمنين، وألقت الرّعب في قلوب الكافرين.

﴿وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾: بالقتل، والسّبي، والأسر، وخسارة الأموال، والأنعام يومها، وتكرار على رسول الله، وعلى المؤمنين: يفيد التّوكيد، وفصل كل منهما على حِدَةٍ.

﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾: ذلك: اسم إشارة؛ للبعد، يشير إلى العذاب؛ جزاء الكافرين على كفرهم في الدّنيا: بالهزيمة، والقتل، والسّبي، وخسارة الأموال.

❖ ❖ ❖

ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ
رَّحِيمٞ ﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ
نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ
وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن
شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٢٨﴾ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ
لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ
ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ
ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ
﴿٢٩﴾ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى
ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ
يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ
ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ
وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ
مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ
لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٣١﴾

سورة التّوبة [الآيات ٢٧ - ٣١]

[٢٧] ﴿ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾:

﴿ثُمَّ﴾: يفتح الله باب التّوبة. ثم: للترتيب والتراخي في الزمن، أو للتباين بين مرتبة التولي مدبرين والتوبة.

﴿يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾: من بعد ذلك من بعد الهزيمة، والخزي، والخسارة.

﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾: أيْ: يقبل الله توبة من يشاء أن يتوب.

وقيل: بعد موقعة حنين بـ(٢٠) يوماً؛ لحق قوم هوازن برسول الله ﷺ قرب الجعرانة (٧) أميال من مكة، وأسلموا، وتابوا إلى الله، وأعاد الله لهم ما أُخذ منهم.

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾: كثير المغفرة، غفور لمن تاب، وآمن، وعمل صالحاً. صيغة مبالغة من غفر؛ أيْ: ستر ومحا الذنب.

﴿رَّحِيمٞ﴾: لم يعجِّل لهم العقوبة؛ ليتوبوا، وتعاد إليهم أموالهم، وسبيهم.

[٢٨] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ

بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾: نداء جديد للذين آمنوا بأمر جديد، أو تكليف، أو بيان، أو حكم: وهو المشركون نجس. يقال لكل شيء مستقذر نجس.

﴿إِنَّمَا﴾: كافة، ومكفوفة؛ تفيد التّوكيد.

﴿الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾: جمع مشرك، فكل مشـــرك نجس، والنّجاسة تقسم إلىٰ نجاسة حسية؛ مثل: البول، والميتة، ولحم الخنزير، ونجاسة حكمية معنوية: كالشرك، والخمر، والميسر، بســـبب اعتقاداتهم الفاسدة، وشركهم، وقوله: إنما المشركون نجس: تشبيه بليغ.

﴿فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾: لا: الناهية، يقربوا المسجد الحرام: أيْ: ألا يكونـــوا قريبين من حـــدود الحرم، من جهة المدينة المنـــورة عند التنعيم (٣ أميال) من الكعبة، ومن جهة اليمن (٧ أميال)، ومن جهة جدة (١٠ أميال)، ومن جهة الجعرانة (٩ أميال)، ومن جهة العراق (٧ أميال).

وهل النهي يشمل كل مسجد، أم المسجد الحرام فقط؟ وكل مسجد غيره؛ لأنهم قالوا بالقياس؛ اختلف العلماء في هذا. ارجع إلىٰ المصادر الفقهية.

﴿بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا﴾: بعد هذا العام التّاسع من الهجرة؛ أي: المنع يبدأ في السّنة العاشرة.

﴿هَـٰذَا﴾: الهاء: للتنبيه، ذا: اسم إشارة؛ للقرب، وهو العام الّذي حج فيه أبو بكر ، وقرأ علي علىٰ النّاس وثيقة البراءة من المشركين.

ولمـا نزلت هذه الآية خاف، وتوهم بعض المسـلمين مـن أهل مكة: أن تنقطع تجارتهم، أو لقمة عيشهم بسبب هذا المنع؛ فرد الله على ظنهم بقوله:

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾: وإن: شرطية؛ تفيد الاحتمال، أو الشّك.

﴿عَيْلَةً﴾: مصدر عال، يعيـل؛ لها معانٍ عدة: العيلـة: الفقر، عال يعيل عَيْلـة: إذا افتقر، والعيلة: من أعال إعالة؛ فهو يعيل؛ أيْ: أصبح صاحب عيال، أو كثر عياله، وتعني: وإن خفتم ألا تجدوا ما تنفقوا على عيالكم. ارجع إلى سـورة النساء، آية (٣)؛ لمزيد من البيان.

﴿فَسَوْفَ﴾: الفاء: للتّأكيد، سوف: حرف للاستقبال؛ تفيد البعد، والتّراخي؛ أيْ: سوف يرزقكم الله تعالى بإنزال المطر، وإخراج الزرع، والثمار.

﴿يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾: بإنـزال مطر، أو إسـلام الكثيـر من النّاس، والقدوم إلى الحج، والعمرة، وازدياد حركة التّجارة.

الفضل: هو الزّيادة على ما يستحق.

﴿إِن شَآءَ﴾: إن: شرطية؛ تفيد الاحتمال.

﴿إِنَّ اللَّهَ﴾: للتوكيد.

﴿عَلِيمٌ﴾: عليـم بأقوالكـم، وأفعالكـم، ونواياكم، وعليـم بما يصلح أحوالكم: الغنى، أم الفقر.

﴿حَكِيمٌ﴾: حكيم من الحكم؛ فهو الحاكم، وحكيم من الحكمة؛ فهو أحكم الحكماء في العطاء، أو المنع، حكيم بتدبير شؤون خلقه، وكونه، وشرعه؛

فهو أحكم الحاكمين، وأحكم الحكماء. ارجع إلىٰ سورة البقرة، آية (١٢٩)؛ لمزيد من البيان.

[٢٩] ﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾:

أسباب النزول: روىٰ ابن المنذر، عن الزهري، قال: أنزلت هذه الآية في قتال كفار مكة من قريش، والعرب. وقيل: هم الكفار من الّذين أوتوا الكتاب، وسبب قتالهم: هو عدم دفعهم الجزية.

﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾: الباء: للإلصاق؛ أيْ: إيمان عقيدة، وتوحيد، إيمان يشمل إيمان الألوهية، والرّبوبية، والصفات، والأسماء، والملائكة، والرسل، والكتب... وغيره.

﴿وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾: تكرار لا: للتوكيد؛ توكيد النفي، والباء: للتوكيد. واليوم الآخر؛ أي: يوم البعث والحساب، والجزاء، وتعني: الكفر بأحدهما، أو كلاهما معاً. ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (٨) لمزيد من البيان.

﴿وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾: من الشرك، والكفر، والقتل، والفساد، ونقض العهود.

﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ﴾؛ أي: دين التوحيد.

﴿مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾: أي: اليهود، والنّصارىٰ.

﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾: والجزية: هي المقدار من المال، أو الضريبة الّتي يجب أن يدفعها كل من يعيش في ديار المسلمين من غير المسلمين مقابل تقديم الحماية له، والخدمات الاجتماعية، لكن لا يشارك في الجيش، أو الدفاع، أو حماية الوطن، وكان يطلق على هذه الضريبة: الجزية، وهو قادر على دفع ذلك، أما من تبيَّن أنه غير قادر؛ فتسقط عنه.

﴿عَن يَدٍ﴾: عن سعة وقدرة، وقيل: عن طوع وانقياد، وقيل: قهر وذل، وإذا أسلم تسقط عنه.

﴿وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾: هم: للتوكيد. صاغرون: تعني: الالتزام، والخضوع لهذا الحكم؛ صاغرون: جمع صاغر: وهو الذليل.

[٣٠] ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ ۖ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾: وقالت بعض الطّوائف من اليهود: عزير ابن الله؛ عزيرٌ بالتّنوين، وعند اليهود يسمَّى: عِزْرا، ويقرأ بالتّنوين، أو بالضّم: عزيرُ، وهو نبي من أنبياء بني إسرائيل، ضرب الله به مثلاً؛ لإحياء الموتى حين قال تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾.

وقيل: قد حفظ التّوراة عن ظهر قلب. وقيل: إنّه كتب التّوراة لبني إسرائيل بعد أن فقدها بنو إسرائيل إلى العمالقة.

﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾: لكونه وُلِدَ بلا أب، وجرت على يديه الكثير من المعجزات؛ مثل: إحياء الموتى، والتّكلم في المهد، وخلق الطّير من الطّين، ومعالجة الأكمه، والأبرص.

﴿ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾: ذلك: اسم إشارة للبعد، ويشير إلى قولهم: عزير ابن الله، والمسيح ابن الله.

﴿قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾: أيْ: مجرد قول بالفم، لا سند له، ولا برهان، كلام لغو، وعبث، والباء: للإلصاق.

﴿يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: يضاهئون: يشابهون، أو يماثلون، والمضاهاة: هي المشابهة، والمماثلة، وقيل: مشتقة من امرأة ضهياء: هي المرأة الّتي لا يظهر لها ثدي، أو قيل: لا تحيض، وأنّها تشبه الرّجل.

﴿قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: الوثنيين، وقدماء الفرس، والعرب المشركين؛ الّذين قالوا: الملائكة بنات الله.

﴿مِن قَبْلُ﴾: من الأمم الّذين جاؤوا من قبلهم.

من قبلُ: بالضّم حين تضم: تدل على مدة معينة من الزّمن، سواء أكانت قريبة، أم بعيدة.

من قبلِ: وحين تكسر تدل على مدة غير معينة قريبة، أو بعيدة

﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ﴾: لعنهم الله، وطردهم من رحمته، أو أبعدهم عن رحمته، وهو دعاء عليهم بالهلاك.

﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾: أيْ: كيف يصرفون عن الحق، والدّليل: وهو توحيد الله، وتنزيهه عن الشّرك، والولد إلىٰ عبادة مخلوقاته؛ مثل: المسيح ابن مريم، والعزير، والأوثان.

﴿يُؤْفَكُونَ﴾: مشتقة من الإفك، وهو الكذب المفترىٰ المتعمَّد. ارجع إلىٰ سورة العنكبوت، آية (٦١)؛ للبيان.

[٣١] ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾:

﴿ٱتَّخَذُوٓاْ﴾: جعلوا، أو صيروا.

﴿أَحْبَارَهُمْ﴾: جمع حبر: وهو العالم عند اليهود.

﴿وَرُهْبَٰنَهُمْ﴾: جمع: راهب، وهو العابد عند النّصارىٰ، المنقطع لعبادة الرّب؛ أيْ: عُبادهم، والعالم عند النّصارىٰ يسمَّىٰ قسيساً، كما قال تعالىٰ: ﴿بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا﴾ [المائدة:٨٢].

﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا﴾: أرباباً: جمع رب، واتخذوا: لا يعني أنّهم يقولون لكل حبر وراهب رب، ولكن المعنىٰ هنا: أطاعوهم، كما أطاعوا الرّب الإله الخالق في التّحليل، والتّحريم، والتّعظيم؛ أيْ: عظموهم، كما يعظمون الرّب بالدّعاء، والذّكر، والثّناء.

﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾: من غير الله، أو سواه.

﴿وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾: أي: اتخذوا المسيح ابن مريم رباً؛ حين قالوا: المسيح ابن الله، أو ثالث ثلاثة.

﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ﴾: الواو: حالية؛ تفيد التّوكيد، أمروا: في كتبهم في التّوراة، والإنجيل، وما جاءت به رسلهم.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿لِيَعْبُدُوٓاْ﴾: اللام: لام التّوكيد، العبادة: لا تكون إلا للخالق، وهي الخضوع، والطّاعة مع المعرفة بالمعبود. ارجع إلىٰ سورة النحل، آية (٧٣)؛ لبيان معنىٰ العبادة.

﴿إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾: الإله: المعبود، واحداً: توكيد، والواحد؛ تعني: المتفرِّد بالذّات، والذي لا يتجزأ، فلا شريك له، ولا يصبح اثنين، أو ثلاثة، أما الأحد: فهو الّذي لا شبيه، ولا نظير، ولا مثيل، ولا ثاني له.

﴿لَّآ﴾: النّافية للجنس.

﴿إِلَٰهَ﴾: معبود بمعنىٰ: مألوه علىٰ وزن مفعول؛ لا معبود بحق في الوجود إلا هو.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

قوله: ﴿لَّآ إِلَٰهَ﴾: للنفي. إلا هو: للإثبات، أو توكيد النّفي.

فقوله: ﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: جمعت النّفي، والإثبات معاً. ارجع إلى سورة البقرة، آية (٢٥٥)؛ لمزيد من البيان.

﴿سُبْحَـٰنَهُۥ﴾: أيْ: أصفه بكل كمال، وأنزهه عن كل نقص، وشرك، وعجز، وما لا يليق به؛ تنزيهاً لذاته، وصفاته، وأفعاله؛ فلا ذات مثل ذاته، ولا صفة مثل صفاته، ولا فعلاً مثل أفعاله. ارجع إلى سورة الإسراء، آية (١)؛ لمزيد من البيان.

﴿عَمَّا﴾: عن: تفيد المجاوزة، والابتعاد، ما: مطلقة للعاقل، وغير العاقل، ما: حرف مصدري.

﴿يُشْرِكُونَ﴾ بالله، يشركون بصيغة المضارع؛ لتدل على التّجدد، والتّكرار، وأنّهم مستمرون في شركهم بقولهم المسيح ابن الله، أو عزير ابن الله، أو الملائكة بنات الله، أو يتخذون من دونه أولياء، أو يتخذون الأصنام، والأوثان آلهة يُعبدون.

❖❖❖

يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ
أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ
أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ
كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ
أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ
وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا
فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ
عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ
وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ
تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ
شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ
مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ
أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا
يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾

الحزب ٢٠

سورة التّوبة [الآيات ٣٢ - ٣٦]

[٣٢] ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾:

﴿يُرِيدُونَ﴾: أي: اليهود، والنّصارىٰ... وغيرهم.

﴿أَن﴾: حرف مصدري؛ تفيد التّوكيد.

﴿يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾: نور الله: دين الله، دين الإسلام، شبه الدّين بالنّور. بأفواههم: الباء: للإلصاق، والتّوكيد، والاختصاص، بأفواههم؛ أيْ: بأقوالهم، وأقوالهم فارغة لا تستند إلىٰ برهان، ولا دليل.

﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾: يأبىٰ من الإباء: شدة الامتناع؛ أيْ: لا بد أن يُتم الله نوره، ولو في المستقبل؛ إلا: أداة حصر. أن: للتوكيد، يتم نوره: جاء بجملة فعلية فيها تجديد واستمرار.

﴿نُورَهُۥ﴾: أيْ: دينه وهو الإسلام؛ أيْ: ينشر، ويظهر دينه، والإظهار يكون بالحُجَّة، والسلطان، ومنها آيات الإعجاز العلمي، ولا يعني بالقوة، والجبروت، ولو شاء الله لفعل هذا أيضاً.

﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾: ولو: بمعنىٰ: وإنْ كره الكافرون. لو: شرطية.

ولا بد من مقارنة هذه الآية بآية الصّف (٨)، والّتي يقول فيها سبحانه: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

ففي هذه الآية، آية الصف: أضاف اللام: لام التّوكيد، والتّعليل في كلمة (ليطفئوا)، وبدل أن يتم الله نوره، قال: والله متم نوره، جاء بالجملة الاسمية

بدلاً من الفعلية، وتفسير الاختلاف يعود إلىٰ أنّ آية التّوبة جاءت في سياق اتخاذ الأحبار، والرّهبان أرباباً من دون الله، والمسيح ابن مريم.

أما آية الصّف: فجاءت في سياق إنكار نبوَّة رسول الله ﷺ؛ فجاء الرّد أشد بالتّوكيد بلام (ليطفئوا)، وكذلك جاء بالجملة الاسمية، والله متم نوره؛ للدلالة علىٰ الثّبات، وعدم التّغير، والإتمام حاصل لا محالة.

بينما في التّوبة: جاء بالجملة الفعلية؛ أيْ: تدل علىٰ التّجدد، والاستمرار، والجملة الاسمية أقوىٰ من الفعلية، وآكد؛ فيكون المعنىٰ بالتّجديد، والاستمرار، والثّبات معاً علىٰ إتمام الله سبحانه لنوره (دينه). ارجع إلىٰ سورة الصف، آية (٨)؛ لمزيد من البيان، والمقارنة.

[٣٣] ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾:

﴿ هُوَ ﴾: ضمير منفصل يفيد الاختصاص والقصر والتّوكيد علىٰ الله سبحانه.

﴿أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ ﴾: محمّد ﷺ.

﴿بِٱلْهُدَىٰ ﴾: بالقرآن، والباء: للتوكيد.

﴿وَدِينِ ٱلْحَقِّ ﴾: دين الإسلام.

﴿لِيُظْهِرَهُۥ ﴾: اللام: للتعليل، والتّوكيد، والهاء: تعود إلىٰ الدِّين.

﴿عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾: ليظهر هذا الدِّين علىٰ سائر الملل، سواء حدث هذا عاجلاً، أم آجلاً، كما قيل بعد نزول عيسىٰ عليه السلام، أو ليظهره إظهار حُجَّة، وبرهان ليعليه؛ أيْ: يجعله مهيمناً هيمنة برهان، وحُجَّة، وليس معناه: يمحو الدّيانات الأخرىٰ، ولا ظهور أتباع بحيث يصبح كلّ واحد مسلم.

﴿ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾: كله: توكيد.

﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾: ولو: حرف شرط؛ بمعنىٰ: وإن كره المشركون.

[٣٤] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾:

﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل؛ يفيد التّوكيد.

﴿كَثِيرًا﴾: ولم يقل كلّ، بل قال: كثيراً؛ أيْ: هناك القلة من الأحبار وهم علماء اليهود لا يأكلون أموال النّاس بالباطل، والكثير يأكل.

﴿وَٱلرُّهْبَانِ﴾: عُباد النّصارىٰ. ارجع إلىٰ الآية (٣١) من نفس السّورة؛ للبيان.

﴿لَيَأْكُلُونَ﴾: اللام: للتعليل، والتّأكيد. يأكلون: جاء بالفعل المضارع؛ ليدل أنهم أكلوا، ولا زالوا يأكلون، وتدل علىٰ التّجدد، والاستمرار في الأكل؛ أيْ: أخذ أموال النّاس بالباطل، وشبه الأخذ بالأكل؛ لكثرة حدوثه؛ لأنّ النّاس تأكل المرات العديدة في اليوم، أو لأنهم يشترون بالمال الباطل الطعام فينتهي في بطونهم.

﴿أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ﴾: بالباطل: الباء: للإلصاق، والتّوكيد؛ بغير الحق؛ أيْ: بالرّشوة، والغش، والكذب، والخداع، والحرام.

﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: يمنعون النّاس عن الدّخول في دينه، واتباع رسوله محمّد ﷺ، ويحاربون الإسلام بأقوالهم، وأفعالهم.

﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ﴾: الّذين: اسم موصول يفيد الذّم.

﴿يَكْنِزُونَ﴾: الكنز؛ بمعنى: الجمع، والخزن. يكنزون: جاء بصيغة المضارع؛ للتجدد، والتّكرار، وبصيغة الجمع؛ لأنّ المخاطبين كثرة؛ هذا عنده ذهب، وهذا عنده فضة، أو كلاهما.

﴿ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ﴾: هما أساس التّعامل التّجاري، والعملة.

﴿وَلَا يُنفِقُونَهَا﴾: لا: النّافية.

﴿يُنفِقُونَهَا﴾: لا يؤدُّون حق زكاتها، أو ينفقون بعضها في سبيل الله، ومساعدة الفقراء، والمساكين، ولم يقل ينفقونهما؛ لأنّ الصّيغة هي الجمع؛ إذن: هم يقومون بأربعة أفعال: الأكل بالباطل، والصّد عن سبيل الله، وكنز الذّهب والفضة، ولا ينفقونها في سبيل الله.

﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: الفاء: للتوكيد، بشرهم: من البشارة، والبشارة هي الإخبار بأمر سار عادة، واستعملت هنا بقصد التّهكم، والاستهزاء.

﴿بِعَذَابٍ﴾: الباء: للإلصاق، والتّوكيد، والاستمرار.

﴿أَلِيمٍ﴾: شديد الإيلام لا يطيقه أو يقدر عليه أحد.

[٣٥] ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾:

﴿يَوْمَ﴾: ظرف زمان منصوب؛ تقديره: واذكر يوم يحمى عليها، أو تتمة للآية السّابقة: فبشرهم بعذاب أليم يُحمى عليها. قال: يُحمى عليها في نار جهنم، ولم يقل: تحمى عليها؛ لأنّ تحمى عليها قد تعني: النّار أن توقد وتُسعر، ولكن قوله: يحمى عليها؛ تعني: الأموال الذّهب والفضة.

﴿فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾: لماذا اختيرت هذه الأعضاء من بين سائر أعضاء الجسم.

نحن لو نظرنا إلىٰ ما يفعله الغني البخيل في وجه الفقير لكي لا ينفق عليه شيئاً:

أوّلاً: العبوس، ويظهر ذلك علىٰ الجباه؛ لذلك تكوىٰ أولاً جباهُهُم.

ثمّ يدير له جانبه في المجلس؛ جنوبهم تكوىٰ ثانياً.

ثمّ يولي له ظهره؛ ظهورهم تكوىٰ ثالثاً.

﴿هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾: هذا: الهاء: للتنبيه، ذا: اسم إشارة؛ يفيد القرب والذّم.

﴿مَا﴾: اسم موصول؛ بمعنىٰ: الّذي كنزتم.

أو مصدرية ﴿كَنَزْتُمْ﴾: وبال كونكم كانزين لأنفسكم؛ أي: اللام: لام الاختصاص، والاستحقاق.

﴿فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾: ذوقوا وبال ما كنزتم، أو كونكم كانزين.

[٣٦] ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾:

نزلت هذه الآية بشأن النّسيء الّذي كانت العرب تفعله؛ كي يستحلُّوا فيه المحرمات.

﴿إِنَّ﴾: للتوكيد.

﴿عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ﴾: عند الله؛ أيْ: في علمه تعالىٰ، وحكمه، والشّهور: جمع شهر، وهي الأشهر القمرية؛ لأنّ الحساب كان يتم بها، ويعتمد علىٰ رؤية القمر، وعدة الشهور، وثباتها يعتمد علىٰ ثبات بُعد الأرض عن الشمس، وهو (١٥٠ مليون كم)، فلو كانت الأرض أقرب إلىٰ الشمس؛ لقل عدد الشهور، ولو كانت أبعد؛ لكان عدد الشهور أكثر. إذن: ثبات عدد الأشهر باثني عشر شهراً؛ يدل علىٰ ثبات بُعد الشمس عن الأرض.

﴿ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾:

﴿فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾: في اللوح المحفوظ، أو المدوَّن في كتابه؛ أيْ: في شرع الله يوم خلق السموات والأرض؛ أيْ: يوم حدِّد بُعدُ الأرض عن الشمس، وعن القمر، وعن غيرها من الأجرام، وثبته علىٰ ذلك، وهو البُعد المثالي للعيش علىٰ هذه الأرض.

﴿مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾: ثلاثة أشهر متواليات: ذو القعدة، وذو الحِجَّة، ومحرَّم، ورجب. حُرُم: لا قتال فيها؛ هنَّ فرصة للسلام، والأمان.

قال تعالىٰ: منها، ولم يقل: منهنَّ أربعة حرم؛ لأنّ منهنَّ: جمع قلة (أقل من عشرة)، أما اثنا عشر؛ فهي جمع كثرة، ولذلك استعمل منها.

﴿ذَٰلِكَ﴾: أيْ: تحريمها من الدِّين القيم؛ الدِّين الّذي تستقيم به أمور الحياة، وهو دِين إبراهيم، دِين الإسلام؛ فمن دون الدِّين لا حياة حقيقة أصلاً، بل يعم الفساد، والضّلال، وأمّا إذا اعتدوا عليكم، واستحلوا حرمة هذه الشّهور؛ فقاتلوهم، وذلك جزاء الكافرين.

﴿فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾: الفاء: للتوكيد، لا: النّافية.

﴿تَظْلِمُوا۟﴾: من ظلم النّفس؛ أيْ: إنقاصها حقها من فعل الخيرات، وتزكيتها في هذه الأشهر الحرم؛ أيْ: أكثروا، وبادروا إلىٰ القيام بالأعمال الصالحة؛ لأن

أجرها عظيم، ولا تجعلوا الحرام حلالاً، والحلال حراماً، وبفعل المعصية، وترك الطّاعات، والقتل، والسّلب، وقال فيهنَّ: ولم يقل فيها؛ لأنّ الأربعة أشهر جمع قلَّة، وفيهنَّ: لجمع القلَّة. انتبه إلىٰ الفرق بين قوله تعالىٰ: ﴿مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾، وقوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ﴾.

﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾: يجب الانتباه إلىٰ معنىٰ كافة في هذه الآية؛ كافة هنا: تعود علىٰ المؤمنين؛ تعني: يا أيها الّذين آمنوا إذا قاتلتم المشركين فكونوا جميعاً؛ أيْ: يداً واحدة، أو قاتلوهم كافة الكل يشارك في قتالهم، كما يقاتلونكم كافة، ولا تفرقوا. أمّا إذا عادت إلىٰ المشركين فكيف نقاتلهم كافة ونحن قلة؟

وانتبه إلىٰ قوله: ﴿كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾: الكاف: للتنبيه؛ أيْ: قوىٰ الباطل تجتمع عادة مع بعضها، فلا داعي لدعوتها إلىٰ الاجتماع أصلاً؛ فهم لا يقاتلونكم إلا كافة من شدة خوفهم منكم، ولا تعني: قاتلوا المشركين كافة، وأنتم قلَّة، أو لا تقدروا عليهم.

﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾: علم اليقين. أن: للتوكيد، مع المتقين: يمدهم بالعون، والنّصر. معهم بعلمه لا يعزب عنه مثقال ذرة في السّموات، ولا في الأرض.

❖❖❖

إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ
فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَـٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ
لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ
إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ
فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾
إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا
غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ
قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ
يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ
ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا
وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ
وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾

سورة التّوبة [الآيات ٣٧ - ٤٠]

[٣٧] ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَـٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾:

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة؛ تفيد الحصر، والتّوكيد.

﴿ٱلنَّسِيٓءُ﴾: تأخير الشّيء، من نسأ؛ أيْ: أخّر، وتعني: تأخير حرمة شهر إلىٰ شهر آخر؛ أي: التلاعب بتغير موضع الشهر عن موقعه الحقيقي؛ حتّىٰ يبيحوا لأنفسهم ما حرم الله فيها من القتال، أو فعل المحرمات.

فكان معلوماً عند العرب حرمة الأربعة أشهر: رجب، وذي القعدة، وذي الحِجَّة، ومحرَّم؛ أيْ: لا قتال فيها فكانوا إذا احتاجوا إلىٰ تحليل الشّهر المحرم للحرب عندها يؤخِّرون مثلاً تحريم شهر محرم إلىٰ صفر، وهكذا تصبح الأشهر مختلطة، أو إلىٰ زيادة، أو إنقاص يوم من الشهر.

﴿زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِ﴾: فأخبرهم الله سبحانه: أنّ هذا زيادة في الكفر؛ إضافة إلىٰ كفرهم بالله، وكتبه ورسله (الكفر العادي)؛ لأنّهم أحلوا الحرام، وحرموا الحلال.

﴿يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: به تعود علىٰ النسيء. يُضَل به الفاعل مجهول (مبني للمجهول)؛ قد يكون الشّيطان، أو من جاء من قبلهم، أو هم أنفسهم من يقوم بإضلال.

وهناك فرق بين الضّلال، والإضلال؛ فالضّلال: يقتصر على الذّات، أو النّفس، أما الإضلال: فيتعدّى إلى الغير.

﴿يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا﴾: بإبدال شهر من الأشهر الحرم، بشهر من الشّهور الحل، أو إبدال شهر حل بشهر محرم، أو يحرمونه عاماً، ويحافظون على حرمته، فلا يحلونه أبداً، أو يحلونه هذا العام، ويحرمونه العام القادم.

﴿لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾: اللام: لام التّعليل، والتّوكيد.

المواطأة: هي الموافقة في العدد؛ فهم لا يحلوا شهراً من الأشهر الحرم؛ إلا حرموا مكانه شهراً من الحلال، ولم يحرموا شهراً من الحلال؛ إلا أحلوا مكانه شهراً من الحرام؛ لئلا تكون الأشهر الحرم أكثر من أربعة؛ أيْ: لتوافق عدة الأربعة أشهر الحرم الّتي حرم الله؛ أي: العدد في النهاية متساوٍ.

﴿فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَـٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾: فيحلُّوا القتال في الأشهر الحرم.

﴿زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَـٰلِهِمْ﴾: زين لهم الشّيطان سوء أعمالهم، أو قادتهم ورؤساؤهم.

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾: والله لا يهدي القوم الّذين اختاروا طريق الكفر على الإيمان، وساروا فيه، ولا يريدون العودة إلى طريق الهدى، والتّوبة؛ فالله سبحانه لا يهديهم كلما ابتعدوا عن طريق الهداية، ويتركهم وشأنهم.

[٣٨] ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾:

المناسبة: قيل: نزلت هذه الآية لما أمر رسول الله ﷺ المسلمين بالخروج

إلىٰ غزوة تبوك، والاستعداد لها، وكان ذلك في زمن عسرة، وجدب، وحر شديد، وقد طابت الثّمار؛ فعظم علىٰ النّاس هذا الأمر؛ أي: الجهاد، والخروج، وبعضهم فضل البقاء؛ فنزلت هذه الآية، كما روىٰ الطبري عن مجاهد.

نـداء جديد إلىٰ الّذين آمنوا، والهاء: للتنبيه للجهاد في سـبيل الله، وحين يقول في سبيل الله: تعني: غالباً الجهاد في سبيل الله، والاستعداد للخروج؛ فهو يشكل الخطوة الأولىٰ في الجهاد، وقتال العدو.

﴿مَالَكُمْ﴾: ما: الاستفهامية فيها معنىٰ التّوبيخ، والتعجب، لكم: خاصَّة.

﴿إِذَا قِيلَ لَكُمُ﴾: إذا: بمعنىٰ حين ظرف زماني، قيل لكم: من قِبل الرّسول، أو إخوانكم.

﴿ٱنفِرُواْ﴾: اخرجـوا من النفرة: الأصل فـي النّفرة: التّباعد بين إنسـان وصديقـه كان بينهما مودة، ومحبة، ثمّ حدث من هذا الصّديق فعل، أو قول أدَّىٰ إلىٰ أن يبتعد عنه، أو ينفر منه، انفروا فيها حث للنّاس، ودعوتهم للخروج إلىٰ أمر ما بسـرعة؛ مثل: الجهاد، أو إنقاذ غريق، أو حريق، ومنه إعلان النّفير العام هبوا إلىٰ القتال.

﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: ابتغاء مرضاة الله؛ لإعلاء كلمة الله، أو الجهاد غالباً.

﴿ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾: أصلهـا تثاقلتم إلىٰ الأرض؛ أدغمت التّاء في الثّاء؛ أي: أخلدتـم إلـىٰ الأرض؛ غرتكم شـهوات الدّنيا؛ حيث طابـت الثمار؛ أيْ: أينعت، وكون الجو حاراً، أو اطمأننتم إلىٰ الدّنيا، وأردتم البقاء في الدّيار، وعدم الخروج، والتّثاقل: معناه لك المقدرة علىٰ الفعل المطلوب منك، ولكنك تتصنع أنك غير قادر؛ أي: تتكاسل.

﴿أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْآخِرَةِ﴾: الهمزة: اسـتفهام إنكاري،

وتوبيخي، الرّضا: القبول، والسّرور، وحب القلب، أرضيتم بنعيم الدّنيا بدل نعيم الآخرة، وبالحياة: بالباء: للإلصاق، والتّوكيد.

﴿فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾: فما: الفاء: عاطفة، ما: النّافية، متاع الدّنيا: الفاني، والزائل، والقليل، والمتاع: هو كل ما ينتفع به، ويرغب في اقتنائه؛ كالطّعام، والأثاث، والسّلعة، والأداة به، وما يستمتع به من لذائذ لا يقارن بمتاع الآخرة الدّائم، والأكبر، والّذي لا ينفد.

[٣٩] ﴿إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾:

﴿إِلَّا﴾: أصلها: إن: الشّرطية، لا: النّافية، وتقديرها: إن لا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً.

﴿تَنفِرُوا۟﴾: إن لم تخرجوا للجهاد مع النّبي ﷺ إلى تبوك. ارجع إلى الآية (٣٨)؛ لمزيد من البيان.

﴿يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾: ينذركم بالعذاب الأليم في الدّارين، وبالقحط، أو الأوبئة، أو الهلاك.

﴿وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾: يستبدلكم بجيل آخر، أو قوماً آخرين، ويستبدل قوماً غيركم: من الاستبدال، والاستبدال لا يعني الاستخلاف.

الاستبدال: يأتي بقوم غير القوم، ولو بعد مرور قرون، والاستبدال يحصل لأقوام أعرضوا عن دين الله، وتطبيق شريعته، ولذلك قضى عليهم، وأهلكهم، وجاء بقوم آخرين.

والاستخلاف: يأتي بجيل، أو قوم بعد جيل، أو تلو الآخر من دون انقطاع.

والاستخلاف: يحصل لأقوام قصروا في دينهم، وإيمانهم؛ فأبدلهم بقوم آخرين، وانقضىٰ أجلهم؛ أيْ: ماتوا، وجاء بقوم آخرين.

﴿وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا﴾: ولا: النّافية، تضروه: الهاء: تعود علىٰ رسول الله ﷺ؛ أي: لا تضروا رسول الله ﷺ شيئاً؛ لأنّ الله وعده بالعصمة، والنّصر.

﴿شَيْئًا﴾: أقل القليل. شيئاً: نكرة مهما كان نوعه؛ بالقول، أو بالفعل، والضّر: هنا كلّ ما يحصل من عواقب وخيمة من ترك الجهاد.

﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: قادر علىٰ هزم الأعداء وحده، وقادر علىٰ أن يهلككم، ويأتي بقوم آخرين أفضل منكم؛ لرفضكم الاستجابة إلىٰ الخروج في سبيل الله ﷻ.

﴿قَدِيرٌ﴾: صيغة مبالغة كثير القدرة؛ قادر علىٰ أن يفعل أيَّ شيء، أو يقهر أيَّ شيء.

[٤٠] ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾:

﴿إِلَّا﴾: ارجع إلىٰ الآية السّابقة؛ للبيان.

﴿تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾: إن لم تنصروه، وتؤيّدوه بالنّفير، والخروج إلىٰ تبوك.

﴿فَقَدْ نَصَرَهُ﴾: الفاء: للتوكيد، قد: لزيادة التّوكيد، والتّحقيق، ولم

يقل: فسينصره الله؛ لأن قوله تعالىٰ: فقد نصره الله (بصيغة الماضي)؛ أيْ: قد حدث وانتهىٰ.

﴿نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾: قبل ذلك أيْ: أعانه علىٰ أعدائه، أو تكفل الله بنصره.

أيْ: إن تخاذلتم، ولم تنصروه الآن؛ فقد نصره الله من قبل؛ إذ أخرجه الّذين كفروا من مكة.

﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ﴾: أيْ: هو وأبو بكر فقط، وأسند الإخراج إلىٰ الكفار، والحقيقة: أنّ الله هو الّذي أذن له بالخروج عن طريق جبريل عليه السلام حين هموا بقتله، وحين اجتمعوا في دار الندوة، وعزموا علىٰ قتله، ولكنهم لم ينالوه بأذىٰ، وترك علياً في فراشه ﷺ، وخرج من بينهم، ولم يروه إلىٰ الغار (غار جبل ثور) في مكة.

﴿إِذْ﴾: ظرف زمان بمعنىٰ: واذكر إذ، أو واذكر حين.

﴿هُمَا فِي ٱلْغَارِ﴾: هذه هي مرة أخرىٰ الّتي نصره الله فيها، بإرسال العنكبوت؛ لينسج خيوطه علىٰ باب الغار، وجاء بالحمام؛ ليبني عشّه كذلك، ولم يَرَ، أو يعثر الكافرون علىٰ رسول الله ﷺ، وأبي بكر، وهما داخل الغار، وهم علىٰ بابه.

﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾: إذ؛ أيْ: حين قال رسول الله ﷺ لصاحبه أبي بكر: لا تحزن إن الله معنا: وأبو بكر لم يحزن عن ضعف إيمان، أو لخروجه مع رسول الله ﷺ، وإنما كان حزنه خوفاً علىٰ رسول الله ﷺ أن يُمسَّ بمكروه.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾: إنّ: للتوكيد، الله معنا: بعونه، ونصره؛ معنا: يرانا، ويراقبنا، ويحفظنا؛ معنا: بعلمه، وقدرته.

﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ﴾: فأنزل: الفاء: للترتيب، والتّعقيب؛ أيْ: مباشرة أنزل الله سكينته، أنزل الله سكينته على رسوله ﷺ، أو كلاهما. ارجع إلى الآية (٢٦) من نفس السورة لمزيد من البيان.

﴿وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾: مثل: العنكبوت، والحمام، والطّمس على قلوب الّذين كفروا، وعدم الدّخول في الغار، وأيد رسوله ﷺ بجنود؛ تعني: الملائكة في الغار، أو في بدر.

﴿لَّمْ تَرَوْهَا﴾: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر:٣١].

﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ﴾: كلمة الكفر، والشّرك. السّفلى: أي: المغلوبة، أو الباطلة.

﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا﴾: هي: ضمير فصل؛ تفيد التّوكيد، كلمة الإيمان والتّوحيد: لا إله إلا الله محمّد رسول الله ﷺ.

﴿ٱلْعُلْيَا﴾: كلمة الحق.

﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾: عزيز: القوي الّذي لا يغلب، ولا يقهر، والممتنع له العزة جميعاً.

﴿حَكِيمٌ﴾: في أفعاله، وتدبير شؤون خلقه، وكونه حكيم هو الحاكم؛ إليه يرجع الأمر كله، وحكيم من الحكمة؛ فهو أحكم الحكماء، وأحكم الحاكمين، في هجرة نبيه إلى المدينة. ارجع إلى الآية (١٢٩) من سورة البقرة؛ لمزيد من البيان.

❖ ❖ ❖

ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ
فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾
لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ
عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا
مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾
عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ
صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ
يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ
وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ
فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ۞ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ
لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ
وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم
مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ
ٱلْفِتْنَةَ ۖ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾

ربع الحزب ٢٠

سورة التّوبة [الآيات ٤١ - ٤٧]

[٤١] ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾:

﴿ٱنفِرُواْ﴾: اخرجوا للقتال من دون تردُّد، أو تثاقل. ارجع إلىٰ الآية (٣٨)؛ للبيان.

﴿خِفَافًا﴾: من دون سلاح، أو بالسّلاح الخفيف.

﴿وَثِقَالًا﴾: حاملين السّلاح، مدججين بالسّلاح؛ شباناً أو كهولاً.

﴿وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ﴾: وجاهدوا: من الجهاد؛ أي: قتال العدو؛ لإعلاء كلمة الله تعالىٰ، أو الدّفاع عن الأنفس، وجاهدوا فيها حث علىٰ الجهاد، وليس مجرد أن تخرج، فلا بد من الخروج من بذل أكبر الجهد.

﴿بِأَمۡوَٰلِكُمۡ﴾: الباء: للإلصاق، والاهتمام، والأموال مهمة للاستعداد للجهاد، وشراء المؤونة، والعدة، والإنفاق علىٰ الجنود، ورعاية أهليهم حين الخروج.

﴿وَأَنفُسِكُمۡ﴾: بالتّضحية بالأنفس؛ ضحوا بأنفسكم في سبيل الله.

﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: ابتغاء مرضات الله، لا لرياء، أو سمعة، أو غنيمة، أو حمية، أو عصبية.

﴿ذَٰلِكُمۡ﴾: ذلكم: اسم إشارة للبعيد، واستعمل ذلكم، وليس ذلك؛ لأنّ الخطب عظيم، وهو الجهاد، ولكونه يشمل: الأموال، والأنفس... وغيرها؛ أي: يشير إلىٰ عدة أمور.

﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: من القعود عن الجهـاد، والموت؛ موت البعير، وخير لكم من البخل، والشّح. خير لكم عند ربكم، خير: نكرة تشمل: كل أنواع الخير.

﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: إن: شرطية. تعلمون: أنّ الشّهادة في سبيل الله، أو النّصر، وإعلاء كلمة الله، ونصر دينه خير لكم من الدّنيا، ونعيمها الزّائل الفاني.

[٤٢] ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾:

﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا﴾: لو: شـرطية، كان عرضاً قريبـاً: الخروج إلى تبوك للجهاد.

﴿عَرَضًا﴾: أيْ: متاعاً، أو غنيمة، أو منفعة دنيوية، وسمِّي ذلك عرضاً؛ لأنّه يزول، ويتغير، وكلّ ما يتغير يسـمَّى عرضـاً، والدّنيا عرض، والصّحة والمرض عرض.

﴿قَرِيبًا﴾: سهل الوصول إليه، أو التّناول، أو ليس فيه تعب، ومشقة، وسفر.

﴿وَسَفَرًا قَاصِدًا﴾: سفراً وسطاً غير بعيد معتدلاً، والقاصد، ومنه المقتصد الّذي هو الوسط.

﴿لَّاتَّبَعُوكَ﴾: الـلام: لام التّعليل، والتّوكيد. لاتبعـوك: طلباً للغنيمة، أو المنفعة الدّنيوية.

﴿وَلَٰكِن﴾: حرف: استدراك، وتوكيد.

﴿بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ﴾: أي: المسافة الّتي تحتاج إلى تعب، ومشقة، ولذلك لم يخرجوا معك.

﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ﴾: السّـين: للاسـتقبال القريب؛ أيْ: سـيحلفون

بالله: عندما ترجعون من غزوة تبوك؛ سيحلفون بالله لكم كذباً (وهذا ما حدث فعلاً): لو استطعنا لخرجنا معكم، فهم كانوا يستطيعون الخروج، ولديهم المال، والقدرة، ولكنهم حلفوا كذباً، لم يستطيعوا.

﴿يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ﴾: لأنهم لم يخرجوا معك في سبيل الله، ويحلفون بالله كذباً أنهم غير قادرين على الخروج؛ فهم زجُّوا بأنفسهم في دائرة الهلاك، يُهلكون أنفسهم بصيغة المضارع بدلاً من أهلكوا أنفسهم بصيغة الحال، وبشاعة الحلفِ.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾: للتوكيد، لكاذبون: اللام: لام التّعليل، والتّوكيد؛ كاذبون: جمع كاذب، وجاء بالجملة الاسمية بدلاً من يكذبون للدلالة على أنّ سمة الكذب أصبحت ثابتة عندهم، ولم يقل: والله يشهد إنهم لكاذبون: لأنّ الكذب عمل قلبي، أو سر أو غيبي لا يعلمه إلا الله، ولم يشاهده النّاس، أو الصّحابة، أو يعلموا به.

[٤٣] ﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾:

﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ﴾: من العفو: وهو محو الخطأ، أو الذّنب، ولا عقاب عليه.

﴿لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾: لم: اللام: للتعليل. ما: للاستفهام. أذنت لبعض المنافقين بعدم الخروج إلى تبوك، أو التّخلف عنك.

﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية نهاية الغاية.

﴿يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾: أيْ: لو تمهلت لتبيَّن لك الحق؛ أيْ: تعلم الّذين صدقوا، وتعلم الكاذبين، تعلم الّذين صدقوا في أعذارهم، هل هي صدق أم كذب، وقال الّذين صدقوا: ولم يقل: الصّادقين؛ لأنّ

صفة الصّدق غير ثابتة عندهم، والّذين صدقوا: صدقوا؛ أيْ: صفة الصدق عندهم غير ثابتة، مرة يصدقون، ومرة يكذبون.

أما الصّادقون: فصفة الصّدق عندهم ثابتة؛ أيْ: يصدقون دائماً.

وسنرىٰ في الآية (٤٧): أنّ ما فعله رسول الله ﷺ بالإذن لهم بالقعود كان فيه حكمة: هي لو أنّهم خرجوا فيهم ما زادوهم إلا خبالاً، ولأوضعوا خلالهم، وربما كانوا سبباً لهزيمة المسلمين.

[٤٤] ﴿ لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَـٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴾:

﴿ لَا ﴾: النّافية.

﴿يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ﴾: أيْ: من طلب منك الإذن بالقعود، وعدم الخروج: هم الّذين لا يؤمنون بالله، واليوم الآخر، وأما من آمن بالله، واليوم الآخر. ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (٨). فلم يطلبوا منك ذلك، وخرجوا ليجاهدوا في سبيل الله بأموالهم، وأنفسهم.

﴿أَن يُجَـٰهِدُوا۟ ﴾: أنْ: حرف مصدري؛ يفيد التّعليل، والتّوكيد.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ﴾: صيغة مبالغة من علم، علم ما في قلوبهم من إيمان وتقوىٰ. عليم: صيغة مبالغة؛ أي: كثير العلم.

﴿بِٱلْمُتَّقِينَ ﴾: الباء: للإلصاق، المتقين: الّذين أطاعوا أوامر الله، وتجنبوا نواهيه، والباء: للإلصاق؛ أيْ: أصبحت صفة، أو سمة التّقوىٰ عندهم ثابتة لا تتغير.

[٤٥] ﴿إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾:

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة؛ تفيد التّوكيد.

﴿يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾: أي: المنافقون، بعدم الخروج.

﴿وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ﴾: لا زالت الرّيبة تساور قلوبهم، والرّيبة: هي الشّك، والتّهمة معاً.

﴿فَهُمْ﴾: الفاء: للتوكيد، هم: لزيادة التّوكيد.

﴿فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾: التّردد: هو الذّهاب، والمجيء، وعدم الاستقرار في مكان واحد؛ أيْ: لا مع المؤمنين، ولا مع الكفار.

يترددون بين الخروج معك، أو البقاء في ديارهم مع الكفار.

[٤٦] ﴿وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَـٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ﴾:

﴿وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ﴾: الواو: استئنافية، لو: شرطية، أرادوا الخروج: معك.

﴿لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً﴾: اللام: رابطة لجواب الشّرط، تعليلية، والعدة: ما يعدُّه الإنسان ويهيئه؛ أيْ: للخروج في سبيل الله؛ أيْ: لو كانوا عازمين على الخروج في سبيل الله؛ لأعدوا، وأحضروا ما يلزمهم للحرب من الزّاد، والرّاحلة، والسّلاح؛ فهم ليس عندهم حتّى النّية في الخروج، فكيف الاستعداد.

وسبب ذكر ذلك؛ لأنّهم لو استعدوا للخروج، وأحضروا عدتهم، ثمّ حدث طارئ ما يمنعهم عن الخروج، لكن ذلك مقبول، أو أهون درجة.

﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ﴾: لكن: حرف للاستدراك، والتّوكيد، كره الله انبعاثهم: ارجع إلى الآية (١٩) من سورة النّساء؛ لمعرفة الفرق بين الكُره، والكَره؛ بضم الكاف، أو فتح الكاف. انبعاثهم: انطلاقهم، أو قيامهم للخروج.

﴿فَثَبَّطَهُمۡ﴾: الفاء: للتعقيب، والمباشرة. ثبطهم: منعهم، وأقعدهم عن الخروج؛ جعلهم يشعرون بالجبن، والكسل؛ فلم يخرجوا، أو شغلهم عن الخروج.

﴿وَقِيلَ﴾: القائل هنا رسول الله ﷺ؛ لما طلبوا منه ذلك.

﴿ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ﴾: الّذين لا يجب عليهم الجهاد من النّساء، والأطفال، والشّيوخ، أو ربما المعذورين أولو الضّرر، أو القواعد من النّساء.

[٤٧] ﴿لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ يَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَ وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾:

﴿لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم﴾: لو: شرطية. خرجوا فيكم: ولم يقل: خرجوا معكم؛ لأنّ فيكم: في: ظرفية؛ تعني: مختلط فيهم، أو أصبح منهم؛ بينما خرجوا معكم: قد يخرجوا معهم، ويبقوا منعزلين عنهم غير مختلطين بهم.

﴿مَّا زَادُوكُمۡ﴾: ما: النّافية، زادوكم بخروجهم.

﴿إِلَّا خَبَالٗا﴾: إلا: أداة حصر، خبالاً: شراً، وفساداً، وبلبلة في الأفكار، والخبال: مرض عقلي، واضطراب في الرّأي؛ فلا تستطيعون اتخاذ قرار حاسم.

﴿وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ﴾: من الإيضاع؛ يقال: أوضعت النّاقة: إذا أسرعت في سيرها؛ أيْ: يسرعوا بينكم بالفتنة، والفساد.

﴿خِلَٰلَكُمْ﴾: جمع خلَل، والخلل: هو الفرجة بين الشّيئين؛ أيْ: أحدثوا الفرقة بين صفوفكم بسرعة.

أو لسَعَوا بينكم وأسرعوا في نشر وبث النّميمة، والتّحريش، والإفساد، والتّفرقة، وإثارة الفتن، والكذب، والرّعب.

﴿يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ﴾: يبغون: يلتمسون لكم الفتنة في الدّين، وبغى: طلب، أو التمس، وأضاف النّون في يبغونكم: للتوكيد.

﴿ٱلْفِتْنَةَ﴾: إيقاع الخلاف بينكم، والشّك في الخروج، والجهاد، وتهويل الأمر، والهزيمة.

﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾: أيْ: بينكم أُناس ضعاف يسمعون لحديثهم، ويتأثرون بأقوالهم، وأخبارهم، وينقلونها إلى غيرهم.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾: عليم: صيغة مبالغة من عالم؛ كثير العلم بأحوال الظّالمين الظّاهرة، والباطنة، ونواياهم، وأقوالهم، وأفعالهم.

﴿بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾: الباء: للإلصاق؛ الظّالمين: الّذين لم يخرجوا معكم، وقعدوا.

﴿بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾: ارجع إلى الآية (٥٤) من سورة البقرة؛ لمزيد من البيان.

والظّالمين: جملة اسمية؛ تدل على ثبوت صفة الظّلم فيهم.

والظّالمين: جمع ظالم، وهو كل من خرج على منهج الله، أو لم يطعه.

❖ ❖ ❖

لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ
جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾
وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ
سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ
﴿٤٩﴾ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ
مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟
وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ
ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ
﴿٥١﴾ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ
نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ
أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ
أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ
قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ
إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ
إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾

سورة التّوبة [الآيات ٤٨ - ٥٤]

[٤٨] ﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾:

﴿لَقَدِ﴾: اللام: للتوكيد، قد: للتحقيق، والتّوكيد.

﴿ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ﴾: طلبوا، أو أرادوا الفتنة من قبل الخروج إلىٰ تبوك، أو من قبل؛ تعني: يوم أحد؛ حين انصرفوا راجعين، والفتنة: قد تعني: صد النّاس عن الدّخول في الإسلام، والفتنة: قد تعني: بث الخلاف، والفرقة، والشّتات بين المسلمين؛ للإيقاع بهم، أو محاولتهم رد المسلمين إلىٰ الكفر.

﴿وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ﴾: قلبوا الحق باطلاً، والباطل حقاً، والتّقلب: جعل أعلىٰ الشّيء أسفله، أو أسفله أعلاه، ودبّروا لك الحيل؛ حتّىٰ يتخلصوا منك، ومن دين الإسلام الجديد.

﴿حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾: حتّىٰ: حرف غاية نهاية الغاية. جاء الحق: النّصر.

﴿وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾: ظهر، وانتشر أمر الله؛ دين الله الإسلام، أو شرعه، ودخل النّاس فيه أفواجاً، وعلا وانتصر شرعه.

﴿وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾: أن يروا كلّ ذلك يحدث أمام أعينهم، وكارهون: جملة اسمية؛ تدل علىٰ الثّبات؛ ثبات كرههم لكم، ولدينكم.

[٤٩] ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ۚ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾:

سبب نزول الآية: كما رُوي عن ابن عباس ﷺ: نزلت هذه الآية في الجد بن قيس: وهو من الأنصار، من المنافقين؛ فقد جاء يطلب الإذن بعدم الخروج، والسّماح له بالبقاء في المدينة؛ لأنّه لم يكن له جلد على الحرب، وشدائدها، وكان له ولع بحب النّساء، وسمع عن جمال بنات الروم، وخشي أن يُفتن بهنَّ.

﴿وَمِنْهُم﴾: أيْ: الجدُ بن قيس منهم من المنافقين.

﴿مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي﴾: بالقعود، وعدم الخروج.

﴿وَلَا تَفْتِنِّيٓ﴾: لا: النّاهية، تفتني: أيْ: لا توقعني في الفتنة، وهي الإثم؛ أي: الفاحشة؛ كونه لا يملك نفسه من بنات بني الأصفر؛ أيْ: نساء الرّوم.

﴿أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟﴾: ألا: أداة استفتاح؛ ليلفت السامع؛ فينصت، فلا تأخذه غفلة عن الأمر المهم الّذي يتكلم به المتكلم؛ أيْ: يستمع المستمع بكلّ قواه.

أيخافون أن يقعوا في فتنة نساء الرّوم؛ فهم قد سقطوا في فتنة النّفاق، وفتنة التّخلف، وعدم الخروج، وأيُّ فتنة أعظم من هذه الفتن! أمّا فتنة رؤية نساء الرّوم؛ فلا شيء مقارنة بتلك الفتن؛ بعد أن وقعوا في أشد منها بكثير، والفتنة: قد تكون جهنم؛ أيْ: ألا في جهنم سقطوا.

﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾: إن: حرف توكيد.

﴿بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾: الباء: باء الإلصاق؛ أي: المصاحبة، والكافرين: جملة

اســـمية؛ تدل علىٰ الثّبوت؛ ثبوت كفرهم، وإنّ جهنم محيطة بهم يوم القيامة من كل الجوانب، وكأنهم في وســـطها يصطلـــون فيها، ولا محيص، ولا مهرب لهم عنها؛ فهي مؤصدة عليهم، وشبهت بالسّوار المحيط بالمعصم.

[٥٠] ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ﴾:

﴿إِن﴾: شرطية؛ تفيد الاحتمال، أو الافتراض.

﴿تُصِبْكَ حَسَنَةٌ﴾: نصر، أو غنيمة، والحسنة: ما يُسر النّفس حصوله، السّيئة: ما يسوء النّفس وقوعه. ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (٢٠١) لمزيد من البيان.

﴿تَسُؤْهُمْ﴾: جواب الشّـــرط؛ تحزنهم وتزعجهم؛ تضايقهم، أو يشعروا بالغم.

﴿وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ﴾: إن: شـــرطية. تصبك مصيبة: مثل: القتل، أو الهزيمة، أو جراح وشدة.

﴿يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ﴾: أيْ: قـــد أخذنـــا حذرنا؛ فلم نخرج معه، أو نقاتل معه. من قبل: أيْ: من قبل حدوث هذه المصيبة.

﴿وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ﴾: يســـتمروا علـــىٰ إعراضهـــم، وهم: ضمير فصل؛ يفيد التّوكيـــد. فرحون: بما أصابك من الخســـارة، والهزيمة، أو فرحون بســـلامتهم، وعدم خروجهم معك، ولبيان معنىٰ الفرح وأنواعه ارجع إلىٰ سورة آل عمران آية (١٧٠).

[٥١] ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾:

﴿قُل﴾: لهم يا محمّد ﷺ.

﴿لَّن يُصِيبَنَآ﴾: لن: للنفي؛ تدخل على الفعل المضارع؛ كما هو الحال في هذه الآية؛ يصيبنا: فتخلصه للاستقبال، وتنفيه نفياً مؤكداً؛ نفي الاستقبال البعيد، والقريب.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾: ما: اسم موصول للتوكيد؛ توكيد الحصر؛ إلا ما كتب الله لنا: اللام: تفيد الاختصاص، ما كتب لنا: ما قدّر لنا من القدر، والقدر: هو تقدير الله ؛ لما خلق من مخلوقات مهما كانت من إنسان، أو حيوان، أو نبات، أو جماد؛ حتّى الورقة، والذّرة، والحبة في البر، والبحر، والرّطب، واليابس.

ونحن نعلمه بعد وقوعه سواء أكان خيراً، أم شراً.

فالقدر يعني: التّقدير؛ أيْ: فعل الله ﷻ وهو المقدر، وما قدره الله سبحانه هو القدر، وهذا التّقدير حدث قبل خلقه السّموات والأرض بـ(٥٠ ألف سنة)، والإيمان بالقدر أحد أركان الإيمان، والنّاس في القدر ثلاثة أقسام:

١ - الغلاة في إثباته؛ مثل: الجبرية الّذين يؤمنون بأنّ كل ما يفعله الإنسان بغير اختياره؛ يقوم، ينام، يشرب، يعصي، وهو عقيدة مبنية على آية الله: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر:٦٢]، ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات:٩٦]، ومثل هذه العقيدة باطلة في الكتاب والسّنة؛ لقوله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ [التكوير:٢٨]،

﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ﴾ [آل عمران:١٠٢]، ﴿ٱعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فصلت:٤٠]، ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك:٢].

٢ - الغلاة في إنكار القدر؛ بعكس الأوّل: يؤمنون أنّ كلّ ما يفعله الإنسان هو بإرادته؛ يأكل، ينام، يصلي، يعصي، يطيع؛ كلّه بإرادته، وهو مستقل بعمله؛ ليس لله قدرة، ولا اختيار؛ فالعبد يخلق أفعاله، والله يعلم ما سيصنعه عبده، مع نفي مشيئة الله، أمثال القدرية.

٣ - أهل السّنة والجماعة: يؤمنون بعلم الله، وكتابته، ومشيئته، وخلقه، وللعبد مشيئة، وخيار، ولكن ضمن مشيئة الله، وما قدره.

والتقديرات أربعة أنواع:

١ - تقدير أزلي (أولي) قبل خلق السموات والأرض بـ(٥٠ ألف سنة).

٢ - تقدير جنيني: حين نفخ الروح، ويشمل الرزق، والأجل، والعمل شقي، أو سعيد.

٣ - تقدير سنوي، أو حولي، ليلة القدر؛ كما قال تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان:٤].

٤ - تقدير يومي، كما قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ [الرحمن:٢٩].

يغني فقيراً، ويفقر غنياً، ويعز، ويُذل، والإيمان بالقدر من تمام الرّبوبية.

والإيمان بالقدر: لا ينافي ما يفعل الإنسان باختياره؛ لأنّ ما يفعله الإنسان هو من قدر الله أيضاً.

﴿هُوَ مَوْلَىٰنَا﴾: من المولىٰ؛ أيْ: مالكنا، وسيدنا، ومتولي أمورنا، ومدبرها، وحافظنا، وناصرنا.

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: ولأنّه هو مولانا؛ فعليه يجب أن نتوكل؛ أيْ: نطلب منه المساعدة، والمعونة في تدبير أمورنا، والقيام بها بعد أن نقوم، ونؤدّي الأسباب المطلوبة منا.

فاتخاذ الأسباب لا تكفي؛ فلا بد من الاعتماد عليه، وقوله تعالىٰ: وعلىٰ الله: تقديم الجار والمجرور علىٰ الفعل؛ يفيد القصر؛ أيْ: فقط نتوكل علىٰ الله وحده لا غيره.

[٥٢] ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾:

﴿قُلْ﴾: يا محمّد ﷺ.

﴿هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ﴾: هل: استفهام؛ بمعنىٰ: النّفي، والنّفي هنا غير تام؛ لأنّ فيه معنىٰ التّحدي، والتّربص.

﴿تَرَبَّصُونَ بِنَآ﴾: أيها المنافقون. التّربص: الانتظار الطّويل، وبحذر، ويقظة، وأصلها: تتربصون، وحذفت إحدىٰ التّاءين.

﴿بِنَآ﴾: الباء: للإلصاق؛ للدلالة علىٰ نفاد صبرهم، وتربصهم.

﴿إِلَّآ﴾: أداة حصر.

﴿إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ﴾: الحسنيين: مشتقة من أحسن، وتأنيث أحسن

حسنة، وحسنىٰ، وتثنية الحسنىٰ: هي الحسنيين؛ إلا إحدىٰ العاقبتين: إما النّصر، أو الشّهادة في سبيل الله، وكلاهما حسن.

﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ﴾: ننتظر، ولو طال الانتظار، بكم: الباء: للإلصاق، والتّوكيد.

﴿أَن﴾: مصدرية؛ تفيد التّوكيد.

﴿يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ﴾: الباء: للتعليل، والتّوكيد.

﴿بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ﴾: أيْ: أن تحل بكم قارعة من السّماء، أو مصيبة، أو زلزلة، أو رجفة، أو ما شاء الله.

﴿أَوْ بِأَيْدِينَا﴾: أيْ: ننتصر عليكم بالقتل، والأسر، والتّشريد.

﴿فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾: أي: انتظروا وترقبوا، أو انتظروا عاقبة ونهاية ما سيحدث لنا ولكم في الدّنيا، وفي الآخرة، وفيها نوع من الوعيد، والتّهديد.

[٥٣] ﴿قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾:

هذه الآية أمر في معنىٰ الخبر.

﴿قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا﴾: من دون إكراه، أو جبر.

﴿أَوْ كَرْهًا﴾: ملزمين أو مُكرهين. ارجع إلىٰ الآية (٥٤) من سورة البقرة؛ لمزيد من البيان.

﴿لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ﴾: والسّؤال هنا كيف يأمرهم بالإنفاق، ثمّ يقول لهم: لن

يُتقبل منكم، هذا القول يشابه قوله تعالىٰ: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾: أيْ: أنفقوا، أو لا تنفقوا؛ لا يهم، ولا يُتقبل منكم.

﴿لَن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ﴾: للنفي القريب، والبعيد، وبكل تأكيد لن يُتقبل منكم خاصَّة.

﴿إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾: إن: للتعليل. فاسقين: من الفسق: وهو الخروج عن طاعة الله تعالىٰ، ولم يحدد معنىٰ الفسق في هذه الآية، وإنما حدَّده في الآية الآتية (٥٤).

[٥٤] ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾:

عدم قبول نفقاتهم في الآية السّابقة: هو كونهم قوماً فاسقين، ولم يشرح معنىٰ فاسقين في تلك الآية السّابقة، ثمّ جاء في هذه الآية ليحدد معنىٰ الفسق الّذي أريد به، وتضمن ثلاثة أمور:

١ - الكفر بالله وبرسوله.

٢ - ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالىٰ.

٣ - ولا ينفقون إلا وهم كارهون.

﴿كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ﴾: انتبه استعمال الباء بالله، وبرسوله، ولم يقل بالله ورسوله، بالله وبرسوله: فيها توكيد أكثر من بالله ورسوله؛ وتعني: كفر العقيدة.

والباء: تفيد الإلصاق، والاختصاص، وحين يستعمل بالله وبرسوله؛

يستعملها في سياق المنافقين الّذين يعتبرون أنفسهم مسلمون، ويحاربون الله ورسوله، وهم غير معروفين. وحين يستعمل بالله ورسوله يستعملها في سياق الكفار؛ فهؤلاء هم كفار من الأصل لا يؤمنون بالله، ولا بمحمّد، وهويتهم معروفة، ويعبدون الأوثان وهم أخف وطئاً من المنافقين؛ لأنّهم لا يخادعون، ولا يمكرون.

﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ﴾: رياءً من دون إخلاص، فهم يصلون رياء؛ إلا: أداة حصر، هم: ضمير فصل للتوكيد، وكسالىٰ: تعني: التّراخي في القيام إليها.

﴿وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾: فهم لا ينفقون طاعة، بل لمصالح ظاهرة، وستراً لنفاقهم، ويُعدون الإنفاق مغرماً، وخسارة؛ إلا: أداة حصر، كارهون: غير راغبون؛ أيْ: مكرهون عن غير طيب نفس.

❖❖❖

فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم
بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾
وَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمۡ لَمِنكُمۡ وَمَا هُم مِّنكُمۡ وَلَٰكِنَّهُمۡ
قَوۡمٞ يَفۡرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوۡ يَجِدُونَ مَلۡجَـًٔا أَوۡ مَغَٰرَٰتٍ
أَوۡ مُدَّخَلٗا لَّوَلَّوۡاْ إِلَيۡهِ وَهُمۡ يَجۡمَحُونَ ﴿٥٧﴾ وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ
فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنۡ أُعۡطُواْ مِنۡهَا رَضُواْ وَإِن لَّمۡ يُعۡطَوۡاْ مِنۡهَآ إِذَا
هُمۡ يَسۡخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ
وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤۡتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ
وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ
لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ
وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ
فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٦٠﴾ وَمِنۡهُمُ
ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٞۚ قُلۡ أُذُنُ خَيۡرٖ
لَّكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤۡمِنُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ
ءَامَنُواْ مِنكُمۡۚ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٦١﴾

نصف الحزب ٢٠

سورة التّوبة [الآيات ٥٥ - ٦١]

[٥٥] ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾:

﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ﴾: فـلا: الفاء: اسـتئنافية. والتّقدير: بما أنّهم كفروا بالله وبرسـوله، ولا يأتون الصّلاة إلا وهم كسـالىٰ، ولا ينفقون إلا وهم كارهون؛ فإن اتصفوا بتلك الصّفات: فلا تعجبك أموالهم، ولا أولادهم، أو لا تنظر إلىٰ أموالهم، ولا أولادهم.

لا: النّاهية. تعجبك: من الإعجاب بالشّـيء: وهو الفرح به، مع التّعجب، واستحسانه.

﴿أَمْوَٰلُهُمْ﴾: من كثرتها، أو من غناهم.

﴿وَلَآ﴾: أولادهم من الكثرة والقوة، تكـرار لا: الناهية للتوكيد، ولفصل كلّ منهما علىٰ حدة، كثرة الأموال عن كثرة الأولاد، أو كلاهما معاً.

﴿إِنَّمَا﴾: كافة مكفوفة؛ تفيد التّوكيد.

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا﴾: اللام: لام التّعليل، والتّوكيد.

﴿بِهَا﴾: في الحياة الدّنيا؛ ليعذبهـم بها في كيفية جمعها، ويخافون عليها، وما يصحب ذلك من الحرص، ومن القلق، والهم حين يخسـرون في التّجارة، أو الأسـهم، وفي الآخرة يعذبون علىٰ عدم إخراج زكاتها؛ فتكون عليهم حسرة، أو ينفقونها في الصّد عن سـبيل الله، أو في المحرمات، والمعاصي، أو التّبذير.

وأمّـا الأولاد فيعذبهم بهم حين يمرضون، أو يموتون، أو يحدث لهم طارئ، أو مصيبة.

﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: ولم يقل في الدّنيا؛ لأنّها جاءت في سياق الإعجاب، والفرح؛ فإضافة كلمة الحياة تزيد من الغرور، ولكنه وصفها بالدّنيا؛ أيْ: بالحياة الدنيئة السفلىٰ؛ لكونها زائلة، لا تدوم، وتخلوا من الطمأنينة.

﴿وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ﴾: تخرج.

﴿وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾: هـم: ضمير فصل؛ يفيـد التّوكيد، كافـرون: لم يتوبوا إلىٰ الله؛ لأنّ التّكاثر ألهاهم؛ حتّىٰ زاروا المقابر.

ولا بد من مقارنة هذه الآية (٥٥) من سورة التّوبة، مع الآية (٨٥) من سورة التّوبة أيضاً.

الآيـة (٥٥): ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾.

والآيـة (٨٥): ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾.

كلا الآيتين في سياق المنافقين:

الآية ٨٥	الآية ٥٥
في سياق الجهاد، والقتال في سبيل الله	في سياق الإنفاق في سبيل الله
﴿وَلَا تُعْجِبْكَ﴾: الواو: لا تدل علىٰ الترتيب، والتّعقيب	﴿فَلَا تُعْجِبْكَ﴾: الفاء: للترتيب، والتّعجب والتّوكيد

الآية ٨٥	الآية ٥٥
﴿أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ﴾: جمع الأموال والأولاد معاً؛ أيْ: أُعطوا نعمتي المال والأولاد معاً	﴿أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ﴾: زيادة لا: للتوكيد؛ نافية، وفصل كلّ من الأموال والأولاد على حدة، أو كلاهما معاً؛ أيْ: منهم من أُعطي الأموال، ومنهم من أُعطي الأولاد
﴿أَن يُعَذِّبَهُم﴾: أنْ: للتعليل	﴿لِيُعَذِّبَهُم﴾: اللام: للتوكيد، والتّعليل، والعذاب ليس بسبب جمعهم المال فقط، وإنما بسبب حبهم له، وعدم إنفاقه.
﴿فِى ٱلدُّنْيَا﴾: من دون كلمة الحياة؛ لأنّ الجهاد، والقتال لا يناسب معه ذكر الحياة الدّنيا؛ اكتفى بذكر الصّفة	﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: لأنه يتحدث عن المال، ناسب ذكر الحياة كلمة الدّنيا. الحياة الدنيا: الدنيا صفة للحياة

[٥٦] ﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾:

﴿وَيَحْلِفُونَ﴾: أي: المنافقون يحلفون بالأيمان الكاذبة، وكلمة الحلف في القرآن تأتي عادة في سياق اليمين الكاذب، وأما القسم في القرآن فيأتي عادة، أو يصدر من الصادق في أيمانه، أو الّذي يظن أنه صادق في قوله، رغم أنه كاذب، أو على غير حق، أو يقسم بغير حق.

﴿بِٱللَّهِ﴾: الباء: للإلصاق، والتّوكيد، يحلفون بالله الخطاب للمؤمنين.

﴿إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ﴾: إن: للتوكيد، واللام: للاختصاص، والتّوكيد، منكم؛ أيْ: من المؤمنين، أو على دينكم.

﴿وَمَا هُم مِّنكُمْ﴾: ما: النّافية، هم: ضمير منفصل؛ يفيد التّوكيد، منكم: أيّها المؤمنون.

﴿وَلَٰكِنَّهُمْ﴾: لكن: حرف استدراك، وتوكيد.

﴿قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾: الفرق: هو الخوف الشّديد مع الفزع الدّائم بتوقع الضّرر أن يفتضح أمرهم (نفاقهم)، ويحل بهم ما حل بالمشركين من القتل، والسّبي، ويؤيدون ذلك بالأيمان الكاذبة إنّهم لمنكم، وهم يبطنون الكفر.

[٥٧] ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾:

﴿لَوْ﴾: شرطية.

﴿مَلْجَأً﴾: وهو الحصن.

﴿مَغَارَاتٍ﴾: جمع مغارة: هي الكهف في الأرض عموماً مقارنة بالغار الذي هو مغارة في الجبل.

﴿أَوْ مُدَّخَلًا﴾: اسم مكان في الأرض تدخل فيه بمشقة والْتواء وصعوبة.

﴿لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾: لذهبوا إليه، وهم يسرعون، كما تسرع الفرس الجموح، والجماح: هو فقد السّيطرة على الفرس الّتي يركبها الفارس؛ فلا يقدر على التّحكم بها؛ لأن ليس لها جماح، أو رسن، أو لجام.

ويعني ذلك: أنّهم في زمن السّلم، ومن مظاهر خوفهم (كونهم قوم يفرقون)؛ أيْ: يتمنون الفرار منكم؛ لئلا يفتضح أمرهم (نفاقهم)، والعيش بعيداً عنكم، ولو كان في ملجأ، أو مغارات، أو مدخلاً؛ أيْ: مكان أمن، ولو كان شر الأمكنة؛ لأنّ الله قذف في قلوبهم الرّعب.

وفي زمن الحرب، والقتال مجرد بدء القتال تجدهم يبحثون عن ملجأ،

أو مغارات، أو مدخلاً؛ ليفروا إليه مسرعين خوفاً على أرواحهم من القتل، أو التّشريد، والفضيحة.

[٥٨] ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾:

المناسبة: حدث هذا اللمز يوم حنين يوم قسم رسول الله ﷺ الغنائم.

﴿ وَمِنْهُم ﴾: من: البعضية؛ أيْ: بعض المنافقين.

﴿مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾: يَعيبُ عليك، ويطعن بك يا محمّد في قسمة الصدقات: بأنّك غير عادل، أو مقسط.

﴿فَإِنْ ﴾: الفاء: للترتيب، والتّعقيب، إن: شرطية؛ تفيد الاحتمال.

﴿أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ ﴾: أيْ: قبِلوا، واطمأنوا، وتوقفوا عن اللمز.

﴿وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ ﴾: ظرفية فجائية، هم: ضمير فصل؛ يفيد التّوكيد.

﴿يَسْخَطُونَ ﴾: السّخط: هو عدم الرّضا؛ يبدأ في القلب، ثمّ يتعدَّى إلى اللسان؛ فيظهر التّذمر.

[٥٩] ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴾:

﴿ وَلَوْ ﴾: الواو: عاطفة، لو: شرطية (جوابها محذوف تقديره : لكان خيراً لهم).

﴿رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ﴾: فالله: هو المشرع، والرّسول: هو المنفذ، أو المقسِط.

﴿مَآ ﴾: اسم موصول بمعنى: الّذي، وأوسع شمولاً من الذي، والإيتاء:

هو العطاء مع قابلية استرداده. ارجع إلى الآية (٢٥١) من سورة البقرة. رضوا بما آتاهم الرّسول من الغنائم وقبلوا بها.

﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا﴾: يكفينا ما آتانا الله ورسوله، أو رضينا بما قسم الله لنا.

﴿سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾: سيرزقنا الله من فضله مرة أخرى على يد رسول الله ﷺ، أو سيرزقنا الله عن قريب، والسّين: للاستقبال القريب؛ أيْ: في الدّنيا.

﴿إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾: إنّا إلى طاعة الله ورسوله عاكفون مقيمون؛ أيْ: طالبون من الله الخير، والعفو، وتقديم (إلى الله) يفيد الحصر، والقصر؛ أيْ: فقط إلى الله راغبون، راغبون: جمع راغب على وزن فاعل.

[٦٠] ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾:

تسمّى هذه الآية آيةَ مصارف الزّكاة.

﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ﴾: للتوكيد، والحصر. الصّدقات: تعني الزّكاة.

﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾: اللام: لام الاختصاص، والاستحقاق (أو الملكية)، والفقير الّذي لا شيء له.

﴿وَالْمَسَاكِينِ﴾: المسكين الّذي له شيء، ولكنه غير كاف، وهو أحسن حالاً من الفقير.

﴿وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا﴾: الجباة الّذين يجمعون الزكاة.

﴿وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾: هم حديثو العهد بالإسلام، أو إسلامهم ضعيف، ولكسب قلوبهم، واستمالتهم للدخول في الإسلام يصرف لهم من الزكاة.

﴿وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾: لتخليصهم من الرّق، والعبودية، أو السّجن، أو الأسر؛ نعطي المال ليس لهم مباشرة إنما لغيرهم؛ لتبادل الأسرىٰ، أو الفداء بالمال.

﴿وَٱلْغَـٰرِمِينَ﴾: الّذين أثقلهم الدَّين، وعجزوا عن الوفاء بالدَّين، ولا يعصون الله (ولا يسرفون من الإسراف والتّبذير).

﴿وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: في الجهاد، وشراء السّلاح، والعدة للجهاد، ومن العلماء من قال في سبيل الله؛ يعني: كلّ عمل يرضي الله.

﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: المسافر المنقطع في سفره، والغريب عن وطنه يعطىٰ من الزّكاة؛ لسد حاجته حتّىٰ يرجع إلىٰ وطنه.

﴿فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾: أيْ: هؤلاء الثّمانية الّذين سبق ذكرهم يستحقون الزّكاة بفرض من الله تعالىٰ، فلولا قوله: ﴿فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾: فقد يُفهم إنما الصّدقات علىٰ سبيل الاستحباب، وليس الوجوب.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾: صيغة مبالغة كثير العلم، واسع العلم، عليم بمن يستحق الزّكاة، وعليم من يُزكي، وكم يُزكي، وبمن ينفق في سبيل الله.

﴿حَكِيمٌ﴾: صيغة مبالغة كثير الحكمة، أحكم الحاكمين، أحكم الحكماء، حكيم في تدبير شؤون خلقه، وحكيم بما يُشرع لهم، وما يفرض عليهم.

انتبه إلىٰ استعمال اللام، لام الملكية في الأصناف الأربعة الأوائل: الفقراء، والمساكين، والعاملين عليها، والمؤلفة قلوبهم، ثمّ استعمل (في) في الأصناف الأربعة الأواخر: الرّقاب، والغارمين، وفي سبيل الله، وابن السّبيل، والسبب

في ذلك؛ لأنّ الأربعة الأوائل حين تصرف لهم الزّكاة، أو الصّدقات تصبح ملكاً لهم، وقيل: إنّ اللام للفقراء، والمساكين، والعاملين عليها، والمؤلفة قلوبهم: لام الملكية؛ أيْ: يصرفونها كما يشاؤون.

أمّا الأربعة الأواخر: حين تصرف لهم الزّكاة؛ فهي لا تصل إلى أيديهم أنفسهم؛ فلا يملكونها، وإنما تصرف، وتعطى لغيرهم؛ فمثلاً في الرّقاب: تعطى لتخليص الفرد من الرّق، والعبودية؛ فهي تعطى للمالك، أو في سبيل فك أسره؛ فهي لا تعطى للشخص نفسه.

وفي الغارمين: المثقلون بالدُّيون؛ تدفع لمستحقي الدُّيون، وليس له هو نفسه تدفع من أجله، وليس له... وهكذا.

وفي سبيل الله: تدفع للجهاد، والتّحضير له.

وابن السّبيل: تعطى كي تسد حاجته فقط للعودة إلى وطنه، تعطيه أجرة الطّريق، وحاجته فقط، ولا يعطى المال لكي يمتلكه، وقد يكون غنياً، والتّرتيب هنا لا يفيد من هم الأهم، فالأهم.

[٦١] ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾:

﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ ﴾: منهم: من البعضية؛ أيْ: من بعض المنافقين.

﴿ ٱلَّذِينَ ﴾: اسم موصول.

﴿ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ ﴾: بأقوالهم، وأفعالهم، والإيذاء ما يؤذي الإنسان في نفسه،

أو بدنه، أو ماله، أو أهله، وإيذائهم له يتكرر، ويتجدد لقوله يؤذون بصيغة المضارع الّتي تدل على التّجدد، والتّكرر، ولم يقل : أُوذوا وانتهى الأمر.

﴿وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾: هو: ضمير فصل؛ يفيد التّوكيد، يقولون : هو أذن: أيْ: يصدق كلّ ما يقال له من خبر، ويستمع لكل فرد، ويعتبرون هذا غير جيد، ولا يليق بحقه، أو هو لا يميز بين الحق والباطل، ولا يمحص ما يقال له، وأطلقوا عليه لقب أُذن على اسم الجارحة الأذن.

﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾: أيْ: إن كان أذن كما تقولون فَنِعم الأذن؛ لأنّ نفعه يعود عليكم، ويبلغكم ما أنزل عليكم من ربكم.

﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾: الباء: للإلصاق؛ إيمان عقيدة وإخلاص. ارجع إلى سورة البقرة آية (٨).

﴿وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾: إيمان تصديق؛ أيْ: يصدقهم، ولم يقل : يؤمن لكم؛ لكان ذلك يشمل الكل: المؤمن، والمنافق... وغيرهما.

﴿وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ﴾: والرحمة؛ تعني: يجلب لكم كل منفعة، ويدفع عنكم كل مضرة، ويبيِّن لكم ما أنزل عليكم.

﴿لِّلَّذِينَ﴾: اللام: لام الاختصاص، رحمة خاصَّة للذين آمنوا منكم.

﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: يؤذونه بأيِّ قول، أو فعل، أو طعن، أو عيب في ذاته، وأهله.

﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: شديد الإيلام في الدّنيا، والآخرة.

❖ ❖ ❖

يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ
أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ
مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا
ذَٰلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ
أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ اسْتَهْزِئُوا
إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ
لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ
وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم
بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً
بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ
بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ
عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ
إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ اللَّهُ
الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ
فِيهَا ۚ هِيَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾

سورة التّوبة [الآيات ٦٢ - ٦٨]

[٦٢] ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾:

﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ﴾: يحلفون؛ أي: المنافقون يحلفون الأيمان الكاذبة للمؤمنين: أنّهم لم يطعنوا بالنّبي في خلواتهم، أو يطعنوا بالمؤمنين، وأنّ ذلك لم يصدر عنهم؛ يحلفون ليرضوكم، والله ورسوله أحق بالإرضاء من المؤمنين.

﴿لِيُرْضُوكُمْ﴾: اللام: لام التّعليل، والتّوكيد.

﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾: ولم يقل: يرضوهما؛ لأنّ الله ورسوله مثنى، ولكن جاء بصيغة المفرد (أن يرضوه)؛ لأنّ رضا الله سبحانه، ورضا رسوله واحد.

﴿إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾: إن: شرطية؛ تفيد الاحتمال، والشّك إن كان إيمانهم صحيح، وليس نفاقاً.

[٦٣] ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَٰلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾:

﴿أَلَمْ﴾: الهمزة: للاستفهام، والتّوبيخ، والاستنكار.

﴿يَعْلَمُوا﴾: دائماً حين يقال: ألم يعلموا؛ يعني: أن هذا الأمر المعلن عنه الآن أُعلن في السابق، أو حدث سابقاً أن بلغهم الحكم، أو الخبر، أو الآية، أو

النبـأ، وكان من الواجـب أن يعلموا ذلك، ولم ينسـوه؛ فقوله: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ ﴾ اسـتنكار لجهلهم، وعدم علمهم، أو لتخلفهم عن العلم، وهو: ﴿أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا﴾.

﴿أَنَّهُۥ﴾: أن: حرف مشبه بالفعل؛ يفيد التّوكيد.

﴿مَن﴾: شرطية؛ تفيد معنىٰ الابتداء، والاستغراق.

﴿يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾: أيْ: يعادي، ويحارب، ويشاقق دين الله ورسوله، كلمة يحادد: من الحد، وحد السّيف: هو الجزء القاطع؛ أيْ: كأنّه يحمل السّيف ليحارب، أو يحادد منهج الله ورسوله، أو دين الله ورسوله.

﴿فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا﴾: هذا إنذار إلىٰ من يحادد الله ورسـوله، الفاء: رابطة لجواب الشّرط؛ تفيد التّوكيد.

﴿ خَٰلِدًا فِيهَا﴾: ولـم يقل : خالدين فيها؛ لأنّ العزلة، والانفراد: هو نوع من العذاب؛ إضافة إلىٰ النّار.

﴿ذَٰلِكَ ﴾: ذلك: اسم إشارة يفيد البعد، بعد درجته في الخزي والذّل.

﴿ٱلْخِزْيُ ٱلْعَظِيمُ ﴾: أيْ: ما ينتظرهم من العذاب، ليس أليماً فقط، بل فيه خزي، وهوان، وفضيحة؛ لكونه سيحدث علىٰ مرأىٰ من النّاس.

[٦٤] ﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴾:

﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ ﴾: الحـذر: هو توقي الضرر، أو الإعداد لدفـع الخطر، أو الضّرر المتوقع سـواء أكان التّوقع ظنـاً، أم يقيناً؛

فهم يخافون، ويحذرون أن تنزل عليهم سورة؛ أيْ: على المؤمنين (الرّسول والصحابة).

﴿سُورَةٌ﴾: مجموعة من الآيات؛ تكشف بما في قلوبهم من النّفاق، أو تفضحهم.

﴿بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾: الباء: للتعليل، وما: اسم موصول؛ بمعنى: الّذي في قلوبهم.

﴿فِي قُلُوبِهِمْ﴾: في: ظرفية. قلوبهم: ورغم حذرهم؛ فهم لا يكفون عن الاستهزاء بالآيات، والدّين، والرّسول، والمؤمنين.

﴿قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ﴾: الاستهزاء: هو التصغير من قدر وشأن المستهزَأ به، وعيبه.

﴿إِنَّ اللَّهَ﴾: إن: للتوكيد.

﴿مُخْرِجٌ﴾: مُظهر، ومُبدٍ.

﴿مَا تَحْذَرُونَ﴾: ما: بمعنى: الّذي، وهي أوسع شمولاً من الّذي.

﴿مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ﴾: أي: إظهار نواياكم، وأقوالكم، وأفعالكم، وتخلفكم، وإسراركم.

[٦٥] ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾:

سبب النّزول: كما رُوي عن ابن عباس ﷺ: كان ثلاثة من المنافقين يسيرون إلى غزوة تبوك بين يدي النّبي اثنان كانا يستهزئان بالرّسول، وبالقرآن، والثّالث يضحك؛ فنزل جبريل فأخبر رسول الله ﷺ بما كان هؤلاء الثّلاثة

يستهزئون، ويضحكون؛ فقال رسول الله ﷺ لعمار بن ياسر: سلهم عما كانوا يستهزئون، ويضحكون منه، وقل لهم: أحرقكم الله؛ ففعل؛ فعلموا أن قرآناً نزل فيهم، فأقبلوا يعتذرون لرسول الله ﷺ، وقال أحدهم: ما تكلمت بشيء، ولكن ضحكت عجباً من قولهم؛ فنزلت الآية: ﴿ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم ﴾ [الآية:٦٦].

وقيل: هناك أسباب أخرىٰ، ومهما كان السّبب؛ فالعبرة بعموم اللفظ، وليس بخصوص السّبب.

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ ﴾: لئن: اللام للتوكيد، إن: شرطية، سألتهم: المنافقين الثّلاثة، ليقولن: اللام للتوكيد والنّون لزيادة التّوكيد.

﴿إِنَّمَا ﴾: كافة مكفوفة تفيد التّوكيد.

﴿كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾: نخوض من الخوض والدّخول في الماء لمجرد اللعب؛ فالمنافقون يسمون الطّعن والاستهزاء بآيات الله ورسوله والمؤمنين مجرد تسلية ولعب، (واللعب هو اللهو الّذي يُشغل عن الطّاعات).

﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴾: قل لهم يا محمّد ﷺ: أبالله: الهمزة همزة استفهام إنكاري، والباء: للإلصاق.

﴿أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ﴾: أبالله: تستهزئون؛ كأن تقولوا: إنّ الله فقير ونحن أغنياء، عيسىٰ ابن مريم، والعزير ابن الله، الملائكة بنات الله، يداه مقبوضتان، وآياته (آيات القرآن العظيم والمعجزات)، أو يعدنا بالنصر علىٰ الروم، وفتح قصور الشام وحصونها.

﴿وَرَسُولِهِ ﴾: تقولون: شاعر، وساحر، وكاهن، ومجنون، وإنّه مفتر، وأنّه أبتر، وأنّه أُذن.

﴿كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾: الاستهزاء: هو الاستخفاف، والتّحقير، والعبث بآيات الله، وبالتّالي الضّحك.

[٦٦] ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾:

﴿لَا تَعْتَذِرُوا﴾: لا: النّاهية، تعتذروا: الاعتذار: الإدلاء بالعذر؛ طلباً لعدم المؤاخذة؛ لما قاله، أو فعله، لا تعتذروا: أيْ: لن تنفعكم أعذاركم الكاذبة.

﴿قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾: قد: حرف تحقيق، وتوكيد، كفرتم بعد إيمانكم: كفرتم بسبب استهزائكم بعد إيمانكم بعد أن ادَّعيتم الإيمان باللسان فقط.

﴿إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ﴾: إن: شرطية؛ تفيد الاحتمال، والنّدرة، نعف عن طائفة منكم؛ أيْ: نغفر ونتوب على طائفة منكم بأن نتوب عليهم إن تابوا؛ أي: الثالث الّذي كان يضحك (اعتبره وحده طائفة). ارجع إلى الآية السابقة (٦٥).

﴿نُعَذِّبْ طَائِفَةً﴾: الاثنين المستهزئين (الطائفة الأخرى).

﴿بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾: الباء: للتعليل، أو الإبدال. أنّهم: للتوكيد.

﴿كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾: جمع مجرم، والمجرم: المذنب، أو المنافق، وتطلق على المشرك، والكافر، والظّالم. ارجع إلى سورة الأنعام آية (٥٥) لبيان معنى مجرمين، وسورة الجاثية آية (٣١).

[٦٧] ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ ۘ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ

عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾:

﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ ﴾: جمع منافق، والمنافق: هو الّذي يظهر الإيمان باللسان، ويبطن الكفر. ارجع إلىٰ الآية (٤٩) من سورة الأنفال.

﴿بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾: أيْ: صنف واحد كتشابه أجزاء الشّيء الواحد، أو ذكورهم؛ كإناثهم متشابهون في النّفاق، والصّفات، والأحوال، وبعضهم من بعض؛ تعني: ليسوا من المؤمنين.

﴿يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ ﴾: يأمرون: يدعون إلىٰ المنكر. المنكر تعريفه: هو ما يستقبحه الشّرع، ويمنعه، وما تستنكره العقول السّليمة؛ لمنافاته الأخلاق.

﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ ﴾: يحثون علىٰ ترك المعروف، والمعروف: هو كلّ أمر به الشّرع، واستحسنه العقل، والعرف الصّحيح، وينهون عن الإيمان.

﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ﴾: يمسكون عن الإنفاق في سبيل الله، والصّدقة؛ كناية عن الشّح، والبخل.

﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ ﴾: نسوا طاعة الله، وعبادته، وذِكره.

﴿فَنَسِيَهُمْ ﴾: والله سبحانه لا ينسىٰ أبداً، ولا ينسب له الغفلة سبحانه كقوله تعالىٰ: ﴿فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴾ [طه:٥٢]، ولكن تعني: أهملهم، ونسيهم من رحمته، أو تركهم ولم ينظر إليهم، أو يكترث بهم.

﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾: إنّ: للتوكيد، هم: ضمير فصل يفيد المبالغة، الفاسقون: إذا كان يوجد غيرهم من الفاسقين فهم حقاً العاملون في الفسق، وفي طليعتهم.

﴿ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾: جمع فاسق، والفاسق: من خرج عن شرع الله؛ أيْ: دينه. ارجع إلىٰ سورة البقرة، آية (٢٦)؛ لمزيد من البيان.

[٦٨] ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾:

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ﴾: الوعد عادة يكون للخير، والوعيد للشر، من أوعد، وإذا استخدم وعد بدلاً من أوعد: فهذا يدل على الاستهزاء بالمنافقين، والتهكم، ولم يقل: يعد الله المنافقين؛ فجاء بصيغة الماضي؛ ليدل على أنّ هذا الأمر تحقق، وانتهى.

﴿ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ﴾: الكفار: تدل على الاسم، والكافرين: تدل على الفعل، وفيها مبالغة من الكفر، والكفار أكثر من الكافرين؛ أيْ: عموم الكافرين، والمشركين، وعبدة الأصنام.

﴿نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾: الخلود: استمرار البقاء من وقت مبتدأ، وهو دخولهم فيها، والخلود: اللزوم المستمر لما لا نهاية.

﴿هِىَ حَسْبُهُمْ﴾: دلالة على عظم عذابها؛ أيْ: تكفيهم جميعاً، وتكفي كل واحد منهم مهما عمل من سيئات، وذنوب، ومعاصٍ؛ فلا يحتاج إلى شيء آخر من العذاب.

﴿وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾: طردهم من رحمته، فلا تقبل لهم توبة، ولا عودة إلى الإيمان في الآخرة؛ لأنّ مكان التّوبة، والعودة هو في الدّنيا.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾: دائم، ومستمر على ألمه، وشدته، ونوعه لا يخفف، ولا يتغير، وتقديم لهم؛ تعني: خاصَّة لهم.

❖ ❖ ❖

كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ
أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ
كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ
كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا
وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ يَأْتِهِمْ
نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ
إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ ۚ أَتَتْهُمْ
رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن
كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ
أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ
وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ
وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾
وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا
ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ
وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾

سورة التّوبة [الآيات ٦٩ - ٧٢]

[٦٩] ﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾:

﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾: الكاف: للتشبيه، والخطاب للمنافقين؛ فهم كأولئك الّذين جاؤوا من قبلهم في أمرين:

الأوّل: الاستمتاع بالخلاق؛ فهم استمتعوا بخلاقهم، وأنتم استمتعتم بخلاقكم، كما استمتعوا هم بخلاقهم، والخلاق: مشتق من الخلق؛ ويعني: التّقدير؛ أي: استمتعوا بنصيبهم الّذي قدر لهم من الملاذ، وكلمة خلاق: اختيرت بدلاً من نصيب؛ لتفيد كلا المعنيين.

والأمر الثّاني: خضتم في الباطل؛ كما خاضوا.

﴿كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا﴾: واختلفتم عنهم: بأنهم كانوا أشد منكم قوة؛ قوة بدنية؛ حيث زادهم الله بسطة في الجسم، وكانوا عمالقة، ويعيشون سنين أطول، وكانوا أكثر أموالاً، وأكثر أولاداً.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم: إشارة للبعد؛ تفيد الذمَّ.

﴿حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾: أيْ: لم يعُد لأعمالهم ثواب في الدّنيا والآخرة بطلت أعمالهم بسبب كفرهم ونفاقهم. ارجع إلىٰ سورة البقرة، آية (٢١٧)، وآل عمران، آية (٢٢)؛ لبيان معنىٰ: حبطت.

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ﴾: تكرار أولئك: للتوكيد.

﴿هُمُ﴾: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿ٱلْخَٰسِرُونَ﴾: للمبالغة؛ أيْ: هم من أعظم الخاسرين؛ فإن وجد خاسرين فهم أشد الخاسرين. ارجع إلىٰ سورة النساء، آية (١١٩)؛ لمزيد من البيان.

[٧٠] ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ ۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾:

الآية السّابقة: تحدثت بشكل عام عمن جاؤوا من قبل.

وهذه الآية: جاءت ببعض الأمثلة علىٰ أسماء الأقوام الخاسرين.

﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ﴾: ألم: الهمزة للاستفهام الإنكاري، والتّعجب، لم: حرف نفي، ألم يأتهم: أيْ: أتاهم؛ فحين ينفي النّفي في أمر ما يعني: المراد إثبات الأمر.

﴿فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾: ارجع إلىٰ سورة البقرة، آية (٥٧)، وسورة آل عمران، آية (١١٧)؛ للبيان.

[٧١] ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ

عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾:

قال تعالىٰ سابقاً: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾، ويقول في هذه الآية: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾: هذا يسمَّىٰ فنَّ المقابلة في علم البديع.

﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾: الولاية: مأخوذة من يليه؛ أيْ: صار قريباً؛ فالموالاة: المحبة، والمودة، والنّصرة، والقرب، والمعونة؛ كلّ مؤمن ينصر أخاه، وكلّ مؤمن هو ولي، وهو موالٍ في نفس الوقت.

الولاية؛ تعني: القرب (من يليه صار قريباً منه)، والنّصرة. ارجع إلىٰ سورة المائدة، آية (٥)؛ لمزيد من البيان.

﴿يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٦٧) من نفس السّورة.

﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾: لأن الصّلاة؛ تعني: استدامة الولاء للخالق سبحانه، وإقامة الصّلاة تعني: بشروطها، وأركانها، وسننها، وأوقاتها، وهي عماد الدِّين.

﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٤٣) من سورة البقرة؛ للبيان.

﴿وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾:

﴿وَيُطِيعُونَ ﴾: الطاعة: الاستجابة، والانقياد لمطلوب الشارع وهو الله

سبحانه بما أمر به واجباً كان أم مستحباً. يطيعون: جاءت بصيغة المضارع؛ لتدل على التجدُّد، والتكرار؛ فهي طاعة تتكرَّر، وتتجدَّد، ومستمرة.

﴿وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾: ارجع إلى سورة آل عمران، آية (٣٢)؛ لمزيد من البيان.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة؛ يفيد البعد، والتّعظيم.

﴿سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ﴾: السّين: للاستقبال القريب؛ تعني: الرّحمة قادمة لهؤلاء لا محالة، دائمة لا تنقطع، وإن تأخرت قليلاً، والرّحمة؛ تعني: جلب كل ما يسُر، ودفع ما يضر (أي: الوقاية)، وتعني: الإنعام.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾: إنّ: حرف مشبه بالفعل؛ يفيد التّوكيد.

﴿عَزِيزٌ﴾: غالب على أمره، لا يُغلب، عزيز ولا يُقهر، وممتنع، وقوي لا يعجزه شيء؛ له العزة جميعاً.

﴿حَكِيمٌ﴾: فيما يدبِّره في خلقه، وكونه، وحكيم تعني: الحاكم؛ فهو أحكم الحاكمين، وحكيم من الحكمة؛ تعني: أحكم الحكماء. ارجع إلى سورة البقرة، آية (١٢٩)؛ للبيان.

[٧٢] ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾:

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾: وعد من الوعد.

الوعد: ما يلزم الشخص نفسه بالفعل، ومن دون شرط، ويرتب على عدم القيام به التوبيخ؛ فالوعد يقضي الإنجاز، وإذا أطلق ولم يتقيد يأتي عادة في سياق الخير، كما يأتي الوعيد في سياق الشر، والوعد: قد يكون مؤقت، أو غير مؤقت.

﴿جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾: أيْ: تنبع من تحتها؛ جنات: جمع جنة، ومنها جنات الفردوس، وجنات عدن، وجنات النّعيم، ودار السّلام... وغيرها.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾: ارجع إلى الآية (٦٨) من نفس السّورة.

﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖ﴾: جنات عدن؛ تعني: جنات الإقامة الدّائمة، جنات كما جاء في الحديث الصحيح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «فيها ما لا عين رأيت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر».

﴿وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ﴾: رضوان: مصدر لفعل رضي يرضى، ورضوان من الله أكبر: جملة اسمية؛ تدل على الثّبوت. مقارنة رضي الله عنهم، ورضوا عنه: ارجع إلى سورة آل عمران، آية (١٥)؛ لمعرفة معنى: رضوان.

﴿وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ﴾: أكبر من الجنات، والمساكن الطّيبة، وجنات عدن، وكل ما فيها.

﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾: ذلك: اسم إشارة، واللام: للبعد. هو: ضمير الفصل؛ يفيد التّوكيد.

فلما كان هناك رضوان من الله أكبر من الجنات ناسب ذلك استعمال هو: ضمير الفصل.

﴿ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾: أعظم أنواع الفوز، وليس هناك أفضل من الفوز العظيم. ارجع إلىٰ سورة النساء آية (٧٣) لمزيد من البيان في معنىٰ الفوز العظيم وأنواع الفوز أو درجاته والفروق.

لنقارن هذه الآيات الثّلاثة من سورة التّوبة:

﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ آية (٧٢): فيها توكيد واحد: هو ضمير الفصل، هذا الفوز أعظم من الفوز العظيم، ولكنه أقل درجة من ﴿وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ آية (٨٩): ليس فيها توكيد؛ الفوز العظيم.

﴿وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ آية (١١١): فيها توكيدان: الواو+ هو؛ الفوز العظيم هذا: هو أعلىٰ درجات الفوز، ويتضمن جنات تجري من تحتها الأنهار، ومساكن طيبة، ورضوان من الله، والخلود فيها أبداً. انظر إلىٰ السياق في الآيات الأخرىٰ؛ فهي أقل من ذلك.

فالآية (١١١): جاءت في سياق الجهاد في سبيل الله، ويَقتلون، ويُقتلون.

والآية (٨٩): جاءت في سياق الجهاد في سبيل الله، ولم يقاتلوا، أو يقتلوا (كما حدث في تبوك... وغيرها).

والآية (٧٢): جاءت في سياق المؤمنين، والمؤمنات الّذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويقيمون الصلاة، ويأتون الزكاة.

لنقارن الآية (٧٢) مع الآية (١٠٠) من سورة التّوبة:

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾.

فقوله تعالىٰ في الآية (٧٢): ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾: يشمل جنات، ومساكن طيبة، ورضوان من الله، وتجري من تحتها الأنهار.

١ - هذه أعلىٰ منزلة من الّتي وردت في الآية (١٠٠)، والّتي تخص السّابقون الأولون، والذين اتبعوهم (ليس فيهم الأنبياء).

٢ - ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا﴾: أفضل من: ﴿تَجْرِى تَحْتَهَا﴾: تدل علىٰ الثّبوت.

٣ - ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾: جملة اسمية؛ أفضل من: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾: جملة فعلية تدل علىٰ تجدُّد الحدوث.

❖❖❖

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ
وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ
مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ
وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ
مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ
ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ
مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ
ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾
فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ
﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟
ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟
أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ
ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ
ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا
جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾

ثلاثة أرباع الجزء ٢٠

سورة التّوبة [الآيات ٧٣ - ٧٩]

[٧٣] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٦٤) من سورة الأنفال؛ للبيان. والخطاب موجَّه إلىٰ أمته ﷺ.

﴿جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ﴾: جاهد بالقول والحُجَّة والقوَّة، الكفار: جمع كافر، والكفار: صيغة مبالغة، ولم يقل: الكافرين، الكفار: جمع تكسير؛ فهي تدل علىٰ أكثر عدد من الكافرين.

وكلمة الكفار: تشير عادة إلىٰ عقيدة الكفر، والكافرين تشير إلىٰ فعل الكفر، أو العمل.

﴿وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾: جمع منافق: وهو الّذي يظهر الإيمان والإسلام، ويبطن الكفر. ارجع إلىٰ الآية (١٣٨) من سورة النساء؛ لمزيد من البيان.

﴿وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾: الغلظة: الشّدة بالإنذار، وخشونة الجانب، وعدم الرّأفة، وعدم اللِّين معهم.

﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾: المأوىٰ: مكان الاستقرار، والإقامة في الآخرة.

﴿جَهَنَّمُ﴾: اسم من أسماء النّار؛ مشتق من الجهومة؛ أي: الشيء المرعب، والكريه المنظر، وقد تعني: بعيدة القعر.

﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾: وبئس: من أفعال الذّم، والمصير: النّهاية؛ بئس النّهاية، أو المنتهى والإقامة.

وقدَّم الكفار على المنافقين في هذه الآية: التّقديم هنا من حيث الزّمن فالكفار جاؤوا قبل المنافقين، والنّفاق ظهر في المدينة بعد الهجرة، أو بسبب كثرة الكفر مقارنة بالنفاق.

وقد يقدِّم النّفاق على الكفر إذا كان سياق الآيات في المنافقين، وأعمالهم، وانتشار النّفاق وكثرته؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء:١٤٠].

[٧٤] ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾:

سبب النّزول: كما روي عن ابن عباس ﷺ: المرجح أنّ رسول الله ﷺ خطب ذات يوم بغزوة تبوك؛ فذكر المنافقين الّذين تخلفوا عن تبوك، وسماهم رجساً، وعابهم، وبعد ذلك قال الجلاس بن سويد: والله لئن كان محمّداً صادقاً فيما يقول؛ فنحن أشرُّ من الحمير؛ فسمعه عامر بن قيس الأنصاري، وقال له: لقد صدق رسول الله ﷺ، وأنتم أشرُّ من الحمير، ولما عاد رسول الله ﷺ إلى المدينة؛ قام عدد من المنافقين ليقتلوا عامر بن قيس؛ فلجأ إلى رسول الله ﷺ، وأخبره بما قال الجلاس، وكان من سادة قومه؛ فدعا رسول الله ﷺ الجلاس؛ فأنكر ما قاله، وحلف بالله أنّ ما قاله عامر بن قيس كذب، وعندها دعا عامر بن قيس الله أن ينزل على نبيه آية لتصديق الصّادق، وتكذيب الكاذب؛ فنزلت هذه

الآية، واعترف الجلاس بما قاله، ثمّ تاب بعد ذلك وحسنت توبته، وتجاوزت هذه الآية إلىٰ ذكر أشياء أخرىٰ، منها: محاولة الفتك برسول الله ﷺ؛ كما سنرىٰ.

وقيل: نزلت في عبد الله بن أُبَيٍّ حين قال: رجعنا إلىٰ المدينة ليخرجنَّ الأعز منها الأذلَّ؛ فحلف أنّه لم يقل ذلك، وهذا ما قاله قتادة.

وقيل: نزلت في بعض المنافقين الّذين سبُّوا رسول الله ﷺ، وطعنوا في الدِّين، ثمّ حلفوا أنّهم لم يقولوا ذلك، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السّبب ، هذا ما قاله الضحاك.

﴿ يَحْلِفُونَ ﴾: أي: المنافقون؛ أمثال: الجلاس بن سويد، أو عبد الله بن أُبَيٍّ، والحلف يعني هنا: الأيمان الكاذبة.

﴿مَا قَالُوا ﴾: ما: النّافية، قالوا: ولم يُبين، أو يذكر ما قالوا؛ لأنّه غير مهم، أو الّذي قالوا من سبٍّ، أو طعن، أو كذب.

﴿وَلَقَدْ قَالُوا ﴾: الواو: استئنافية؛ لقد: اللام: للتوكيد، قد: للتحقيق، والتّوكيد.

﴿قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ ﴾: لم يذكر الله سبحانه ما هي كلمة الكفر الّتي قالها المنافقون ترفعاً عن ذكرها، ولكي لا يردِّدها أحد، أو تذكر في كتاب الله الكريم، ولذلك لا داعي لمحاولة معرفتها، والتكهُّن بها.

﴿وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ ﴾: عادوا إلىٰ الكفر بعد أن أظهروا، أو ادعوا الإسلام بالنّطق بالشّهادة؛ أيْ: مجرَّد قول باللسان فقط.

﴿وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا ﴾: وهمُّوا علىٰ قتل الرّسول ﷺ، وكانوا (١٢) منافقاً، وكان ذلك عند العقبة، وفشلت مؤامرتهم لقتل النّبي ﷺ، ولم يتحقق ما هموا به، وقيل: كلّهم ماتوا، وهم علىٰ الكفر، ومحاربة الله ورسوله ﷺ.

﴿وَمَا نَقَمُوٓاْ﴾: الواو: استئنافية، ما: النّافية، نقموا: فيه تهكم عليهم، وتأكيد الشّيء بخلافه، وتعني: فليس هناك شيء بقي لهم؛ لينقموا: ليعتبوا، أو لا يرضوا بعد أن أغناهم الله، ورسوله من فضله؛ فقد كانوا كما قال ابن عبّاس ﷺ قبل قدوم النّبي ﷺ إلى المدينة في ضنك العيش فقراء؛ فلمَّا قدِم: غنموا، وصارت لهم الأموال، وقيل: إنّ الجلاس بن سويد لما قُتل له غلام على يد المسلمين دفع له رسول الله ﷺ (١٢٠٠٠) درهم دِيةً؛ فبدلاً من شكر الله وحده على ما فضل الله عليهم ورسوله؛ كفروا، ونقموا، وهموا بما لم ينالوا.

﴿إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ﴾: إلا: أداة حصر، أن أغناهم الله ورسوله من فضله: ولم يقل: من فضلهما، ولكنه قال: من فضله؛ لأنّ الله سبحانه لا يُثنى مع أحد، ولو كان رسول الله ﷺ نفسه، والفضل يعود إلى الله وحده، وإن كان رسول الله سبباً لذلك الفضل.

﴿فَإِن﴾: الفاء: للتوكيد، إن: شرطية؛ تفيد الاحتمال، والشّك.

﴿يَتُوبُواْ﴾: من النّفاق، ومما قالوه، وفعلوه.

﴿يَكُ﴾: ولم يقل: يكن، يك: للدلالة على أنّ هذه التّوبة، ولو كانت بأقل الدرجات أفضل من كفرهم، ونفاقهم؛ فعسى الله أن يعفو عنهم حيث باب التّوبة ما زال مفتوحاً أمامهم.

﴿وَإِن يَتَوَلَّوْاْ﴾: عن التّوبة، والإيمان، ويعرضوا، ويصروا على النّفاق.

﴿يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾: ولي: القريب المعين الّذي يكن لك المحبة، والمودة، ولا نصير: الّذي ينقذه من العذاب، أو يشفع له، أو يدفع عنه العذاب، من: تفيد الاستغراق، والتّوكيد.

[٧٥] ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾:

﴿وَمِنْهُم﴾: من المنافقين. من: ابتدائية، وتعني: المفرد، والمثنى، أو الجمع.

﴿عَٰهَدَ ٱللَّهَ﴾: العهد: الوعد المقرون بشرط، والعهد: يقتضي الوفاء.

﴿لَئِنْ﴾: اللام: للتوكيد، إن: شرطية تفيد الاحتمال، والشّك.

﴿ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ﴾: آتاهم: أعطاهم، وهناك فرق بين الإيتاء، والعطاء. ارجع إلى الآية (٢٥١) من سورة البقرة؛ للبيان.

﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾: أي: المال، والحرث، والأنعام.

﴿لَنَصَّدَّقَنَّ﴾: اللام: للتوكيد، والتّعليل، والنّون: للتوكيد أيضاً. الصّدقة: تعني: الزّكاة الواجبة، أو صدقة النّفل.

﴿وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: ولنكونن: اللام: لام التّعليل، والتّوكيد، والنّون: للتوكيد.

﴿مِنَ﴾: ابتدائية بعضية.

﴿ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: أيْ: نعمل عمل أهل الصّلاح، والخير؛ مثل: الإنفاق في الخير، والبر، والطاعات. ارجع إلى سورة البقرة، آية (١٣٠)؛ لمزيد من البيان في معنى الصالحين.

[٧٦] ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾:

﴿فَلَمَّآ﴾: الفاء: للتعقيب. لما: ظرف زماني متضمن معنى الشّرط.

﴿ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾: أتاهم؛ أيْ: رزقهم رزقاً وافراً؛ زاد عما تعطيه

الأسباب، وقدرة الشّخص؛ فهو رزق+ فضل. ارجع إلى الآية (٢٥١) من سورة البقرة؛ للبيان.

﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾: والفضل: هو الزّيادة على الأجر؛ أيْ: رزقهم، وأغناهم من فضله، ومن دون استحقاق.

﴿بَخِلُوا۟ بِهِۦ﴾: والبخل: هو الامتناع عن العطاء.

﴿وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾: أعرضوا، وامتنعوا عن التّصدق، والعمل الصّالح الّذي وعدوه، وطاعة الله ورسوله، وهم: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿مُّعْرِضُونَ﴾: جمع معرض؛ أيْ: رافض، أو ناقض لعهده، ومعرضون: جملة اسمية؛ تدل على الثّبوت؛ أيْ: ثبوتهم، واستمرارهم على الإعراض، والتولي.

[٧٧] ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾:

﴿فَأَعْقَبَهُمْ﴾: الفاء: للترتيب، والتّعقيب. أعقبهم؛ أيْ: تلا ذلك، أو عاقبهم على نفاقهم بأن أسكن الله النّفاق في قلوبهم إلى يوم القيامة.

فلا ينفك عنهم، ولا يمكنهم من التّوبة؛ فيموتوا وهم على النّفاق.

﴿نِفَاقًا﴾: هنا: نكرة يشمل كلّ أنواع النّفاق: نفاق القول، والعمل... وغيرها.

﴿إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ﴾: إلى يوم القيامة.

﴿بِمَآ﴾: الباء: باء البدلية، أو السّببية، أو التّعليل. ما: حرف مصدري.

﴿أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ﴾: ما: هنا اسم موصول؛ تعني: الّذي وعدوه من التّصدق، والعمل الصّالح، ﴿لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

﴿وَبِمَا﴾: تكرار بما: للتوكيد، وفصل كلاً منهما على حدة، أو كلاهما معاً؛ أيْ: بعضهم أخلف، وبعضهم كذب.

﴿يَكْذِبُونَ﴾ بما كانوا يكذبون أنّهم مؤمنون، ومخلصون، أو إنّهم لمنكم، وصدق رسول الله ﷺ حين قال ـ كما جاء في الصحيحين ـ: «آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان».

[٧٨] ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾:

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟﴾: الهمزة: للاستفهام، وتعني: ألم يكن عندهم علماً سابقاً، أو أولم يكن معروفاً لديهم سابقاً؛ أيْ: كان عندهم علم، وخبر، ومعروفاً سابقاً أنّ الله يعلم سرهم ونجواهم. ارجع إلى الآية (٦٣) من سورة التّوبة؛ لمزيد من البيان.

﴿أَنَّ ٱللَّهَ﴾: للتوكيد.

﴿يَعْلَمُ سِرَّهُمْ﴾: السّر: هو ما يسره الإنسان في نفسه، ولا يطلعه على أحد.

﴿وَنَجْوَىٰهُمْ﴾: من النّجوى: وهي ما تسر به للغير بوجود شخص آخر لا يعلم ما تسرون به. ارجع إلى النّجوى في سورة المجادلة، آية (٧).

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾: أن: للتوكيد، علام: صيغة مبالغة من فعل علم على وزن فعّال عالم، عليم، علام.

﴿ٱلْغُيُوبِ﴾: جمع غيب، والغيب: هو غاب، واستتر عن البشر، وما غاب في السّماء، والأرض.

﴿عَلَّـٰمُ﴾: لأنّـه هو خالق الغيوب، فلا الغيب يغيبُ عن علمه، ولا العالم المشهود. ارجع إلى سورة المائدة، آية (١٠٩)؛ لمزيد من البيان في علام الغيوب.

[٧٩] ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَـٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾:

﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول يعود على المنافقين.

﴿يَلْمِزُونَ﴾: من اللمز: وهو أن يعيب شخص على آخر، وهو غير حاضر، وأما الهمز: فهو أن يعيب شخص على آخر، وهو حاضر.

والعيب: يكون بالقول، أو الفعل، أو بالإشارة بالعين، أو الفم، أو اليد.

يلمزون بصيغة المضارع بدلاً من لمزوا؛ لتدل على تجدُّد، وتكرُّر هذا الفعل، واستمرارهم عليه.

﴿ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَـٰتِ﴾: المطوعين: جمع مطوع، أو متطوع. المتطوعون: المتبرعون، المتصدقون من المؤمنين، والمطوع: هو الّذي يزيد على ما فرض الله عليه من جنس ما فُرض، وهذا يسمَّى الإحسان، وهو نوعان: إحسان الكم، وإحسان الكيف.

يعيبون على المطوعين من المؤمنين في الصّدقات: يعيبون على الفرض ما فرضه الله ورسوله؛ سواء كان المقدار قليلاً، أو كثيراً؛ فإذا كان المقدار كثيراً يقولون: جاء المطوع رياء، وإذا كان قليلاً يقولون عن صاحبه : بخيل.

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾: الجهد: هو الشّيء القليل من المال؛ إلا

طاقتهم، وما يقدرون عليه من التّصدق، وجُهد المقل قدر ما يتحمله حال القليل المال.

﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾: السّخرية: استنقاص حق من يسخر منه، وفيها معنىٰ الإذلال لمن يسخر منه، والتّسخير في الأصل التّذليل.

والسّخرية: تكون خاصَّة بالأشخاص، أو أعمالهم، والسّخرية تدل علىٰ فعل قام به المسخور منه أولاً، ويسخرون بصيغة المضارع؛ للدلالة علىٰ حكاية الحال إحضار فعل السّخرية؛ كأنه يحدث الآن.

﴿سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾: أيْ: جازاهم الله علىٰ سخريتهم، وهذا من باب المشاكلة في القول، أو أذلهم الله، وأنقص قدرهم، والله سبحانه غني عن السّخرية من أحد.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: لهم: اللام: لام الاستحقاق، والاختصاص.

﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: شديد الإيلام في الآخرة لا يطيقونه.

❖❖❖

أَسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً
فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ
وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ
بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ
وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ
أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا
جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ
مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن
تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟
مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ
عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ
﴿٨٤﴾ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم
بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَآ
أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ
أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾

سورة التّوبة [الآيات ٨٠ - ٨٦]

[٨٠] ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾:

﴿ٱسْتَغْفِرْ﴾: أمر؛ بمعنىٰ: الخبر.

﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾: تقديره: استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم؛ لن يغفر الله لهم.

﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾: قيل: تعود علىٰ المنافقين الّذين كانوا يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات.

سبب نزول الآية: روي عن ابن عمر: سأل عبد الله بن عبد الله بن أُبيٍّ رسولَ الله ﷺ، وكان رجلاً صالحاً: أن يستغفر لأبيه، أو قيل: جاء بعض المنافقين؛ لما نزلت الآيات الفاضحة بشأنهم يعتذرون، ويطلبون من الرّسول الاستغفار؛ فجاء الرّد من الله سبحانه بنزول هذه الآية.

فاستغفار النّبي ﷺ للمنافقين، وعدمه سواء، والسّبب واضح: ذلك بأنّهم كفروا بالله، ورسوله، وماتوا علىٰ ذلك.

﴿سَبْعِينَ مَرَّةً﴾: كانت السّبعة عند العرب في السّابق تعتبر نهاية العدد، وإذا أرادوا الزّيادة علىٰ السّبعة يستعملون حرف عطف مثل سبعة، وثامنهم كلبهم، أو يستعملون السبعين (٧٠)؛ للمبالغة، أو سبعمئة.

﴿فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾: فلن: الفاء للترتيب والتّعقيب وتفيد التّوكيد، لن: من أقوىٰ حروف النّفي؛ ينفي المستقبل القريب، والبعيد؛ بأن الله لن يغفر لهم إذا لم يتوبوا، ويرجعوا عن نفاقهم، وكفرهم.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾:

والسّبب لعدم قبول الاستغفار:

﴿بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾: الباء: للإلصاق، والتّعليل، وتفيد التّوكيد؛ جحدوا بالله، وآياته، ولم يعترفوا برسوله.

﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾: لا يهدي القوم الفاسقين؛ الّذين هداهم الله إلى طريق الخير، والإيمان، ولكنّهم رفضوا ذلك، واختاروا طريق الفسق، والخروج عن طاعة الله ورسوله، والضّلالة، والغي، وتمادوا في ذلك، ولم يعد هنالك أمل في إصلاحهم.

لنقارن بين هذه الآية (٨٠): ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

مع الآية (٦) من سورة المنافقون: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

فآية التّوبة: لما نزلت وحدّدت سبعين مرة؛ ظنَّ رسول الله ﷺ أنه إذا زاد عن السّبعين قد يقبل الله؛ فجاءت الآية في سورة المنافقون بحسم الأمر: لن يكون هناك استغفار مقبول لهم؛ مهما كان عدده، ونوعه إذا لم يتوبوا توبة صادقة، أو توبة نصوحاً.

[٨١] ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾:

﴿فَرِحَ﴾: الفرح: هو شعور النّفس بالسّرور، وهو فرح مذموم. ارجع إلى سورة آل عمران آية (١٧٠) لبيان أنواع الفرح.

﴿ٱلْمُخَلَّفُونَ﴾: منهم المنافقون، والّذين تخلفوا، ولم يخرجوا مع رسول الله ﷺ إلى تبوك، وبقوا في المدينة.

﴿بِمَقْعَدِهِمْ﴾: بقعودهم، المقعد: هو مكان القعود، والقعود يعني: البقاء في المكان.

﴿خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾:

١ - خلاف: قد تعني: بعد خروج رسول الله ﷺ تصبح الآية: فرح المخلفون بمقعدهم بعد خروج رسول الله ﷺ إلى تبوك.

٢ - وخلاف: قد تعني: فرح المخلفون بمقعدهم مخالفة رسول الله ﷺ؛ أيْ: قعدوا لمخالفة رسول الله ﷺ.

٣ - وخلاف: قد تعني: أنّهم تأخروا عن الجهاد.

وقد تعني كل هذه المعاني.

﴿وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِى ٱلْحَرِّ﴾: وقالوا: لا تنفروا في الحر؛ إذن: هم فرحوا أولاً بمقعدهم، وكرهوا الجهاد ثانياً، وثالثاً: لم يكتفوا بموقفهم المخزي، بل أخذوا يحرِّضون المؤمنين على عدم الخروج، والجهاد، والقتال في سبيل الله، وقالوا لبعضهم بعضاً: لا تخرجوا بسبب الحر الشّديد؛ أيْ: إيثاراً للراحة، وعدم التّعرض للحر الشّديد، والشّدة.

﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ﴾: الله سبحانه علم ما قالوا لبعضهم بعضاً: لا تنفروا في الحر؛ فردَّ عليهم: قل لهم يا محمد ﷺ نار جهنم أشد حراً.

﴿لَّوْ﴾: شرطية.

﴿كَانُواْ يَفْقَهُونَ﴾: والفقه: الفهم؛ فهم الأحكام الشرعية؛ فالتّدرج يكون كما يلي: التّفكر، ثمّ التّدبر، ثمّ الفقه، ثمّ العلم. ارجع إلى سورة النساء آية (٧٨) للبيان المفصل في يفقهون.

[٨٢] ﴿ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾:

﴿ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا ﴾: الفاء: للتوكيد، واللام: لام الأمر، أو التّعليل، ولم يقل: سيضحكون: كلام إخباري، وإنما : فليضحكوا جاء مؤكداً للضحك، ولا بدّ من أن يحدث في الدّنيا، ولكنّه قليل؛ فليضحكوا قليلاً في الدّنيا.

﴿وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا ﴾: الباء: للإلصاق، والبدلية، والسّببية، وما: اسم موصول، أو مصدرية، وليبكوا كثيراً في الآخرة، واللام في ليبكوا: للتوكيد، وتعني: أما الزمن: أي: ليضحكوا وقتاً أو زمناً قليلاً في الدنيا، وليبكوا وقتاً أو زمناً كثيراً في الآخرة. وأما الحدث: أي: ليضحكوا ضحكاً قليلاً في الدنيا، وليبكوا بكاء كثيراً في الآخرة، وقد تعني كلاهما.

﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾: في الدّنيا من الذّنوب، والسّيئات، والكسب عادة يستعمل للحسنات (للحلال).

والاكتساب يستعمل للسيئات (للحرام). ارجع إلى الآية (٢٨٦) من سورة البقرة؛ للبيان لماذا استعمل يكسبون.

[٨٣] ﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَـٰلِفِينَ ﴾:

﴿ فَإِن ﴾: الفاء: للترتيب، والتّعقيب. إن: شرطية؛ تفيد الاحتمال، والشّك.

﴿رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ ﴾: رجعك: ولم يقل: رجعت، رَجَعَكَ: الفاعل هنا هو الله سبحانه؛ أما رجعت: فالفاعل هو محمد ﷺ؛ فقوله: رجعك: تدل على أن الأمر بيد الله تعالى، ولا خيار لك. رجعك الله؛ أيْ: قدر لك الرّجوع بعد غزوة تبولك إلى طائفة منهم؛ طائفة من المخلفين (المنافقين)؛ الّذين لم يتوبوا بعد رجوعك إلى المدينة، واستمروا على نفاقهم.

﴿فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ﴾: طلبوا منك الإذن لهم؛ ليخرجوا معك في الغزوات القادمة.

﴿فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا﴾: الفاء: للتوكيد، قل لهم: لن حرف نفي للمستقبل القريب والبعيد، تخرجوا معي أبداً: أبداً للتوكيد، تخرجوا معي للجهاد، ولن تقاتلوا معي عدواً.

﴿إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾: إنكم: إن: للتوكيد، رضيتم بالقعود أول مرة (بعدم الخروج لتبوك). قيل: كانوا (١٢) رجلاً.

﴿فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَـٰلِفِينَ﴾: ولم يقل: مع المخلفين. الفاء: للتوكيد؛ اقعدوا مع الخالفين: تختلف عن المخلفين؛ لها معانٍ عدة:

الأول: الخالفين من النّساء، والصّبيان، والمرضىٰ: الّذين تخلفوا، ولم يستطيعوا الخروج.

ثانياً: الّذين تخلّفوا لأعذار.

ثالثاً: المخالفين الفاسدين؛ لأنهم خالفوا رسول الله ﷺ.

[٨٤] ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَـٰسِقُونَ﴾:

سبب النّزول: نزلت في شأن عبد الله بن أُبيٍّ زعيم المنافقين؛ حين مرض جاء ابنه عبد الله بن عبد الله بن أُبيٍّ إلىٰ رسول الله ﷺ الّذي أسلم، وحسن إسلامه طالباً من رسول الله أن يعطيه قميصه حتّىٰ يكفن فيه أباه؛ فأعطاه ثمّ سأله أن يصلي عليه؛ فقام ليصلي عليه، ويستغفر له عندها وقف عمر بين رسول الله ﷺ والقبلة؛ حتّىٰ لا يصلي، ونزلت هذه الآية؛ كما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما. أخرجه البخاري.

ووافق الوحي موقف سيدنا عمر في عدم الصّلاة علىٰ عبد الله بن أُبيٍّ،

وكذلك وافق الوحي سابقاً رأي سيدنا عمر في أُسارىٰ بدر، ووافقه في اتخاذ مقام إبراهيم مصلىٰ؛ حيث كان يقول لرسول الله ﷺ: لو اتخذت مقام إبراهيم مصلىٰ. أخرجه البخاري في صحيحه عن أنس.

﴿وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾: كان إذا دفن الميت، وقف علىٰ قبره، ودعا له، أو السّلام عليه، أو الوقوف علىٰ القبر لدفنه؛ فمُنع في هذه الآية أن يقيم علىٰ قبر أيِّ منافق ويدعو له.

﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ﴾: إنّهم: إن: للتوكيد؛ كفروا بالله ورسوله؛ هذا تعليل للنهي، ولم يقل: وماتوا وهم كافرون، وماتوا وهم فاسقون، وصفهم بالفسق بعد أن وصفهم بالكفر؟؟ والكفر أعظم من الفسق؛ فكيف يكفر، ثمّ يموت وهو فاسق؟

إذا قلنا: كفروا بالله ورسوله؛ أيْ: هم غير مسلمين أصلاً، وفاسقون؛ أيْ: خارجون عن الإسلام، ولم يتوبوا، وماتوا وهم علىٰ ذلك، وقد تعني: ذكر الخاص بعد العام، العام: هو الكفر، والفسق: هو الخاص.

[٨٥] ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾:

ارجع إلىٰ الآية (٥٥) من سورة التّوبة؛ للبيان، والمقارنة.

[٨٦] ﴿وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ﴾:

﴿وَإِذَآ﴾: ظرفية شرطية؛ تفيد حتمية الحدث، وكثرته.

﴿أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾: تحض علىٰ الجهاد في سبيل الله.

﴿أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ﴾: أن: تفيد التّوكيد، آمنوا بالله؛ أيْ: أخلصوا دينكم، آمنوا بالقلب، واللسان، آمنوا بالله إيمان عقيدة. ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (٨).

﴿وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ﴾: بالمال، والأنفس، واخرجوا معه.

﴿ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ﴾: طلبوا (الألف، والسين، والتاء؛ تعني: طلب الإذن، والسّماح لهم)، طلب أولو الطّول: الأغنياء الّذين يملكون المال، والعدة، والقدرة على الجهاد.

﴿ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ﴾: ذرنا: اتركنا مع القاعدين: العجزة، والمرضى، والخالفين.

ما هو الفرق بين القاعدين، والخالفين؟

القاعدين: ليس لهم القدرة على القتال؛ كالمرضى، والأطفال، والنّساء، والعجزة من الرجال.

الخالفين: لهم القدرة على القتال، ولكنّهم انتحلوا الأعذار الكاذبة؛ للسماح لهم بالقعود مع الخالفين.

الخالفين: الّذين تخلّفوا من دون عذر، أو تعني: المخالفين لرسول الله ﷺ؛ أي: العاصين.

❖ ❖ ❖

رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ
لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ
جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ
وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى
مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ وَجَآءَ
ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟
ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
﴿٩٠﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ
لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ
مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾
وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ
مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ
حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ ۞ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى
ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟
مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾

سورة التّوبة [الآيات ٨٧ - ٩٣]

[٨٧] ﴿رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾:

﴿رَضُوا﴾: قبلوا، أو اكتفوا.

﴿بِأَن﴾: الباء: للإلصاق، والتّوكيد؛ أن: حرف مصدري؛ يفيد التّعليل، والتّوكيد.

﴿يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾: الخوالف: جمع خالفة، والخوالف: النّساء، القاعدات، المقيمات في البيوت بعد رحيل الرّجال.

﴿وَطُبِعَ﴾: مبني للمجهول يناسب قوله تعالىٰ: وإذا أنزلت سورة: مبني للمجهول.

﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾: بحيث لا يدخل قلوبهم ذرة من الإيمان، ولا يخرج منها ذرة كفر. قلوبهم أصبحت كالحجارة، أو أشد قسوة، وطبع علىٰ قلوبهم: الفاعل ضمير مبني للمجهول مقارنة بقوله: وطبع الله علىٰ قلوبهم الفاعل هو الله سبحانه؛ فحين يقول: وطبع الله علىٰ قلوبهم: أشد، وأقوىٰ، وأسوأ حالة من قوله: وطبع علىٰ قلوبهم، والطّبع كما نعلم أشد من الختم؛ لأنّ الختم قد يُفك، والطّبع لا يفك. وإذا قارنا هذه الآية (٨٧) مع الآية (٩٣) من نفس السورة نجد أن السياق في الآية (٩٣) جاء في الذين أشد ضلالاً وكفراً، وهم من الأغنياء الذين لم يخرجوا مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك.

﴿فَهُمْ﴾: ضمير فصل؛ يفيد التّوكيد.

﴿لَا يَفْقَهُونَ﴾: لا: النّافية؛ فهم لا يفقهون: الفقه: هو الفهم، واصطلاحاً: هو معرفة الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية القرآن والسنة والإجماع والقياس وغيرها؛ أيْ: لم يفهموا ما في جهادهم مع رسول الله من الأجر العظيم. ارجع إلىٰ سورة النساء آية (٧٨) لمزيد من البيان.

[٨٨] ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾:

﴿لَٰكِنِ﴾: حرف استدراك، وتوكيد.

﴿ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾: أيْ: وإن تخلف هؤلاء عن الخروج، فلا يهم ذلك، ولا تكترث بهم، ما دمت قد خرجت أنت، والذين آمنوا معك للجهاد في سبيل الله.

﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة، واللام: للبعد، بُعد منزلتهم، ومكانتهم في الآخرة.

﴿لَهُمُ﴾: اللام: لام الاختصاص، والاستحقاق.

﴿ٱلْخَيْرَٰتُ﴾: جمع الخيرة، لهم الخيرات في الدارين: الدّنيا والآخرة.

﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ﴾: تكرار أولئك: يفيد التّوكيد.

﴿هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾: هم: ضمير فصل؛ يفيد التّوكيد. المفلحون: الناجون من النار، والفائزون بالجنة؛ الفائزون حقاً، بل هم في طليعة الفائزين. ارجع إلىٰ الآية (٥) من سورة البقرة؛ للبيان.

[٨٩] ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾:

هذه الآية قد تكون تفسيراً للخيرات، والفلاح في الآخرة، أما في الدّنيا: فتشمل النّصر، والمعونة، والغنىٰ... وغيرها.

﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ﴾: هيّأ، وجهّز الله لهم.

﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾: جنات: حدائق، وبساتين فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر علىٰ قلب بشر، كما ورد في الحديث الصحيح عن أبي هريرة . ارجع إلىٰ الآية السابقة (٧٢)؛ لمزيد من البيان.

﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾: من: تعني: تنبع من تحت هذه الجنات الأنهار. أما تجري تحتها، كما ورد في الآية (١٠٠) من نفس السورة؛ أيْ: تمر تحتها الأنهار الّتي تنبع من أماكن أخرىٰ.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾: الخلود هو استمرار البقاء إلىٰ ما لا نهاية، ويبدأ من زمن دخولهم الجنات.

﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾: ذلك: اسم إشارة، واللام: للبعد، الفوز العظيم لا يعادله فوز. ارجع إلىٰ سورة النساء آية (٧٣) لمزيد من البيان في معنىٰ الفوز وأنواعه أو درجاته، ارجع إلىٰ الآية (٧٢) من سورة التّوبة؛ للمقارنة.

[٩٠] ﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾:

﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ﴾: لفهم هذه الآية لا بد من معرفة: أنّ المنافقين قسمان: قسم كان يعيش في المدينة، وسبق الحديث عنهم، وقسم كان يعيش خارج

المدينة، كانوا يسمون الأعراب؛ لقوله سبحانه: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾؛ فهذه الآية تتحدث عن هؤلاء الأعراب المنافقين الّذين كانوا يسكنون خارج المدينة في البوادي، والصّحراء.

﴿وَجَآءَ﴾: الواو: استئنافية. جاء: فعل ماض، وجاء تدل على صعوبة في المجيء بعكس أتى التي تدل على سهولة المجيء.

﴿ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾: بفتح العين، وتشديد الذّال: جمع مُعَذِّر: وهو الّذي يعتذر، وليس له عذر حقيقي؛ فهو يفتعل، أو يختلق العذر؛ أيْ: هو كاذب، عذره غير صحيح.

بينما المُعْذرون: بسكون العين جمع مُعْذر: هو الّذي يعتذر بعذر حقيقي صحيح، والمُعْذرون لهم عذر واحد فقط.

أما المُعْتذرون: بسكون العين جمع معتذر: هو الّذي يعتذر بعدة أعذار حقيقية صحيحة؛ أيْ: عنده أكثر من عذر.

وجاء المُعذِّرون من الأعراب: الأعراب: اسم جنس، وهم البدو الّذين يسكنون الصحراء، أو خارج المدن، والقرى، والواحد أعرابي، وهم يشتهرون بشدة وغِلظَة الطّباع الّتي تماشي طبيعة الصّحراء القاسية.

أما العرب: فهم الّذين يعيشون في المدن، والقرى، وعندهم حضارة، وأسهل معاشرة من الأعراب.

المُعَذَّرون: بفتح العين، وتشديد الذّال وفتحها: إذن جاء الأعراب الّذين يتحلون الأعذار الكاذبة.

﴿لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾: اللام: لام التّعليل، والتّوكيد. ليؤذن لهم: بالقعود، وعدم الخروج للجهاد، جاؤوا إلى رسول الله ﷺ؛ ليؤذن لهم، وقعد الّذين كذبوا الله ورسوله؛ هؤلاء صنف آخر من الأعراب المنافقين الّذين لم يكترثوا، أو يهمهم لا الخروج في سبيل الله، ولا الجهاد، ولم يفكّروا حتّى بأيِّ عذر ليس عندهم نية بالاعتذار؛ حتّى ولو كان كذباً؛ مما يدل على تكبرهم؛ فهم الأسوأ على الإطلاق؛ فهم كذبوا في إيمانهم.

﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: السّين: للاستقبال القريب؛ سيصيب الّذين كفروا منهم: من الأعراب منهم خاصّة لا غيرهم: عذاب أليم قريب في الدّنيا بالقتل، والسّبي، والتّشريد، والفضيحة، وفي الآخرة: عذاب النّار.

[٩١] ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾:

﴿لَيْسَ﴾: أداة نفي؛ لنفي الحال، والاستقبال، وليس مقيدة بزمن.

﴿عَلَى الضُّعَفَاءِ﴾: العجزة، والشّيوخ، والنّساء، والصّبيان.

﴿وَلَا عَلَى الْمَرْضَى﴾: الواو: عاطفة، لا: لتأكيد النّفي، المرضى: بمرض حاد، أو مزمن؛ مثل: السّكري، والتهاب المفاصل، وكذلك الأعمى، والأعرج.

﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ﴾: ولا: لتأكيد النّفي؛ نفي الحرج: وهو الإثم، أو الذّنب على كل هؤلاء، وكذلك الفقراء: ليس عليهم إثم، أو ذنب في عدم الخروج للجهاد في سبيل الله، أو الإنفاق في سبيل الله (أي: الجهاد).

﴿إِذَا﴾: شرطية؛ تفيد الحتمية، والحرج في القرآن له ثلاثة معانٍ:

١ - الضيق.

٢ - الإثم، أو الذنب.

٣ - الشك.

﴿نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾: النّصح لله ورسوله هنا؛ يعني: حضَّ الآخرين القادرين على الجهاد بالخروج، والإنفاق، أو معاونة أهل المجاهدين بعد الخروج، ومحاربة أكاذيب المنافقين الّذين تخلفوا عن الخروج، ودحر إشاعاتهم، وإطاعة النّبي ﷺ، وتصديقه.

﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: ما: النّافية، على المحسنين: سمَّى هؤلاء الضعفاء، والمرضى، والفقراء الّذين نصحوا لله، ورسوله محسنين إذا قاموا بما يستطيعون من جهد؛ فهم كأنهم اشتركوا في الجهاد.

﴿مِن سَبِيلٍ﴾: من ابتدائية استغراقية. من سبيل: من عقوبة، أو لوم، أو توبيخ، أو إثم، أو ذنب.

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: لهؤلاء غفور: كثير المغفرة، لهم وأمثالهم، رحيم في التّوسعة عليهم؛ فلا يكلِّفهم ما لا طاقة لهم به، وأثابهم ثواب المحسنين.

[٩٢] ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ﴾:

ليس على الضّعفاء، ولا على المرضى، ولا على الّذين لا يجدون ما ينفقون، ولا على الّذين إذا ما أتوك.

﴿إِذَا﴾: ظرفية شرطية؛ تفيد الحتمية.

﴿أَتَوْكَ﴾: لم يقل: جاؤوك؛ لأنهم أتوا وهم يتطلعون إلى الخروج للجهاد؛ قلوبهم مطمئنة صافية أتوك بسهولة، ولم يجدوا في أنفسهم حرج، أو مشقة.

﴿لِتَحْمِلَهُمْ﴾: اللام: لام التّعليل؛ أيْ: لم يجدوا وسيلة نقل، أو ركوب (أيْ: دواب): للخروج للجهاد معك؛ أيْ: سألوا رسولَ الله ﷺ أن يحملهم على الدّواب؛ فكان الجواب: لا أجد ما أحملُكم عليه.

﴿قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ﴾: أيْ: لم تجد لهم من الدّواب ما تحملهم عليه، وسُمُّوا البكائين، واختلف في عددهم، وأسمائهم. قيل: كانوا ستة، أو سبعة، وكانوا من أشد الفقراء، وليس المهم الأسماء، والعدد، وإنما النية، والقصد.

فكان على المجاهد: أن يعول نفسه في الذّهاب، والإقامة مدَّة الحرب، وأن يجد له وسيلة النقل، وعنده ما يكفيه لعائلة كل ذلك؛ فإذا لم يقدروا على ذلك إذن تكون وظيفتهم أخرى: وهي النّصح لله ورسوله.

﴿تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ﴾: أيْ: تفيض دمعاً؛ كأن العين كلها دمع فائض من كثرة بكائهم، وحزنهم؛ أيْ: رجعوا من عندك بعد أن أخبرتهم بالخبر الحزين: أنهم لا يستطيعون الخروج معك؛ لعدم توافر الراحلة.

والفيض: الانصباب بغزارة؛ لشدة حزنهم؛ لعدم الاستطاعة على الخروج، حزناً ألا يجدوا ما سينفقون.

﴿حَزَنًا﴾: حَزَناً بفتح الحاء، وهناك الحُزْن بضم الحاء، وهناك فرق بينهما.

فالحَزَن: لا ينتهي، ولا ينقضي، كما هو الحال في الحُزْن الّذي سرعان ما ينتهي، وينقضي، وهذا يدل على أنّهم حزنوا حزناً شديداً طويلاً طويل الأمد حتّى ماتوا وهم عليه.

﴿أَلَّا﴾: أصلها: أن لا. أن: حرف مصدري؛ يفيد التّعليل، والتّوكيد، ولا: النّافية.

﴿أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ﴾: لماذا لم يقل: ألا يجدوا ما يركبون؟ هم أتوك لتحملهم، ما ينفقون تدل على كونهم فقراء ليس عندهم من مقومات الخروج؛ حتّى الزّاد، وما ينفقون تشمل: الطّعام، والرّاحلة.

[٩٣] ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾:

﴿إِنَّمَا﴾: كافة ومكفوفة؛ تفيد التّوكيد.

﴿السَّبِيلُ﴾: الذّنب، والإثم، واللوم، والتّوبيخ، والعقوبة.

﴿عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ﴾: على الذين؛ أيْ: واقع على الّذين يطلبون الإذن بالتّخلف، والبقاء في المدينة، وعدم الخروج.

﴿وَهُمْ أَغْنِيَاءُ﴾: هم: ضمير فصل؛ يفيد التّوكيد، أغنياء: عندهم المال، وعندهم ما يحملهم، وعندهم الطّعام، والزّاد، وكل شيء يحتاجونه.

﴿رَضُوا﴾: الرّضا: هو اطمئنان القلب إلى أمر فيه نفع.

﴿بِأَن يَكُونُوا﴾: الباء: للإلصاق، والتّوكيد. اختاروا عدم الخروج، وقبلوا أن يكونوا في عداد الخوالف (النّساء).

﴿وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾: جاءت بالتّصريح باسم الفاعل، وهو الله سبحانه الفاعل. بينما في الآية (٨٧) من نفس السّورة، قال تعالى: ﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾: مبني للمجهول. ارجع إلى الآية السابقة (٨٧)؛ لمزيد من البيان.

﴿فَهُمْ﴾: الفاء: للتوكيد، هم: ضمير فصل لزيادة التّوكيد.

﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾: تعود على الأغنياء؛ فهم لا يعلمون كما علم البكاؤون، ولو علموا كما علم البكاؤون؛ لما تخلفوا عن الخروج لحظة واحدة؛ نفى العلم عنهم، ونفي العلم أسوأ من نفي الفقه؛ أيْ: لا يعلمون أسوأ من لا يفقهون؛ لأنّ العلم، أو لكي تتعلم تحتاج إلى فهم؛ فعندما نفى العلم عنهم؛ فهو قد نفى أيضاً الفهم (الفقه)؛ فقوله: فهم لا يعلمون؛ أيْ: لا يفقهون، ولا يعلمون، وكذلك لا يعلمون؛ تعني: لا يفهمون بذواتهم، ولا يفهمون ما يقوله الغير لهم بشأن إصلاحهم، وتقواهم، أو محاولة تعليمهم.

❖ ❖ ❖

يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ۚ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا
لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ وَسَيَرَى
اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ
وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ
بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا
عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا
يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ ۖ فَإِن
تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ
﴿٩٦﴾ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا
حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ
الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ ۚ
عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ
الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ
مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ عِندَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ ۚ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ
لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾

سورة التّوبة [الآيات ٩٤ - ٩٩]

[٩٤] ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾:

﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ﴾: هذا إخبار من الله لرسوله، وللمؤمنين عن المنافقين حين ترجعون من تبوك سيحاولون الاعتذار إليكم، ولذلك قال رسول الله ﷺ للصحابة: «لا تكلِّموهم، ولا تجالسوهم».

﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ﴾: الّذي يعتذر هو من يُبدي كلاماً ليخرجه من دائرة اللوم، والتّوبيخ على قولٍ أو فعل صدر منه مظنة أنّه ذمٌّ؛ فيطلب منه الصّفح.

﴿إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾: ظرفية، زمانية؛ للاستقبال. رجعتم إليهم: أيْ: بعد رجوعكم من تبوك إلى المدينة.

﴿قُل لَّا تَعْتَذِرُوا﴾: قل لهم يا محمّد ﷺ، والخطاب كذلك موجَّه إلى المؤمنين : لا: النّاهية. تعتذروا: بأيِّ عذر؛ لأنّه:

﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ﴾: لن: النّافية؛ للاستقبال القريب، والبعيد، وهي من أقوى حروف النّفي؛ أيْ: لن نؤمن لكم قريباً، أو بعيداً، نؤمن لكم: لن نصدقكم مهما قلتم، أو اعتذرتم.

﴿قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾: قد: للتحقيق، والتّوكيد (قد ثبت وتحقق): أنّ الله نبّأ رسوله ﷺ عن طريق الوحي عما فعلتموه، أو قلتموه في غيابنا عنكم.

إذن: علَّة النّهي عن الاعتذار لن نؤمن لكم؛ أيْ: لن نصدقكم.

وعلَّة عدم تصديكم؛ لأنّ الله نبأنا عن أخباركم.

وبعد أن رفض رسول الله ﷺ الاستماع إلىٰ أعذارهم عندها أخبرهم بأنّ الله قد أخبره بما يخفوه في صدورهم من النّفاق، والكذب، وقال لهم: ﴿وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ﴾: السّين: للاستقبال القريب، سيرىٰ الله عملكم: أتتوبون إلىٰ ربكم وتنيبون إليه، وتستغفرونه؟ أم تستمرون علىٰ نفاقكم، وكفركم.

﴿وَرَسُولُهُۥ﴾: أيْ: وسيرىٰ الرّسول من خلال إعلام الله له بطريق الوحي، ولم يقل: والمؤمنون؛ لأن المؤمنين لا يرون أعمال المنافقين القلبية الخفية؛ مثل: النّفاق، والكفر.

﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾: ثم: للترتيب، والتّراخي. تردُّون: من الرّد، والرّد يكون ليس بإرادتكم، واختياركم؛ تردُّون بعد بعثكم يوم القيامة.

﴿إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ﴾: الغيب: هو كل ما غاب، واستتر عن البشر، ما غاب من السّماء، والأرض؛ فهو يعلم، وعالم، فلا يغيب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض.

﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾: ارجع إلىٰ الآية (١٠٥)؛ للبيان.

﴿فَيُنَبِّئُكُم﴾: الفاء: تعليلية. ينبئكم: يخبركم.

﴿بِمَا﴾: الباء: للإلصاق. ما: اسم موصول؛ بمعنى الّذي، أو مصدرية.

﴿كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: العمل: يضم القول، والفعل؛ أيْ: يخبركم بأقوالكم، وأفعالكم في الدّنيا. ارجع إلى الآية (١٠٥)؛ للبيان، ومعرفة الفرق بين الآيتين (٩٤، و١٠٥).

[٩٥] ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾:

﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ﴾: السّين: للاستقبال القريب، وتدل على أنّهم لم يحلفوا بعد، وسيحلفون بعد انقلابكم إليهم؛ أيْ: بعد عودتكم إليهم؛ أيْ: رجوعكم إلى المدينة من تبوك.

﴿انقَلَبْتُمْ﴾: من الانقلاب: وهو الرّجوع لا إلى ما كان عليه من قبل، ولكن لحالة مختلفة لا تشابه الحالة الأولى؛ أيْ: ما قبل الحدث. أما الرّجوع؛ يعني: الرّجوع إلى الحالة الأولى الّتي كان عليها قبل الحدث؛ أيْ: نفسها؛ مثال: انقلب الطّين خزفاً؛ رجع الطّين طيناً.

﴿لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾: اللام: لام التّعليل، تعرضوا عنهم؛ أيْ: لتتركوهم، ولا تعاتبوهم، ولا تؤنّبوهم، أو توبخوهم على ما فعلوا.

﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾: الفاء: للترتيب، والمباشرة؛ فأعرضوا عنهم؛ أي: استجيبوا لما طلبوه، وأعرضوا عنهم.

﴿إِنَّهُمْ رِجْسٌ﴾: تعليل لترك معاتبتهم، وتوبيخهم. إن: للتوكيد.

﴿رِجْسٌ﴾: أيْ: هم القذارة، والنّجاسة عينها، والخبث، والرّجس قد يعني: الكفر، والشّرك، ويعني هنا: النّجاسة المعنوية، أو هم نجس، كما قال سبحانه:

﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ نفس السورة آية (٢٨)، والرجس أعم وأوسع معنىً من الرجز، ولمعرفة الفرق بين الرجس والرجز ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (٥٩).

﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾: مصيرهم إلىٰ جهنم في الآخرة. المأوىٰ: مكان استقرارهم، وإقامتهم في الآخرة هي جهنم.

﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾: جزاء بما كانوا يكسبون في الدّنيا من المعاصي، والآثام، وسمَّاه كسباً، وليس اكتساباً؛ لأنّهم داوموا علىٰ فعل النّفاق، والمعاصي؛ حتّىٰ أصبحت مهنتهم، أو حرفتهم، واعتادوا عليها؛ فأصبح ارتكابها سهلاً، كما يحصل عند كسب الحسنات. ارجع إلىٰ الآية (٢٨٦) من سورة البقرة؛ للبيان.

[٩٦] ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾:

﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾: يحلفون لكم الأيمان الكاذبة؛ لأنّ رسول الله ﷺ أمر صحابته بأن لا يكلِّموا الّذين تخلفوا عن تبوك، ولا يجالسوهم.

﴿لَكُمْ﴾: خاصَّة، وليس لغيركم.

﴿لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ﴾: اللام: لام التّعليل؛ أيْ: علَّة الحلف بالأيمان الكاذبة: هي أن ترضوا عنهم؛ أيْ: تقبَّلوا ما فعلوه من التّخلف، ولا تؤاخذوهم ولا تعاتبوهم، والرّضا كما قلنا سابقاً: هو اطمئنان القلب إلىٰ أمر فيه نفع.

﴿فَإِن﴾: الفاء: للتوكيد. إن: شرطية؛ تفيد الاحتمال والشّك.

﴿تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ﴾: علىٰ سبيل الافتراض وتنسون ما فعلوه من التّخلف، وتصفحوا عنهم.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾: الفاء: للتوكيد. إن: شرطية؛ تفيد الاحتمال، والشّك.

﴿لَا يَرْضَىٰ﴾: لا: النّافية؛ أيْ: إن رضيتم عنهم، فليس لرضاكم فائدة، ولا يهُم؛ لأنّ رضا الله سبحانه هو وحده المهمُّ، والمقبول.

﴿عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾: الفاسقين: جمع فاسق؛ أي: الخارجين عن طاعة الله، ورسوله، وعن الدِّين باختيارهم، ومن دون إكراه. ارجع إلىٰ سورة البقرة، آية (٢٦)؛ لمزيد من البيان.

[٩٧] ﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾:

﴿ٱلْأَعْرَابُ﴾: مجموعة من البشر اتصفوا بنقص في الدِّين والإيمان، ولا يعني سكان البادية، كما يظن بعض المفسرين، ولا يجوز القول أن كل سكان البادية كفار؛ فهم قوم ذمَّهم الله، وكانوا أشد كفراً من غيرهم أينما وجدوا، وكانوا لا يعرفون حدود الله، وفرائضه.

﴿وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾: أجدر بترك العلم، أو من المتوقع منهم ألا يعلموا حدود ما أنزل الله علىٰ رسوله؛ لكونهم بعيدين عن منابع العلم، أو حضور دروس العلم.

﴿أَلَّا﴾: أن لا يعلموا. أن: مصدرية؛ تفيد التّعليل. لا: الناهية.

﴿حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾: من الحلال، والحرام، والطّلاق، والزّواج، والرّدة، والحرابة، والقتل، والسّرقة. الحدود: هي الفرائض، والأوامر، والنّواهي الّتي يجب عدم تجاوزها، أو الاقتراب منها.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾: بما شرع، وبما أنزل على رسوله، وعليم: بأقوالهم، وأفعالهم، وأحوالهم، ومصادر علمهم.

﴿حَكِيمٌ﴾: من الحكمة؛ فهو أحكم الحكماء، وهو أحكم الحاكمين، فلا يشرع إلا بحكمةٍ، وبما أنّه هو الحاكم؛ فيجب عدم مخالفة حدوده، وأوامره.

[٩٨] ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾:

﴿وَمِنَ﴾: من: الابتدائية، وتفيد البعضية؛ أيْ: بعض الأعراب الّذين دخلوا في الإسلام.

﴿مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا﴾: من هذه اسم موصول؛ بمعنى: الّذي يعتبر الزّكاة، أو الصّدقة حين يعطيها غرامةً؛ أيْ: خسارة، والغرم: التزام ما لا يلزم؛ فهو يعطيها، وهو مجبر، أو كاره، أو يعطيها خوفاً، أو رياءً، ولا يؤمن بثوابها، وأنّها تطهير، ونماء للمال.

﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ﴾: يتربص: من التّربص: وهو الانتظار بحذر، وترقُّب يتربص دوائر الموت، أو القتل: أن تحل بكم حتّى لا تأخذوا منه تلك الغرامة.

﴿ٱلدَّوَآئِرَ﴾: جمع دائرة: مصيبة؛ مثل: الموت، والقتل، والمكروه.

﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾: دعاء معترِض دعا الله عليهم بنفس ما دعوا به أنفسهم، والسّوء: هو الذّم، والسّوء: كل ما يسيء إلى النّفس.

﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾: سميع لما يقولون، ويتناجون، ويسرون، عليم: بأعمالهم (أقوالهم+ أفعالهم)، وما يسرون في أنفسهم، وما يقولونه لغيرهم.

[٩٩] ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ

قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرۡبَةٞ لَّهُمۡ ۚ سَيُدۡخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾:

الصّنف الآخر: ﴿وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ﴾: إيمان تصديق، وعقيدة، ويؤمن بالبعث، واليوم الآخر، والحساب.

﴿وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ﴾: أيْ: هذا الصّنف من الأعراب يعتبر ما ينفق من زكاة، أو صدقة: أنّها قربات عند الله: جمع قربىٰ، والقربىٰ؛ يعني: شيء يقرِّبه إلىٰ رضا الله ومحبته.

﴿وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ﴾: دعائه، واستغفاره له؛ فهو يعتبرها شيء يقربه إلىٰ الله، وكذلك تجعل الرّسول يدعو له حين تصله زكاته؛ أيْ: طمعاً في دعوات (صلوات) الرّسول، واستغفاره.

﴿سَيُدۡخِلُهُمُ ٱللَّهُ﴾: السّين: للاستقبال القريب. في رحمته: في جنته، أو رحمته الّتي هي أعظم من الدّخول في الجنة، فرحمة الله باقية، وخالدة ببقاء ذات الله.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾: إنّ: للتوكيد.

﴿غَفُورٞ﴾: صيغة مبالغة كثير الغفران؛ يغفر لهم ذنوبهم، ولو كانت مثل زبد البحر، ومهما عظمت، أو كثرت.

﴿رَّحِيمٞ﴾: لا يعجِّل لهم العذاب؛ لعلهم يتوبون فيغفر لهم، يؤكد الله سبحانه بأنّه سيدخلهم في رحمته بعد أن يغفر لهم ذنوبهم أوّلاً.

❖ ❖ ❖

وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ
ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ
لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ
ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ
مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ
نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ
عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا
وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾
خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ
إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟
أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ
ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ
وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ
ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾

سورة التّوبة [الآيات ١٠٠ - ١٠٦]

[١٠٠] ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾:

المناسبة: بعد ذكر المنافقين، والأعراب: ينتقل إلى ذكر بقية أصناف النّاس؛ فيذكر صنفين: هما المهاجرين، والأنصار، والّذين اتبعوهم بإحسان.

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾: قيل: هم الّذين صلوا إلى القبلتين، أو الّذين شهدوا بدراً، وشهدوا بيعة الرّضوان، أو هم الّذين سبقوا إلى الإيمان من المهاجرين (من أهل مكة)، والأنصار الّذين سبقوا إلى الإيمان من أهل المدينة.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾: أيْ: من التّابعين، وتابع التّابعين إلى يوم القيامة.

﴿ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾: الباء: للإلصاق، والتّوكيد. بإحسان: في العبادات، والطّاعات، والإيمان. ارجع إلى الآية (١١٢) من سورة البقرة؛ لبيان معنى الإحسان.

﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾: جميعاً، وقبل طاعاتهم، وإيمانهم، وتجاوز عن سيئاتهم.

﴿وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾: بما أتاهم من فضله، ونعمه.

﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾: وأعدَّ؛ أيْ: هيَّأ، وجهَّز، وبنى

لهم جنات تجري تحتها الأنهار، وأعد: جاء بصيغة الفعل الماضي، وأنّ الإعداد انتهى، وتم مع كونه يكون يوم القيامة؛ لأنّ الزّمن ماضيه، وحاضره، ومستقبله عند الله واحد؛ فهو سبحانه خالق الزمان، والمكان.

﴿تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾: ولم يقل من تحتها، وهذه هي الآية الوحيدة في القرآن التي جاءت بدون من تحتها لا تنبع الأنهار من تحتها، وإنما تأتيها وتمر تحتها بدون أن تتفجر، أو تنبع، وقيل: هي أقل منزلة، وأقل درجة من الجنات التي تجري من تحتها الأنهار. ارجع إلى الآية (٨٩)؛ للبيان، والمقارنة.

﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾: ارجع إلى سورة النساء آية (٧٣) لبيان معنى الفوز وأنواعه أو درجاته، وارجع إلى الآية (٧٢)؛ للبيان، والمقارنة.

[١٠١] ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾:

المناسبة: في الآية (٩٧-٩٨-٩٩): ذكر أصناف الأعراب الّذين يعيشون في البادية، والصّحراء؛ بعيدين عن المدن، والقرى، ونوعية إسلامهم، وإيمانهم.

ثمّ ذكر السّابقين الأولين من المهاجرين، والأنصار، والّذين اتبعوهم بإحسان، والآن يذكر بقية الأعراب الّذين يسكنون حول المدينة المنورة، ومكة، وداخل المدينة المنورة، أمثال: قبائل جهينة، ومزينة، وأسلم، وأشجع، وغفار.

فيقول سبحانه: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ﴾: منافقون: جمع منافق: هو الّذي يظهر الإسلام، أو الإيمان، ويبطن الكفر. ارجع إلى سورة النساء، آية (١٣٨)؛ لمزيد من البيان.

﴿مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾: ترجع إلى ممن حولكم من الأعراب ومن أهل المدينة، كلاهما مردوا على النّفاق، أو ترجع إلى أهل المدينة فقط.

﴿مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾: مرد: يمرد؛ أيْ: تدرب، وتمرَّن؛ حتّىٰ أصبح النّفاق حرفتهم؛ فاستقاموا عليه، واتخذوه سبيلاً؛ حتّىٰ ماتوا.

﴿لَا تَعْلَمُهُمْ﴾: يا محمّد ﷺ، نحن نعلمهم؛ أيْ: يخفون عليك. لا تعرف مَنْ هم؛ لأنهم شديدوا الحذر.

وفي آية أخرىٰ يقول تعالىٰ: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾ [محمد:٣٠].

﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾: لأنّهم مردوا علىٰ النّفاق، والسّين في سنعذبهم: للاستقبال القريب، المرة الأولىٰ في الدّنيا: بالفضيحة، والهزيمة، والقتل، والتّشريد، والمرة الثّانية: حين الموت، وعذاب القبر (حياة البرزخ).

﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾: ثمّ: للترتيب، والتّراخي.

﴿يُرَدُّونَ﴾: يرجعون إلىٰ عذاب عظيم: هو عذاب جهنم، عذاب الحريق، أو الدّرك الأسفل من النّار. يردون: من الرّد: وهو الرّجوع، والرّد: هو الذّهاب إلىٰ مكانٍ ما، وعدم النّية للرجوع للمكان الّذي انطلق منه، وفيه معنىٰ: الإكراه، والإجبار علىٰ العودة.

﴿عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾: هو أعظم أنواع العذاب علىٰ الإطلاق، وهو يشمل كلّ أنواع العذاب الأخرىٰ الأليم، والمُهين، والشّديد، والمُقيم.

[١٠٢] ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾:

﴿وَءَاخَرُونَ﴾: الواو: عاطفة؛ أيْ: آخرون معطوفة علىٰ أهل المدينة؛ أيْ: من أهل المدينة.

﴿ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ﴾: الباء: للإلصاق، والتّوكيد بعدم الخروج معك إلى تبوك.

﴿خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾: وهؤلاء هم الّذين ربطوا أنفسهم بسواري المسجد، ومنهم أبي لبابة، وأصحابه (قيل: كان عددهم ٦، أو ٨، أو ١٠). إذن: يمكن تقسيم المخلفون إلى ثلاثة أصناف:

الصّنف الأوّل: المنافقين الّذين مردوا على النّفاق من أهل المدينة، ومن حولها من الأعراب.

الصّنف الثّاني: الّذين اعترفوا بذنوبهم، وخلطوا عملاً صالحاً، وآخر سيئاً.

الصّنف الثّالث: المُرجون لأمر الله (قيل: هم الثّلاثة).

﴿خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾: الخلط؛ يعني: الجمع بين شيئين، أو أكثر، ويبقى كلّ واحد منهما منفصل عن الآخر رغم الخلط، العمل الصّالح؛ مثال: ما سبق من جهادهم، وطاعاتهم، وتوبتهم، واعترافهم بذنوبهم، والعمل السّيِّئ؛ قيل: هو التّخلف عن الجهاد، أو الخروج إلى تبوك مع رسول الله ﷺ.

﴿عَسَى﴾: من أفعال الرّجاء الممكن حصولها، ويتوقّع حدوثها.

﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡ﴾: أنّ: حرف مصدري؛ يفيد التّوكيد، يتوب عليهم: أيْ: يقبل توبتهم، وبما أنه جاء بـ: عسى؛ يعني: قبِل الله توبتهم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾: إنّ: للتوكيد.

﴿غَفُورٞ﴾: صيغة مبالغة كثير الغفر؛ يغفر الذّنوب الكبائر، والصّغائر.

﴿رَّحِيمٞ﴾: صيغة مبالغة على وزن فعيل؛ كثير الرّحمة لعباده المؤمنين، لا يعذبهم إذا تابوا، واعترفوا بذنوبهم، ولم يصروا على ما فعلوا.

[١٠٣] ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾:

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾: أمر للنبي ﷺ.

﴿مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾: أيْ: من أموال الّذين اعترفوا بذنوبهم، وهم أغنياء، ونسب الأموال وملكيتها لهم رغم أنّ المال كلّه لله تعالى.

﴿صَدَقَةً﴾: وليست الزّكاة صدقة خاصَّة بهم.

﴿تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾: أيْ: صدقة الغاية منها تطهرهم، وتزكيهم بها، والتّطهير لغة: إزالة القذارة الحسية، والمعنوية من فعل طهر يطهر، وتعني: تطهرهم من ذنوبهم عدم الخروج معك؛ أيْ: تمحو، وتزيل عنهم ذنوبهم، وقد تعني: تطهر أموالهم إذا دخل في المال شبهة من دون قصد، أو علم، وتزكيهم بها من التّزكية: وهي النّماء؛ أيْ: تنمّي حسناتهم، وترفع درجاتهم، وتنمّي المال، أو تزيده بركة.

﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾: أي: ادعوا لهم بالخير، واستغفر لهم، صلِّ من الصّلاة، والصّلاة: هي الدّعاء، والاستغفار؛ أي: ادع لهم بالقبول، والخير.

﴿إِنَّ صَلَوٰتَكَ﴾: إنّ: للتوكيد، دعاءَك، واستغفارَك لهم.

﴿سَكَنٌ لَّهُمْ﴾: اطمئنان لقلوبهم، ورحمة لهم، ودعاؤك لهم يشعرهم: أنّ صدقاتهم ستُقبل منهم؛ فيفرحوا بذلك.

﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾: الدّعاء، وسميع لأقوالهم، صيغة مبالغة من سمع كثير السّمع، وسميع لسرهم، وعلنهم.

﴿عَلِيمٌ﴾: بأفعالهم، وأحوالهم، وما تخفي صدورهم.

[١٠٤] ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾:

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ﴾: ألم: الهمزة: للاستفهام، والتّوبيخ، والإنكار. لم: حرف نفي؛ يعلموا: من العلم.

ودخول نفي على نفي: هو إثبات؛ أيْ: كان من المفروض أن يعلموا هذا الأمر، أو الحكم، أو الخبر، أو الآية، أو النّبأ سابقاً؛ لأنّه أعلن، أو كان معروفاً سابقاً لديهم؛ فأنكر عليهم تخلُّفهم عن العلم به، ولم يقل: اعلموا أنّ الله يقبل التّوبة كفعل أمر، أو إخباراً من الله؛ لأنّه سبحانه يأتي بها في صيغة السّؤال، والاستفهام؛ ليجيب المسؤول عليها بنفسه، وتكون إقراراً منه.

﴿أَنَّ ٱللَّهَ﴾: أنّ: حرف مصدري؛ يفيد التّعليل.

﴿هُوَ﴾: ضمير فصل؛ يفيد التّوكيد.

﴿يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾: ولم يقل: يقبل التّوبة من عباده، فما هو الفرق بينهما.

﴿يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾: أيْ: يقبل التّوبة الصّادرة عن عباده؛ أيْ: يتجاوز عن العقوبة على الذّنب؛ لأنّ التّوبة تدل على أنّ هناك ذنباً قد حدث، واستوجب المذنب العقوبة فتاب المذنب؛ فإذا تقبل الله سبحانه توبته؛ فقد تجاوز عن عقوبته.

أما لو قال: يقبل التّوبة من عباده؛ فتعني: من الجهة؛ أيْ: من العبد.

إذن (عن): تشير إلى الصّدقة نفسها، ومن: تشير إلى الجهة المصدّرة للتوبة؛ أي: العبد.

﴿وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾: أيْ: يقبل الصّدقات (الزّكاة، وصدقات النّفل).

وفي هذه الآية يقول الحق: يأخذ الصّدقات، وفي الآية السّابقة (١٠٣): ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾: إذن يكون السّياق المتصدق، أو المصدق يتصدق، والرّسول ﷺ يأخذ الصّدقة (أو المؤمنون)، والله يتقبل الصّدقة، ولا يردُّها؛ أيْ: يثيب عليها، فالله سبحانه يقبل التّوبة، ويقبل الصّدقات، ولمعرفة الفرق بين المصدقين والمتصدقين: ارجع إلىٰ سورة الحديد، آية (١٨).

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ﴾: للتوكيد، وهو: لزيادة التّوكيد.

﴿ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٣٧) من سورة البقرة؛ للبيان.

[١٠٥] ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾:

﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟﴾: الخطاب في هذه الآية إلىٰ المؤمنين الّذين خلطوا عملاً صالحاً، وآخر سيئاً؛ بينما في الآية السّابقة (٩٤): الخطاب كان موجَّهاً إلىٰ المنافقين فقط.

قل لهم يا محمّد ﷺ خاصَّة: اعملوا الكثير من الأعمال الصالحة؛ أعمالاً جديدة بعد التّوبة، أو اعملوا ما شئتم من خير، وحلال، وأعمال طيبة.

﴿فَسَيَرَى ٱللَّهُ﴾: الفاء: للتوكيد، سيرىٰ: السّين: للاستقبال القريب، سيرىٰ الله عملكم: أعمالكم الظّاهرة، والباطنة (الأقوال، والأفعال).

﴿وَرَسُولُهُۥ﴾: بما أنّها أعمال ظاهرة؛ مثل: الصّلاة، والإنفاق (الصّدقات)، والحج، والعمرة، والصّيام؛ فالرّسول كذلك سيراها.

﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: سيرونها مثل الذّهاب إلىٰ المساجد، وحلقات العلم، والحج، والصّدقات.

﴿وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾: وستردون: الواو، والسّين: تدل علىٰ

قرب الرّد؛ أي: الرّجوع إلىٰ الله؛ أيْ: قرب الجزاء، والثّواب؛ أيْ: تثابون علىٰ العمل الصّالح في الدّنيا، والآخرة، ومن دون تأجيل. ارجع إلىٰ الآية (١٠١)؛ للبيان؛ وكقوله تعالىٰ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل:٩٧]، بينما في آية التّوبة (٩٤): ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ﴾: ثم: فيها تراخي في الزّمن، وفيها وعيد؛ أيْ: من كرم الله عليهم: أنّه يؤخّر العقاب عنهم في الدّنيا؛ حتّىٰ يتوبوا، أو لعلّهم يتوبون، ويغفر لهم.

﴿إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ﴾: عالم الغيب المطلق: الّذي لا يطلعه علىٰ أحد، والغيب النسبي: الّذي يطلعه علىٰ رسله، ومَنِ اصطفاهم.

﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾: وعالم الشّهادة؛ أيْ: ما يشاهد بالمدركات، والعيون، والآذان؛ أيْ: عالم بما يشاهده النّاس بحواسهم؛ لأنّه سبحانه هو خالق هذه الحواس، وأعلم بما أودع فيها؛ فلا تعزب عنه مثقال ذرة في السموات، ولا في الأرض، ولا أصغر من ذلك، ولا أكبر إلا في كتاب مبين.

﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: ارجع إلىٰ الآية (٩٤)؛ للبيان.

لو قارنا هذه الآية (١٠٥) من سورة التّوبة: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، مع الآية (٩٤) من سورة التّوبة: ﴿وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

ليس هناك تكرار؛ لأنّ الآية (٩٤): تتحدث عن المنافقين، وأمّا الآية (١٠٥): فتخاطب المؤمنين الّذين خلطوا عملاً صالحاً، وآخر سيئاً.

وفي الآية (٩٤): لم يُذكَر المؤمنون؛ لأنّ الله وحده مطّلع علىٰ قلوب المنافقين، ورسولُه مطّلع بما يخبره الله سبحانه، وأمّا الآية (١٠٥): فتحثهم علىٰ الأعمال الصّالحة، ومنها: الظّاهرة للعيان؛ فالله سبحانه، ورسوله، والمؤمنون يشاهدونها.

وفي الآية (٩٤): ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾، وفي الآية (١٠٥): ﴿وَسَتُرَدُّونَ﴾. ارجع إلى الآية (٩٤)؛ للبيان، ومعرفة السبب في الاختلاف.

[١٠٦] ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾:

﴿وَءَاخَرُونَ﴾: من أهل المدينة مرجون لأمر الله. قيل: هم كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الرّبيع؛ أي: الثّلاثة الّذين تخلّفوا عن تبوك، ولم يكن لهم عُذر.

﴿مُرْجَوْنَ﴾: من الإرجاء: وهو التّأخير.

﴿لِأَمْرِ ٱللَّهِ﴾: لحكم الله فيهم الّذي لم ينزل بعد.

﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ﴾: إما: حرف شرط، وتفصيل. يعذبهم: بأن لا يقبل لهم توبة، ولو تابوا، أو يُمتهم بلا توبة.

﴿وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾: إما: حرف شرط، وتفصيل، إذا تابوا قريباً، أو بعيداً؛ أيْ: إذا شاء سبحانه.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾: عليم بأحوالهم، ونواياهم، وأقوالهم، وأخبارهم، ولماذا تخلّفوا، وهل سيتوبون قريباً، أو بعيداً.

﴿حَكِيمٌ﴾: حكيم في تدبير شؤون خلقه، وشرعه. حكيم: من الحاكم؛ فهو الحاكم، وهو أحكم الحاكمين؛ أي: العادل، وحكيم: من الحكمة؛ فهو أحكم الحكماء. ارجع إلى الآية (١٢٩) من سورة البقرة؛ للبيان.

❖ ❖ ❖

وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ
ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ
وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ
﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ
يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ
وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ
عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ
عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى
ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً
فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾
۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم
بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ
وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ
وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟
بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾

ربع الحزب ٢١

سورة التّوبة [الآيات ١٠٧ - ١١١]

[١٠٧] ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾:

أسباب النزول: كما ذكر الواحدي في أسباب النزول: لما بنى المسلمون من بني عمرو بن عوف مسجد قباء؛ بعثوا إلى رسول الله ﷺ؛ فأتاهم؛ فصلى فيه؛ فقال المنافقون من الأنصار، وكانوا حوالي (١٢ رجلاً) من بينهم: أبو عامر الرّاهب: نبني نحن أيضاً مسجداً؛ كما بنوا مسجد قباء، ونرسل إلى رسول الله ﷺ ليصلي فيه، بنوه بأمر من أبي عامر الراهب؛ الّذي عادى رسول الله ﷺ بعد قدوم رسول الله ﷺ مهاجراً إلى المدينة؛ بنوه في زمن الخروج لغزوة تبوك، بنوه قريباً من مسجد قباء؛ ليضاهي مسجد قباء، ولا حاجة لبنائه إلا لإيقاع الفتنة، والاختلاف بين المؤمنين، وتفريق كلمتهم، وطلبوا من رسول الله ﷺ القدوم إليه؛ ليصلي فيه، وكان رسول الله ﷺ يستعد للخروج إلى تبوك؛ فقال لهم بعد العودة من تبوك، وبعد عودته ﷺ من تبوك نزل الوحي، وأخبره بالأمر؛ فدعا رسول الله ﷺ جماعة من الصحابة وأمر بهدمه، ونزلت هذه الآيات.

﴿وَٱلَّذِينَ﴾: الواو: عاطفة. الّذين: اسم موصول يشير إلى المنافقين الّذين بنو مسجد ضرار.

﴿ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا﴾: اتخذوا؛ أيْ: بنوا مسجداً ضراراً: الضرار بمعنى

المضارة لمسجد قباء، وسمِّي بعد ذلك مسجد ضرار؛ لأنه يقصد به الضرر بالمؤمنين، وإيقاع العداوة بينهم.

﴿وَكُفْرًا﴾: بنوه بأمر من أبي عامر الرّاهب؛ ليكون مقراً لصلاته فيه بعد عودته من الشّام بعد أن خرج إلى الشام؛ ليأتي بجند من الروم؛ ليخرج محمّداً وأصحابه من المدينة، ولدعم الكفر، والنّفاق.

﴿وَتَفْرِيقًا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: للذين يصلون بقباء؛ فيأتي قسم فيصلي في مسجد ضرار، وقسم يصلي في قباء طمعاً في اختلاف كلمتهم.

﴿وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾: إعداداً وتجهيزاً لمجيء الّذي حارب الله ورسوله: هو أبو عامر الرّاهب، والّذي سمّاه رسول الله ﷺ أبو عامر الفاسق؛ الّذي كان ينتظر رجوعه من الشّام.

﴿مِن قَبْلُ﴾: من قبل بناء مسجد ضرار.

﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾: وليحلفن: الواو: عاطفة، اللام: لام التّوكيد، يحلفن إن أردنا إلا الحسنى: إن أردنا: إن النّافية؛ أيْ: ما أردنا؛ إلا: أداة حصر، الحسنى: أيْ: ما أردنا ببنائه إلا الحسنى: الصّلاة، وذِكر الله، أو التّوسعة على المصلين، أو الرّفق بالمسلمين من المطر، أو الحر؛ لأنّ مسجد قباء لا يسع كلّ المصلين، وقيل: الحسنى: الجنة.

﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾: استعمل يشهد بدلاً من يعلم؛ لأنّ بناء المسجد ليس أمر غيبي، أو سر، أو عمل قلبي، وإنما عمل يشهده الكل الرّسول، والصّحابة، ولذلك قال: يشهد إنهم لكاذبون: إنّ: للتوكيد. لكاذبون: اللام: لام التّوكيد، كاذبون بقولهم: إن أردنا الحسنى ببناء المسجد، وكاذبون: جملة اسمية؛ تدل على الثّبوت.

[١٠٨] ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾:

﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ﴾: لا: النّاهية. تقم فيه أبداً: لا تصلي فيه أبداً، ولم يصلي ﷺ فيه، وأمر بهدمه، وقيل: إحراقه؛ لأن الصّلاة؛ تعني: القيام، والنّهوض، أبداً: للتوكيد.

﴿لَّمَسْجِدٌ﴾: اللام: لام التّوكيد؛ أيْ: مسجد قباء، وقيل: المسجد النّبوي.

﴿أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ﴾: بُني على الطّاعة، وبناه المتقون؛ فالمسألة ليست في البناء، ولكن فيمن يدخل المسجد، ويصلي فيه، والهدف وما يقام فيه من أعمال.

﴿مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾: بُني، أو أُسِّس. من: الابتدائية؛ أيْ: بدأ بالتأسيس على التقوىٰ من أوّل يوم.

﴿أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾: أحق، أو أجدر أن تقوم فيه بصلاة، أو ذكر.

﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا﴾: بالماء للوضوء، والغسل (طهارة للبدن)، والمطهّرون: المتطهرون (الطهارة الحسية+ الطهارة المعنوية).

﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾: مبالغة في الطّهارة، والمطهّرون؛ تعني: طهارة القلب من النّفاق، والطهارة الجسدية معاً؛ أي: الطهارة الحسية، والمعنوية معاً. ارجع إلىٰ سورة البقرة آية (٢٢٢) لمزيد من البيان، وسورة الواقعة آية (٧٩).

[١٠٩] ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾:

﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ ﴾: أفمن: الهمزة استفهامية؛ للتقرير.

﴿أَسَّسَ بُنْيَانَهُ﴾: أيْ: أقام بنيانه؛ أي: القواعد، أو ما يسمّىٰ الأساس،

والبنيان يختلف عن البناء، البنيان؛ يعني: بناء قوي ثابت يدوم قروناً طويلة؛ مثل: الأبنية التّاريخيـــة، والأهرامات، أما البناء: فقد يكون غيـــر ثابت، والبناء له ميزة التّغيُّر، والتّحوُّل.

﴿عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ﴾: انتبه إلىٰ الاســتعارة؛ حيث شــبه الإيمان بالبنيان والتّقوىٰ ورضوان الله بقواعد البناء، أو الأسُس للبناء؛ كالأرض الصلبة الصّخرية الّتي يقوم عليها البناء، والتّقوىٰ: هي امتثال أوامر الله، واجتناب نواهيه.

﴿أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ﴾: أم: للإضـــراب الانتقالي، والاستفهام.

﴿أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ﴾: شبه المسجد المبني علىٰ الضلال ببنيان قائم علىٰ شفا جرف هار.

﴿عَلَىٰ شَفَا﴾: من الأرض الّتي يصنع البحر لها سطح، وليس لها قاعدة.

﴿جُرُفٍ﴾: الجزء المتآكل، أو ما ينجرف بالسّيول، وهو جانب الشّط.

﴿هَارٍ﴾: مشرف علىٰ السّقوط غير متماسك.

﴿فَٱنْهَارَ بِهِۦ﴾: به: تعود علىٰ الباني، أو البنيان سقط بالباني، والبنيان، وهذا تمثيل للبناء، أو المســجد الّذي يقوم علىٰ الكفر؛ فانهار به في نار جهنم، وهكذا شــبه الإيمان بالبنيان القائم علىٰ أسس متينة صلبة، والكفر والضلال علىٰ أسس متصدعــة متداعية؛ فهو قد جســد المعنويات في صور المحسوســات بصورة متكاملة في الإعجاز البياني في صورة الاستعارة.

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾: الظّالمين: بالنّفاق، ولم يريدوا الهداية، واختاروا الضّلال، والنّفاق. ارجع إلىٰ الآية (١٩) من نفس السّورة؛ للبيان.

[١١٠] ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾:

﴿لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟﴾: أيْ: مسجد ضرار رغم هدمه، وأصبح مكان للقمامة، وسمّاه بنياناً، وليس بناءً؛ لأن ذكره سيدوم قروناً طويلة، وستذكره الأجيال على كونه ليس له قدسية؛ كاللعبة، ولم يكن بنائه على تقوى، ورضوان من الله تعالى.

والبنيان قد يعني: بناءً تاريخياً ثابتاً، لا يتغيَّر، ويدوم قروناً طويلة؛ مثل: الأهرامات، والأبنية الأثرية.

﴿رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ﴾: موضع شكٍّ، واتِّهام من أن يصيبهم رسول الله ﷺ بسوء بسبب ما بنوا، أو موضع غيظ، أو ارتياب بسبب هدمه، أو مصدر للشك، والرّيبة الدّائمة في قلوبهم، وسيظل أثره في قلوبهم.

﴿إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾: أن يموتوا، والقلوب لا تنقطع إلا بالموت حزناً وأسفاً، وقال تعالى: ﴿تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾، ولم يقل: تتقطع، تقطّع فيها مبالغة في التّمزق، والتّقطع، وإلا بمعنى: حتّى.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾: ارجع إلى الآية (١٠٦) من سورة التّوبة.

[١١١] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾:

في هذه الآية يبيِّن الله سبحانه فضل الجهاد.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ﴾: إنّ: حرف مشبه بالفعل؛ يفيد التّوكيد، اشترى: فعل

ماض؛ تعني: أنّ الشّراء قد حصل، وتم، وكذلك لو نظرنا إلى كلمة بايعتم؛ كذلك فعل ماضٍ، إذن: البيع والشّراء قد تمَّ، وانتهى.

﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم﴾: قدَّم الأنفس على المال في هذه الآية؛ قدم الأسمى والشيء الغالي؛ لأن المشتري هو الله سبحانه، ولأنّ الجهاد بالنّفس أعلى درجة من الجهاد بالمال، والتّضحية بالنّفس أشد على الإنسان من التّضحية بالمال؛ فالله يريد شراء النّفس، ثمّ شراء المال. بينما في باقي الآيات يقدم المال؛ لأنه الأظهر أو الأعم.

﴿بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾: بأنّ: الباء: للإلصاق، والاختصاص، والمشتري عادة له الخيار فيما يشتري أوّلاً؛ لأنه هو دافع الثّمن.

﴿لَهُمُ﴾: اللام: لام الاختصاص، أو الملكية. بينما قوله تعالى: ﴿وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [الصف:١٢]. الدخول أولاً، ثمّ يحصل التملك، والتملك فيه حثٌّ على العمل، والمبالغة أكثر من مجرَّد الدخول. هم: ضمير فصل؛ يفيد التّوكيد، والقصر (قصر يفيد المبالغة)؛ فهناك من تكون لهم الجنة، ولكنهم أولى بها من غيرهم.

﴿يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: ومن يقاتل إما أن يَقْتل، وإما أن يُقتل؛ فيقتلون ويُقتلون.

﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ﴾: وعداً عليه حقاً؛ أيْ: ثابتاً لا يتغيَّر في التّوراة، والإنجيل، والقرآن؛ أيْ: ذكر ذلك الحكم في كلّ الكتب السّماوية؛ فكلّ أمة أُمرت بالجهاد.

﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾: من: استفهامية، والإجابة: لا أحد أوفى

بعهده من اللــه تعالىٰ، وجملة: ومن أوفىٰ بعهده من اللــه بعد قوله: وعداً عليه حقاً؛ الّتي تحمل نفس المعنىٰ: للتوكيد.

﴿فَٱسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم﴾: فاستبشروا: الانتقال من صيغة الغائب إلىٰ صيغة المخاطب: هو تشــريف من الله لهم، والبشــارة خبر ســار للمؤمن، ويظهر أثرها علىٰ الوجه سروراً، وغبطة، والفاء: للتوكيد.

﴿وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾: الواو: للاهتمام، والتّوكيد، ذلك: اسم إشارة يفيد البعد، وتعظيم الفوز، وذلك إشــارة إلىٰ الصّفقة التي تمت بين الله سبحانه، والمجاهدين، وهو ضمير منفصل؛ يفيد التّوكيد.

﴿ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾: ارجع إلىٰ ســورة النســاء آية (٧٣) لبيــان معنىٰ الفوز وأنواعه أو درجاته، وارجع إلىٰ الآية (٧٢) من سورة التّوبة؛ للبيان، والمقارنة.

❖ ❖ ❖

ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ ٱلْحَـٰمِدُونَ ٱلسَّـٰٓئِحُونَ
ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّـٰجِدُونَ ٱلْـَٔامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ
وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ
وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن
يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ
مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ
ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ
فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ
﴿١١٤﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ
يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ
لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۚ وَمَا لَكُم مِّن
دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى
ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى
سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ
مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾

سورة التّوبة [الآيات ١١٢ - ١١٧]

[١١٢] ﴿التَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾:

أوصاف تسعة لأهل البيع؛ أيْ: أهل الجنة:

﴿التَّٰٓئِبُونَ﴾: جمع تائب عن الشّرك، والنّفاق، والمعاصي. ارجع إلىٰ سورة النساء، آية (١٦-١٨)؛ للمزيد من البيان.

﴿ٱلْعَٰبِدُونَ﴾: المطيعون لأوامر الله، ونواهيه، عبادة مع المحبة، والإخلاص، والتّعظيم، والخشية.

﴿ٱلْحَٰمِدُونَ﴾: لله في السّراء، والضّراء، والرّاضين بقضاء الله وقدره.

﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾: جمع سائح من الفعل ساح في الأرض في طلب العلم الشّرعي، والدّعوة إلىٰ الله سبحانه كما قال عكرمة، والسّائحون قد تعني: الصّائمين كما فسرها أبو هريرة وابن مسعود وابن عباس وعائشة -وقد تعني الجهاد في سبيل الله كما فسرها عطاء.

﴿ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ﴾: أي: المقيمون الصّلاة، والرّاكعون السّاجدون تشيران إلىٰ كثرة السّجود، والركوع.

﴿ٱلْآمِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾: المعروف: هو كلّ ما أمر به الشّرع، واستحسنه العقل، والعرف الصّحيح.

﴿وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾: المنكر: هو ما يستقبحه الشّرع، ويمنعه، وما تستنكره العقول السّليمة؛ لمنافاة الأخلاق.

﴿وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ﴾: المحافظة على الأوامر؛ فلا يعتدوها، والبعد عن المنهيات؛ فلا يقربوها. تلك حدود الله فلا تعتدوها: تلك حدود الله فلا تقربوها.

﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: بالجنة، والبشرى: من البشارة؛ ارجع إلى الآية (١١٩) من سورة البقرة؛ للبيان.

١ - انتبه إلى إدخال الواو فقط على: والنّاهون عن المنكر، والحافظون لحدود الله، الواو: تشير إلى الاهتمام، ولما كان النّهي عن المنكر، والمحافظة على حدود الله أصعب العبادات: أضاف لها الواو؛ تفريقاً عن غيرها من العبادات؛ لأنّها الأشد، وقد تكون سبباً للقتل، والإهانة.

٢ - الحافظون لحدود الله: اللام: لام الاختصاص، والتّوكيد.

٣ - كلّها صفات ثابتة لهم لا تتغيَّر، جاءت بالصّيغة الاسمية، وليست الفعلية.

[١١٣] ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾:

﴿مَا كَانَ﴾: ما: في القرآن تأتي على وجهين:

الوجه الأوّل: للنفي؛ مثال: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:١٤٥]، ﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآ﴾ [النمل:٦٠].

الوجه الثّاني: للنهي؛ مثال: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب:٥٣]، ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة:١١٣].

﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ﴾: أيْ: ما يصح للنبي، والّذين آمنوا:

﴿أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ﴾: أن: حرف مصدري؛ للتعليل، والتّوكيد.

﴿يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ﴾: من الاستغفار: وهو الدّعاء أن يغفر الله لآبائهم، أو ذويهم الّذين ماتوا وهم على الشّرك، أو الكفر.

﴿وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ﴾: لو: شرطية، ولو كان هؤلاء الآباء، والأمهات، أو غيرهم من النّاس أولي قربى: ذي قرابة تجمعهم رابطة الدّم، أو النّسب، أو الصّداقة.

﴿مِنۢ بَعْدِ﴾: من: ابتدائية. بعد: ظرفية زمانية.

﴿مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ﴾: لهم: اللام: لام الاختصاص.

﴿أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾: أنّ: للتوكيد، أصحاب: الجحيم: ارجع إلى الآية (١١٩) من سورة البقرة؛ للبيان.

السّؤال هنا: كيف تبيَّن لهم أنّهم أصحاب الجحيم؟

أيْ: تحققوا وتبيَّن لهم أن آباءَهم وذويهم أنّهم ماتوا على الشّرك، ولم يتوبوا عندها لا يجوز الاستغفار لهم، والدعاء.

و﴿الْجَحِيمِ﴾: اسم من أسماء النّار، أو دركة من دركاتها السّبع: جهنم، لظى، الحطمة، السعير، سقر، الجحيم، الهاوية.

[١١٤] ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾:

وحتّى لا يحتج أحد من المؤمنين، ويقول: إنّ إبراهيم عليه السلام استغفر لأبيه، أو عمه، وأنا سأستغفر لفلان؛ جاءت هذه الآية لتبيِّن شأن استغفار إبراهيم.

﴿وَمَا كَانَ﴾: ما: النّافية.

﴿اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ﴾: يرجح المفسرون: أن آزر ليس أباه، وإنما عمه (الأب قد يعني: العم)؛ ارجع إلى سورة البقرة، آية (١٣٣)؛ للبيان.

﴿إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ﴾: إلا: أداة حصر.

﴿مَّوْعِدَةٍ﴾: على وزن المرة؛ أي: كانت موعدة قالها مرة واحدة ولم تتكرر، وموعدة فقط وليست وعداً؛ لأن كلمة وعداً لا تعني بالضرورة واحدة؛ أي: مرة واحدة لم تتكرر، وليس لكم أن تفعلوها أو تقولوها؛ أي: تستغفروا لأي

كافــر مهما كان حتىٰ ولو كان أقرب الناس إليكم إذا كان ذلك موعدة من إبراهيم لأبيــه حين قال: ﴿لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ [الممتحنة:٤]؛ فقد قال إبراهيم ذلك ظناً أنّ عمه قد يتوب، ويؤمن، أو كان يرجىٰ، أو يؤمل منه التّوبة.

﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾: فلما: الفاء: للترتيب، والتّعقيب، لما: ظرفية زمانية؛ بمعنىٰ: حين. تبين: لإبراهيم عن طريق الوحي: أنّه لن يؤمن؛ انقطع رجاؤه، واستغفاره لأبيه (أيْ: عمه).

﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ﴾: إنّ: للتوكيد.

﴿لَأَوَّٰهٌ﴾: أوّاه: كثير التّأوه، كثير الدّعاء والتّضرع إلىٰ الله، أواه: مبالغة في التأوه.

﴿حَلِيمٌ﴾: صيغة مبالغة من الحلــم؛ أيْ: كثير الحلم، والحلم: هو الصّبر، والإناة، وفي سورة هود، آية (٧٥): ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾ أيضاً كثير الرّجوع والإنابة إلىٰ الله؛ أيْ: سريع التّوبة.

[١١٥] ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾:

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا﴾: ما: النّافية.

﴿لِيُضِلَّ﴾: اللام: لام التّوكيد، والتّعليل. ليضل: من الضلال، والضّلال له معانٍ: الهلاك، والنّســيان، والضّياع، والضّلال: ضد الهدىٰ، والرّشاد إلىٰ طريق الحق، والصّــواب، أو الانحراف عن المنهج، واتباع طريــق الباطل. ارجع إلىٰ سورة البقرة، آية (١٩٨)؛ لبيان معنىٰ الضلال.

﴿لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾: إذ: ظرفية، وحتّىٰ: حرف غاية نهاية الغاية، ما: اسم موصول؛ بمعنىٰ: الّذي يتقون.

﴿حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾: حتّىٰ يُبيِّن لهم ما شُرع لهم، أو ما أمروا به من الطّاعة، أو النّهي، واجتنابه، والحلال، والحرام عن طريق الرّسل، والكتب، والوحي؛ أيْ: يبيِّن لهم طريق الهداية، والتّقوىٰ؛ فإذا لم يتقوه، أو يفعلوا ما أمرهم به، أو نهاهم عنه، أو يهتدوا بعد تلك الوسائل؛ عندئذٍ يتركهم في ضلالهم، وانحرافهم يعمهون، وهذا يعتبر عذراً لمن خالف قبل ورود النّهي عنه، وكما قيل: لا حكم قبل الشّرع؛ فهؤلاء الّذين استغفروا لذوي قرباهم قبل نزول هذه الآية؛ فلن يؤاخذهم الله علىٰ ما فعلوا، وليس عليهم ذنب، أو إثم.

﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾: إنّ: للتوكيد.

﴿بِكُلِّ﴾: الباء: للإلصاق، والاختصاص.

﴿شَيْءٍ﴾: نكرة؛ أيْ: يعلم من هو ضالٌّ، ومن هو مهتدٍ، وعليم بأحوال النّاس، وأعمالهم، وما شرع لهم.

﴿عَلِيمٌ﴾: صيغة مبالغة؛ أيْ: كثير العلم، يعلم الأقوال، والأفعال، وما يجري في السّماء، والأرض، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها، ويعلم ما في البر، والبحر، وما أهلك الله سبحانه أمة حتّىٰ يبيِّن لها ما يجب أن تتقيه من أسباب الهلاك، والدّمار، وذلك عن طريق كتبه ورسله وأنبيائه.

[١١٦] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾: إنّ: للتوكيد.

﴿لَهُۥ﴾: اللام: لام الملكيـة، والاختصاص، وتقديم لـه: تفيد الحصر له وحده.

﴿مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: المُلـكُ: الحكـم؛ أيْ: هـو الحاكم، حاكم السّموات والأرض؛ ضم الميم في كلمة مُلك: تعني: الحاكم، أو الحكم، وكسر الميم في كلمة مِلـك: تعني: الملكية، كما في قولـه تعالىٰ: ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ فالله إذا منعك من الاسـتغفار لأولي القربـىٰ؛ لأنّه هو الحاكم؛ فهو النّافـع، أو الضّـار وحده، والاسـتغفار لأولي القربىٰ لا ينفـع، ولا يضر إذا لم يقبله الله سبحانه، أو يسـتجيب له، فكيف إذا حرمه، ومن مظاهر كونه الحاكم، ولا حاكم غيره؛ لأنّه هو الّذي يُحيي، ويُميت.

﴿وَمَا لَكُم﴾: ما: النّافية، لكم: اللام: لام الاختصاص.

﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾: أيْ: في هذه الحياة الدّنيا.

﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾: مـن غير الله من اسـتغراقية، ولـي المعين المحب، والقريب.

﴿وَلَا﴾: تكرار لا يفيد زيادة النّفي، وفصل كلّ من الولاية عن النّصرة.

﴿نَصِيرٍ﴾: النّاصر. ارجع إلى الآية (١٠٧) من سورة البقرة؛ لمزيد من البيان.

انتبه إلى الفرق بين قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾، وقوله تعالى: ﴿مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾، حين يستعمل من دون تأتي في سياق الدّنيا، أما قوله: ما لهم من ولي ولا نصير، فتأتي في سياق الآخرة، ففي الآخرة ليس هناك غير الله وحده من ولي، ولا نصير، أمّا في الدّنيا فقد يكون هناك من يواليه، وينصره إضافة إلى الله، ولذلك يستعمل من دون الله.

[١١٧] ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾:

﴿لَّقَد﴾: اللام: لام التّوكيد. قد: للتحقيق أيضاً والتّوكيد.

﴿تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾: لقد تاب؛ أيْ: لقد قبل الله توبة النّبي، والمهاجرين، والأنصار، والتّوبة تدل على ذنب، وهل فعل النّبي ﷺ ذنباً حتّى يقول سبحانه: لقد تاب الله على النّبي ﷺ؟ الجواب: لا، وإنما ﷺ أذن، أو سمح لبعض الصّحابة بالتّخلف عن الخروج إلى تبوك، سواء لحقوا به بعد ذلك أو لم يلحقوا به؛ لقوله تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾.

﴿وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾: صحابته رسول من المهاجرين، والأنصار أمثال: أبي ذر، أبي خيثمة... وغيرهما، وهؤلاء قبل توبتهم بسبب تثاقلهم في

الخروج، أو لسماعهم لأقوال المنافقين، أو راودتهم أنفسهم بالرّجوع بعد أن خرجوا، وأيضاً من الّذين اعترفوا بذنوبهم وغيرهم.

﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾: زمن العسرة (غزوة تبوك) بسبب الحر الشّديد، وقلة الزّاد، والرّاحلة، والفقر.

﴿مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾: الزّيغ: هو الميل، كاد: من أفعال المقاربة؛ أيْ: لم تزغ، ولكنها كادت تزيغ؛ تميل، والزّيغ هنا: ليس عن الإيمان، وإنما بالتّخلف عن الخروج في سبيل الله مع رسول الله ﷺ.

﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾: تكرار (ثمّ تاب) عليهم: للتوكيد؛ لإزالة الشّك من نفوسهم، والتّجاوز عن ذنوبهم.

﴿إِنَّهُۥ﴾: للتوكيد.

﴿بِهِمْ﴾: الباء: للإلصاق؛ هم: ضمير فصل.

﴿رَءُوفٌ﴾: من الرّأفة: وهي أشد الرّحمة، أو أخص من الرّحمة، ومنهم من قال: تكون فقط للمؤمنين، ورؤوف: من رأف به؛ أيْ: أشفق عليه بأن دفع عنه السّوء، أو كره أن يحل به مكروه.

﴿رَّحِيمٌ﴾: كثير الرّحمة، الرّحمة تكون للمؤمن، والكافر في الدّنيا؛ فلا يعجّل لهم العقاب، ويغفر لهم، أما في الآخرة: فالرّحمة خاصّة بالمؤمنين.

❖ ❖ ❖

وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ
بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ
مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ
ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ
ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ مَا كَانَ لِأَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ وَمَنۡ حَوۡلَهُم
مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرۡغَبُواْ بِأَنفُسِهِمۡ
عَن نَّفۡسِهِۦۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ لَا يُصِيبُهُمۡ ظَمَأٞ وَلَا نَصَبٞ
وَلَا مَخۡمَصَةٞ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوۡطِئٗا يَغِيظُ
ٱلۡكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنۡ عَدُوّٖ نَّيۡلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم
بِهِۦ عَمَلٞ صَٰلِحٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٢٠﴾
وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةٗ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةٗ وَلَا يَقۡطَعُونَ
وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمۡ لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا كَانُواْ
يَعۡمَلُونَ ﴿١٢١﴾ ۞ وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ
فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ
وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ ﴿١٢٢﴾

سورة التّوبة [الآيات ١١٨ - ١٢٢]

[١١٨] ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾:

﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ﴾: الواو: عاطفة، معطوفة على النّبي ﷺ؛ أيْ: لقد تاب الله على النّبي ﷺ، والمهاجرين، والأنصار، وعلى الثّلاثة الّذين خلفوا، والثّلاثة قيل: هم: كعب بن مالك، هلال بن أمية، ومرارة بن الرّبيع.

﴿ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾: أُرجئوا، وتأخّر نزول الحكم فيهم، وكانت مدة إرجائهم خمسين يومّاً، ولم يقبل النّبي ﷺ توبتهم حتّى نزلت هذه الآية.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا﴾: حتّى: حرف غاية نهاية الغاية؛ إذا: ظرفية زمانية.

﴿ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ﴾: الرّحب: المكان المتسع؛ ضاقت عليهم الأرض بسعتها، ولم يجدوا مكاناً يلجؤون إليه بسبب إعراض النّاس عنهم، وعدم الحديث إليهم، أو مخالطتهم، وضاقت عليهم أنفسهم. تكرار كلمة ضاقت: للتوكيد؛ أيْ: شعروا بالغم، والهم، والوحدة، والنّدم، والذّنب، والعزلة؛ حتّى عن أزواجهم.

﴿وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ﴾: ظنوا؛ أيْ: أيقنوا من الظّن المرجح، ومجيء أن بعد الظّن: تفيد في قلب الظّن يقيناً.

﴿لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ﴾: لا: النّافية للجنس؛ ملجأ: ملاذ؛ أيْ: لا مكان يلجؤون إليه هرباً من شدة يأسهم، وندمهم، وخوفهم من سخط الله، وعقابه.

﴿إِلَّا إِلَيْهِ﴾: إلا: أداة حصر؛ إليه: إلا فقط بالرّجوع إلىٰ الله وحده.

﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾: ثم: للتراخي في الزّمن، تاب عليهم: شرع لهم التّوبة رحمة منه؛ لأنهم تخلفوا عن الخروج مع رسول الله ﷺ من دون أيِّ عذر.

﴿لِيَتُوبُوا﴾: اللام: لام التّعليل؛ ليتوبوا، وأركان التّوبة: الإقلاع عن الذّنب، والنّدم، وعدم الرّجوع إليه، والإكثار من النّوافل؛ فإن تابوا قبِل الله تعالىٰ توبتهم، وعفا عنهم.

﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ﴾: إن: للتوكيد، هو: ضمير فصل يفيد التّوكيد.

﴿التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾: التواب: صيغة مبالغة كثير قبول التّوبة يقبل توبة التّائبين مهما كان عددهم، وعدد توباتهم.

﴿الرَّحِيمُ﴾: لأنّه شرع لهم التّوبة رحمة منه، وقبولها رحمة أخرىٰ؛ فهو واسع الرّحمة بالمؤمنين؛ رؤوف رحيم.

[١١٩] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾:

نداء جديد للذين آمنوا: بالتّقوىٰ، والتّقوىٰ: هي امتثال أوامر الله، وتجنب نواهيه؛ اتقوا غضب الله، وسخطه: بإطاعة أوامره؛ التزموا الصّدق، والثّبات علىٰ دين الله تعالىٰ، وطاعته، ولا تكونوا كالمعذِّرين الّذين جاؤوا بالأعذار الكاذبة، وكونوا مع الصّادقين: وهم الأنبياء، والرّسل، ولم يقل: كونوا من الصّادقين؛ أيْ:

كونوا أنبياء ورسلاً، كونوا معهم في الدّنيا: بالصّدق، والطّاعة بامتثال الأوامر؛ تكونوا في صحبتهم بالآخرة.

[١٢٠] ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾:

﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ﴾: ما: النّافية، ما كان يصح، أو يحق لأهل المدينة.

﴿لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ﴾: اللام: لام التّعليل، والاختصاص، أهل المدينة المنورة خاصّة.

﴿وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾: كمزينة، وجهينة، وأشجع، وغفار، وأسلم.

﴿أَن﴾: حرف مصدري يفيد التّعليل، والتّوكيد.

﴿يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ﴾: كان يجب عليهم الخروج مع رسول الله ﷺ إلى تبوك، وعدم التّخلُّف.

﴿وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ﴾: أيْ: لا يحق لهم، أو يصح لهم إيثار أنفسهم عن نفس رسول الله ﷺ؛ أيْ: أن يجلسوا في ديارهم مرتاحين، ورسول الله ﷺ، وبعض الصّحابة يحاربون العدو، ويقاسون من شدة الحر، والعطش، والمشقة.

﴿عَن نَّفْسِهِۦ﴾: ولم يقل: على نفسه، عن: تفيد المجاوزة، والابتعاد، وعلى: تفيد العلو، والتّكبر.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ﴾: ذلك:

اسم إشارة للبعد يشير إلىٰ ما يعانيه النّبي ﷺ، والّذين معه لا يصبهم ظمأ (عطش شديد)، ولا نصب (تعب ومشقة)، ولا مخمصة: مجاعة خاصَّة؛ والمخمصة في اللغة: أصلها الضمور؛ أي: الجوع الشديد الذي يستمر لزمن طويل يؤدي إلىٰ ضمور البطن والأطراف؛ لأن المصاب استهلك المادة الدهنية أو الشحم لتوليد الطاقة؛ جوع فردي. بينما المسغبة: مجاعة عامة تشمل الكل (سورة البلد آية ١٤).

﴿وَلَا يَطَـُٔونَ مَوۡطِئٗا يَغِيظُ ٱلۡكُفَّارَ﴾: يدوسون مكاناً من أرض الكفار بأقدامهم، أو خيلهم يؤدِّي إلىٰ غيظ الكفار، والغيظ: هو الغضب الكامن في نفس الإنسان العاجز عن التّشفي من مسبب الغيظ. ارجع إلىٰ الآية السابقة (١٥) من نفس السّورة.

﴿وَلَا يَنَالُونَ مِنۡ عَدُوّٖ نَّيۡلًا﴾: لا: النّافية، ينالون من عدو نيلاً: من: الاستغراقية؛ عدو نيلاً؛ أيْ: أسراً، أو قتلاً، أو غنيمة، أو هزيمة (من ديارهم، وأموالهم).

﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٞ صَٰلِحٌ﴾: إلا: أداة للحصر، كتب لهم به عمل صالح؛ أيْ: كتب لهم به ثواب ذلك العمل الصّالح، وعمل صالح: نكرة؛ أيُّ عمل صالح مهما كان نوعه، وقيمته سيثابون عليه.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾: إنّ الله: للتوكيد، ولم يقل: إنّ الله لا يضيع أجر العاملين؛ لأنّه بكرمه، وفضله ارتقىٰ بعملهم الصّالح إلىٰ درجة الإحسان، واعتبر كل ما يفعلونه من الإحسان، وأنّه سيجازيهم عليه، ولن ينساه، وضمهم إلىٰ المحسنين.

[١٢١] ﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾:

﴿وَلَا﴾: لا: النّافية.

﴿يُنفِقُونَ﴾: من الإنفاق: أيْ: صرف الأموال، أو الزاد.

﴿نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾: نفقة: نكرة؛ صغيرة، ولا كبيرة، ومهما كان نوعها، ولو كانت تمرة، أو درهم، أو كبيرة؛ مثل: إنفاق سيدنا عثمان على جيش العسرة.

﴿وَلَا﴾: تكرار لا: يفيد التّوكيد، وفصل الإنفاق عن يقطعون وادياً، أو كلاهما معاً.

﴿يَقْطَعُونَ وَادِيًا﴾: في ذهابهم للجهاد في سبيل الله، أو رجوعهم منه.

﴿إِلَّا﴾: أداة حصر.

﴿كُتِبَ لَهُمْ﴾: في صحائف أعمالهم كتب لهم؛ لهم: اللام: لام الاختصاص؛ لهم خاصَّة.

﴿لِيَجْزِيَهُمُ﴾: اللام: لام التّعليل، والتّوكيد.

﴿اللَّهُ أَحْسَنَ﴾: على وزن أفعل؛ أيْ: أفضل الجزاء؛ أي: الثّواب، والأجر.

﴿مَا﴾: اسم موصول؛ تعني: الّذي عملوا.

﴿كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: كانوا يعملون في الدّنيا، ويعملون: تضم الأقوال، والأفعال معاً.

لنقارن بين الآيتين: الآية (١٢٠)، وهي قوله: ﴿لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: هذه ابتلاءات من الله، وليس من عملهم، ﴿وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا﴾: هذه من أعمالهم الحقيقية، ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾: فهذه الآية تضم ابتلاءات من الله صبروا عليها+ أعمال قاموا بها= أثابهم الله عليها؛ فقال تعالى: ﴿كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾؛ لأن هذه ابتلاءات، وليست من أعمالهم؛ فأكّد لهم: أنها تكتب لهم أعمالاً صالحة، وجعلها من أعمال الإحسان، ورفع درجتهم إلى درجة المحسنين؛ فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

أما الآية (١٢١)، وهي قوله: ﴿وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: فهذه كلها من أعمالهم (نفقات، وقطع وديان)، أعمال حقيقة صالحة، وليس بينها ابتلاءات، كما في الآية (١٢٠) فوعدهم الله أحسن الجزاء عليها، ولا داعي للقول عنها أنها أعمال صالحة؛ لأنّ ذلك واضح.

[١٢٢] ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾:

﴿وَمَا﴾: الواو: عاطفة، ما: النّافية، وما كان يصح، أو ينبغي.

﴿الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا﴾: النّفرة هي دعوة النّاس، أو حث النّاس للخروج إلى أمر ما بسرعة للجهاد، أو غيره؛ مثل: حريق، أو زلزلة أرضية.

﴿لِيَنْفِرُوا كَافَّةً﴾: لا يصح للكل أن ينفر؛ أي: الكل يخرج لأمر ما، ويتركون المدينة، أو مساكنهم كلها خالية.

﴿فَلَوْلَا نَفَرَ﴾: لولا: أداة حضٍّ، نفر: خرج من كل طائفة فرقة.

﴿مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ﴾: من: ابتدائية استغراقية؛ طائفة: الجماعة تقسم إلى طوائف، هذه الطّائفة تنفر للجهاد، وتلك تنفر للتفقُّه في الدِّين، وطائفة تبقى حارسة.

﴿وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ﴾: فالطائفة الّتي تخرج للتفقُّه في الدِّين، ثمّ تعود إلى الدّيار؛ لكي تنذر الطّائفة الّتي نفرت للغزو، أو تنذر القاعدين (الطائفة الحارسة).

﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾: لعل: رجاء، أو للتعليل، يحذرون: عقاب الله بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه.

والخلاصة: أن تتبادل الطّائفة الّتي خرجت للجهاد، أو الغزو، والطّائفة الّتي خرجت للتفقُّه في الدِّين، والطّائفة الحارسة المعلومات، وأمور الدِّين.

❖ ❖ ❖

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ
وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾
وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ
إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ
﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا
إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ أَوَلَا يَرَوۡنَ
أَنَّهُمۡ يُفۡتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٖ مَّرَّةً أَوۡ مَرَّتَيۡنِ ثُمَّ
لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ
سُورَةٞ نَّظَرَ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ هَلۡ يَرَىٰكُم مِّنۡ أَحَدٖ
ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ
﴿١٢٧﴾ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ
عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ
رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ
إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾

سُورَةُ يُونُسَ

ترتيبها ١٠ | آياتها ١٠٩

سورة التّوبة [الآيات ١٢٣ - ١٢٩]

[١٢٣] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾:

نداء جديد للذين آمنوا بتكليف جديد: وهو قتال الكفار، والهاء: للتنبيه، واليقظة.

﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾: يجاورنكم؛ يلونكم: من يلي؛ أي: الّذي يأتي بعده؛ مثل: بني قريظة، والنّضير، قاتلوا العدو القريب قبل مقاتلة الرّوم، والفرس العدو البعيد؛ أيْ: تخلّصوا من عدوكم القريب أولاً، وطهّروا مَن حولكم حتّىٰ تطمئنوا بعد الخروج إلىٰ العدو الأبعد.

﴿وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً﴾: ليجدوا: اللام: لام التّوكيد، والتّعليل، غلظة: قسوة أو خشونة، وشدة، وهذه الغلظة نحو الكفار وليست صيغة ثابتة دائمة، وأيضاً رحماء بينكم.

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾: يمدهم بعونه، ونصره؛ مع: تعني: المعية، واعلموا علم اليقين: أن للتوكيد؛ الله مع الّذين يطيعون أوامر الله، ويجتنبون نواهيه.

[١٢٤] ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾:

﴿وَإِذَا﴾: الواو: استئنافية، إذا: ظرفية زمانية للمستقبل، ما: نافية للتوكيد.

﴿أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾: سورة كاملة، أو بعض آيات السّورة.

﴿فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ﴾: الفاء: للترتيب، والتّعقيب؛ أيْ: من المنافقين من يقول بعضهم لبعض.

﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا﴾: استفهامية، زادته هذه إيماناً؛ يقولون ذلك استهزاءً، وإنكاراً لزيادة الإيمان.

﴿فَأَمَّا﴾: الفاء: استئنافية، أما: حرف شرط، وتفصيل.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾: الّذين: اسم موصول؛ آمنوا: ساروا على درب الإيمان.

﴿فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾: تظهر علامات السّرور على وجوههم، والفرحة: فرحاً بما أنزل ربهم موقنين: أنّ الله سيزيد إيمانهم.

[١٢٥] ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾:

﴿وَأَمَّا﴾: حرف شرط، وتفصيل.

﴿الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: مرض النّفاق، والكفر، والشّك.

﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾: زادتهم كفراً، ونفاقاً إلى كفرهم، وإثماً.

والرجس في اللغة: كل ما استقذر من عمل والقذر هو النتن حسياً، أو معنوياً.

وفي الشرع: يطلق على كل ما يستقبح شرعاً؛ كالكفر، والشّرك، والأوثان، والأصنام... وغيرها. ارجع إلى سورة البقرة آية (٥٩) لمزيد من المعنى والفرق بين الرجس والرجز.

﴿وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾: من دون توبة.

﴿وَهُمْ﴾: ضمير فصل؛ يفيد التّوكيد.

﴿كَٰفِرُونَ﴾: جملة اسمية تدل على الثّبوت، ثبوت الكفر، والنّفاق.

[١٢٦] ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾:

﴿أَوَلَا﴾: الهمزة: للاستفهام، والتّوبيخ؛ لا: النّافية.

﴿يَرَوْنَ﴾: رؤية قلبية، ورؤية بصرية معاً؛ أيْ: يتفكرون، ويرون بأعينهم ماذا يحدث لهم في كل عام.

﴿أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ﴾: أن للتوكيد؛ يفتنون: الفتنة: هي الابتلاء، والابتلاء يكون بالخير، والشّر؛ يفتنون: بالمرض، والقحط، أو الجهاد، أو نقص في الأموال والأنفس. ارجع إلى سورة آل عمران، آية (٧)، والعنكبوت، آية (٢-٣).

﴿فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾: في: ظرفية زمانية؛ كل عام: جاء بكلمة (عام) الّتي تأتي في القرآن عادةً في سياق الخير، وكلمة السّنة تأتي في سياق الشّر؛ لأنّ الفتنة في كل عام هي لصالحهم؛ لكي يتوبوا، أو يذكروا، ويرجعوا عن شركهم، وكفرهم، ونفاقهم؛ فالفتنة غايتها إنقاذهم.

﴿ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ﴾: ثمّ هنا: ليست للتراخي في الزّمن، لا: النّافية، لا يتوبون: لا يكفون ويرجعون إلى الله.

﴿وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾: وتكرار لا: النّافية؛ لزيادة التّوكيد، وفصل كل من التّوبة عن التّذكر، والإيقاظ؛ يذكرون: من التّذكر، وعدم النّسيان، يذكرون: يتعظون، ويصحون من غفلتهم، ويعودون إلى رشدهم، يذكرون، ولم يقل: يتذكرون. يذَّكَّرون: فيها مبالغة في التذكر وتعني: التذكر الشديد، أو القوي، والتذكر القلبي الذي ربما يوقظ قلوبهم ويتوبوا إلى الله توبة نصوحاً، وأما

يتذكرون: تأتي في سياق التذكر العقلي، أو الفكري الذي يحتاج إلىٰ زمن طويل. ارجع إلىٰ سورة الأنفال آية (٥٧) لمعرفة الفرق بين يذكرون، ويتذكرون.

[١٢٧] ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾:

﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾: ارجع إلىٰ الآية (١٢٤) من سورة التّوبة.

﴿نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾: هنا حذف يقولون؛ لأنّه مفهوم من السّياق؛ نظر بعض المنافقين إلىٰ بعض: قائلين هل يراكم من أحد من المؤمنين. من: استغراقية؛ تعني: أيّاً من المؤمنين، وقد تعني: نظر بعضهم إلىٰ بعض من دون أن يقولوا شيئاً، واستعملوا لغة العيون؛ كالغمز، وغيرها من الحركات؛ خوفاً من أن يسمعهم المؤمنون.

﴿هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾: هم يريدون الهرب، والتّسلل؛ لوذاً: خوفاً من أن يفتضح أمرهم؛ فهم في خوف دائم؛ فهم يسألون؛ هل: للاستفهام؛ يراكم من أحد من المؤمنين.

﴿ثُمَّ انصَرَفُوا﴾: ثم: للترتيب الذّكري، أو ترتيب الأحداث، ثمّ انصرفوا من مجلس، أو مكان نزول السّورة من دون الاستماع إليها، أو بيانها؛ فهم قد دخلوا بالكفر، وهم قد خرجوا به.

﴿صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾: عن الهدىٰ، والإيمان، والرّشد؛ فهذا دعاء عليهم بالخذلان.

﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾: الباء: للتعليل، والإلصاق؛ لا: النّافية؛ يفقهون: الفقه لغةً: الفهم، واصطلاحاً: هو معرفة الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية القرآن والسنة والإجماع والقياس وغيرها؛ أي: لا يفهمون ما يسمعونه، ولا

يتدبرونه، ولا يفهمون قيمة الإيمان، ولا يريدون أن يتعلموا بأنفسهم، أو من غيرهم.

[١٢٨] ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾:

﴿لَقَدْ﴾: اللام: للتوكيد؛ قد: للتحقيق، والتّوكيد، والإثبات.

﴿جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾: من أنفسكم؛ أيْ: من المؤمنين، أو من قريش، أو من جنسكم، وليس من الجن، ولا الملائكة، بينما قوله: رسول منهم؛ تعني: من العرب من الأميين.

﴿جَآءَكُمْ﴾: المجيء فيه صعوبة؛ قد تعني بتكاليف قد تشق عليكم، أو أوامر ونواهي يجب الأخذ بها، أو مجيء في وقت، أو زمن انتشر فيه الشّرك، والجهل، والظّلم.

﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾: عزيز: من عز عليه؛ أيْ: صعب وشق؛ أيْ: يصعب عليه ما يشق عليكم، العزيز: الممتنع لا يقدر عليه أحد، أو الأمر الّذي يعز (يصعب) على النّاس تداوله، أو يصعب عليه؛ أيْ: يألم ويحزن ما تعانونه من مشقة (مثل الهجرة، والفاقة، والحرب، والاضطهاد، وغيرها من الشّدائد).

﴿مَا عَنِتُّمْ﴾: ما: مصدرية، أو اسم موصول؛ بمعنى: الّذي؛ أيْ: يصعب عليه عنتكم، أو الشّيء الّذي أعنتكم، أو ما يشق عليكم.

﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾: الحرص: هو بذل الجهد؛ لإدراك أمر مقصود، والمعنى: يبذل غاية جهده لمصلحتكم؛ أيْ: هدايتكم، وإيمانكم، وإنقاذكم من النّار؛ أيْ: حريص على دفع المكروه عنكم، وحصول المحبوب لكم.

﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾: الباء: للإلصاق، والتّمسك، رؤوف

رحيم: قال ابن عباس ﷺ سمَّى الله تعالى نبيَّه باسمين من أسمائه، أو وصف الله سبحانه نبيه بصفتين من صفاته: الرّأفة، والرّحمة، وقدَّم بالمؤمنين على رؤوف رحيم، ولم يقل: رؤوف يرحم المؤمنين: للتوكيد، والحصر. الرّأفة: أشدُّ الرّحمةِ، وأرقُّها: لم يحمِّلهم ما لا يطيقون.

الرّحمة: هي جلب الخير، أو ما ينفع، ودفع الضّر.

[١٢٩] ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾:

﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾: الفاء: عاطفة، إن: شرطية، تولوا: ابتعدوا عنك، أو أعرضوا عن الإيمان؛ فلا يهمَّنَّك إعراضهم.

﴿فَقُلْ﴾: الفاء: للتوكيد؛ الخطاب للنبي.

﴿حَسْبِيَ ٱللَّهُ﴾: أيْ: يكفيني الله سبحانه، والحسب: اسم بمعنى: كاف؛ فهو كافيك، وناصرك. قلْ ذلك بالقلب واللسان، وكلمة الحسب تقال في الشّدائد (حسبي الله ونعم الوكيل).

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: لا: النّافية؛ إله معبود (أثبتت العبودية لله)؛ إلا: أداة حصر. هو: ضمير فصل؛ يفيد التّوكيد (نفت عنه الشّريك أثبتت له الوحدانية). ارجع إلى سورة البقرة، آية (٢٥٥)؛ لمزيد من البيان.

﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾: عليه جار ومجرور تقدَّم توكلت؛ للدلالة على الحصر، والقصر؛ أيْ: أتوكل عليه وحده.

التوكل: هو الاعتماد على الله، وطلب المساعدة منه بجلب المنافع، ودفع

المضار بعد تقديم الأسباب كاملة ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥ﴾ [الطلاق:٣]. ارجع إلىٰ سورة الأعراف، آية (٨٩)؛ لبيان معنىٰ التوكل.

﴿وَهُوَ﴾: هو: ضمير فصل؛ يفيد التّوكيد، والحصر.

﴿رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾: رب العرش: خالق العرش، ورب الكون، والعرش؛ تعني: الحكم، والملك، أو الحاكم، والمالك.

﴿ٱلْعَظِيمِ﴾: قد تعود علىٰ الله سبحانه العظيم (رب العرش) القادر علىٰ كل شيء، ولمعرفة معنىٰ العظيم؛ ارجع إلىٰ سورة البقرة، آية (٢٥٥)، أو قد تعود علىٰ العرش العظيم؛ لأنه أعظم المخلوقات علىٰ الإطلاق؛ أعظم من السموات، والأرض؛ فالسموات والأرض بالنسبة للعرش؛ كحلقة في فلاة، وأعظم من خلق الإنسان؛ فهو خالق العرش، والكون، والإنسان، وكل شيء سبحانه، وهو الحاكم، والمالك لكل شيء، لا يشاركه أحد.

ووصف العرش بأنه: عظيم، وكريم، ومجيد؛ فقال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [التوبة:١٢٩]، ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ﴾ [البروج:١٥]، ﴿رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون:١١٦]، وربط التوكل برب العرش العظيم؛ لأن مَنْ خلق العرش العظيم جديرٌ بأن يُتوكَّلَ عليه. ارجع إلىٰ سورة هود آية (٧) لمزيد من البيان.

❖❖❖

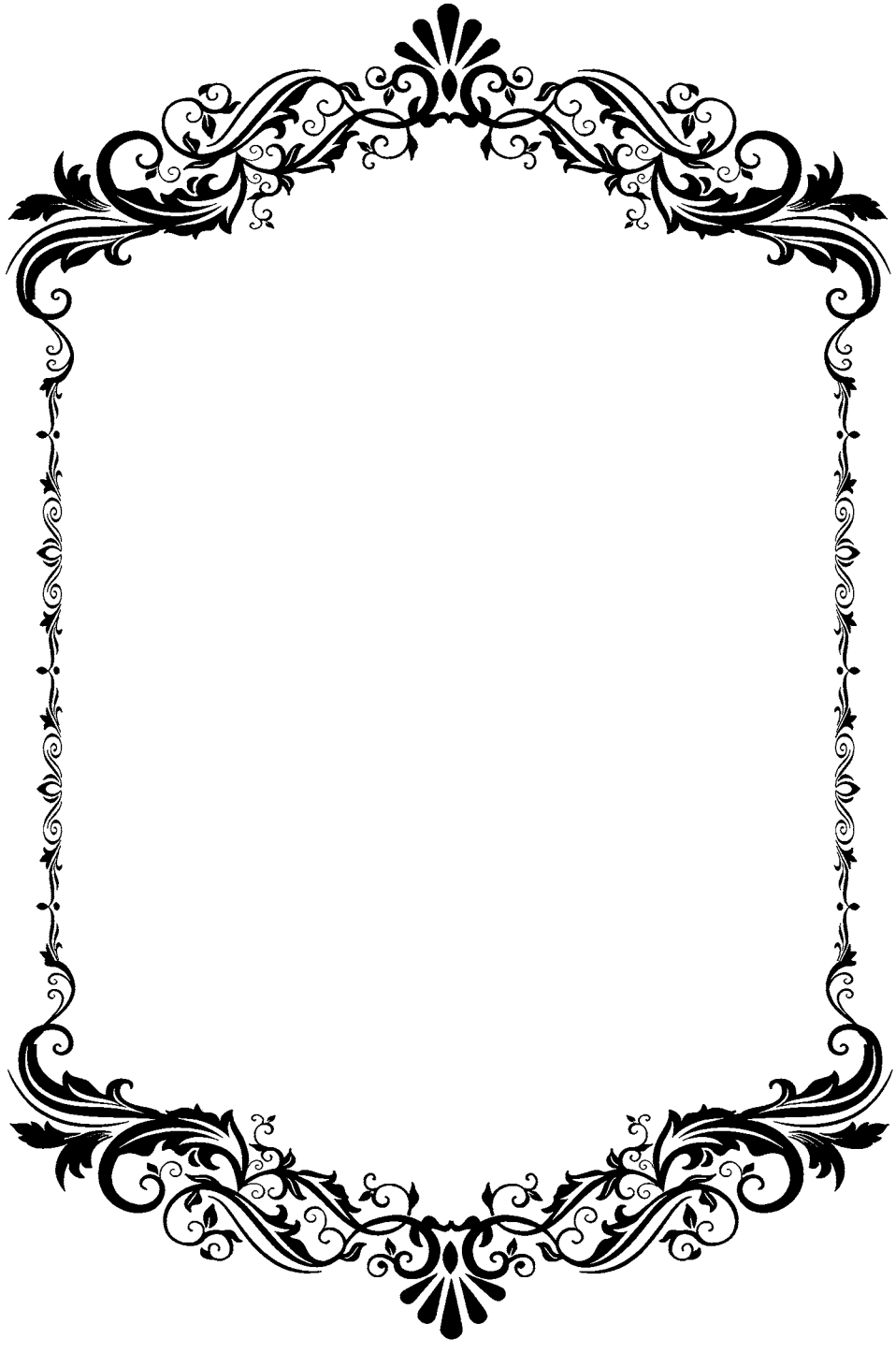

فهرس تفسير القرآن الثري الجزء الرابع

السورة ورقمها	الصفحة
سورة الأنعام [الآيات ١٥٨ - ١٦٥]	٦
سورة الأعراف [الآيات ١ - ١١]	١٧
سورة الأعراف [الآيات ١٢ - ٢٢]	٢٩
سورة الأعراف [الآيات ٢٣ - ٣٠]	٤١
سورة الأعراف [الآيات ٣١ - ٣٧]	٥١
سورة الأعراف [الآيات ٣٨ - ٤٣]	٦٣
سورة الأعراف [الآيات ٤٤ - ٥١]	٧٣
سورة الأعراف [الآيات ٥٢ - ٥٧]	٨٣
سورة الأعراف [الآيات ٥٨ - ٦٧]	٩٣
سورة الأعراف [الآيات ٦٨ - ٧٣]	١٠٣
سورة الأعراف [الآيات ٧٤ - ٨١]	١١١
سورة الأعراف [الآيات ٨٢ - ٨٧]	١١٩
سورة الأعراف [الآيات ٨٨ - ٩٥]	١٢٧
سورة الأعراف [الآيات ٩٦ - ١٠٤]	١٣٧
سورة الأعراف [الآيات ١٠٥ - ١٢٠]	١٤٧
سورة الأعراف [الآيات ١٢١ - ١٣٠]	١٥٧
سورة الأعراف [الآيات ١٣١ - ١٣٧]	١٦٧
سورة الأعراف [الآيات ١٣٨ - ١٤٣]	١٧٧
سورة الأعراف [الآيات ١٤٤ - ١٤٩]	١٨٧
سورة الأعراف [الآيات ١٥٠ - ١٥٥]	١٩٥

السورة ورقمها	الصفحة
سورة الأعراف [الآيات ١٥٦ - ١٥٩]	٢٠٥
سورة الأعراف [الآيات ١٦٠ - ١٦٣]	٢١٣
سورة الأعراف [الآيات ١٦٤ - ١٧٠]	٢٢٣
سورة الأعراف [الآيات ١٧١ - ١٧٨]	٢٣٣
سورة الأعراف [الآيات ١٧٩ - ١٨٧]	٢٤٣
سورة الأعراف [الآيات ١٨٨ - ١٩٥]	٢٥٧
سورة الأعراف [الآيات ١٩٦ - ٢٠٦]	٢٦٧
سورة الأنفال [الآيات ١ - ٨]	٢٨١
سورة الأنفال [الآيات ٩ - ١٦]	٢٩١
سورة الأنفال [الآيات ١٧ - ٢٥]	٣٠١
سورة الأنفال [الآيات ٢٦ - ٣٣]	٣١١
سورة الأنفال [الآيات ٣٤ - ٤٠]	٣٢١
سورة الأنفال [الآيات ٤١ - ٤٥]	٣٢٩
سورة الأنفال [الآيات ٤٦ - ٥٢]	٣٣٧
سورة الأنفال [الآيات ٥٣ - ٦١]	٣٤٥
سورة الأنفال [الآيات ٦٢ - ٦٩]	٣٥٥
سورة الأنفال [الآيات ٧٠ - ٧٥]	٣٦٥
سورة التّوبة [الآيات ١ - ٦]	٣٧٣
سورة التّوبة [الآيات ٧ - ١٣]	٣٨١
سورة التّوبة [الآيات ١٤ - ٢٠]	٣٨٩
سورة التّوبة [الآيات ٢١ - ٢٦]	٣٩٩
سورة التّوبة [الآيات ٢٧ - ٣١]	٤٠٧
سورة التّوبة [الآيات ٣٢ - ٣٦]	٤١٧

السورة ورقمها	الصفحة
سورة التّوبة [الآيات ٣٧ - ٤٠]	٤٢٥
سورة التّوبة [الآيات ٤١ - ٤٧]	٤٣٣
سورة التّوبة [الآيات ٤٨ - ٥٤]	٤٤١
سورة التّوبة [الآيات ٥٥ - ٦١]	٤٥١
سورة التّوبة [الآيات ٦٢ - ٦٨]	٤٦١
سورة التّوبة [الآيات ٦٩ - ٧٢]	٤٦٩
سورة التّوبة [الآيات ٧٣ - ٧٩]	٤٧٧
سورة التّوبة [الآيات ٨٠ - ٨٦]	٤٨٧
سورة التّوبة [الآيات ٨٧ - ٩٣]	٤٩٥
سورة التّوبة [الآيات ٩٤ - ٩٩]	٥٠٥
سورة التّوبة [الآيات ١٠٠ - ١٠٦]	٥١٣
سورة التّوبة [الآيات ١٠٧ - ١١١]	٥٢٣
سورة التّوبة [الآيات ١١٢ - ١١٧]	٥٣١
سورة التّوبة [الآيات ١١٨ - ١٢٢]	٥٤١
سورة التّوبة [الآيات ١٢٣ - ١٢٩]	٥٤٩
فهرس تفسير القرآن الثري الجزء الرابع	٥٥٧

❖ ❖ ❖